مجلة الجامعة الإسلاميَّة
للغة العربيَّة وآدابها

مجلة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكمة

العدد : 18

أكتوبر - ديسمبر 2025م

١٣٨
١٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد ـ تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	دلالة النعت على التوكيد في القرآن الكريم، مواضعها وآثارها دراسة نحوية دلالية **د. عمر بن عواد الحربي**	٩
٢)	جموع القلة الخارجة عن القياس في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي –جمعًا ودراسة **د. محمد بن جزاء بن زقحان الرويس العتيبي**	٥٩
٣)	التنبيهات الصرفية الخلافية في كتاب الشرح الكبير لبَحْرَق الحضرمي –جمعًا ودراسةً **د. نوها جاد المولى علي جاد المولى**	١٣٥
٤)	تعليلات الفراء الصوتيَّة في كتابه كتاب لغات القرآن **د. سلوى راجح محمد العبدلي الشريف**	١٩٩
٥)	أثر المحظورِ اللّغويّ في توليد الألفاظ دراسة دلاليّة تداوليّة **وفاء بنت لافي بن مقبل الرّشيديّ**	٢٤١

م	البحث	الصفحة
٦)	قراءة في مشاريع تجديد الدرس البلاغي في المملكة العربية السعودية مشروع بلاغة النص العلمي عند عبد الله بانقيب أنموذجا **د. غادة محمد ذاكر الزبيدي**	٢٨٥
٧)	بلاغَةُ النَّظْمِ فِي تَرَاكيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفيَّةِ فِي المُعَلَّقاتِ السَّبْعِ دراسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ **د. عواد بن ملفي بن زايد الشمري**	٣٢٣
٨)	القيم الحجاجية في كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي دراسة تطبيقية في باب العلم **د. أمينة بنت سعود بن خيشان القرشي**	٣٧٣
٩)	الإشاريَّات التداوليَّة في مرويَّات أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها بدء الوحي ومبشِّرات النبوَّة (أنموذجًا) **د. فوزيَّة بنت سعد القرني**	٤٢٣
١٠)	تأثير إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى **د. وائل مطر حسن الحربي**	٤٧١

دلالة النعت على التوكيد في القرآن، مواضعها، وآثارها
دراسة نحوية دلالية

The Significance of Adjectives in Conveying Emphasis in the Qur'an - their Contexts and Effects - a Grammatical and Semantic study

د. عمر بن عواد نور الحربي

الأستاذ المشارك بقسم اللغة والنحو والصرف بجامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: oaharbi@uqu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
24/08/2025		20/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-001		

الملخص

عالج البحث في مضمونه دلالة النعت على التوكيد، وبيّن مواضع هذه الدلالة، وتوظيف النحاة والمفسرين لها، وقد احتوى البحث الموسوم بـ(دلالة النعت على التوكيد في القرآن–مواضعها وآثارها–دراسة نحوية دلالية) على مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، ثم خاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

بيّن الباحث في مقدمته منهجه، وأهمية بحثه التي تتمثل في بيان أسلوب التعبير القرآني عن معنى التوكيد بأسلوب النعت، لبيان مواضعها، وتتمثل أهميته كذلك في بيان أهمية التوكيد وتنوع أساليبه لدى علمائنا، وصلته بالكثير من أساليب العربية، وبيان المعاني السياقية التي تربط معنى التوكيد بأسلوب النعت. وتتضح أهميته من خلال إجابته عن عدد من التساؤلات أهمها: هل يمكن أنْ يؤدَّى معنى التوكيد بأسلوب النعت؟ وما مواضع دلالة النعت على التوكيد؟ وذكر الباحث في التمهيد نبذة عن التوكيد والنعت، وفي المبحث الأول: كون النعت من لوازم المنعوت، وفي المبحث الثاني: النعت بالعدد واحد واثنين، وفي المبحث الثالث: النعت بالاسم الموصول، وفي المبحث الرابع: توكيد المنعوت باشتقاق النعت منه، وفي المبحث الخامس: توكيد المنعوت بنفي نقيضه، وفي المبحث السادس: توكيد المنعوت بنعته المرادف له.

وذكر الباحث في خاتمة بحثه النتائج التي توصل لها ومن أهمّها:

أفاد البحث دلالة النعت على التوكيد إن كان لازمًا من لوازم منعوته، أو كان النعت تكرارًا للمنعوت بمعناه أو بمرادفه إثباتًا أو سلبًا، أو كان النعت مشتقًّا من منعوته.

الكلمات المفاتيح: النعت– التوكيد– الدلالة– السياق– القرآن.

Abstract

The study examined, in its content, the meaning of the adjective as an indicator of emphasis, clarified the contexts in which this meaning occurs, and explained how grammarians and exegetes employed it. The research—entitled 'The significance of adjectives in conveying emphasis in the Qur'an - their contexts and effects - a grammatical and semantic study'—comprised an introduction, a preface, six chapters, a conclusion, and a bibliography of sources and references.

The researcher explained in his introduction his methodology and the significance of his study, which lies in clarifying the Qur'anic mode of expression for the meaning of emphasis through the use of the adjective (al-naʿt), and in identifying its occurrences. Its significance also appears in highlighting the importance of emphasis and the diversity of its methods according to our scholars, its connection to many Arabic stylistic devices, and in clarifying the contextual meanings that link the notion of emphasis to the adjectival construction. Its importance becomes evident through his answers to several questions, the most significant of which are: Can the meaning of emphasis be conveyed through the adjectival construction? And what are the contexts in which the adjective denotes emphasis? The researcher mentioned in the preface a brief overview of *tawkīd* (emphasis) and *naʿt* (adjective). In the first chapter, he discussed the idea that the *naʿt* is one of the inherent attributes of the *manʿūt* (the described noun). In the second chapter, he examined adjectival qualification using the numbers one and two. In the third chapter, he addressed qualification using the relative pronoun. In the fourth chapter, he explored emphasizing the modified noun by deriving the adjective from it. In the fifth chapter, he analyzed emphasizing the modified noun by negating its opposite. In the sixth chapter, he studied emphasizing the modified noun by describing it with an adjective synonymous with it.

In the conclusion of his research, the researcher mentioned his findings, the most important of which are:

The study found that the adjective conveys emphasis when it is

an inherent attribute of the noun it describes, when the adjective repeats the meaning of the noun or its synonym—whether through affirmation or negation—or when the adjective is derived from the noun itself.

Keywords: adjective – emphasis – indication – context – Qur'an.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فتُعَدُّ دراسة دلالة مسائل النحو وأبوابه من أهمِّ الدراسات التي يجب أنْ تحظى باهتمام الباحثين، حيث يقوم النحو عليها، وبرزت معالمها في كثير من أحكام النحو وأبوابه، ولا أبالغ حين أقول إنَّ كثيرًا من مباحث النحو ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعنى، فالعلاقة بينهما قديمة، ولقد اهتمّ علم النحو بالمعنى، وآثره في التقعيد، ويندرج البحث في إطار تراكيب اللغة وما تؤدِّيه من معانٍ تتعلّق بقصد المتكلم وفهم المتلقي، واختلاف حاله في الخطاب الموجَّه إليه بين التصديق أو التكذيب، والقبول أو التردّد أو الإنكار مما يستدعي من المتكلم أنْ يصوغ كلامه وفق حالات متلقيه، وهو ما يمكن أنْ يطبقه في أسلوب التوكيد، الذي يمثل زيادة في اللفظ لتمثل زيادة المعنى، والزيادة تكون لفظية ومعنوية، والزيادة اللفظية تكون بزيادة أداة من أدوات التوكيد، أو بتكرار اللفظ أو التركيب، والزيادة المعنوية تكون بتكرار المعنى بمفهومه في صورة لفظية مخالفة لما سبق، والقران الكريم بحر لا تنقضي دُرره، ولا تنتهي عجائبه، ودراسة أساليبه عظيمة الشأن، رفيعة المقام، يُتوصَّل بها إلى فهم كتاب الله، ومن أبرز أساليبه أسلوب التوكيد، وحرصت أنْ يكون بحثي في دلالة التوكيد بأسلوب النعت، ورغم كثرة تطرّق الدارسين لموضوعي النعت والتوكيد فإنني أرى إنَّ جدَّة طرحي وأصالة موضوعي تكمن في معرفة مواضع دلالة التوكيد بأسلوب النعت؛ لأتمكن من دراسة الشكل التوكيدي غير الأصلي في باب التوكيد، ودراسة أغراض النعت غير التقليدية الخارجة عن الأصل التي لم تلق في جانبها المعنوي ما تستحقُّ، وبناء على ذلك تتلخّص دراستي في محاولة دراسة أحد أساليب التوكيد، ويمكن اعتبارها دراسة لغرض من أغراض النعت ودلالاته بعيدًا عن التقسيم النحوي لأبواب النحو التي جعلت التوكيد والنعت في باب التوابع بتضييق موضوعهما وحصرهما ذكرًا وتقسيمًا في العلامة الاعرابية مما أفقدهما سمتهما الوظيفية.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في بيان أسلوب التعبير القرآني عن معنى التوكيد بأسلوب النعت، لبيان مواضع دلالة النعت على التوكيد، وما يترتب على ذلك من معان متعددة مستفادة من السياق، وفي بيان أهمية التوكيد وتنوع أساليبه لدى علمائنا، وصلته بالكثير من أساليب العربية، وبيان المعاني السياقية التي ترتبط بمعنى التوكيد بأسلوب النعت.

حدود البحث:

يدرس البحث دلالة النعت على التوكيد، وبيان مواضعها، من خلال جمع الآيات القرآنية المشتملة على هذا الأسلوب، ودراستها، وتحليلها، وذكر مقولات النحويين والمفسرين فيها، وإبراز كل ما له صلة بدلالة التوكيد بأسلوب النعت، للوصول إلى هدف البحث الرئيس وهو مواضع دلالة النعت على التوكيد، لذا لا يعدُّ البحث إحصائيًّا، وإنَّما يهدف لبيان هذه المواضع، ممثّلًا لها بما يقيم معناها، ويمثل كل موضع منها مبحثًا قائمًا بنفسه.

أسئلة البحث وأهدافه:

يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

هل يمكن أنْ يؤدَّى معنى التوكيد بأسلوب النعت؟

ما مواضع دلالة النعت على التوكيد؟

هل يقع التوكيد بالنعت بأنواعه مفردًا كان أو جملة أو شبهها؟

هل يقع التوكيد بالنعت بنوعيه المشتق والجامد؟

الدراسات ذات الصلة:

رغم كثرة الدراسات التي تناولت دلالات النعت فإنَّها خلت من ذكر مواضع دلالة النعت على التوكيد، وأكثرها عرضت دلالة التوكيد بأسلوب ميسر ومبسط كونه

ليس غرضًا رئيسًا من أغراض النعت، ومن هذه الدراسات:

١. التركيب النعتي في العربية، للسيد علي خضر، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، بجامعة المنصورة، في العدد السابع والعشرين، للعام ٢٠٠٠م. وذكر فيها دلالات النعت بشكل مبسط، وأشار لدلالة التوكيد في أقل من صفحة.

٢. التركيب النعتي في الفاصلة القرآنية، لعصام عبد المنصف أبو زيد، بحث منشور بمجلة الآداب بجامعة الطائف، في العدد الخامس، للعام ٢٠١١م. وهذا البحث كسابقه عرض لدلالات النعت بشكل موجز، ولم يتطرق لمواضع دلالة النعت على التوكيد.

٣. دلالات النعت وآثارها التركيبية، لمحمد المالكي، بحث منشور بمجلة الآداب، بجامعة بغداد، في العدد (١٤٣)، للعام ٢٠٢٢م. وذكر البحث دلالات النعت، ومنها دلالة التوكيد التي ذكرها بشكل مجمل لا يتعدى ذكره لها صفحة واحدة فضلًا عن ذكر مواضع لها، وهذا ما قام به هذا البحث.

٤. أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، لمحمد حسين أبي الفتوح، من منشورات مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، تناول فيه مؤلفه مفهوم التوكيد وأدواته في النص القرآني، وبيّن أن التوكيد بالنعت يُعَدّ جزءًا من التوكيد بالتكرار، وقد مثّل لذلك بثلاثة نماذج في الوصف بالعدد واحد، ونموذجين في الوصف بالعدد اثنين، ولم يتجاوز المؤلف في معالجة أسلوب التوكيد بالنعت خمس صفحات من الكتاب، إذ اقتصر الحديث فيه على نماذج محدودة، ولم يتطرق لمواضع دلالة النعت على التوكيد في القرآن، وهو ما اتجهت إليه هذه الدراسة بوصفه أحد الأساليب التي تكشف عن عمق التعبير القرآني ودقته في توجيه المعنى.

٥. دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، د. عائشة عبيزة، رسالة دكتوراة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة الحاج الخضر بباتنة،

٢٠٠٨م، تناولت فيها الباحثة بعضَ معاني النعت المؤكّد من خلال ذكر عدد من النماذج دون الوقوف على مواضع دلالة النعت على التوكيد، وهو ما أشارت إليه هذه الدراسة.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتتبع دلالة النعت على التوكيد في القرآن الكريم؛ لأنَّ طبيعة البحث تتطلّب أن يقوم بجمع المادة اللغوية من كتب التفسير، وتحليلها، مستعينًا بكلّ ما تيسر جمعه من شواهد وأمثلة تخدم هدف الدراسة.

خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وستة مباحث، وخاتمة، وبيانها:

مقدمة: ذكرت بها أهمية البحث وأهدافه ومنهجه

تمهيد: التوكيد والنعت من منظور وصفيّ

المطلب الأول: التوكيد: تعريفه، أنواعه، أدواته وأساليبه

المطلب الثاني: النعت: تعريفه، أنواعه، دلالاته

المبحث الأول: كون النعت من لوازم المنعوت

المبحث الثاني: النعت بالعدد واحد واثنين

المبحث الثالث: النعت بالاسم الموصول

المبحث الرابع: توكيد المنعوت باشتقاق النعت منه

المبحث الخامس: توكيد المنعوت بنفي نقيضه

المبحث السادس: توكيد المنعوت بنعته المرادف له.

ثم تلا ذلك خاتمة، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

تمهيد: التوكيد والنعت من منظور وصفيّ

المطلب الأول: التوكيد: تعريفه، وأنواعه، وأدواته، وأساليبه

تعريف التوكيد: لغةً: بزنة التفعيل، وهو من الفعل (وكد) أو (أكد) وكلاهما يدلّ على الشدّ والإحكام، ومنه قولك: أوكدَ عقده، أي : شدَّه وأحكمه[١]، وقال أبو العباس: التوكيد دخل في الكلام لإخراج الشكّ، وفي الإعداد لإحاطة الإجراء[٢]، والمتوكِّد: القائم المستعدّ للأمر، والتآكيد والتواكيد: السيور التي يُشدُّ بها القرَبوس[٣].

وأمَّا التوكيد **اصطلاحًا**: اصطلح النحاة على أنَّ التوكيد هو ما يُراد به تقرير المعنى، وتمكينه، وتحقيقه في نفس المتلقي، لإزالة اللبس والشك عن الحديث، يقول الأشبيليّ:" التوكيد تمكين المعنى في نفس السامع، وإثبات الحقيقة، ورفع المجاز"[٤].

أنواعه: ينقسم التوكيد إلى قسمين: لفظي، ومعنوي:

التوكيد اللفظيّ يكون بتكرار المؤَكَّد نصًّا، أي: بحروفه كلّها، سواء كان اسمًا، نحو: سقيًا سقيًا لك، أو كان فعلًا، نحو: اذكر اذكر ربَّك، أو كان حرفًا، نحو: إنَّ

(١) أبو الحسن أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٩م)، ٦: ١٠٦، مادة (وكد).

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ٣: ٣٩٨، مادة (وكد).

(٣) الفيروز آبادي، "القاموس المحيط"، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط٦، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م)، ص ١٧٧٦، مادة (وكد).

(٤) أبو الربيع أحمد بن عبيد الله الأشبيليّ، "البسيط في شرح جمل الزجاجي"، تحقيق: د. عياد الثبيتي، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت)، ص ٣٦١.

خالدًا إنَّه فاضلٌ، أو كان المؤَكَّد جملةً، نحو: قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعَلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعَلَمُونَ﴾ التكاثر [٣، ٤]، أو يكون التوكيد اللفظي بذكر مرادف المؤَكَّد، نحو: فاز انتصر القوم، ومنه قوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا﴾ طه [٨٦].

وأمَّا المعنويُّ فهو ما يقرر حكم المتبوع في ذهن السامع، وهو نوعان:

الأول: ما يرفع توّهم مضاف إلى المؤَكَّد، وله لفظان: النفس والعين، تقول: جاء الأمير نفسه.

الثاني: ما يرفع توّهم عدم إرادة الشمول، وألفاظه: (كلّ، وجميع، وعامّة، وكلا، وكلتا، وأجمع، وجمعاء، وأجمعون، وجمع)[1].

أدواته: للتوكيد عددٌ من الأدوات، منها:

(إنَّ وأنَّ) المشدّدتان، نحو: قوله تعالى:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة [٢٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ البقرة [٤٦].

(لام) الابتداء، نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ الضحى [٤].

(نونا) التوكيد، نحو: قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾ يوسف [٣٢].

أساليبه: جاءت أساليب التوكيد منثورة في جلّ أبواب الدرس النحوي، حيث نجد النحاة يعرضونه ويلمحون إليه كونه معنى وظيفيًا في الأبواب ذات الصلة، ومنها:

التوكيد بأسلوب القسم: يعدّ القسم بتنوع أدواته ووسائله توكيدًا للكلام، قال

(١) ابن الناظم، محمد بن محمد بن مالك، "شرح ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ١: ٢١٦.

سيبويه:" اعلم أنَّ القسم توكيد لكلامك"[١]، وذكر ابن مالك أنَّ القسم جملة يجاء بها لتوكيد الكلام، وترتبط بما بعدها ارتباطًا وثيقًا كارتباط جملتي الشرط[٢].

التوكيد بالقصر: القصر هو إثبات الحكم في الكلام للمذكور ونفيه عمّا سواه[٣]، أو أنْ تخصّص شيئًا بشيء بأداة مخصوصة[٤]، سواء كان القصر بالعطف، نحو: محمد شاعرٌ لا كاتب، أو بالاستثناء المفرغ، نحو: قوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ آل عمران [١٤٤]، أو بـ(إنَّما)، نحو: قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ النساء [١٧١]، أو بالتقديم، وهو بابٌ كبيرٌ يحمل في طياته معانيَ عدّةً، نحو: تقديم المفعول به في قوله تَعَالَى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة [٥].

التوكيد بالاشتغال: يعدُّ الاشتغال نوعًا من أنواع التوكيد؛ لأنّ له ارتباطًا وثيقًا بالعامل، فهو يحمل في تركيبه تكرارًا بذكر الضمير العائد على الاسم، حيث إنَّ الاشتغال هو أنْ يتقدم اسمٌ ويتأخر عنه فعل قد عمل في ضمير ذلك الاسم، أو في سببيّه، نحو: محمدًا أكرمته، لذا فالاشتغال عبارة عن توكيد للاسم الذي سبق العامل،

(١) أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قُنْبر المعروف بسيبويه، "الكتاب"، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، (ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م)، ٣: ١٠٤.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، "شرح الكافية الشافية"، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي، (ط١، مكة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٩٨٢م)، ١: ٨٣٤.

(٣) أحمد المراغي، "علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع"، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)، ص ١٥٠.

(٤) عبد الفتاح بسيوني، "علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية"، (ط٤، القاهرة: مؤسسة مختار، ٢٠١٥م)، ص ٢٨٦.

وتقدّم عليه.

التوكيد بالمصدر: يعدُّ المصدر في التركيب الكلامي نوعًا من أنواع التوكيد؛ لأنّه يحمل في تركيبه تكرارًا، فعند قولك: حضرتُ حضورًا، كأنَّك كررت الفعل مرتين؛ لذا ينبغي على من يريد استخدام المفعول المطلق في كلامه أنْ يأتيَ به ويعمدَ إليه إنْ كان في فعله شكٌّ أو غرابة، ولذا جاء استخدامه في قوله تَعَالَى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ النساء [١٦٤].

التوكيد بالاعتراض: الاعتراض هو أنْ تساق الجملة بين متلازمين، كالمسند والمسند إليه، والصفة والموصوف، والصلة والموصول، والجملة الاعتراضية وإن كانت لا أثر لها إعرابًا إلا إنَّها مساقةٌ لمعنى التوكيد والتقرير، وذكر ابن جنّي أنَّ هذا مما كثُر في كلام العرب، وهو جارٍ عندهم مجرى التوكيد(١)، نحو: قوله تَعَالَى : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ البقرة [٢٤].

التوكيد بالحرف الزائد: ليس معنى الحرف الزائد في التركيب كونه عديم المعنى، بل على العكس تمامًا، وهذه الأحرف إنْ كانت زائدة في اللفظ لكنَّها تضيف في المعنى؛ لأنَّ أصل المعنى حاصلٌ بدونها وبوجودها يزداد المعنى توكيدًا(٢)، نحو: قوله تَعَالَى: ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٞۖ ﴾ المائدة [١٩]، زاد حرف الجرّ لتوكيد النفي.

التوكيد بالتمييز: نلحظ في التمييز بنوعيه مبدأ التحويل في التركيب، فعند قولك: حضر عشرون طالبًا، واشتعل الرأس شيبًا، كأنّك تقول: حضر طلابٌ

(١) أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م)، ١: ٣٣٥.

(٢) بدر الدين الزركشي، " البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٩٥٧م)، ٣: ٤٨.

عشرون، واشتعل شيبُ الرأس، لذا جاء تركيب التمييز ليضيف معنى التوكيد والمبالغة المصحوبة ورفع الإبهام(١).

التوكيد بالنعت: وهو ما سيناقشه هذا البحث.

المطلب الثاني: النعت: تعريفه، وأنواعه، ودلالاته

تعريف النعت: النعت **لغةً**: نعت الشيء وصفه بما فيه، والنعت ما ينعت به، والنعت من كلِّ شيْءٍ جيّدُه(٢)، أمّا الوصف فيقال في الحسن والقبيح(٣)، وأورد الزمخشريّ في أساس البلاغة أنَّ النعت للشيء الجميل(٤)، وذكر ابن يعيش أنَّ النعت يكون بالحلية، نحو: قصير وطويل، وأما الصفة أو الوصف فيكون بالأفعال، نحو: ضارب(٥).

وأمَّا النعت **اصطلاحًا**: هو التابع الذي يكمّل متبوعه بدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلّق به(٦)، نحو: قابلتُ محمدًا الكريم، أو الكريم أبوه، والأكثر عند البصريين

(١) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، " المفصل في صنعة الإعراب"، تحقيق: فخر صالح قدارة، (ط١، بيروت: دار عمار، ٢٠٠٤م)، ص ٦٦.

(٢) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب"، الحواشي: اليازجي وجماعة من اللغويين، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٢: ٩٩، مادة (نفق).

(٣) أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، " النهاية في غريب الحديث والأثر"، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (ط١، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)، ٢: ٣٠٢.

(٤) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، " أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ١: ٦٤١.

(٥) يعيش بن علي بن يعيش، " شرح المفصل"، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ٣: ٤٦.

(٦) ابن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، تحقيق: بركات يوسف، (ط١، =

التعبير بالوصف أو الصفة، والأكثر عند الكوفيين التعبير بالنعت[١].

أنواعه: ينقسم النعت باعتبار معناه إلى حقيقيّ وسببيّ، فالحقيقيّ نحو: حضر الشيخ الفاضل، والسببيّ نحو: حضر الشيخ الحسن خلقُه. وينقسم النعت باعتبار طبيعة لفظه إلى مفرد، وجملة، وشبه جملة.

دلالاته: للنعت دلالتان أصليتان، وأخر فرعية، وبيانها:

التخصيص: وهي دلالة أصلية للنعت، وتكون في نعت النكرات، وتعني تقليل الاشتراك الحاصل في عموم النكرة[٢]، أو تقليل شيوع النكرة لتقترب من المعارف في دلالتها، ولذا جاز الابتداء بالنكرة المخصصة بالوصف، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ البقرة [٢٢١]، ومجيء الحال من صاحبها النكرة المخصصة بالوصف، نحو قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾ الدخان [٤، ٥].

الإيضاح: وهي دلالة أصلية للنعت، وتكون في نعت المعارف، وتعني رفع الاحتمال والتفرقة بين المشتركين، ويؤدّي ما يؤديه التخصيص، فهما يقتسمان الدلالة ويفترقان في طبيعة المنعوت، والأصل في النعت أن يكون للنكرات؛ لأنَّ المعارف قائمةٌ بنفسها، وقد عرض لها احتمال اشتراك مع غيرها لذا احتاجت للنعت[٣].

=

بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م)، ٣: ٣٠١.

(١) جلال الدين السيوطي، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، (ط١، القاهرة: المكتبة التوفيقية، ١٩٩٢م)، ٥: ١٧١.

(٢) رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، " شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، شرح وتحقيق: د. عبد العال سالم مكرّم، (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م)، ٢: ٢٨٧.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٢٢.

المدح أو الذمّ: وهما دلالتان فرعيتان للنعت، وتكونا عندما يكون منعوتهما لا يحتاج إلى تخصيص أو إيضاح، والمردّ في ذلك السياق، وينطبق ذلك على دلالات النعت الفرعية كلِّها، حيث لا يجوز أن يكون النعت للدلالة غير أصليّة كالمدح أو الذمّ إلا إذا كان المنعوت معلومًا بتخصيص أو إيضاح، أو دلَّ على ذلك السياق(١)، نحو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

الترحّم: وهي دلالة فرعيّة للنعت، نحو: اللهم إني عبدك المسكين.

التعميم: وهي دلالة فرعيّة للنعت، نحو: إنَّ الله يرزق عباده الطائعين والعاصين.

التفصيل: وهي دلالة فرعيّة للنعت، نحو: مررت برجلين عربيّ وأعجميّ.

الإبهام: وهي دلالة فرعيّة للنعت، نحو: تصدّق بصدقة قليلة أو كثيرة.

التوكيد: وهذا هو موضوع بحثنا، وبناء على تمهيدنا للموضوع يتضح لنا أنَّ البحث يندرج تحت باب التوكيد باعتباره أسلوبًا من أساليبه المتعدّدة، ويندرج كذلك في باب النعت باعتباره غرضًا من أغراضه الفرعية.

(١) علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الإشبيلي، "شرح جمل الزجاجي"، تحقيق: فواز الشعار، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ١: ١٩٥.

المبحث الأول: كون النعت من لوازم المنعوت

يأتي النعت دالًّا على التوكيد إن كان لازمًا من لوازم منعوته، ويكون أشبه بالوصف اللازم، لا ينفكُّ عنه، ويستفاد مدلول النعت مما ورد في منعوته؛ ليكون ذكره بمنزلة تكراره، فيكون دالًّا على تأكيده، وإكمال معناه، يقول الرضيُّ:" وإنَّما يكون الوصف للتأكيد إذا أفاد الموصوف معنى ذلك الوصف مصرَّحًا به بالتضمّن"(١)، والعرب تُؤَكِّد الشيء بلفظ غيره تفهيمًا للمعنى، وتوكيدًا عليه، وإقرارًا له(٢)، وذكر سيبويه أنَّ لفظة (الغفير) في قولهم: "مررتُ بهم الجماء الغفير" وصفٌ لازمٌ؛ لأنَّ الجماء الغفير مثل لزم الغفير(٣)، وذكر ابن يعيش أنَّ الوصف يأتي للتوكيد إنْ لم يفد معنى زائدًا، نحو: الميّت العابر، وأمس الدابر، فـ(الدابر) أكَّدَ معنى أَمْس؛ لأنَّ أَمْس لا يكون إلا دابرًا، والميّت لا يكون إلا عابرًا(٤)، وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن كثيرًا كوصف القسطاس في القرآن بالمستقيم، وحيثما ورد هذا اللفظ في القرآن جاء وصفه بالاستقامة، وكوصف الصراط في القرآن بالاستقامة أيضًا، حيث وردت هذه اللفظة في القرآن خمسة وأربعين مرة، وُصِفَ الصراط فيها بالاستقامة في أربعين موضعًا. وقد ورد النعت بأنواعه مفردًا كان أو جملة أو شبه جملة لتأكيد المنعوت كونه لازمًا من لوازمه في مواضع عديدة في القرآن.

(١) الرضي، " شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، ٢: ٢٨٨.
(٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، " مجاز القرآن"، تحقيق محمد فؤاد، (ط١١، القاهرة: مكتبة محمد سامي أمين الخانجي، ١٩٦٢م)، ١: ٧٠.
(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٢: ١٠٧.
(٤) ابن يعيش، " شرح المفصل"، ٣: ٤٨.

أولًا: دلالة النعت المفرد على التوكيد كونه لازمًا من لوازم منعوته:

يأتي النعت في أصله مشتقًّا لفظًا أو تأويلًا، فالمشتقُّ لفظًا كاسم الفاعل، نحو: جاء خالد الكاتب، واسم المفعول، نحو: فهمْتُ الدرس المكتوب، والصيغ المشبهة باسم الفاعل، نحو: مررتُ بموقفٍ صَعْبٍ، وصيغ المبالغة، نحو: الكريم قوّالٌ للحقِّ، وأمّا المؤول بالمشتق فهو ما كان من الأسماء جامدًا مؤوّلًا بالمشتق، كاسم الإشارة، نحو: سلمتُ على الشيخ هذا، أي: المشار إليه، وكالأسماء الموصولة المقترنة بـ(أل)، نحو: الطالب الذي يحترم زملاءه محبوب، وكالمنسوب، نحو: أكرمْ بالنبيّ القرشيّ، أي: المنسوب إلى قريش. ويرد النعت لأغراض منها: التوضيح حال كون منعوته معرفة، والتخصيص حال كون منعوته نكرة، والمدح والذمّ والترحّم حين تقوم قرينة دالّة على ذلك[(١)]، والتوكيد حال كون النعت لازمًا من لوازم منعوته، ومما ورد في هذا الباب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ النحل [١١٢].

وصف الله–عزَّ وجلَّ– القرية الآمنة بأنَّها مطمئنة، وهذا وصفٌ ملازمٌ للأمان؛ يقال: اطمأنَّ القلب أي: أمن وسكن، وجاء هذا الوصف؛ للتوكيد على أهمية حفظ النعم، ومراعاتها، واستحضارها كي لا تزول.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ طه [٤].

وصف الله–عزَّ وجلَّ– السماوات في الآية بالعلا، والعلا جمع عُلْيا، على زنة (فُعْلى، وفُعَل)، ومثيله: (كُبْرى، وكُبَر)، والعلا وصفٌ لازمٌ للسماوات؛ لأنَّه بمثابة

(١) عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٩٩٩م)، ٣: ١٩٠.

تكرار المعنى حيث لا تكون السماء إلّا عاليةً، وفيه تأكيدٌ على عظمتها وعظمة خالقها[1]، وتخصيص ذكر الأرض والسماوات دون غيرهما من المخلوقات فيه زيادة تأكيد على عظمتها، وزاد في هذا المعنى العدول عن الاسم الظاهر إلى الاسم الموصول، فلم يقل: (تنزيلًا من الله)، وإنّما قال:(تنزيلًا ممن خلق الأرض والسموات العلا)، وفي الآية إشارة وتنبيه إلى عظمة القرآن الكريم؛ رغبةً في تدبّره، وتأمّل معانيه، حيث نسبه إلى مَنْ خلق هذه الأرض وهذه السموات على صفتها العالية، وبُعْد مرتقاها من غير عمد، وتعظيم الله يَظْهر بتعظيم خلقه، وبناء على ذلك أقول إنَّ اقتران الموصوف بالوصف اللازم، والعدول في الآية أضافا معنى التأكيد والتنبيه إلى عظمة الخالق وعظمة ما خلق، وعظمة كتابه المنزَّل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الحج [٦٧].

وصف الله–عزَّ وجلَّ– الهدى في الآية بالاستقامة، وهذا نعتٌ لازمٌ أفاد التوكيد؛ لأنَّه بمثابة تكرار المعنى حيث لا يكون طريق الهداية إلا مستقيمًا، وفي النعت إشارةٌ وتنبيه إلى أنَّ دعوة الرسول–عليه الصلاة والسلام– دعوة حقٍّ، وما يدعو إليه هو طريق الرشاد[2]، والمعنى الذي أفاده النعت معنى غير مؤسس، ولا يمكن أن يكون غرض النعت التقييد؛ لأنَّ الاستقامة من لوازم الهداية، ولو اكتفى بذكر الهداية لفُهِمَ من ذكرها إنَّها

(١) محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، "تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير ومفاتيح الغيب"، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م)، ١: ٣٠١٣.

(٢) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، " التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (ط١، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م)، ١٧: ٣٣٠.

الطريق السويّ الموصل إلى رضوان الله وجنانه؛ لذا جاء النعت بالاستقامة تأكيدًا لهذا المعنى، والاقتران السياقي للنعت في جملة مؤكَّدة بأكثر من مؤكِّد فيه دلالة على أهمية المعنى، وإبرازه، والتأكيد عليه، ولا يخفى دور العدول في الخطاب من التكلّم في (جعلنا) إلى الخطاب في(ادعُ) و(إنّك) في تأكيد المعنى والتنبيه عليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ الفرقان [٦١].

وصف الله–عزَّ وجلَّ– القمر في الآية بالمنير، وهذا نعتٌ لازمٌ أفاد التوكيد؛ لأنَّه بمثابة تكرار المعنى حيث لا يكون القمر إلا منيرًا، لأنَّ من لوازم الشمس أنْ تكون سراجًا، ومن لوازم القمر أنْ يكون ضياءً ونورًا، وفي وصف القمر بالمنير إشارةٌ إلى أنَّ نُورَ القمَرِ يكون من أشِعَّةِ الشَّمسِ، وليس نورًا قائمًا بذاتِه، وهذا إعجازٌ عِلميٌّ مِن إعجازِ القُرآنِ الكريمِ(١)، والبروج هي النجوم الكبار بزنة (فُعُول) من التبرّج وهو الظهور، وسميت النجوم بروجًا؛ لظهورها وبروزها(٢)، وتخصيص ذكر الشمس والقمر دون سائر النجوم فيه إشارةٌ إلى عظمة هاتين الآيتين، ورَفْعِ شأنِهما للدَّلالةِ على عَظَمة خالقهما، ومدبّرِهما.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾ الطور [٤، ٥].

وصف الله–عزَّ وجلَّ– السقف بأنَّه مرفوعٌ، والسقف المرفوع هو السماء، سُمِّي

(١) أبو الثناء محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الألوسي"، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، (عنى بنشره وتصحيحه: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د – ت)، ١٠: ٤٠٣.

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، (ط١، القاهرة: مكتبة د. حسن عباس زكي، ١٤١٩هـ)، ٥: ٢٢١.

بذلك لأنَّها سقفٌ للأرض، وقيل: السقف المرفوع هو العرش[١]، وأيًّا كان معناه إلا إنَّ هذه الصفة ملازمةٌ له أفادت التوكيد؛ لأنَّه بمثابة تكرار المعنى حيث لا يكون السقف إلا مرفوعًا؛ وفي القسم والوصف اللازم إشارةٌ إلى عظمة الله وقدرته وعجائب خلقه إذْ رفعها من غير عمد[٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ الغاشية [٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ القارعة [١٠، ١١].

وصف الله–عزَّ وجلَّ– النّار في الآيتين بأنَّها حامية، والحامية هي دائمة الحرارة، ويقال: قِدْرُ القَوْمِ حامِيَةٌ تَفُورُ، أَي: حارَّةٌ تَغْلِي[٣]، وهذا وصفٌ ملازمٌ للنّار، جاء توكيدًا؛ لأنَّه بمثابة تكرار المعنى حيث لا تكون النار إلا حامية، لأنَّ من لوازم النار أنْ تكون بهذه الصفة، وفي الآية تنبيهٌ إلى إنَّ نار الدنيا ليست بشيء مقارنة بهذه النار[٤]، وفيها إشارةٌ إلى الشدّة التي يُعاني منها المعذَّبون بها–كفانا الله إياها–[٥]، وحذف المبتدأ في الآية الأولى بعد الاستفهام أعطى زيادة توكيدٍ وتقريرٍ على هول هذه النار، ومجيء الوصف اسم فاعل أعطى دلالة على الاستمرار، ومجيئه نكرة أعطى

(١) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبو محمد ابن عاشور، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م)، ٩: ١٢٤.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٧: ٣٩.

(٣) الزبيدي، أبو فيض السيد مرتضى الحسيني الواسطي، " تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق: جماعة من المختصين، (ط١، الكويت: مطبعة وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٥م–٢٠٠٠م)، ٣٧: ٤٨٦، مادة (حمي).

(٤) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ٨: ٥٢٤.

(٥) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٠: ٢٩٦.

دلالة على التعظيم[١].

ثانيًا: دلالة النعت الجملة على التوكيد كونها لازمًا من لوازم منعوتها:

يرى النحاة أنَّ الجملة بعد المعرفة تكون حالًا، وبعد النكرة تكون نعتًا، وأشار ابن هشام منوّهًا إلى نوع يحتمل الأمرين بعد النكرة، حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ ﴾ الأنبياء [٥٠]، أنَّ الجملة الفعلية لك في تقديرها الرفع على كونها نعتًا، ولك النصب على كونها حالًا؛ لكونها مخصّصة بالوصف لذا اقتربت من المعرفة[٢]، وعلّل الرضيُّ مجيء الجمل صفاتٍ بعد النكرات؛ وذكر أنَّ الجمل تعدُّ نكرات أو في حكمها[٣]. وقد وردت الجملة نعتًا بعد النكرات وهي لازمةٌ من لوازم المنعوت في آي القران تفيد التوكيد، ومن ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ الإسراء [٩٣].

جاءت الجملة الفعلية (نقرؤه) صفة في محلّ نصبٍ لـ(كتابًا)، ويكون المعنى: إنّ المشركين قد سألوا أنْ يأتيهم بكتابٍ جُمْلةً كالتوراة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ الفرقان [٣٢]، والصفة لازمة مؤكِّدة؛ لأنَّ من لوازم الكتاب أنْ يُقرأ، وأفادت التوكيد والإشارة إلى تعنّت الكفار وتجبّرهم في طلبهم، ولو

(١) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، "مفتاح العلوم"، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م)، ص١٠٠.

(٢) ابن هشام الأنصاري، " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ومراجعة سعيد الأفغاني، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م)، ٢: ٩٢.

(٣) الرضيّ، " شرح الرضي على الكافية"، ٢: ٢٩٨.

أنزل الله عليهم ما طلبوا لما آمنوا [١]، وورد إعرابها صفة عند أغلب النحاة والمفسرين، وأرى أنَّه يمكن أنْ تكون الجملة الفعلية (نقرؤه) حالًا في محل جرٍّ من الضمير (نا) في (علينا)، ويكون المعنى: يكون حالنا جميعًا أنْ يقرأ كلٌّ منّا كتابًا موجَّهًا إليه باسمه من الله، ويكون فيه تصديقك، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ المدثر [٥٢]، فاشتراط إيمان المشركين يكون بعد حصولهم على الكتاب وقراءته لا قبل ذلك، وهذا المعنى ينطبق على الحال لا النعت؛ لأنَّ النعت يأتي لتوضيح منعوته المقصود بالحكم، بخلاف الحال التي تكون هي مقصودةً بالحكم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۖ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف [٥].

اختلف القرّاء في قراءة (كلمة)، فجاءت منصوبة لدى أغلب القُرّاء[٢]، وتكون تمييزًا بمعنى التعجب، كأنَّه قال: أَكْبِرْ بها كلمةً! وما أكبرها كلمة! أو تكون تمييزًا بمعنى الذمّ، حيث يكون الفاعل ضميرًا مفسَّرًا بنكرةٍ منصوبةٍ على التمييز، ويكون المخصوص بالذمّ محذوفًا، وتقدير الكلام: كبُرتْ كلمةً الكلمةُ التي قالوها وهي اتخاذ الله ولدًا–سبحانه–، وعلى كلا التفسيرين تكون جملة (تخرج من أفواههم) نعتًا في محلّ نصب لـ(كلمة)، وقرأ الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر (كبرت كلمةٌ) برفع (كلمة)[٣]،

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، " جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري"، تحقيق محمود محمد شاكر، (ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د — ت)، ١٥: ١٦٣.

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، " معاني القرآن"، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (ط٣، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠١م)، ٤: ١٢٧، وأبو عبد الله القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: د. محمد إبراهيم الحفناوي، والدكتور محمود حامد عثمان، (ط١، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٢م)، ١٠: ٣٥٣.

(٣) ابن مجاهد، "السبعة في القراءات"، تحقيق: د. شوقي ضيف، (ط٣، القاهرة: دار المعارف، =

ويكون المعنى: كبُرت وعظُمت الكلمة التي قالوها؛ لأنَّه يقال لغةً: كبُر الشيْءُ إذا عَظُمَ، وتكون جملة (تخرج من أفواههم) نعتًا في محلّ رفع لـ(كلمة)، ووصف الله- سبحانه- القول بالألسن أو الأفواه وارتبط بالزور في مواضع عديدة، نحو قوله تَعَالَى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ آل عمران [١٦٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ التوبة [٣٠]، وقوله تَعَالَى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ الفتح [١١]، وهذه الصفة لازمةٌ؛ لأنَّ الكلمة تخرج من الأفواه، وأفادت التوكيد على سذاجة قولهم، وانعدام برهانهم، والتنبيه إلى فظاعة ما قالوه، وهو ادّعاء أنَّ لله ولدًا-سبحانه-(١).

ثالثًا: دلالة النعت شبه الجملة على التوكيد كونها لازمًا من لوازم منعوتها:

تؤدِّي شبه الجملة دورًا رئيسًا في وظائف تركيبية عديدة، فنجدها تحدث تغييرًا في رتبة الجملة، اسمية كانت أو فعلية، واجبًا كان أو جائزًا، ونجدها تساهم في حذف بعض مكونات الجملة، كحذف المبتدأ في مثل: سقيًا لك، أي: الدعاء لك، وكحذف المضاف في مثل قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران [٣٩]، أي: بولادة يحيى، وكحذف المنعوت في نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ سبأ [٤٦]، أي: بخصلة واحدة(٢)، وتسهم شبه الجملة

=

د . ت)، ص ٤٢١، وأبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، "النشر في القراءات العشر"، تحقيق: د. السالم محمد محمود الشنقيطي، (ط١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ٢٠٠٩م).

(١) أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، "النشر في القراءات العشر"، ٢: ٢٦٥، وأبو جعفر الطبري، "تفسير الطبري"، ١٥: ١٩٢.

(٢) الزمخشري، " المفصل في صنعة الإعراب"، ص ٢٩، والسمين الحلبي، أحمد بن يوسف، " =

في دلالة التوكيد إن وقعت نعتًا لازمًا من لوازم منعوتها؛ لأنَّها بمثابة تكرار للمعنى، ومن أمثلة ذلك:

قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأنعام [٣٥].

النَّفقُ: السَّرَبُ ولا بدَّ أن يكون نافذًا في الأرض، وأصل معناه من جحر اليَرْبُوع؛ لأنَّ اليربوع يَحْفُرُ في الأرض سَرَبًا، ويجعل له بَابَيْنِ[(١)]. والجارّ والمجرور (في الأرض) يمكن أنْ يتعلّق بالفعل (تبتغي)، ويمكن أنْ يتعلّق بمحذوف مقدّر على أنَّه حالًا من الضمير المستتر في الفعل (تبتغي)، والمعنى: تبتغي أنت حال كونك في الأرض، ويمكن أنْ يتعلّق بمحذوفٍ مقدّر على أنّه صفة لـ(الأرض)، وهذه صفةٌ لازمةٌ للأرض؛ لأنَّ النفق لا يكون في السماء، بل يكون في الأرض، وأفادت التوكيد والمبالغة في العمق، يقول ابن عاشور:" وَقَوْلُهُ فِي الْأَرْضِ صِفَةُ نَفَقاً أَيْ مُتَغَلْغِلًا، أَيْ: عَمِيقًا، فَذَكَرَ هَذَا الْمَجْرُورَ لِإِفَادَةِ الْمُبَالِغَةِ فِي الْعُمْقِ مَعَ اسْتِحْضَارِ الْحَالَةِ وَتَصْوِيرِ حَالَةِ الِاسْتِطَاعَةِ إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّفَقَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْأَرْضِ"[(٢)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ﴾ الأحزاب [٤].

=

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٨٦م)، ١: ٥٥.

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة (نفق)، وأبو حفص عمر بن علي بن عادل النعماني، "اللباب في علوم الكتاب"، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ٨: ١١٨.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٧: ٢٠٥.

تعلّق الجارّ والمجرور (في جوفه) بمحذوفٍ مقدّر على أنّه صفة لـ(قلبين)، وهذه صفةٌ لازمةٌ؛ لأنَّ القلوب لا تكون إلا في الأجواف، وأفادت التوكيد لمعنى عدم وجود قلبين في جوف المخلوق(١)، وهذا تكذيب للكافرين الذين قالوا: إنَّ لي قلبين أَعْقِلُ بأحدهما أَفْضَلَ مما يَعْقِلُ محمّدٌ–عليه الصلاة والسلام–، وجاء تنكير (رجل) لإفادة الشمول، وجاء حرف الجر الزائد (من) لتأكيد المعنى، ومجيء الوصف اللازم بشبه الجملة زيادة في التأكيد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ النجم [٣٢].

الأجنّة جمعٌ بزنة (أَفْعِلَةٌ)، مفرده جنين، وسمّي الجنين جنينًا لاجتنانه واستتاره، وهو فعيلٌ بمعني مفعول، وتعلّق الجارّ والمجرور (في بطون أمهاتكم) بمحذوفٍ مقدّر على أنّه صفة لـ(أجنة)، وهذه صفةٌ لازمةٌ للأجنة؛ لأنَّها لا تكون إلا في بطون أمهاتها، وأفاد النعت بشبه الجملة التوكيد والتنبيه إلى قدرة الله وكمال علمه، وإنَّ الله عالمٌ بأحوال خلقه، منذ أنْ بدأ خلقهم من التراب بخلق آدم، وعندما شكّلهم في الأرحام وفي بطون الأمهات التي تعدُّ غاية الظلام، فلا يخفى عليه شيْء –سبحانه– (٢).

(١) جار الله الزمخشري، " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، (ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م)، ٣: ٥٢٩.

(٢) أبو حيّان النحويّ، "البحر المحيط"، تحقيق: زهير جعيد، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢م)، ١٠: ٢٢.

المبحث الثاني: النعت بالعدد واحد واثنين

يوافق العددان (الواحد والاثنان) المعدود في أحواله كلِّها، سواء كان ذلك في الإفراد أو التركيب أو العطف، نحو: رجل واحد، وامرأة واحدة، ورجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، وأحدَ عشرَ رجلاً، وإحدى عشرةَ امرأة، واثنا عشرَ رجلًا، واثنتا عشرةَ امرأة، وواحد وعشرون رجلًا، وإحدى وعشرون امرأة. ويأتي النعت بالعدد (واحد) دالًّا على التوكيد في مواضع عديدة في القرآن، حيث ورد نعتًا في أربعة وأربعين موضعًا، وأتى النعت بالعدد (اثنين) دالًّا على التوكيد في أربعة مواضع، ودلالتهما على التوكيد تكون دلالة ضمنية[1]، وتكون فائدة النعت من قبيل التكرار اللفظي في عموم الدلالة، إلا إنَّه يدلُّ على معنى مهمّ يُلمح من السياق، ومما ورد في هذا الباب:

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾ الحاقة [١٣].

جاء العدد (واحد) بعد مصدر المرة (نفخة)، وهو من الفعل (نفخ)، والنفخة نوع من عذاب الله، ومجيء النعت العدديّ (واحد) بعد مصدر المرة فيه دلالة على التوكيد؛ لأنَّه من قبيل تكرار المعنى بغير لفظه، وفي ذلك توكيدٌ وإشارةٌ إلى عظمة النفخة، وقوة تأثيرها، وتفخيم شأنها، ولفت النظر إلى أهميتها[2]، ومثله في قوله تَعَالَى: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ النساء [١٠٢]، ومثله في قوله تَعَالَى: ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾ يس [٢٩]، ومثله في قوله تَعَالَى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ

(١) الرضيّ، "شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، ٢: ٢٨٨.

(٢) أبو جعفر الطبري، "تفسير الطبري"، ١٤: ٩٣، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤: ١٢٦.

وَٰحِدَةً ﴾ الحاقة [١٤].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة [١٦٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ النحل [٥١].

جاء العدد (اثنين) نعتًا لـ(إلهين)، وجاء العدد (واحد) نعتًا لـ(إله)، وهذا النعت صفة مؤكدة[١] للنهي عن الإشراك، وإثبات الوحدانية لله، ودفع توهم إرادة الألوهية دون الوحدانية[٢]، ويتضح لدينا أهمية التوكيد بالعدد (اثنين) في الآية إذ لو اقتصر الكلام على قوله (إلهين) لتوهّمَ متوهّمٌ أنَّ المراد النهي عن اتخاذ الإلهين من جنسين، وبناء عليه يجوز أنْ يُتّخذ عددٌ من الآلهة من جنس واحد، فأتى الوصف بعد ذلك بقوله: (واحد)؛ ليدفع هذا التوهم، ويزيد من التأكيد على ذلك مجيءُ الكلام مقصورًا بـ (إنَّما)؛ رفعًا للإبهام الواقع حال عدم ذكر النعت العدديّ الذي أثبت أنَّ الوحدة من لوازم الألوهية[٣]، ومجيء الالتفات في قوله: {فإياي فارهبون} من الغيبة إلى الخطاب، وأسلوب القصر بتقديم المفعول به على الفعل؛ للتوكيد على الرهبة والخوف من الله، فهو الأحقّ بالعبادة دون سواه، والاقتران السياقي للنعت في جملة مؤكَّدة بأكثر من مؤكِّد فيه دلالة على أهمية المعنى، وإبرازه، والتأكيد عليه، ومما ورد في هذا الباب قوله

(١) أبو إسحاق الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م)، ٣: ٢٠٤.

(٢) أبو جعفر الطبري، "تفسير الطبري"، ١٤: ١١٨.

(٣) الزمخشري، "الكشاف"، ١: ٢٢٦، والرازي، "مفاتيح الغيب"، ٣: ٨٧.

تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ هود [٤٠]، جاءت دلالة لفظ (اثنين) على التوكيد في قراءة حفص بتنوين لفظة (كلٍّ)، ليكون المعنى التوكيد على حمل زوجين من كل نوع من أنواع المخلوقات، وفي قراءة عامّة القرّاء جاءت (كلّ) من غير تنوين[١]، وبناءً عليها تنتفي دلالة التوكيد، لتكون لفظة (اثنين) مفعولًا به للفعل (احمل)[٢].

(١) ابن مجاهد، "السبعة في القراءات"، ص ٣٣٣، وابن خالويه، "الحجة في القراءات السبع"، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، (ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م)، ٤: ٣٢٤.
(٢) أبو حيّان النحويّ، "البحر المحيط"، ٥: ٢٢٢.

المبحث الثالث: النعت بالاسم الموصول

الأصل في النعت أنْ يكون مشتقًّا، وقد يأتي النعت جامدًا مؤوّلًا بالمشتق، كالنعت بالاسم الموصول، نحو: أكرمتُ الطالب الذي تفوّق في اختباره، أي: المتفوِّق. والاسم الموصول اسمٌ مبهم يُستعمل كناية عن الاسم، شأنه في ذلك شأن الضمائر، وأسماء الاستفهام، والإشارة، وكونه مبهمًا لا يعني أنَّه نكرة، بل هو من المعارف؛ لأنّه يوصل بجملة الصلة التي تعرّفه وتزيل إبهامه، إذ هو من دونها لا يُفهم معناه، ولا تتحدّد دلالته، وللاسم الموصول دورٌ بارزٌ في اللغة العربية، حيث يعتبر أداة وواسطة تمكِّن وصف المعارف بالجمل، ولولاه لتعذر ذلك، إذْ لا وسيلة لوصف المعارف بالجمل من حيث المعنى إلا باستخدام الموصول وسيطًا بينهما(١). وللتعريف بالاسم الموصول لطائف كثيرة زائدةٌ عن مجرد التعريف، منها: توضيح الموصول، أو إزالة إبهامه، أو تعيين مدلوله، أو توكيد المعنى وإقراره(٢)، واختلف النحاة في مجيء الاسم الموصول نعتًا، حيث يرى البصريون أن الاسم الموصول يُنعت به إذا كان صالحًا لأنْ يُؤوَّل بمشتق، أي: أنَّ صلته تُفيد وصفًا، ويرى الكوفيون أنَّ الاسم الموصول لا يكون نعتًا حقيقيًّا، بل هو بدل أو بيان؛ لأنَّ النعت عندهم يجب أن يكون مشتقًّا صريحًا، والاسم الموصول جامد لا اشتقاق له، والراجح عند جمهور النحاة أنَّ الاسم الموصول يُنعت به إذا أُوِّل بمشتق، فتقول: جاء الذي نجح، أي: جاء الناجح، فهو نعتٌ في المعنى والإعراب، وإن كان جامدًا في اللفظ(٣)، ويأتي النعت بالاسم الموصول

(١) محمد خير حلواني، "النحو الميسر"، (ط١، دمشق: دار المأمون، ٢٠١٣م)، ١: ١٠٩.

(٢) أحمد الهاشمي، "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٣م) ص ١٠٥.

(٣) ابن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، ٢: ٧٤–٧٥.

لتوكيد المعنى وزيادة إقراره في نوعين:

الأول: مجيء صلة الموصول جملةً فعليةً فعلها مشتقٌّ من المنعوت: وأمثلة ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة [١٢٢]

النِّعْمَةُ في الآية بمعنى النِّعَم، فهي اسْمُ جِنْسٍ أتى مُفْرَدًا ومعناه الْجَمْعِ، وَمِنْ نِعَمِة الله عَلَيْهِمْ أنِ اصطفى منهم الرسل، وأنزلَ عليهم الكتب، وأَنْ أنقذهم مِنْ فِرْعَوْن وجنوده، وَأَنْزَلَ عليهم المنَّ والسلوى، وغير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره. وجاء الوصف بالاسم الموصول في قوله: (الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)؛ ليُؤَكِّد وجوب شكر هذه النعم، ويفيد الانصراف عن حسد غيرهم بتذكّر نعم الله عليهم[1]، وهذا مبدأ قرآنيٌّ علاجيٌّ للحسد، فالحسود إذا أراد أن يخفَّ حسده، ويريح نفسه فعليه بتذكّر نعم الله عليه؛ ليقنع ولا يجزع، وبناء على ما سبق فقد جاء النعت بالاسم الموصول لتأكيد أنَّ النعم التي هم فيها هي نعم الله التي أنعم بها عليهم، وهي منه وحده؛ لذا خصّصها بإضافتها إليه في قوله: (نعمتي)، مما يوجب عليهم شكرها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَواْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ التوبة [١١٠، ١١١].

جاء اسم الموصول نعتًا للبنيان في الآية؛ وهي صفةٌ مؤكّدة للمعنى؛ لأنَّه بمثابة

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١: ٤٥٢.

التكرار الذي أفاد تأكيد بناء المنافقين لمسجدهم الضرار بجوار مسجد قباء، وللدلالة على أنَّ المراد بالبنيان ما قد بنوه حقيقة، لاما دبّروه من الأمور، وصار هذا البنيان سببًا للريبة في قلوبهم، وأفاد النعت بالاسم الموصول دفع وَهْمِ مَنْ يتوَّهم أنَّ المنافقين لم يبنوا المسجد حقيقة، فجاء التوكيد بتركيب نعت الموصول لدفع هذ التوهم؛ لأنه قد يقال: ما بنيته في سنين تهدمه في لحظات، ويراد المعنى المجازي(١). وجاء اسم الموصول نعتًا للبيع في الآية؛ وهي صفةٌ مؤكِّدة للمعنى، حيث بيَّنَ أنَّ المبايعة صادرةٌ منهم، فيكون الاستبشار مقيَّدًا به، ولو قال: (استبشروا ببيعكم) لفهم منه البيع أو المبايعة وهما أمران مختلفان، لذلك أكَّدَ المعنى بالنعت بالاسم الموصول(٢)، وفي هذا الأسلوب تأكيد لاستحقاق المجاهدين للثواب؛ لأنَّ الله –سبحانه– جعلهم مالكين ومبايعين، مما يجعلهم مستحقين للثمن الذي بايعهم به، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب في (استبشروا) مبالغةٌ في التوكيد على المعنى، وإقراره وتحقيقه.

. قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴾ الشعراء [٢٧].

جاء اسم الموصول نعتًا للرسول في الآية؛ وهي صفةٌ مؤكِّدة للمعنى؛ لأنَّ الرسول من صفته أنْ يكون مُرْسلًا، والخطاب في الآية كان على لسان فرعون موجَّهًا لقومه، وسماه رسولًا من قبيل التهكم والسخرية والاستهزاء، وأضافه للمخاطبين درءًا بنفسه أنْ يكون مقصودًا بالخطاب، وأكّد هذا المعنى بالنعت باسم الموصول(٣)، ومجيء الفعل على صيغة الذي لم يُسمّ فاعله لتوجيه الإنكار إلى كون تنزيل الرسالة على موسى– عليه السلام– ومجيء النعت باسم الموصول والفعل في صلته مشتقٌّ من المنعوت في

(١) ابن عادل النعماني، "اللباب في علوم الكتاب"، ٨: ٣٧٦.

(٢) السابق، ٨: ٣٨٠.

(٣) أبو الثناء الألوسي، "روح المعاني"، ١٤: ١٥٠، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٠: ٧٣.

سياق جملة مؤكَّدة بإنَّ واللام المزحلقة فيه دلالة على أهمية المعنى، والتأكيد عليه.

الثاني: كون جملة الصلة من لوازم المنعوت: وأمثلة ذلك:

قوله تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج [٤٦].

جاء اسم الموصول نعتًا للقلوب في الآية؛ وهي صفةٌ مؤكِّدة للمعنى؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ القلوب تكون في الصدور، فجاء النعت للتأكيد والدعوة إلى التذكّر والاعتبار بما جرى في الأمم السابقة، وما حلَّ بهم بسبب تعنّتهم وطغيانهم(١)، ونظير ذلك قوله تَعَالَى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ آل عمران [١٦٧]، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم ﴾ الفتح [١١]، ومعلوم أنَّ الأقوال لا تكون إلا بالأفواه وبالألسن، وهو مما تزيده العرب في كلامها مبالغة في التوكيد والإفهام(٢)، وذكر الزجاج إنَّ التوكيد جاء دفعًا لتوهم معنى الاشتراك في معنى القلب، كقلب النخلة وغيره، وجاء التوكيد بالنعت أمنًا للّبس، وتقريرًا للمعنى المراد(٣)، ومما ورد في هذا الباب قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ البقرة [١٦٤]، والفلك لا تجري إلا في البحر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴾ الواقعة [٧١].

جاء قوله تعالى: (النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) بمعنى: النَّارِ التي تقدحونها أو تظهرونها

(١) الفرّاء، "معاني القرآن"، ٢: ٢٨٨.

(٢) السابق، ٢: ٢٢٧.

(٣) الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ٣: ٤٣٢.

من الشجر الرطب، واشتقاق الفعل من الثلاثي مفتوح العين، تقول: وَرَى الزَّنْدُ يَرِي إِذَا انْقَدَحَت مِنْهُ النَّارُ، وَفِيهِ لُغَةٌ بكسر العين، تقول: وَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي بِالْكَسْرِ، ويمكن أن يكون الفعل رباعيًّا، تقول: أوريْتُ النَّار، أي: قدحتُها، واستخرجتُها من شجرتها[١]، وأُعلّت لام (تورون) حذفًا؛ إذْ أصلها (توريون) لتصبح بعد الحذف (تورون) على زنة (تفعون)، وجاء اسم الموصول نعتًا للنّار في الآية؛ وهي صفةٌ مؤكِّدة للمعنى؛ لأنَّ من صفات النار أنَّها تورى وتقدح، وفيها إشارة إلى فضل الله الذي أخرج لهم من الشجر الأخضر نارًا، وهذا دليلٌ على قدرته –سبحانه– على إحياء الموتى[٢]، وحذف المفعول به من الفعل (تورون) فيه دلالة على تعظيم هذه النعمة، وفيه تناسبٌ لفواصل الآيات.

(١) السابق، ٥: ١١٥.

(٢) أبو الثناء الألوسي، "روح المعاني"، ١٤: ١٥٠، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٧: ٣٢٦.

المبحث الرابع: توكيد المنعوت باشتقاق النعت منه

من سنن العرب في كلامها اشتقاق نعت الشيء من اسمه إذا أريد تأكيده والمبالغة فيه[١]، ويأتي النعت في هذا الباب مفردًا على وزن (أفعل)، كقولهم: ليلٌ أَلْيَل، ويومٌ أَيْوَم، وعلى وزن (فعلاء)، كقولهم: داهِيَةٌ دَهْيَاء، وعلى وزن (فعيل)، كقولهم : داء دويٌّ، وظلٌّ ظليل، وعَجَبٌ عَجيبٌ، وعلى وزن اسم الفاعل، كقولهم: شِعْر شاعرٌ، ونَصَب نَاصِب، وشَمْسٌ شَامِسٌ، وعلى وزن اسم المفعول، كقولهم: إبِل مُؤَبَّلَة، وآلاف مُؤَلَّفَة[٢]، وقد يأتي النعت في هذا الباب جملة فعلية يطابق فعلها المنعوت، نحو: يعجبني كريمٌ يكرم ضيفه، ويعجبني طالبٌ يطلب العلم، وورد هذا الأسلوب في القران بنوعيه، وأمثلة ذلك ما يلي:

. قَالَ تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ آل عمران [١٤].

القناطير جمع قنطار بزنة (فِعْلال)، وهو المال الكثير جُعل بعضه على بعض حتى صار مُحْكَمًا معقودًا، مأخوذ من قنطرتُ الشيء إذا أحكمته، والمقنطرة بزنة (مُفَعْللة)، وتعني: مجموع المال المحكم المحصَّن، وجاء الوصف بها للتوكيد على أنَّ القناطير كثيرة وكاملة مكمّلة[٣]، والتعبير بالنعت أكّد على معنى الكثرة، ولفظة القناطير دالة على الكثرة بذاتها، لكنه بالغ في وصف هذه الكثرة بوصفها من جنس

(١) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، "فقه اللغة وسر العربية" تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: دارإحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م)، ص ٢٦٤.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٥: ٩١.

(٣) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، ٣: ٢٣.

اشتقاقها، وهذا من عادة العرب وسننهم، ومن هذا الباب قولك: المجموعات المجمعة، والدراهم المدرهمة، والحواسيب المحوسبة، والآلاف المؤلَّفة، وغيره مما يقاس عليه للدلالة على التوكيد والمبالغة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾ النساء [٥٧].

أصل معنى الظلّ هو الستر من الشمس، ولذا سُمّي الليل ظلًّا[(١)]، ومعنى الظليل: الدائم الذي لا يدخله حرٌّ أو بردٌ أو سمومٌ، وهذا وصف ظلّ أهل الجنّة[(٢)]، ووصف الله الظلَّ في الآية بالظليل؛ لتأكيده وتأكيد ديمومته، وجاء الوصف على (فعيل) مشتقًّا من منعوته، وتتنوع صيغة (فعيل) في دلالتها، فتدلُّ على المصدرية، نحو: رحَل رحيلًا، وعلى الفاعلية، نحو: (خليط) وصفٌ لمن يخالط الناس كثيرًا، وعلى المفعولية، نحو: قتيل، وعلى المبالغة، نحو: رحيم، وتأتي للتأكيد إنْ وقعت نعتًا لما اشتقت منه، نحو: ظلٌّ ظليل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ الأنعام [٣٨].

وُصِفَ (طائر) في الآية بالجملة الفعلية (يطير بجناحيه)، وهذا الوصف للتوكيد، كأنَّه كرّر اللفظ مرتين، والتوكيد يؤكد معنى الشمول التي دلت عليه (من) الزائدة في سياق النفي[(٣)]، وقد يكون المعنى دفع توهّم أنَّ المقصود بالطائر الذي يكون في

(١) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٣: ٢٢٤٥، مادة (ظلل)، وابن منظور، "لسان العرب"، ٥: ٢٧٥٤، مادة (ظلل).

(٢) ابن عادل النعماني، "اللباب في علوم الكتاب"، ٦: ٤٣٢.

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٧: ٢١٦.

الأرض، فلو لم يذكر الوصف لتوهم متوهم أنَّ المراد طائر الأرض الذي لا يطير المعطوف على الدابّة المقيدة بكونها في الأرض، فجاء الوصف (يطير بجناحيه) ليؤكد على دفع هذا التوهم[1]، ويمكن أنْ يكون معنى زيادة النعت: توكيد قدرة الله وكمال خلقه وإعجازه في تدبيره؛ ليتفكر الإنسان ويتدبر في هذه الآية العجيبة فيمجد خالقها ومبدعها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ الفرقان [٢٢]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ الفرقان [٥٣].

أصل معنى الحِجْر هو المنع، ومنه سُمِّيَ العقل حِجْرًا؛ لأنَّه يمنع صاحبه عن فعل القبيح، وسُمِّيَ الحرام حِجْرًا؛ لأنَّه يمنع فاعله عن موجبات السعادة، ومنه قولك: حَجَرَ القاضي على فلان، أي: منعه[2]، وحول هذا المعنى وردت الآيتان السابقتان، فقوله تعالى:﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾، أي: إنَّ الله –سبحانه–منع أحد البحرَيْنِ عن الآخر، فلا يفسد المالحُ العَذْبَ، ولا يفسد العَذْبُ المالحَ؛ وجاء بالنعت مشتقًّا من منعوته تأكيدًا لهذا المعنى، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ ، أي: حين يرى المجرمون الملائكة، تقول لهم: حرامًا محرمًا عليكم أنْ نبشركم بمسرتكم، بل نبشر المتقين[3]، وجاء بالنعت مشتقًّا من منعوته تأكيدًا لهذا المعنى.

(١) الزركشي، " البرهان في علوم القرآن"، ٢: ٢٦٢.
(٢) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٤: ١٣٢، مادة (حجر).
(٣) الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، ٤: ٦٤.

المبحث الخامس: توكيد المنعوت بنفي نقيضه

تأتي دلالة النعت على التوكيد لإثبات صفة سلب في المنعوت، فيُؤكَّد المنعوت بنفي نقيضه، سواء كان النفي بالاسم (غير)، أو بحرف النفي (لا)، ومما ورد في هذا الباب:

قوله تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ البقرة [٧١].

الشِّيةُ على وزن (عِلةٌ) محذوفة الفاء، وأصلها من (وشي)، والشية كلُّ لون يخالف مُعظم لون البهيمة من فرس وغيرها، وقوله:(لا شية) جملة اسمية في محل رفع صفة لـ(مسلّمة)، تفيد التوكيد؛ لأنَّ المسلمة هي التي سلمت من العيوب، و(لا شية فيها) أي: لا لون فيها يخالف لونها، فيظهر بذلك عيبها، فهي سالمة من اختلاف الألوان والعيوب[١]، وهذا من تكرار النعت بنفي نقيضه؛ لإفادة التوكيد.

قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النحل [٢٠، ٢١].

أخبر الله–سبحانه– أنَّ الأصنام (أموات)، ووصفها بقوله :(غير أحياء)؛ للتوكيد على نقص عقول من يعبد هذه الحجارة؛ لأنَّها أصنام لا روح فيها، ولا حياة، وذلك تمام نقصها[٢]، ومجيء النعت منفيًّا بـ(غير) ليس على معنى المغايرة، الذي تجده في نحو: المؤمن غير الكافر، ومحمد غير خالد، وإنَّما هو من قبيل النعت بنفي الضدّ، كأنْ تقول في صفة الشيْء الكامل: هذا الشيْء كاملٌ غيرُ ناقص، أو لا نقصَ فيه،

(١) أبو جعفر الطبري، "تفسير الطبري"، ١: ٤٢٢، وأبو الثناء الألوسي، "روح المعاني"، ١: ٣٥٢.
(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤: ١٢٦.

وهذا من كلام العرب، يقول الأعشى[١]:

إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا ... إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ

ومما ورد في هذا الباب: قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ الواقعة [٤٣، ٤٤]، اليحموم على وزن (يفعول) وهو مشتقٌّ من الحُمّ بالضم، أو مشتقٌّ من الحميم، وأَصْلُ الْحَمِيمِ: الْمَاءُ الْحَارُّ، ومنه اشتقاق الحُمَّى، واليحموم دخان أسود شديد السواد بلغ في الحرارة منتهاه[٢]، ووصفه الله–سبحانه– بقوله:(لا بارد ولا كريم) والوصفين في محل جرٍّ صفتين لـ(ظل من يحموم)، تفيدان التوكيد؛ لأنَّ الموصوف ظلٌّ حارٌّ لافحٌ يشوي الوجوه، ووصفه بنفي نقيضه وضدّه، فهو ظلٌّ ليس فيه برد، وهو ظلٌّ لا يُكرِمُ مَنْ يستظلُّ به، والوصف بهذا التعبير فيه تهكُّمٌ وسخريةٌ وتوكيدٌ على هَوْلِ مُصابهم[٣].

ومما ورد في هذا الباب: قوله تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ الغاشية [٦، ٧]، الضريع هو شجر يابسٌ من شوك، لا تأكله الدابّة، أكثر مرارة من الصبر، وله رائحة أنتن من الجيفة[٤]، وقوله:(لا يسمن ولا يغني من جوع) جملتان فعليتان في محل جر صفة لـ(ضريع)، تفيدان التوكيد؛ لأنَّ الضريع طعامٌ سامٌّ من شوك، فلا يسمن ولا يغني آكله[٥].

(١) ميمون بن قيس الأعشى، "ديوان الأعشى"، (ط١، بيروت: دار صادر، د — ت)، ص ١٠٩.

(٢) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ٤: ١٣، مادة (حمم)، وابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٧٢٥، مادة (حمم).

(٣) أبو جعفر الطبري، "تفسير الطبري"، ٢٧: ١٩١، وأبو الثناء الألوسي، "روح المعاني"، ١٣: ٤٨٣.

(٤) الأزهري، "تهذيب اللغة"، ١: ٢٩٩، مادة (ضرع)، وابن منظور، "لسان العرب"، ٨: ٢٢١، مادة (ضرع).

(٥) أبو جعفر الطبري، "تفسير الطبري"، ٣٠: ١٦١، وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٠: ٢٩٦.

المبحث السادس: توكيد المنعوت بنعته المرادف له

تأتي دلالة النعت على التوكيد بمرادف النعت، ويكون ذلك من قبيل تكرار اللفظ، مما يكون له بالغ الأثر في أداء المعنى، وتقريره، وتوكيده، وضمان وصوله للمتلقي في أبهى حلة، وقد ورد معنى التوكيد بمرادف النعت في آيات، منها:

قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّا لَجَعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ الكهف [٨]، جاء في اللسان إنَّ الصعيد هو الأرض الملساء التي لا نبات فيها ولا شجر(١)، والجرز هي الأرض التي لا شيء فيها(٢)، وجاء النعت باللفظ المرادف للتوكيد على معنى العدم(٣).

ومن ذلك: قوله تَعَالَى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ سبأ [٥٤].

جاء في اللسان إنَّ الرّيبة بمعنى الشكّ، وجمعها رِيَبٌ، الشَّكُّ نقيض اليقين وجمعه شُكُوك، وارْتابَ فيه، أَي: شَكَّ، ولا رَيْبَ فيه، أي: لا شَكَّ فيه(٤)، ووصف الشك بالريبة؛ تأكيدًا ومبالغة في المعنى(٥)، من باب تأكيد المعنى بمرادف المنعوت.

---

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، ٣: ٢٥١، مادة (صعد).

(٢) السابق، ٥: ٣١٦، مادة (جرز).

(٣) محمود صافي، "الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه"، (ط٤، دمشق: دار الرشيد، ١٩٩٨م)، ١٥: ١٤٣.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٤٤، مادة (ريب).

(٥) أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي"، تحقيق: محمد عبد الرحمن، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م)، ١: ٤٠٨.

ومن ذلك: قوله تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ فاطر [٢٧]، الغِرْبِيبَ هو شديد السواد، مأخوذٌ من لون الغراب، وجمعُه غَرابيبُ، والغِرْبِيبُ نوع من أنواع العِنَب شديدُ السَّوادِ ويعتبر أجود أنواعه، وأطعمها مذاقًا[1]، وقوله: (غرابيب سود)، أي: جبالٌ سود غرابيب، ووصف الجبال بالسواد، وجاء النعت باللفظ المرادف للتوكيد والمبالغة في شدة السواد.

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٦٣٧، مادة (غرب).

خاتمة البحث وتوصياته

اقتضت عادة البحوث العلمية أنْ تُخْتَمَ بما خرج به الباحث من نتائج، وهذه أهمّ النتائج التي توصلت إليها:

١. أفاد البحث دلالة النعت على التوكيد إن كان لازمًا من لوازم منعوته، ولا فرق في ذلك بين كونه مفردًا أو جملة أو شبهها، أو كان مشتقًّا أو مؤوّل بالمشتق كالاسم الموصول.
٢. أكّد البحث أنّ النعت بالعددين واحد واثنين يفيدان التوكيد؛ لأنّه من قبيل تكرار المعنى بغير لفظه.
٣. كشف البحث أنَّ النعت بالاسم الموصول يفيد التوكيد إذا كانت جملة الصلة من لوازم المنعوت، أو كان فعلها مشتقًّا من المنعوت.
٤. أظهر البحث أنَّ اشتقاق نعت الشيء من اسمه يأتي لتأكيده والمبالغة فيه.
٥. أشار البحث إلى دلالة النعت على التوكيد لإثبات صفة سلب في المنعوت، فيُؤَكَّد المنعوت بنفي ضدّه.
٦. توصّل البحث إلى أنَّ الترادف بين النعت والمنعوت يكون لإضافة معنى التوكيد والتقرير.

وأوصي بدراسة التوكيد بأساليبَ وردت منثورةً في كتب التفسير، وحصر مواضعها، كالتوكيد بأسلوب التمييز، والتوكيد بأسلوب البدل، والتوكيد بأسلوب الحال، مما يتيح للباحثين تقديم أساليب التوكيد في إطارها الوظيفي.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، المبارك بن محمد، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (ط١، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص"، تحقيق: محمد علي النجار، (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م).

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، "الحجة في القراءات السبع"، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، (ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد " التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، (ط١، تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م).

ابن عصفور، علي بن مؤمن، "شرح جمل الزجاجي"، تحقيق: فواز الشعار، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٩٩٩م).

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة"، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٩م).

ابن مالك، محمد بن عبد الله، "شرح الكافية الشافية"، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد هريدي، (ط١، مكة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٩٨٢م).

ابن مجاهد، أحمد بن موسى، "السبعة في القراءات"، تحقيق: د. شوقي ضيف، (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، "لسان العرب"، الحواشي:

اليازجي وجماعة من اللغويين، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
ابن الناظم، محمد بن محمد بن مالك، "شرح ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
ابن هشام، أبو محمد عبدالله بن يوسف، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، تحقيق: بركات يوسف، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٤م).
ابن هشام، أبو محمد عبدالله بن يوسف، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ومراجعة سعيد الأفغاني، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م).
ابن يعيش، يعيش بن علي، "شرح المفصل"، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).
أبو حيّان النحويّ، "البحر المحيط"، تحقيق الشيخ: زهير جعيد، وآخرون، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢م).
أبو عبيدة، معمر بن المثنى، " مجاز القرآن"، تحقيق محمد فؤاد، (ط١١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٢م).
الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
الأشبيليّ، أبو الربيع أحمد بن عبيد الله، "البسيط في شرح جمل الزجاجي"، تحقيق: د. عياد الثبيتي، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ).
الأعشى، ميمون بن قيس، "ديوان الأعشى"، (ط١، بيروت: دار صادر، د–ت).
الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المعروف بتفسير الألوسي"، علي عبدالباري عطية (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

بسيوني، عبد الفتاح، "علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية"، (ط٤، القاهرة: مؤسسة مختار، ٢٠١٥م).

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٢م).

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، "فقه اللغة وسر العربية" تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت: إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبو محمد ابن عاشور، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).

حلواني، محمد خير، "النحو الميسر"، (ط١، دمشق: دار المأمون، ٢٠١٣م).

الزبيدي، أبو فيض السيد مرتضى الحسيني، "تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق: جماعة من المختصين، (ط١، الكويت: مطبعة وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٥م–٢٠٠٠م).

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، "معاني القرآن وإعرابه"، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م).

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

الزمخشري، "جار الله محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، (ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م).

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، " المفصل في صنعة الإعراب"، تحقيق: فخر

صالح قدارة، (ط١، بيروت: دار عمار، ٢٠٠٤م).
الرازي، فخر الدين محمد بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، "تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير ومفاتيح الغيب"، (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م).
الرضيّ، محمد بن الحسن، "شرح الرضي على كافية ابن الحاجب"، شرح وتحقيق: د. عبد العال سالم مكرّم، (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠م).
الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٩٥٧م).
السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر، "مفتاح العلوم"، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، " الدر المصون في علومِ الكتاب المكنون"، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٨٦م).
سيبويه، أبو بِشر عمرو بن عثمان بن قُنْبر، "الكتاب"، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، (ط٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م).
السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، (ط١، القاهرة: المكتبة التوفيقية، ١٩٩٢م).
صافي، محمود، "الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه"، (ط٤، دمشق: دار الرشيد، ١٩٩٨م).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري"، تحقيق محمود محمد شاكر، (ط٢، مكة: دار التربية والتراث، د. ت).
الفيروز آبادي، "القاموس المحيط"، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،

(ط٦، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).
الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد، "معاني القرآن"، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (ط٣، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠١م).
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م).
المراغي، أحمد، "علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع"، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)،
المهدي، أبو العباس أحمد بن محمد، "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، (ط١، القاهرة: مكتبة الدكتور حسن عباس، القاهرة، ١٤١٩هـ).
الهاشمي، أحمد، "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، (ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٣م).
النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، "اللباب في علوم الكتاب"، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

Bibliography

Ibn al-Athir, al-Mubarak ibn Muhammad. "Al-Nihaya fi Gharib al-Hadith wa al-Atharr. Investigated by Tahir Ahmad al-Zawi and Mahmud Muhammad al-Tanahi. (1st ed. Beirut: Al-Maktabah al-Ilmiyyah, 1979).

Ibn Jinni, Abu al-Fath ʿUthman ibn Jinni. "Al-Khasaʾis". Investigated by Muhammad Ali al-Najjar. (4th ed. Cairo: Al-Hay'ah al-Misriyyah al-ʿAmmah lil-Kitab, 1999).

Ibn Khalawaih, al-Husain ibn Ahmad. "Al-Hujjah fi al-Qiraʾat al-Sabʿ". Investigated by ʿAbd al-ʿAl Salim Makram. (5th ed. Beirut: Muʾassasat al-Risalah, 1990).

Ibn ʿAshur, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad. "Al-Tahrir wa al-Tanwir: Tahir al-Maʿna al-Sadīd wa Tanwir al-ʿAql al-Jadīd min Tafsir al-Kitab al-Majid". (1st ed. Tunis: Al-Dar al-Tunisiyyah, 1984).

Ibn ʿAsfur, Ali ibn Muʾmin. "Sharh Jumal al-Zajjaji". Investigated by Fawwaz al-Shaʿar. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1998).

Ibn ʿAqil, ʿAbdullah ibn ʿAbd al-Rahman. "Sharh Ibn ʿAqil ʿala Alfiyyat Ibn Malik". Investigated by Muhammad Muhyiddin ʿAbd al-Hamid. (20th ed. Cairo: Dar al-Turath, 1999).

Ibn Faris, Abu al-Hasan Ahmad ibn Faris. "Maqayis al-Lughah". Investigated by ʿAbd al-Salam Muhammad Harun. (2nd ed. Beirut: Dar al-Jil, 1999).

Ibn Malik, Muhammad ibn ʿAbdillah. "Sharh al-Kafiyah al-Shafiyah". Investigated by ʿAbd al-Munʿim Ahmad Haridi. (1st ed. Mecca: Markaz al-Bahth al-ʿIlmi wa Ihyaʾ al-Turath al-Islami, Umm al-Qura University, 1982).

Ibn Mujahid, Ahmad ibn Musa. "Al-Sabʿah fi al-Qiraʾat". Investigated by Shawqi Daif. (2nd ed. Cairo: Dar al-Maʿarif, 1400 AH).

Ibn Manzour, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram. "Lisan al-ʿArab". Marginal notes by Al-Yaziji and a group of linguists. (3rd ed. Beirut: Dar Sadir, 1414 AH).

Ibn al-Nazim, Muhammad ibn Muhammad ibn Malik. "Sharh Alfiyyat Ibn Malik". Investigated by Muhammad Basil ʿAyyun al-Sud. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2000).

Ibn Hisham, Abu Muhammad ʿAbdillah ibn Yousuf. "Awdah al-Masalik ila Alfiyyat Ibn Malik". Investigated by Barakat Yusuf.

(1st ed. Beirut: Dar al-Fikr, 1994).
Ibn Hisham, Abu Muhammad ʿAbdullah ibn Yousuf. "Mughni al-Labib ʿan Kutub al-Aʿarib". Investigated by Mazin al-Mubarak and Muhammad Ali Hamdallah; revised by Saʿid al-Afghani. (1st ed. Beirut: Dar al-Fikr, 1998).
Ibn Yaʿish, Yaʿish ibn Ali. "Sharh al-Mufassal". foreword by Imil Badiʿ Yaʿqub. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2001).
Abu Hayyan al-Nahwi. "Al-Bahr al-Muhit". Investigated by Zuhayr Juʿayid and others. (1st ed. Beirut: Dar al-Fikr, 1992).
Abu ʿUbaidah, Maʿmar ibn al-Muthanna. "Majāz al-Qurʾan". Investigated by Muhammad Fuʾad. (11th ed. Cairo: Maktabat al-Khanji, 1962).
Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad. "Tahdhib al-Lughah". Investigated by Muhammad ʿAwad Murʿib. (1st ed. Beirut: Dar Ihyaʾ al-Turath al-ʿArabi, 2001).
Al-Ashbili, Abu al-Rabiʿ Ahmad ibn ʿUbayd Allah. "Al-Basit fi Sharh Jumal al-Zajjaji". Investigated by ʿAyyad al-Thubaiti. (1st ed. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1407 AH).
Al-Aʿsha, Maymun ibn Qays. "Diwan al-Aʿsha". (1st ed. Beirut: Dar Sadir, no d).
Al-ʿAlousi, Abu al-Fadl Shihab al-Din Mahmud ibn ʿAbdillah. "Ruh al-Maʿani fi Tafsir al-Qurʾan al-ʿAzim wa al-Sabʿ al-Mathani (Tafsir al-Alousi)" . (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1415 AH).
Basyouni, ʿAbd al-Fattah. "ʿIlm al-Maʿani: Dirasah Balaghiyyah wa Naqdiyyah". (4th ed. Cairo: Muʾassasat Mukhtar, 2015).
Al-Baidāwi, Abu Saʿid ʿAbdullah ibn ʿUmar. "Anwarr al-Tanzil wa Asrar al-Taʾwil (Tafsir al-Baidāwi)" . Investigated by Muhammad ʿAbd al-Rahman al-Marʿashli. (1st ed. Beirut: Dar Ihyaʾ al-Turath al-ʿArabi, 1992).
Al-Thaʿalibi, Abu Mansur ʿAbd al-Malik ibn Muhammad. "Fiqh al-Lughah wa Sirr al-ʿArabiyyah". Investigated by ʿAbd al-Razzaq al-Mahdi. (1st ed. Beirut: Ihyaʾ al-Turath al-ʿArabi, 2002).
Al-Thaʿlabi, Abu Ishaq Ahmad ibn Muhammad. "Al-Kashf wa al-Bayan ʿan Tafsir al-Qurʾan". Investigated by Imam Abu Muhammad Ibn ʿAshur. (1st ed. Beirut: Dar Ihyaʾ al-Turath al-ʿArabi, 2002).
Halwani, Muhammad Khair. "Al-Nahw al-Muyassar". (1st ed. Damascus: Dar al-Maʾmun, 2013).

Al-Zabidi, Abu al-Faid al-Sayyid Murtada al-Husaini. "Tāj al-ʿArous min Jawahir al-Qamous". Investigated by a group of specialists. (1st ed. Kuwait: Matbaʿat Wizarat al-Irshad wa al-Anbaʾ, 1965–2000).

Al-Zajjaj, Abu Ishaq Ibrahim ibn al-Sarri. "Maʿani al-Qurʾan wa Iʿrabuhu". Investigated and explained by ʿAbd al-Jalil ʿAbduh Shalabi. (1st ed. Beirut: ʿAlam al-Kutub, 1988).

Al-Zamakhshari, Jarr Allah Mahmoud ibn ʿUmar. "Asās al-Balaghah". Investigated by Muhammad Basil ʿAyyun al-Sud. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1998).

Al-Zamakhshari, Jarr Allah Mahmud ibn ʿUmar. "Al-Kashshāf ʿan Haqaʾiq Ghawamid al-Tanzil wa ʿUyun al-Aqawil fi Wujuh al-Taʾwil". Investigated by ʿAdil ʿAbd al-Mawjud and ʿAli Muhammad Muʿawwad. (1st ed. Riyadh: Maktabat al-Obaikan, 1998).

Al-Zamakhshari, Jarr Allah Mahmoud ibn ʿUmar. "Al-Mufassal fi Sunʿat al-Iʿrāb". Investigated by Fakhr Salih Qaddarah. (1st ed. Beirut: Dar ʿAmmar, 2004).

Al-Rāzi, Fakhr al-Din Muhammad ibn Ḍiyaʾ al-Din ʿUmar, known as Khatib al-Ray. "Tafsir al-Fakhr al-Razi, al-Mashhur bi Tafsir al-Kabir wa Mafatih al-Ghaib". (1st ed. Beirut: Dar al-Fikr, 1981).

Al-Rādi, Muhammad ibn al-Hasan. "Sharh al-Radi ʿala Kāfiyat Ibn al-Hajib". Investigated by ʿAbd al-ʿAl Salim Makram. (1st ed. Cairo: ʿAlam al-Kutub, 2000).

Al-Zarrkashi, Badr al-Din Muhammad ibn ʿAbdillah. "Al-Burhan fi ʿUlum al-Qurʾan". Investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. (1st ed. Beirut: Dar al-Maʿrifah, 1957).

Al-Sakkaki, Abu Yaʿqub Yousuf ibn Abi Bakr. "Miftah al-ʿUloum". Investigated by ʿAbd al-Hamid Hindawi. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2000).

Al-Samin al-Halabi, Ahmad ibn Yousuf. "Al-Durr al-Masun fi ʿUlum al-Kitab al-Maknoun". Investigated by Ahmad Muhammad al-Kharrat. (1st ed. Damascus: Dar al-Qalam, 1986).

Sibāwaih, Abu Bishr ʿAmr ibn ʿUthman ibn Qanbar. "Al-Kitāb". Investigated and explained by ʿAbd al-Salam Harun. (2nd ed. Cairo: Al-Hayʾah al-Misriyyah al-ʿAmmah lil-Kitab, 1979).

Al-Suyouti, Jalal al-Din ʿAbd al-Rahman ibn Abi Bakr. "Hamʿ al-Hawamiʿ fi Sharh Jamʿ al-Jawamiʿ". Investigated by ʿAbd al-Hamid Hindawi. (1st ed. Cairo: Al-Maktabah al-Tawfiqiyyah,

1992).
Safi, Mahmoud. "Al-Jadwal fi Iʿrab al-Qurʾan wa Bayānihi wa Sarfihi". (4th ed. Damascus: Dar al-Rashid, 1998).
Al-Tabari, Abu Jaʿfar Muhammad ibn Jarir. "*Jamiʿ al-Bayān ʿan Taʾwil Ayi al-Qurʾan (Tafsir al-Tabari)*" . Investigated by Mahmud Muhammad Shakir. (12th ed. Mecca: Dar al-Tarbiyah wa al-Turath, no d).
Al-Fairouzabadi. "Al-Qamous al-Muhit". Investigated by Maktab Tahqiq al-Turath at Muʾassasat al-Risalah. (6th ed. Beirut: Muʾassasat al-Risalah, 1998).
Al-Farraʾ, Abu Zakariya Yahya ibn Ziyad. "Maʿani al-Qurʾan". Investigated by Ahmad Yusuf Najati and Muhammad Ali al-Najjar. (3rd ed. Cairo: Matbaʿat Dar al-Kutub al-Misriyyah, 2001).
Al-Qurtubi, Abu ʿAbdillah Muhammad ibn Ahmad. "Al-Jamiʿ li Ahkam al-Qurʾan". Investigated by Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfayish. (2nd ed. Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyyah, 1964).
Al-Marāghi, Ahmad. "ʿUlum al-Balaghah: al-Bayān wa al-Maʿāni wa al-Badiʿ". (3rd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1993).
Al-Mahdi, Abu al-ʿAbbas Ahmad ibn Muhammad. "Al-Bahr al-Madid fi Tafsir al-Qurʾan al-Majid". Investigated by Ahmad ʿAbdillah al-Qurashi. (1st ed. Cairo: Maktabat al-Duktur Hasan ʿAbbas, 1419 AH).
Al-Hashimi, Ahmad. "Jawahir al-Balaghah fi al-Maʿani wa al-Bayan wa al-Badiʿ". Investigated by Yousuf al-Sumaili. (1st ed. Beirut: Al-Maktabah al-ʿAsriyyah, 1983).
Al-Nuʿmani, Abu Hafs Siraj al-Din ʿUmar ibn ʿAli. "Al-Lubab fi ʿUlum al-Kitab". Investigated by ʿAdil Ahmad ʿAbd al-Mawjud and ʿAli Muhammad Muʿawwad. (1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1998).

جموع القلة الخارجة عن القياس في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت : ٧٤٥ هـ) (جمعًا ودراسة)

Non-Analogical Paucal Plurals in Abū Ḥayyān al-Andalusī's al-Baḥr al-Muḥīṭ (d. 745 AH) A Collection and Analytical Study

د. محمد بن جزاء بن زقحان الرويس العتيبي

أستاذ النحو واللغة المشارك، كلية العلوم والدراسات الإنسانية، الدوادمي، جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: Mohammad_Jiza@su.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
26/08/2025		20/10/2025

نشر البحث
A Research Publication

جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025

DOI:10.36046/2356-000-018-002

ملخص الدراسة

تبحث هذه الدراسة جموع القلّة الخارجة عن القياس في تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، وهو موضوع نحويّ وصرفيّ دقيق يجمع بين النظرية اللغوية والتحليل التطبيقي في نصوص العربية التراثية.

وتهدف إلى جمع هذه الجموع وتحليلها تحليلاً مقارنًا، من خلال مراجعة أحكام أبي حيّان النحوية في ضوء آراء غيره من النحاة، وبيان مدى موافقة هذه الصيغ للقياس الصرفي أو خروجها عنه. وقد سارت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المقارن.

تتألف الدراسة من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول تمثّل الأبنية القياسية لجموع القلّة. وأظهرت النتائج أنّ أبا حيّان اتّسم بدقّة النظر ومنهجيته الصارمة، متّبعًا نهج المتقدّمين في رفض القياس على الشاذّ ولو شاع استعماله. ومع ذلك، فإنّ كثيرًا من الجموع التي عدّها خارجة عن القياس تُعَدّ عند جمهور النحاة مسموعة أو مقيسة عليها، وهو ما يعكس تنوّع المذاهب النحوية في تحديد مفهوم الشذوذ. كما بيّنت الدراسة أنّ عددًا محدودًا فقط من هذه الجموع يَصْدُق عليه وصف الشذوذ فعلًا، لمخالفته القياس وندرته في الاستعمال.

وتخلص الدراسة إلى الدعوة إلى إعادة النظر في الأحكام الصرفية القديمة في ضوء الشواهد اللغوية الموثوقة، وتوسيع البحث في الظواهر الصرفية الخارجة عن القياس في الاستعمالين القرآني والشعري، بما يُبرز مرونة اللغة العربية وغناها التعبيري.

الكلمات المفتاحية: جموع القلّة الخارجة عن القياس، الشذوذ الصرفي، القياس الصرفي، أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط.

Abstract

This study focuses on non-analogical paucal plurals in Abū Ḥayyān al-Andalusī's al-Baḥr al-Muḥīṭ (d. 745 AH), it is a precise syntactic and morphological topic that integrates linguistic theory with applied analysis in classical Arabic texts. The research aims to collect and analyze these plurals comparatively, by reviewing Abū Ḥayyān's grammatical rulings in light of other grammarians' views and determining the extent to which these forms conform to or deviate from morphological analogy. The study follows a descriptive, analytical, and comparative methodology.

It consists of an introduction, a preface, and four chapters corresponding to the analogical paucal patterns. The findings revealed that Abū Ḥayyān was characterized by precision of insight and strict methodology, following the approach of early grammarians and rejecting analogy based on irregular forms even when widely used. However, many plurals he considered non-analogical are viewed by the majority of grammarians as attested or analogically acceptable, reflecting the diversity of grammatical schools in defining "irregularity." The study further shows that only a small number of these plurals genuinely merit this description because of their morphological deviation and rarity in usage.

The research concludes by recommending a re-evaluation of classical morphological rulings in light of verified linguistic evidence and an expanded investigation of morphological irregularities in Qurʾānic and poetic contexts to highlight the flexibility and expressive richness of Arabic.

Keywords: Non-Analogical Paucal Plurals; Morphological Irregularity; Morphological Analogy; Abū Ḥayyān al-Andalusī; al-Baḥr al-Muḥīṭ.

مقدمة

يُعَدُّ جمع التكسير من أبرز الظواهر الصرفية في اللغة العربية؛ لما يتسم به من تنوع في الأبنية واختلاف في الدلالة والاستعمال، وقد أفرد له النحويون واللغويون مساحة واسعة في مؤلفاتهم؛ نظرًا لما يحمله من شواهد غنية على مرونة العربية وعمقها. ومن بين أبنية جمع التكسير، تبرز جموع القلة بوصفها أحد الأنماط الصرفية المحددة التي تدل على العدد القليل، وقد وضع لها النحاة أوزانًا مضبوطة، لا يتجاوزها القياس إِلَّا نادرًا.

غير أَنَّ التطبيق العملي لهذه القواعد في النصوص التراثية، لا سيما في التفاسير القرآنية، يُظهر وجود جموع خرجت عن هذه القواعد، ووصفت بالشذوذ. ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة التي تتناول جموع القلة الشاذة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، وهو من أبرز التفاسير التي تُعنى بالتحليل اللغوي والنحوي إلى جانب التفسير المعنوي.

ومن الظواهر اللافتة في تفسير البحر المحيط شيوع مصطلح الشاذ، وكثرة الإشارة إلى الأبنية الشاذة، بما في ذلك جموع القلة؛ لذلك كانت هذه الدراسة التي تهدف إلى جمع هذه الجموع، وتحليلها، والوقوف على منهج أبي حيان في الحكم عليها، وبيان مدى اتفاقه أو اختلافه مع أئمة النحو، مع دراسة هذه الجموع في ضوء القواعد الصرفية والاستعمالات اللغوية الواردة في القرآن الكريم والشعر العربي.

وتسعى هذه الدراسة إلى تناول إحدى القضايا الدقيقة في علم الصرف، وتوسيع دائرة الاهتمام بظاهرة الشذوذ والخروج عن القياس الصرفي في المدونات التفسيرية، ومدى ارتباطها بالواقع اللغوي العربي وتنوع استعمالاته.

أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيار هذا الموضوع لاعتبارات عدة علمية ومنهجية، من أبرزها:

١- أهمية تفسير البحر المحيط بوصفه مرجعًا رئيسًّا في الدراسات اللغوية والنحوية.

٢- ندرة الدراسات التي تتناول جموع القلة الخارجة عن القياس؛ وهو ما يشير إلى حاجة ماسة لدراسة عميقة ومركزة لهذه الظاهرة.

٣- الحاجة إلى دراسة الظواهر النحوية الشاذة في ضوء الاستعمال، خصوصًا في النصوص الشرعية.

٤- رغبة الباحث في المساهمة بمعالجة قضية نحوية دقيقة تُظهر عمق التركيب العربي، وتبرز صلة النحو بالتفسير.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في غياب دراسة متخصصة تجمع جموع القلة الشاذة التي وردت في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، مع تحليلها وفق القواعد الصرفية، وبيان مدى مطابقتها للقياس أو خروجها عنه. كما تتمثل المشكلة في التباين الملحوظ بين الأحكام النحوية النظرية، وبين الشواهد القرآنية واللغوية التي تشهد لبعض هذه الجموع؛ وهو ما يستدعي إعادة قراءة هذه الظواهر في ضوء المنهج المقارن بين التنظير والتطبيق.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١- تحليل مفهوم جموع القلة الشاذة في تفسير البحر المحيط.

٢- استقصاء جموع القلة التي وردت في البحر المحيط وحُكم عليها بالشذوذ ومخالفة القياس، وتقديم رؤية شاملة حول كيفية تعامل أبي حيان الأندلسي مع هذه الجموع.

٣- تحليل هذه الجموع من حيث البنية الصرفية ومدى موافقتها للقياس.

٤- مقارنة رأي أبي حيان بآراء نحويين آخرين وتوجيهاتهم في جموع القلة الخارجة عن القياس.

٥- بيان أثر استعمال هذه الجموع في اللغة العربية القديمة، خصوصًا في النصوص القرآنية، وسعة العربية وثرائها المعرفي.

٦- معرفة المعيار الذي اعتمده أبو حيان في الحكم بمخالفة هذه الجموع للقياس.

الدراسات السابقة:

لم أقف -فيما اطلعت عليه- على دراسة علمية تناولت جموع القلة التي خرجت عن القياس في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، غير أَنَّ الساحة العلمية لا تخلو من دراسات تناولت ظاهرة الشذوذ في جموع التكسير بشكل عام، أو في مصادر محددة، ومن تلك الدراسات ما يلي:

١- ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، للدكتور عباس حسين الرفايعة، نشرته: دار جرير للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

تضمنت هذه الدراسة مبحثًا لجموع التكسير الشاذة، وتناول الباحث تحت هذا المبحث نماذج من جموع القلة الشاذة، وأتبعها بنماذج أخرى لجموع الكثرة الشاذة، وأكثر أمثلته من كتاب تاج العروس للزبيدي. والدراسة عامة في الصرف العربي، ولم يكن كتاب تفسير البحر المحيط ضمن مصادره التي استقى منها أمثلته.

٢- شواذ جموع التكسير، للباحثة: آمال جلال عبد الرحمن حسين، مجلة التربية، جامعة الأزهر، ع١٤٦، ج٧، ديسمبر، ٢٠١١م.

تكونت هذه الدراسة من تمهيد وفصلين، تناولت في الفصل الأول منها: شواذ جموع القلة، وتحته ثلاثة مباحث هي: شواذ ما جمع على أَفْعُل، وشواذ ما جمع على أفعال، وشواذ ما جمع على أفْعِلة. ولم تتطرق الدراسة لشواذ ما جمع على فِعْلَةٍ،

واحتجت الباحثة لذلك بأَنَّ فِعْلَةَ عند جمهور العلماء مقصور على السماع، بخلاف الثلاثة الأوزان الأخرى فَإِنَّها مطردة، وإذا جُمع عليها ما يخالف القاعدة حُكِم عليها بالشذوذ.

وهذه الدراسة من أقرب الدراسات إلى دراستنا من الناحية النظرية، غيرَ أَنَّ دراستَنا اتخذت من كتاب تفسير البحر المحيط مدونة تطبيقية لبحث ما خرج عن القواعد الصرفية في جموع القلة.

٣- شواذ التكسير في الصحاح: دراسة صرفية، للباحث: عبدالله محمد مشتاق، جامعة جازان، مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية، مج٧، ع٢، ديسمبر ٢٠١٨م.

وهي دراسة مقتضبة تناول فيها الباحث في المبحث الأول: الشواذ في جموع القلة، ويقع في ثلاث صفحات، وتطرق فيه الباحث إلى أمثلة قليلة لشواذ جمع القلة في الصحاح للجوهري.

٤- صيغ التكسير بين الضابط الصرفي والاستعمال اللغوي- معجم لسان العرب أنموذجًا، للباحث: محمد خالد سليمان علي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م.

تضمنت هذه الدراسة بعض المباحث الخاصة بصيغ جمع القلة، وتناول الباحث في المبحث الأول من الفصل الثالث بعض صور الترخص الاستعمالي في الخروج عن الضابط الصرفي في صيغ القلة.

٥- مخالفة القياس الصرفي في "ما جمع على أفعال" وعلله وأثره على الدلالة: شعر رؤبة بن العجاج أنموذجًا، للباحث: إبراهيم غازي الحربي، جامعة حائل، مجلة العلوم الإنسانية، ع٢٥، مارس ٢٠٢٥م.

اختصت هذه الدراسة بما خالف القياس في جمع ما جاء على وزن (أَفعَال) في شعر رؤبة بن العجاج، مع بيان دلالاته وعلله. ولم تتناول هذه الدراسة بقية أبنية جموع القلة.

الفروق بين الدراسات السابقة وهذه الدراسة:

١- الدراسات السابقة تناولت ظاهرة الشذوذ في الصرف عامة أو في مصادر لغوية معينة (مثل تاج العروس، الصحاح، لسان العرب)، بينما هذه الدراسة خصَّصت البحث في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، وهو مصدر نحوي- تفسيري لم يُتناول من قبل في هذا السياق.

٢- كثير من الدراسات السابقة جمعت بين جموع القلة والكثرة في بحث واحد، أو درست "شواذ التكسير" عمومًا، أما هذه الدراسة فقد قصرت البحث على جموع القلة الشاذة فقط، وأعطت الموضوع عناية خاصة مع التوسع في التناول والمناقشة.

٣- بعض الدراسات السابقة –مثل دراسة آمال جلال- اقتصرت على أنماط محددة من جموع القلة (أفعل، أفعال، أفعلة)، ولم تتطرق إلى جميع أبنية القلة، بينما هذه الدراسة تناولت الأبنية الأربعة المقررة لجموع القلة بصورة شاملة ومُفصَّلة.

الجديد الذي تتميز به هذه الدراسة:

١- أنها أول دراسة متخصصة تستقصي جموع القلة الشاذة في البحر المحيط لأبي حيان جمعًا وتحليلًا، فتجمع المادة العلمية المتفرقة في التفسير في إطار واحد.

٢- عرضت آراء أبي حيان مقارنة بغيره من النحاة، مع بيان مدى اتفاقه أو اختلافه معهم في الحكم على الجموع.

٣- أبرزت أن بعض ما حكم أبو حيان بشذوذه قد عدَّه غيره مطردًا أو سائغًا في الاستعمال، مما كشف عن اختلاف المذاهب النحوية في ضبط مفهوم الشذوذ.

منهج الدراسة:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تحليل جموع القلة الشاذة في تفسير أبي حيان الأندلسي، مع التركيز على الأمثلة التي تناولها في البحر المحيط، ومقارنة هذه الجموع بالشواهد اللغوية والنحوية الأخرى من التراث العربي.

متبعًا في سبيل ذلك الخطوات الإجرائية التالية:

١- حصر جموع القلة التي خرجت عن القياس في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وتتبع مواضعها في جميع أجزاء التفسير.

٢- تحليل هذه الجموع صرفيًّا ونحويًّا ببيان أبنيتها ووزنها الصرفي والقاعدة الأصلية التي خرجت عنها.

٣- مقارنة رأي أبي حيان في هذه الجموع بآراء النحويين واللغويين والمفسرين الآخرين، لتحديد مواطن الاتفاق والاختلاف.

٤- تفسير أسباب الحكم بالشذوذ من حيث القياس والاستعمال، وبيان مدى ورود هذه الجموع في لغة العرب، ومدى اطرادها أو ندرتها.

٥- بيان الرأي الراجح والمختار في كل جمع من هذه الجموع، وأسباب هذا الاختيار.

٦- استخلاص النتائج النهائية التي تبين منهج أبي حيان في التعامل مع الشاذ، مع تقديم التوصيات العلمية لمراجعة الأحكام الصرفية القديمة في ضوء الاستعمال العربي.

خطة الدراسة:

تكونت هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

أَمَّا المقدمة فقد اشتملت على أسباب اختيار الموضوع ومشكلته وأهدافه ومنهجه وخطته.

وأَمَّا التمهيد فتناول التعريف بمفهوم القياس، والشاذ، وحكم القياس على الشاذ عند النحويين وعند أبي حيان، ومفهوم الشاذ الخارج عن القياس عند أبي حيان، والتعريف بمفهوم جمع التكسير وأقسامه.

وأَمَّا المباحث الأربعة، فهي على النحو الآتي:

المبحث الأول– ما جُمِع شذوذًا على وزن (أَفعَال).

المبحث الثاني– ما جُمِع شذوذًا على وزن (أَفْعُل).

المبحث الثالث– ما جُمِع شذوذًا على وزن (أَفْعِلَة).

المبحث الرابع– ما جُمِع شذوذًا على وزن (فِعْلَة).

وأَمَّا الخاتمة فتضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

التمهيد: مفهوم القياس والشاذ وجموع التكسير

أولًا- مفهوم القياس:

- القياس لغة:

مصدر قايست الشيء بالشيء مقايسة وقياسًا، أي: قدّرته، ومنه المقياس، أي: المقدار، وقِيْسَ رمح، أي: قَدْرَ رمح[(١)]، فالقياس لغة يأتي بمعنى: التقدير، ورد الشيء إلى نظيره.

- القياس في اصطلاح النحويين:

هو: إلحاق فرعٍ بأصلٍ بِعِلَّة، وإجراء حكم الأصل على الفرع[(٢)].

وقيل هو: "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه، كرفع الفاعل، ونصب المفعول في كل مكانٍ، وإن لم يكن كل ذلك منقولًا عنهم"[(٣)].

ثانيًا- مفهوم الشاذ:

- الشاذ لغة:

يعود أصل الشاذ لغة عند ابن جني إلى التفرق والتفرُّد[(٤)]، وعند الجوهري:

---

(١) ينظر: أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). مادة: شذذ، ٥: ٤٠؛ وإسماعيل بن حماد الجوهري. "الصحاح". (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م). مادة: شذذ، ٣: ٩٦٧- ٩٦٨، ومحمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).، مادة: شذذ، ٦: ١٨٦- ١٨٧.

(٢) ينظر: عبد الرحمن بن محمد الأنباري. " الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو". تحقيق: سعيد الأفغاني. (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٣٧٧هـ — ١٩٥٧م). ٩٣.

(٣) المصدر السابق.٤٥.

(٤) ينظر: عثمان بن جني. "الخصائص". (ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت). ١: ٩٧.

"(شذذ) شَذَّ عنه يَشُذُّ ويَشِذُّ شُذوذًا: انفرد عن الجمهور، فهو شَاذٌّ. وأَشَذَّهُ غيرُه وشُذّاذُ الناس: الذين يكونون في القوم وليسوا من قبائلهم. وشَذَّانُ الحصى بالفتح والنون: المتفرق منه"(١). وعند ابن سيدة: "شذّ الشَّيْء يشذّ شَذًّا وشُذوذًا: ندرَ عَن جُمهوره"(٢).

فالشذوذ في اللغة يأتي بمعنى: التفرق والتفرد والندرة.

– الشاذ في اصطلاح النحويين:

تناول ابن جني في كتابه الخصائص مفهوم الشاذ عند النحويين؛ فقال: "فجعل أهل علم العرب ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطّردًا وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًّا حملًا لهذين الموضعين على أحكام غيرهما"(٣).

فالشاذ عند النحويين هو: "ما فارقَ ما عليه بقيةُ بابِه، وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًّا"(٤).

وذكر ابن جني أَنَّ الشذوذ في الكلام يأتي على ثلاثة أضرب(٥):

الأول– أن يكون مطردًا في القياس، شاذًّا في الاستعمال؛ نحو الماضي من الفعل يذر، ويدع.

الثاني– أن يكون مطردًا في الاستعمال، شاذًّا في القياس؛ نحو: استحوذَ.

(١) الجوهري. "الصحاح". مادة: شذذ، ٢: ٥٦٥.

(٢) علي بن إسماعيل بن سيدة. "المخصص". تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م). ٣: ٣٦٢.

(٣) ابن جني. "الخصائص". ١: ٩٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ينظر: ابن جني. "الخصائص"، ١: ٩٨ – ١٠٠.

الثالث– أن يكون شاذًّا في القياس والاستعمال معًا؛ نحو: ثوبٌ مصوون.

وعدَّ الجرجاني الضرب الثاني من الشاذ المقبول؛ والضرب الثالث من الشاذ المردود(١)، وعرَّف الشاذ بِأَنَّهُ: "ما يكون مخالفًا للقياس، من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته"(٢).

وتابع ابنُ الحاجب ابنَ جني في رأيه، ويتجلَّى ذلك في قوله: "يطلق الشاذ على أوجهٍ: أحدها: أَنَّهُ يطلق ويراد به أَنَّهُ قليل الاستعمال، أو خارج عن قياس، أو غير فصيح"(٣).

ف"قليل الاستعمال" عند ابن الحاجب يوافق المطرد في القياس، الشاذ في الاستعمال عند ابن جني، و"خارج عن قياس" يوافق المطرد في الاستعمال، الشاذ في القياس عند ابن جني، و"غير فصيح" يوافق الشاذ في القياس والاستعمال جميعًا عند ابن جني.

وعدَّ ابنُ مالك ما وقع في الكلام مخالفًا للقياس شاذًّا، واستثنى من ذلك ما وقع في الشعر؛ فيراه ضرورة شعرية(٤).

وبعد هذا العرض المجمل عن مفهوم الشاذ عند النحويين يمكننا أن نخلص إلى أن الشاذ يُرَاد به ما يأتي:

---

(١) ينظر: علي بن محمد الجرجاني. "التعريفات". تحقيق: إبراهيم الأبياري، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ). ١٢٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣)عثمان بن عمر. "أمالي ابن الحاجب"، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م). ٢: ٧٧٤.

(٤) ينظر: محمد بن عبد الله بن مالك. "شرح التسهيل". تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، (ط١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٠م). ١: ٦٨.

١- المخالف للقياس، كثير الاستعمال في الكلام. وهذا وصَفَه علي الجرجاني بالشاذ المقبول(١).

٢- الموافق للقياس، قليل الاستعمال في الكلام. وهذا النوع وصفه ابن جني بالشاذ؛ لقلة استعماله، ووصفه علي الجرجاني بالنادر.

٣- المخالف للقياس، قليل الاستعمال. وهذا وصفه علي الجرجاني بالمردود(٢).

٤- المخالف للقياس في الكلام في غير الشعر. وهذا على رأي ابن مالك الذي مرَّ بنا آنفًا.

– مفهوم الشاذ الخارج عن القياس عند أبي حيان:

على ضوء دراستي لجموع القلة التي حكم عليها أبو حيان بالشذوذ في هذه الدراسة فإنه يمكن القول بأن مفهوم الشاذّ الخارج عن القياس عند أبي حيان هو: ما خالف القاعدة الصرفية المطردة عند النحاة، وإن ورد به السماع، أو شاع في الاستعمال.

– حكم القياس على الشاذ عند النحويين:

منع سيبويه القياس على الشاذ المنكر في القياس؛ حيث قال: "ولا ينبغي لك أن تقيس على الشاذ المنكر في القياس"(٣).

ومنع ابن جني القياس على الشاذ في القياس والاستعمال، ولا يستعمل ما ورد منه إلَّا على وجه الحكاية؛ حيث قال: "وحكى البغداديون: فرس مقووذٌ، ورجل معوذٌ من مرضه. وكل ذلك شاذٌّ في القياس والاستعمال. فلا يسوغ القياس عليه، ولا

(١) ينظر: الجرجاني. "التعريفات". ١٢٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م). ٢: ٤٠٢.

ردّ غيره إليه. "ولا يحسن أيضًا استعماله فيما استعملته فيه إِلَّا على وجه الحكاية"(١).

أَمَّا حكم القياس على الشاذ عن القياس، المطرد في الاستعمال فلا يصح عند ابن جني، وَإِنَّمَا يُتَّبع ما سُمع، ولا يتجاوزه إلى غيره؛ بحيث يصبح أصلًا وقاعدة يقاس عليه(٢).

ويمكن أن نستخلص مما سبق أَنَّهُ يمتنع القياس على الشاذ عن القاعدة، سواء أكان الشاذ يُستعمل كثيرًا أم يقل استعماله.

أَمَّا ما كان شاذًّا في السماع مطردًا في القياس؛ فَإِنَّهُ يمتنع استعمال ما ورد منه وحُكِمَ بشذوذه؛ ولكن يجوز اتباع القياس الوارد في غيره، ولو لم يُسمع. يقول ابن جني: "فإن كان الشيء شاذًّا في السماع مطردًا في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله. من ذلك امتناعك من: وذر وودع؛ لأنَّهم لم يقولوهما ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما نحو: وزن ووعد لو لم تسمعهما"(٣).

وجوَّز ابن يعيش للشاعر وللساجع أن يستعمل الشاذ في السماع، المطرد في القياس؛ حيث قال: "ولا بد من ذكر ما شذ من ذلك ليعلم؛ حتى لو اضطر شاعر أو ساجع إلى مثله، لم يكن مخطئا؛ لِأَنَّهُ استند إلى أصل من استعمالهم"(٤).

– حكم القياس على الشاذ عند أبي حيان الأندلسي:

سار أبو حيان الأندلسي على منهج السابقين في القياس؛ فلا يجوِّز القياس

(١) ابن جني، "الخصائص"، ١: ٩٩– ١٠٠.
(٢) ينظر: المصدر السابق، ١: ١٠٠.
(٣) ابن جني، " الخصائص"، ١: ١٠٠.
(٤) يعيش بن علي. "شرح المفصل". تحقيق: إميل بديع يعقوب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م). ٣: ٢٣٤.

عنده على ما ورد شاذًّا، ويتجلَّى ذلك في معالجته لكثير من المسائل؛ ومما ورد في ذلك قوله:

- "ولغة أهل اليمن: القِرية، بكسر القاف، ويجمعونها على قِرى -بكسر القاف- نحو: رِشوة ورِشا. وأَمَّا قَرية بالفتح فجُمعت على قُرى بضم القاف، وهو جمع على غير قياس. قيل: ولم يسمع منه إلا قَرية وقُرى، ونَزوة ونُزى، وشَهوة وشُهى"(١).
- "وأدعياء: جمع دَعيّ، فعيل بمعنى مفعول، جاء شاذًّا، وقياسه فَعْلى، كجريح وجرحى، وَإِنَّمَا هذا الجمع قياس فعيل المعتل اللام بمعنى فاعل، نحو: تقي وأتقياء"(٢).
- "وقرأ عمر: استحاذ، أخرجه على الأصل والقياس، واستحوذ شاذٌّ في القياس، فصيحٌ في الاستعمال"(٣). والشواهد والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

ويتبيَّن لنا مما سبق أَنَّ أبا حيان الأندلسي نهج منهج السابقين في القياس؛ فقد منع القياس على الشاذ، سواء كان مستعملًا كثيرًا، أم قليلًا.

ثالثًا– مفهوم جمع التكسير وأقسامه:

الجمع لغة: مصدر قولك جمعت الشيء. وقد يكون اسمًا لجماعة الناس، ويُجْمَعُ

(١) محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد جميل. (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ). ١: ٣٥١.
(٢) أبو حيان، "البحر المحيط في التفسير". ٨: ٤٥٣.
(٣) المصدر السابق، ١٠: ١٣٠.

على جموع[١]، و"الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء. يقال: جمعتُ الشيء جمعًا"[٢].

والجمع اصطلاحًا: جعلُ الاسم القابل دليل ما فوق الاثنين بتغيير ظاهر أو مقدر وهو التكسير، أو بزيادة في الآخر مقدرٍ انفصالها لغير تعويض وهو التصحيح[٣].

التكسير لغة: مصدر كسَّر يُكسِّر تكسيرًا، قال ابن فارس: "الكاف والسين والراء أصل صحيح يدل على هشم الشيء وهضمه. من ذلك قولك: كسَرتُ الشيء أَكسِرُه كسْرًا"[٤]. وَكُلُّ شَيْءٍ فَتَر، فَقَدِ انْكسَر؛ أي: لان، وكَسَرَ الشِّعْرَ يَكْسِرُه كَسْرًا فانْكسر: لَمْ يُقِمْ وَزْنَه[٥].

التكسير اصطلاحًا: هو ما تغيَّر فيه بناء واحده لفظًا أو تقديرًا[٦].

وسُمِّي جمع التكسير بهذا الاسم تشبيهًا لتكسير الآنية، وهو عبارة عن إزالة التئام أجزائها، فكذلك هذا الجمع لَمَّا تغيّر نظمه وبناؤه انفصل بعض أجزائه من بعض، فشبهوا تغيير بنية المفرد وزيادة الدلالة بتكسير الإناء وتفريق أجزائه[٧].

---

(١) ينظر: الجوهري، "الصحاح"، مادة: جمع، ٣: ١١٩٨.

(٢) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة: جمع، ١: ٤٧٩.

(٣) ينظر: ابن مالك، "شرح التسهيل". ١: ٦٩.

(٤) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، مادة: كسر، ٥: ١٨٠.

(٥) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادة: كسر، ٥: ١٣٩.

(٦) ينظر: إبراهيم بن موسى الشاطبي. "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية". تحقيق: معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، (ط١، مكة المكرمة: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م). ١: ٣٣١.

(٧) ينظر: عبد الرحمن بن محمد الأنباري، "أسرار العربية"، تحقيق: فخر صالح قدارة، (ط١، =

– أقسام جمع التكسير:

تنقسم جموع التكسير إلى قسمين:

الأول– جموع القلة، وهي ما دلَّت على العدد القليل؛ من ثلاثة إلى عشرة[١]، وسمَّاها سيبويه بـ(أبنية أدنى العدد)، و(بناء أقل العدد)، وهي أربعة أبنية: (أَفْعُل) نحو: أَكْلُبٍ، و(أَفْعَال) نحو: أجمالٍ، و(أَفْعِلَة) نحو: أَغْرِبَة، و(فِعْلَة) نحو: فِتيةٍ[٢].

الثاني– جمع الكثرة، وهو ما فوق العشرة، وأبنيته كثيرة[٣]. قال سيبويه بعد أن تحدث عن الأبنية الأربعة التي هي لأدنى العدد: "فكل شيء خالف هذه الأبنية في الجمع فهو لأكثر العدد، وإن عُنِي به على الأقلُّ فهو داخلٌ على بناء الأكثر وفيما ليس له، كما يدخل الأكثر على بنائه وفي حيّزه"[٤].

وسأقتصر في هذه الدراسة على بحث جموع القلة الخارجة عن القياس في البحر

=

بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥م). ٧٠، وأحمد بن الحسين ابن الخباز. "توجيه اللُّمَع". تحقيق: فايز زكي محمد دياب، (ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٧م). ٩٩.

(١) ينظر: عثمان بن جني. "اللُّمَع في العربية". تحقيق: فائز فارس، (ط٢، إربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م). ١٧١؛ ومحمد بن الحسن رضي الدين الأستراباذي. "شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب". تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، (ط٢، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٦م). ٣: ٣٩٧.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٤٩٠، الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. "الجمل في النحو". حققه: د. علي توفيق الحمد، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م). ٧٢؛ ورضي الدين الأستراباذي. "شرح الرضي على الكافية ". ٣: ٣٩٧.

(٣) ينظر: ابن جني، "اللُّمَع في العربية"، ١٧١؛ وابن الخباز، "توجيه اللُّمَع". ٤٤٦–٤٤٧.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٤٩٠.

المحيط وفقًا للأهداف المذكورة في المقدمة.

وسأتناول هذه الجموع في أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول- ما جُمِع شذوذًا على وزن (أَفعَال).

المبحث الثاني- ما جُمِع شذوذًا على وزن (أَفْعُل).

المبحث الثالث- ما جُمِع شذوذًا على وزن (أَفْعِلَة).

المبحث الرابع- ما جُمِع شذوذًا على وزن (فِعْلَة).

المبحث الأول: ما جُمِع شذوذًا على وزن (أَفعَال)

بعد التتبع والاستقصاء في الجموع الشاذة التي على جاءت على بناء (أَفعَال) في تفسير البحر المحيط وجدتها لا تخرج عن الأنماط الخمسة الآتية:

أ- جمع فَعْل على أَفعَال:

وردت ثلاثة جموع على هذا البناء في تفسير البحر المحيط، وحكم عليها أبو حيان بالشذوذ، وهي: جمع قَوْمٍ على أَقْوَامٍ، وجَهْلٍ على أَجْهَالٍ، وقَرْءٍ على أَقْرَاءٍ.

قال أبو حيان الأندلسي: "الْقَوْمُ: اسْمُ جَمْعٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَإِنَّمَا وَاحِدُهُ امْرُؤٌ، وَقِيَاسُهُ أَنْ لَا يُجْمَعَ، وَشَذَّ جَمْعُهُ، قَالُوا: أَقْوَامٌ"(١).

وقال: "الجَهْلُ: معروف، والفعل منه: جَهِلَ يَجْهَلُ، قيل: وقد جُمِع على أجْهَال، وهو شاذٌّ. قال الشنفرى:

لا تَزْدَهِي الأجْهَالُ حِلْمِي ولا أَرَى ... سَؤُولًا بأطرافِ الأقاويلِ أَنْمُلُ(٢)

ويحتمل أن يكون جمع جاهِل، كأصحاب: جمع صاحِب"(٣).

وقال: "قِيلَ: أُوثِرَ قُرُوءٌ عَلَى أَقْرَاءٍ؛ لِأَنَّ وَاحِدَهُ قَرْءٌ، بِفَتْحِ القاف، وجَمْعُ (فَعْل) عَلَى (أَفْعَالٍ) شَاذٌّ"(٤).

الدراسة:

ذهب أبو حيان الأندلسي إلى شذوذ جمع (قَوْم) على (أَقْوَامٍ)؛ وعلَّل ذلك بِأَنَّ

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ١: ٣٢٩.

(٢) البيت من الطويل، وهو للشَنفرى في ديوانه، ص٦٩.

(٣) أبو حيان، "البحر المحيط"، ١: ٤٠٠.

(٤) المصدر السابق، ٢/٤٥٦.

(قَوْم) اسم جمع[1]، واسم الجمع قياسه أن لا يُجمع.

ومسألة جمع اسم الجمع اختلف فيها النحويون على قولين:

أحدهما: عدم جواز جمع اسم الجمع. وهو مذهب سيبويه؛ إذ يقول: "باب ما جاء بناء جمعه على غير ما يكون في مثله، ولم يُكسَر هو على ذلك البناء، فمن ذلك قولهم: (رَهْط وأراهط)، كأَنَّهُم كسروا أَرْهُط"[2].

ووافق سيبويه عدد من النحويين[3].

والآخر: جواز جمع اسم الجمع. وهو مذهب ابن مالك؛ إذ يقول: "يجمع اسم الجمع وجمع التكسير غير الموازن (مفاعِل)، أو (مفاعيل)، أو(فَعَلة)، أو(فُعَلة)، لما يثنَّيان له، جَمعَ شبيهيهما من مثل الآحاد"[4]. ففي هذا النص إشارة جواز جمع اسم الجمع، إذا

(١) اسم جمع: ما تضمّنَ معنى الجمع، غير أَنَّهُ لا واحِدَ لهُ من لفظه غالبًا، وَإِنَّمَا واحده من معناه. ينظر: محمد بن عبد الله بن مالك، "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق: محمد كامل بركات، (د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).٢٨٠؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٤٧٤.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٦١٦/٣.

(٣) ينظر: الحسن بن عبد الله السيرافي. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م). ٤: ٣٥٤؛ والحسن بن أحمد. "التكملة". تحقيق: كاظم بحر المرجان، (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م). ٤٥٩؛ والحسن بن أحمد. "المسائل البغداديات". تحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكاوي، (د.ط، بغداد: مطبعة العاني، د.ت). ٤٧١؛ والمبارك بن محمد الجزري. "البديع في علم العربية". تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ). ٢: ١١٤.

(٤) ابن مالك، "تسهيل الفوائد"، ٢٨٢.

قُصِد به بيان الأنواع، نحو: قَوم وأقوام[١].

وتابعه عددٌ من النحويين[٢]، وذكر الرضي بِأَنَّهُ قياس[٣].

والذي أميل إليه –بعد هذا العرض– هو جواز جمع اسم الجمع واطراده؛ وَأَنَّ جمع (قوم) على (أقوام) ليس شاذًّا، وقد وقفتُ على من قال باطراد هذا الجمع[٤]، يضاف إلى ذلك أنه ورد جمع (قوم) على (أقوام) في كتب السنة كثيرًا؛ وهو ما يدل على جوازه واطراده أيضًا، ومن ذلك ما رواه أنس ﷺ أَنَّ النبي ﷺ كان في غزاة، فقال: "إن أقوامًا بالمدينة خلفنا ما سلكنا شِعبًا، ولا واديًا إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر"[٥]. وصحَّ عن عمر ﷺ أَنَّهُ قال: أَمَّا أَنَّ نبيكم ﷺ قد قال: "إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين"[٦].

(١) ينظر: عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل. "المساعد على تسهيل الفوائد". تحقيق: د. محمد كامل بركات، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، بيروت: دار الفكر، دمشق؛ جدة: دار المدني، ١٤٠٠هـ – ١٤٠٥هـ). ٣: ٤٨٧؛ ومحمد بن يوسف ناظر الجيش. "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد". تحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، (ط١، القاهرة: دار السَّلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨هـ). ٩: ٤٨٤٧.

(٢) ينظر: الرضي، "شرح الشافية"، ٤: ١٥٣، وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤٨٧؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ٩: ٤٨٤٧.

(٣) ينظر: الرضي، "شرح الشافية"، ٢: ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٤) ينظر: أحمد بن محمد الخفاجي. "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي". (د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت). ١: ١٧١.

(٥) محمد بن إسماعيل البخاري. "صحيح البخاري". تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٢هـ). ٤: ٢٦، حديث رقم: ٢٨٣٩.

(٦) مسلم بن الحجاج النيسابوري. "صحيح مسلم". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت). ١: ٥٥٩، حديث رقم: ٨١٧.

أَمَّا جمع (جَهْل) على (أجْهَال)، فَإِنَّ (أجْهَال) على وزن (أَفْعَال)، فإن هذا البناء من أبنية القلة، ويطّرد في الأوزان الآتية:

- فَعْل، معتل العين، نحو: بَيْتٌ وأبيات، وسَوطٌ وأَسْوَاط، وثَوبٌ وأَثْوَاب(١).
- فِعْل، نحو: ضِرْس وأَضْرَاس، وفِخْذ وأفخاذ، وحِلْم وأَحْلَام(٢).
- فُعْل، نحو: حُرّ وأَحْرَار، رُمْح وأَرْمَاح(٣).
- فَعَل، نحو: سَبَب وأَسْبَاب، وبَطَل وأَبْطَال، وكَفَن وأَكْفَان(٤).
- فَعِل، نحو: كَتِف وأَكْتَاف(٥).
- فَعُل، نحو: عَجُز وأَعْجَاز(٦).

---

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٨٦؛ ومحمد بن يزيد المبرد. "المقتضب". تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، (د.ط، القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٣٨٦هـ). ٢: ١٩٨؛ وأبو الفتح عثمان ابن جني. "سر صناعة الإعراب". تحقيق: حسن هنداوي، (دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م). ٢: ٦٠٧-٦٠٨.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٥؛ والمبرد. "المقتضب". ٢: ٢٠٠؛ والزجاجي، "الجمل في النحو"، ٣٧٠؛ وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤١٨.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٦؛ والزجاجي، "الجمل في النحو"، ٣٧٠؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٤١.

(٤) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٠؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٢؛ والزجاجي، "الجمل في النحو"، ٣٧٠.

(٥) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٣؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٠؛ والزجاجي، "الجمل في النحو"، ٣٧٠؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٤٠.

(٦) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٣؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠١؛ والزجاجي، "الجمل في النحو"، ٣٧٠؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٤٠.

- فُعُل، نحو: جُنُب وأجْنَاب، أُذُن وآذَان[١].
- فُعَل، نحو: رُطَب وأَرْطَاب، زُلَم وأَزْلَام[٢].
- فِعَل، نحو: عِنَب وأَعْنَاب[٣].
- فِعِل، نحو: إِبِل وآبَال[٤].
- فَعِيل، نحو: يَتِيْم وأَيْتَام، وشَرِيْف وأَشْرَاف، مثيل وأَمْثَال[٥].
- فَعُول، نحو: عَدُوٌّ وأَعْدَاء[٦].
- فَاعِل، نحو: صَاحِب وأَصْحَاب، شَاهِد وأَشْهَاد[٧].
- فَيْعِل: نحو: مَيِّت وأَمْوَات، وسيِّد وأَسْيَاد[٨].

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٤؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٢؛ ومحمد بن السري. "الأصول في النحو"، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت). ٢: ٤٣٧.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٤؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٤٣٧.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٣؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢:٢٠٢؛ والزجاجي، "الجمل في النحو"، ٣٧٠؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٤١.

(٤) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٣؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٤٣٧؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٤١.

(٥) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٢/٢٢٠؛ وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٧٧؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٨٦.

(٦) ينظر: أبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٧٧؛ وابن الأثير، "البديع"، ٢: ١٤١.

(٧) ينظر: أبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٧٧؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٨٦.

(٨) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٤٢؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٢٠؛ وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٨١– ٤٨٢، وابن يعيش، "المفصل"، ٢٤٢.

وإذا نظرنا إلى كلمة (جَهْل) وجدناها صحيحة العين؛ ولا يُجمع (فَعْل) على (أفعال) إلا ما كان معتلَ العين[1]؛ ولذا حكم عليه أبو حيان بالشذوذ، ولم أقف على من قال بشذوذه سوى أبي البقاء العكبري[2].

ويرى آخرون أَنَّ (أجْهال) قد تقع جمعًا لـ(جاهِل)[3]، وبناءً على هذا القول تَخرُج هذه المسألة إلى نمط آخر، وهو جمع (فاعل) على (أفْعَال).

ويترجَّح لديَّ أَنَّ جمع (جَهْل) على (أجهال) شاذٌّ قياسًا، ومطَّرِد استعمالًا؛ لأنَّ جمع (فَعْل) صحيح العين ورد على (أفْعَال) كثيرًا[4]، وقد قيل: "إنَّ ما حقه (أفْعُل) قد يشترك فيه (أفْعُل) و(أفْعَال)، كـ(فَرْخ) و(أَفْرُخ) و(أفْرَاخ)، و(زَنْد)،

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٨٦؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ١٩٨؛ وابن جني، "سر صناعة الإعراب"، ٢: ٦٠٧-٦٠٨.

(٢) ينظر: العكبري، "إعراب لامية الشنفرى"، ١٢٥.

(٣) ينظر: شرح الكافية الشافية، ٤/١٨٢٠- ١٨٢٣؛ وأبو حيان، "البحر المحيط"، ١: ٤٠٠؛ ومحمد بن يوسف. "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م). ١: ٤١٣؛ وابن عقيل، المساعد، ٣/٤٠٦؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر والسيوطي. "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (د.ط، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت). ٣: ٣٤٩؛ وشمس الدين محمد الفارضي. "شرح الفارضي على ألفية ابن مالك". تحقيق: مصطفى الخطيب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م). ٤: ٢٠٦.

(٤) ينظر: محمد بن عبد الله بن مالك. "شرح الكافية الشافية". تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م). ٤: ١٨١٨؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٣؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤٠٣.

و(أَزْنُد)، و(أزْنَاد)"[١]،

بل نجد أن أبا حيان –وإن كان قال بشذوذه في تفسيره (البحر المحيط)[٢]– يقول في (الارتشاف): "ويُحفظ في (فَعْل) صحيح العين: زَنْد وأَزْنَاد، ورد منه ما لا يكاد يحصى، فلو ذهب ذاهب إلى اقتياس ذلك لذهب مذهبًا حسنًا"[٣]، فهو يرى أنه لو قال قائل بقياس جمع (فَعْل) على (أفْعَال) لكان مذهبه حسنًا ومقبولًا، لكن لمَّا كان ذلك مخالفًا للقاعدة والقياس فالأولى أن يُقتصَر على ما سُمِع واستُعمِل منه ولا يقاس عليه.

أما ما ذكره أبو حيان من أنه يحتمل أن يكون (أجْهَال) جمع (جاهِل)، فهو الأحرى والأكثر احتمالًا؛ وإليه ذهب أكثر النحويين[٤]؛ إلا أنه مخالف للقياس أيضًا؛ ذلك أن الأصل والقياس فيما كان على وزن فاعل في المفرد أن يجمع جمع كثرة لا جمع قلة[٥]، وعليه يمكن القول بأنه مطّردٌ استعمالًا، وشاذٌّ قياسًا.

---

(١) ابن مالك. "شرح الكافية الشافية". ٤: ١٨١٨.

(٢) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ١: ٤٠٠.

(٣) أبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٣.

(٤) ينظر: ابن مالك. "شرح الكافية الشافية". ٤: ١٨٢٠– ١٨٢٣؛ وأبو حيان، "البحر المحيط"، ١: ٤٠٠؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٣؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤٠٦؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٤٩، والفارضي، "شرح الألفية"، ٤: ٢٠٦؛ ومحمد بن علي الصبان. "حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م). ٤: ١٧٦– ١٧٧؛ ومحمد الخضري. "حاشية الخضري على شرح ابن عقيل". (ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م). ٣: ١٤٥.

(٥) ينظر: محمود بن عمرو الزمخشري. "المفصل في صنعة الإعراب". تحقيق: د. علي بو ملحم، =

أَمَّا جمع (قَرْءٌ) على (أَقْرَاء)، فَإِنَّ القياس فيما كان اسمًا صحيح الفاء والعين على وزن (فَعْل) في المفرد أن يجمع في القلة على (أَفْعُل)، نحو: نَفْس وأَنْفُس، وشَهْر وأَشْهُر(١)، ويجمع في الكثرة على (فُعُول)، نحو: حَلْق وحُلُوق، وعلى (فَعِيل)، نحو: عَبْد وعبيد(٢)، ولا يجمع (فَعْل) على (أفعال) إلا ما كان معتل العين بالواو أو الياء، نحو: بَيْتٌ وأبيات، وسَوطٌ وأَسْوَاط(٣)؛ وعليه فإنَّ جمع قَرْء -بِفَتْحِ القاف- على أَقْرَاء خارج عن القياس؛ لذا قال أكثر النحويين بشذوذ هذا الجمع(٤).

=

(ط١، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م). ٢٤١؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٣٠٢.

(١) ينظر: ا ابن الأثير، "البديع"، ٢: ١١٦.

(٢) ينظر: هبة الله بن علي. "أمالي ابن الشجري"، تحقيق: محمود محمد الطناحي، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م). ٢: ٧٦؛ وعثمان بن عمر ابن الحاجب. "الشافية في علمي التصريف والخط". إعداد: صالح عبد العظيم الشاعر، (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م). ١: ٤٣.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٨٦، وابن الأثير، "البديع"، ٢: ١١٦؛ والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ٩٠.

(٤) ينظر: ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٢: ٣٩٦؛ ومحمد بن يوسف. "التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق: حسن هنداوي، (ط١، دمشق: دار القلم، وبيروت: دار كنوز إشبيليا، د.ت). ٩: ٢٨٩؛ وحسن بن قاسم المرادي. "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك". تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (ط١، بيروت: دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م). ٣: ١٣٢٢؛ وعبد الله بن يوسف ابن هشام. "أوضح المسالك"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت). ٤: ٢٥٤؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ٥: ٢٤١١، و٩: ٤٧٥٤؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٦: ٢٥٠؛ وخالد بن عبد الله الأزهري. "التصريح على مضمون التوضيح". تحقيق: محمد باسل، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ =

=

وذكر سيبويه أَنَّهُم قالوا: ثلاثة قُرُوء، فاستغنوا بها عن ثلاثة أقرؤ[١]، فسيبويه لم يذكر أقراء، وَكَأَنَّهُ لم يسمع بذلك.

وأورد بعض النحويين هذا الجمع دون أن يقولوا بشذوذه[٢].

ويتبين مما سبق أن جمع قَرْء على أَقْرَاء مخالف للقياس، ونادر الاستعمال، وأن القياس فيما كان اسمًا صحيح الفاء والعين على وزن (فَعْل) في المفرد أن يجمع في القلة على (أَفْعُل)، أي: أقرؤ، وربما استغنوا عنه (أفعل) في جمع هذه الكلمة، فقالوا: قروء، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثَلَٰثَةَ ﴾[البقرة: ٢٢٨]، فجاء على غير القياس، والأصل: ثلاثة أقرؤ. قال الزمخشري: "فإن قلت: لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء؟ قلت: يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية. ألا ترى إلى قوله: (بِأَنْفُسِهِنَّ) وما هي إلا نفوس كثيرة، ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء، فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل"[٣].

وعليه فالذي يترجح لديَّ أن جمع (قَرْءٌ) على (أَقْرَاء) شاذٌّ قياسًا واستعمالًا.

=

٢٠٠٠م). ٢: ٤٥٥.

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٥.

(٢) ينظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٤: ٣٦٨، وابن جني، "سر صناعة الإعراب"، ١: ٨٣؛ وابن يعيش، "وشرح المفصل"، ٤: ١٥؛ وابن الحاجب، "الشافية"، ٢: ٣٧، وابن عقيل، "شرح الألفية"، ٤: ٦٨.

(٣) محمود بن عمرو الزمخشري. "الكشاف". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ). ١: ٢٧٢.

ب- جمع فُعَل على أَفعَال:

ورد على هذا البناء من الجموع الشاذة في تفسير البحر المحيط جمعٌ واحد، وهو جمع (رُطَب) على (أَرْطَاب). قال أبو حيان الأندلسي: "الرُّطَبُ معروف واحده رُطَبَة، وجُمِعَ شاذًّا على أَرْطَابٍ"(١)، وقال في موضع آخر: "وَتَكْسِيرُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ هَاءُ التَّأْنِيثِ شَاذٌّ، كَرُطَبَةٍ وَرُطَبٍ، شَذُّوا فِيهِ فَقَالُوا: أَرْطَابٌ"(٢).

الدراسة:

يذكر النحويون أَنَّ الاسم على وزن (فُعَل) يُجمع في القلة والكثرة على (فِعْلان)، كـ(صُرَد) و(نُغَر)، جمعهما: (صِرْدان) و(نِغْران)(٣)، وأنه ربما جمع (فُعَل) جمعَ قلة على (أفعال) نحو: زُلَم وأَزْلَام(٤).

ولذا فقد اختلفوا في جمع (رُطَب) على (أَرْطاب) على مذهبين:

المذهب الأول: أنَّ جمع (رُطَب) على (أَرْطاب) شاذٌّ في القياس والاستعمال(٥)، ولكنهم لمّا حملوه على معنى الثَّمَر كسَّرُوه تكسيرَه، وجمعوه

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٧: ٢٣٦.

(٢) المصدر السابق، ١٠: ١٣٥.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٤؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٠، والزجاجي، "الجمل في النحو"، ٣٧٠؛ وابن عصفور، "المقرب"، ٢: ١٠٩؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٤٢؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨١٨؛ وابن هشام، "أوضح المسالك"، ٤: ٢٧٨، وابن عقيل، "شرح الألفية"، ٤: ١١٨.

(٤) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٤؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٤٣٧.

(٥) ينظر: ابن عصفور، "المقرب"، ٢: ١٠٩؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٤٢؛ والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ٩٩؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٥.

جمعَه، مع أنّه ليس بواحدٍ، وإنَّما هو جمعُ (رُطَبَةٍ)[١]، وهذا هو مذهب أبي حيان[٢]، وتابعه عليه بعض المفسرين[٣].

المذهب الثاني: أنَّ جمع (رُطَب) على (أرْطاب) مما استعملته العرب، وسُمِع عنها، إلا أنه ليس بالكثير، وبه قال سيبويه[٤]، ووافقه أكثر النحويين[٥].

يتبين مما سبق أَنَّ أكثر النحويين واللغويين قد أجازوا هذا الجمع، وقالوا باطراده، وأما من حيث القياس فقد ذكروا أن ما كان على وزن (فُعَل)، فَإِنَّهُ يجمع على (أفعال) قياسًا، نحو: رُطَب وأَرْطَاب، زُمَل وأَزْمَال[٦].

(١) ينظر: عبد الله بن علي بن إسحاق الصيمري."التبصرة والتذكرة". تحقيق: أحمد مصطفى علي الدين، (ط١، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م). ٢: ٦٤٤، ٦٤٥؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٤٢؛ والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ٩٩.

(٢) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٧: ٢٣٦، ١٠: ١٣٥، وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤٠٥.

(٣) ينظر: أحمد بن يوسف السمين الحلبي. "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (د.ط، دمشق: دار القلم، د.ت). ٧: ٥٨٩، ١٠: ٢٨١؛ ومحمود بن عبد الله الألوسي. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ). ٨: ٤٠٣.

(٤) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٧٤، ٥٨٥.

(٥) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٤٣٧، ٤٤٣؛ وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤١٨، والزمخشري، "المفصل"، ٢٣٦، وابن الأثير، "البديع"، ٢: ١٢٢، وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨١٧-١٨١٨؛ وابن الناظم، "شرح الألفية"، ٥٤٨، وابن عقيل، " شرح الألفية"، ٤: ١١٨؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٣٧.

(٦) ينظر: ص ١٣من هذه الدراسة.

وعليه فالذي يترجح لديَّ أَنَّ جمع (فُعَل) على (أفعال) كـ(رُطَب) على (أرْطَاب)، و(رُبَع) على (أرْباع) صحيح في القياس، مطّرد في الاستعمال.

ج- جمع فَاعِل على أَفْعَال:

ورد على هذا البناء من الجموع الشاذة في تفسير البحر المحيط جمعٌ واحد، وهو جمع صَاحِب على أَصْحَاب. قال أبو حيان: "والأصحاب: جمع صاحب، وجمع فاعل: على أَفْعَال شَاذٌّ"(١).

الدراسة:

اختلف النحويون في مسألة جمع (صاحب) على (أَصْحَاب) على قولين:

أحدهما: أَنَّ جمع صاحب على أصحاب لا يصح، وَأَنَّ ما سمع منه فهو محفوظ لا يقاس عليه؛ وَأَنَّ جمع فاعل: على أَفْعَال شَاذٌّ(٢).

ويذكر أصحاب هذا القول أَنَّ ما كان على وزن فاعل في المفرد، فالغالب فيه أن يجمع جمع كثرة(٣).

والآخر: جواز جمع (صاحب) على (أَصْحَاب)، وإليه ذهب سيبويه؛ إذ يقول: "وقد كسروا منه شيئًا على أَفْعَال كما كسروا عليه فاعلًا، نحو: شاهد وصاحب"(٤).

---

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ١: ٢٦٠.

(٢) ينظر: الزمخشري، "المفصل"، ٢٤١؛ وابن الأثير، "البديع"، ٢: ١٣٨؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٣٠٢، وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٠- ١٨٢٣؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ٥: ٢٤١١؛ والألوسي، "روح المعاني"، ١: ٢٤٣.

(٣) ينظر: الزمخشري، "المفصل"، ٢٤١؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٣٠٢.

(٤) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٣٥- ٦٣٦.

ووافقه على ذلك عدد من اللغويين والنحويين[١].

ويترجح لديَّ –بعد هذا العرض– أَنَّ جمع (صاحِب) على (أَصْحَاب) كثير مُطَّرد، وأَنَّهُ قد ورد القرآن الكريم كثيرًا[٢]، ولعل في هذه الكثرة مسوغًا لصحة القياس عليه.

د– جمع فُعَال على أَفعَال:

ورد على هذا البناء من الجموع الشاذة في تفسير البحر المحيط جمعٌ واحد، وهو جمع غُثَاءٌ على أَغْثَاءٍ. قال أبو حيان: "الْغُثَاءُ وَالْجُفَاءُ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَا احْتَمَلَهُ السَّيْلُ مِنَ الْقَذَرِ وَالزَّبَدِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْبَالِي مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ إِذَا جَرَى السَّيْلُ خَالَطَ زَبَدَهُ انْتَهَى. وَتُشَدَّدُ ثَاؤُهُ وَتُخَفَّفُ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَغْثَاءٍ شُذُوذًا"[٣].

---

(١) ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن، ابن دريد. "جمهرة اللغة". تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م). ٣: ١٣٣٢؛ والحسين بن أحمد بن خالويه. "ليس في كلام العرب". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٢، مكة المكرمة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م). ١: ٣٣١؛ وأبو علي الفارسي. "التكملة". ٧: ٤٧٧؛ والزمخشري، "الكشاف"، ١: ٤٥٥، ٤: ١٧٢، وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٨٦، ٣: ٣٢٧؛ والرضي، "شرح الشافية"، ٤: ١٥٤، وابن منظور، "لسان العرب"، مادة: صحب، ١: ٥١٩، و١٤/١٥٤، وابن مالك، "المقاصد الشافية"، ٧: ٥٨٢؛ ومحمد بن محمد مرتضى الزبيدي. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.ط، بيروت: دار الهداية، د.ت). مادة: صحب، ٣٧: ٣٧٦.

(٢) ينظر: محمد عبد الخالق عضيمة. "دراسات لأسلوب القرآن الكريم". (د.ط، القاهرة: دار الحديث، د.ت). ٧: ٢٩٨.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٣، والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢١١، وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٤٤٩، ٣: ٦، وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٤٦.

الدراسة:

الأصل أَنَّ الاسم المفرد على وزن (فُعَال) يجمع في القلة على وزن (أَفْعِلَة)، وذلك إذا كان اسمًا مذكرًا رباعيًا ثالثه حرف مدٍّ، نحو: غُرَاب وأغْربة، وبُغَاثٌ وأبْغِثَةٌ، ويجمع في الكثرة على (فِعْلانٍ)، نحو: غُلَام وغِلْمَانٍ، وغُرَاب وغِرْبَان[1]، ومنه الاسم في هذه المسألة، فيقال في جمع غُثَاءُ: (أغْثِية) في القلة، و(غِثْيَان) في الكثرة.

أَمَّا جمع غُثَاءُ على أَغْثَاء فَإِنَّ النحاة في هذه المسألة على فريقين:

الأول– مَن حكم بشذوذ هذا الجمع، كابن مالك[2]، وغيره[3]، ووافقهم عليه بعض المفسرين[4].

الثاني– من أورد هذا الجمع، ولم يقل بشذوذه، وعليه جمع من اللغويين[5]، والنحويين[6]، والمفسرين[7]، واستدلوا على جوازه بما روي عن امرئ القيس في قوله:

---

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٧: ٥٤٤. وينظر كذلك: ١٠: ٤٥٤.

(٢) ينظر: ابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٢– ١٨٢٣.

(٣) ينظر: أبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٣– ٤١٥؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤٠٦؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ٩: ٤٧٧٠.

(٤) ينظر: السمين الحلبي، "الدر المصون"، ٨: ٣٤٤؛ والألوسي، "روح المعاني"، ٩: ٢٣٥.

(٥) ينظر: مادة (غثا) في: الجوهري، "الصحاح"، ٦: ٢٤٤٣، وابن منظور، "لسان العرب"، ١٥: ١١٦، والزبيدي، "تاج العروس"، ٣٩: ١٤١.

(٦) ينظر: يوسف بن يبقي بن يسعون. "المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح". تحقيق ودراسة: محمد بن حمود الدعجاني، (ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م). ٢: ١٣٣٥؛ والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ٣٢٨، والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٤٩.

(٧) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد. "التفسير البسيط". (ط١، الرياض: عمادة البحث العلمي– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ). ١٥: ٥٨٤؛ ومحمد بن أحمد =

كَأَنَّ طَمِيَّةَ الْمُجَيْمِرِ غُدْوَةً ... مِنَ السَّيْلِ وَالْأَغْثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ[١]

وقد سبقت الإشارة إلى أَنَّ الأصل فيما كان على وزن (فُعَال) أن يجمع في القلة على (أَفْعِلَة)، بشرط أن يكون اسمًا مذكرًا رباعيًّا ثالثه حرف مدٍّ، وأَمَّا ما يُجمع على (أفعال) فهو محصور في أوزان محددة في المفرد، سبق بيانها[٢]، وليس منها وزن (فُعَال)؛ وعليه أرى صواب ما ذهب إليه أبو حيان في حكمه بشذوذ هذا الجمع؛ لِأَنَّهُ جاء على غير القياس. وَأَنَّ قياسه أن يجمع على (أغثية) في القلة، و(غِثْيَان) في الكثرة.

هـ–جمع فَيْعِل على أَفعَال:

ورد على هذا البناء من الجموع الشاذة في تفسير البحر المحيط جمعٌ واحد، وهو جمع ميّت على أموات. قال أبو حيان: "أَمْوَاتًا: جَمْعُ مَيِّتٍ، وَهُوَ أَيْضًا جُمِعُ مَيْتَةٍ، وَجَمْعُهُمَا عَلَى أَفْعَالٍ شُذُوذ، وَالْقِيَاسُ فِي فَيْعِلٍ إِذَا كُسِرَ فَعَائِلٍ"[٣].

ذكر أبو حيان في هذا النص أن مما شذَّ من جموع التكسير أَنَّهُم جمعوا: مَيِّتٍ على أَمْوَات، أي جمعوا (فَيْعِل) على (أَفعَال)، وذلك شاذ؛ وَأَنَّ الْقِيَاس فِي فَيْعِلٍ إِذَا كُسِرَ فَعَائِلٍ.

الدراسة:

سبقت الإشارة إلى أَنَّ من الأوزان التي يطرد فيها الجمع على بناء (أَفْعَال) ما

=

القرطبي. "تفسير القرطبي". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).٢٠: ١٧.

(١) البيت من الطويل، في ديوانه، ص٢٥، وفيه: (والغُثَّاءِ) بدلا عن: وَالْأَغْثَاءِ.

(٢) ينظر: ص١٣–١٤ من هذه الدراسة.

(٣) أبو حيان، "البحر المحيط"، ١: ١٩٣.

كان على وزن (فَيْعِل) ، نحو: مَيِّت وأَمْوَات، وسيِّد وأَسْيَاد[١].

والنحاة يذكرون أَنَّ ما كان في المفرد على (فَيْعِل) فَإِنَّ له في الجمع حالتين: الجمع بالألف والنون جمع سلامة، أو الجمع على (أَفْعَال) جمع تكسير، وَأَنَّ جمعه بالواو والنون أكثر من تكسيره[٢].

والقول بصحة جمع مَيِّتٍ على أموات، هو مذهب أكثر النحويين[٣].

ولم يقل بشذوذ هذا الجمع إلا النزر اليسير من النحاة كابن مالك[٤]، والفارضي[٥]، وأبي حيان، كما مرَّ معنا[٦].

أَمَّا (مَيْت) المعتل العين على (فَعْل)، فَإِنَّ جمعه ينقاس على (أَفْعَال)[٧]، كما أشرنا في الأوزان التي يطرد فيها الجمع على (أَفْعَال).

---

(١) ينظر: ص١٣-١٤ من هذه الدراسة.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٤٢؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٢٠؛ وابن سيده، "المخصص"، ٢: ٧١؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٣١٥؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٢١٢.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٤٢؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٢٠؛ وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٨١- ٤٨٢؛ والزمخشري، "المفصل"، ٢٤٢؛ والرضي، "شرح الشافية"، ١: ٤٧١، و٢: ١٧٥؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٢١٢؛ والأزهري، "التصريح"، ١: ٨٢.

(٤) ينظر: ابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣.

(٥) ينظر: الفارضي، "شرح الألفية"، ٤: ٢٠٦.

(٦) ينظر: ص١٨ من هذه الدراسة.

(٧) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٨٦، والمبرد، "المقتضب"، ٢: ١٩٨، والزجاجي، "الجمل في النحو"، ٣٧٠؛ وأبو علي الفارسي، "التعليقة على كتاب سيبويه"، ٤: ١١٥؛ وابن جني، "سر صناعة الإعراب"، ٢: ٦٠٧-٦٠٨.

والعلة التي ذكرها النحويون في جواز(فَيْعِل) على (أَفعَال) هي الحمل على بناء (فَاعِل)، فلمّا كان (فَيْعِل) مطابَقًا لفاعِل في العِدَّةِ والحَرَكَةِ والسُّكُونِ، حملوه عليه، وكَسَّرُوه على ما يُكَسَّرُ عليه فاعِلٌ(١). قال أبو علي الفارسي: "لمَّا جُمِع [فَيْعِل](٢) جمعًا وافق فيه جمع فَاعِل، فقيل: مَيْتٌ وأمْوات، كما قيل: شاهِدٌ وأشْهاد، وصاحِبٌ وأصْحابٌ، كذلك جُمِع ها هنا كما جُمِع فَاعِلٌ"(٣).

ويتبين مما سبق أَنَّ أكثر النحاة ذهبوا إلى جواز واطراد جمع (فَيْعِل) على (أَفْعَال)؛ كجمع (مَيِّت) على (أموات)، وهذا ظاهر في أقوالهم ومؤلفاتهم؛ وعليه أرى أَنَّ جمع (مَيّت) على (أموات) هو جمع قياسيٌّ مستعملٌ عند جلِّ النحاة، ولم يذهب إلى شذوذه –وفق ما وقفتُ عليه– إلا النزر اليسير من النحويين، والله أعلم.

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٤٢؛ وأبو علي الفارسي، "التعليقة على كتاب سيبويه"، ٤: ١١٥؛ وابن سيده، "المخصص"، ٢: ٧١؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣/٣١٥، والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٢١٢.

(٢) ورد في المطبوع (فَيْعَل) ولعله تصحيف، والصواب ما أثبتناه في المتن. ينظر في ذلك: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٤٢؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٢٠.

(٣) ينظر: أبو علي الفارسي، "التعليقة على كتاب سيبويه"، ٤: ١١٥.

المبحث الثاني: ما جُمِع شذوذًا على وزن (أَفْعُل)

ورد على هذا البناء ثلاثة جموع في تفسير البحر المحيط، قال أبو حيان بشذوذها، وهي: (ثَوْبٌ وأَثْوُبٌ، وعَيْنٌ وأَعْيُنٌ، وجَبينٌ وأَجْبُنٌ)، وهذه الجموع جاءت على نمطين هما:

أ- جمع فَعْل على أَفْعُل:

قال أبو حيان: "وأَفْواجًا: جَمْعُ فَوْجٍ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَقِيَاسُ جَمْعِهِ أَفْوُجٌ، وَلَكِنِ اسْتُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْوَاوِ فَعُدِلَ إِلَى أَفْوَاجٍ، كَأَنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُعْتَلَّ الْعَيْنِ كَالصَّحِيحِ، فَكَمَا أَنَّ قِيَاسَ فَعْلٍ صَحِيحُهَا أَنْ يُجْمَعَ عَلَى أَفْعُلٍ لَا عَلَى أَفْعَالٍ، فَكَذَلِكَ هَذَا، وَالْأَمْرُ فِي هَذَا الْمُعْتَلِّ بِالْعَكْسِ. الْقِيَاسُ فِيهِ أَفْعَالٌ، كَحَوْضٍ وَأَحْوَاضٍ، وَشَذَّ فِيهِ أَفْعُلٌ، كَثَوْبٍ وَأَثْوُبٍ"(١).

وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** ﴾ [البقرة: ٦٠] "وَجُمِعَ عَلَى أَعْيُنٍ شَاذٌّ، أَوْ عُيون قِيَاسًا، وَقَالُوا: فِي الْأَشْرَافِ مِنَ النَّاسِ: أَعْيَانٌ"(٢).

الدراسة:

الأصل في الاسم الثلاثي المعتل العين بالواو أو بالياء على وزن (فَعْل) أن يُجمع في القلة على (أَفْعَال)، وذلك نحو: فوجٍ وأفواجٍ، وبيتٍ أبياتٍ(٣). ولا يجمع

---

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ١٠: ٥٦٣. وينظر: أبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤٠٩.

(٢) أبو حيان، "البحر المحيط"، ١: ٣٥٣. وينظر: محمد بن يوسف. "التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق: حسن هنداوي، (ط١، دمشق: دار القلم، وبيروت: دار كنوز إشبيليا، د.ت). ٩: ٣٠٠؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ٢: ٧٥١.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٨٦؛ وابن الأثير، "البديع"، ٢: ١١٦؛ والرضي، =

ما كان بهذه الصورة على (أَفْعُل)؛ كراهية الضمة في الواو والياء؛ إذ الضمّةُ على الواو والياء مستثقَلة، فصاروا إلى بناء آخر، وهو (أفْعالٌ)[١].

أَمَّا الثلاثي الصحيح الفاء والعين، غير المُضاعَف، وهو على وزن (فَعْل)، فالأصل فيه أن يجمع على (أَفْعُل)، نحو: نَفْس وأَنْفُس، وشَهْر وأَشْهُر[٢]. وشذَّ مجيئه من معتلّ الفاء، كوجهٍ وأَوجهٍ، ومن معتل العين بالياء، كعينٍ وأعيُنٍ، أو بالواو، كثوب وأثوب، ومن المضاعف، كصَكٍّ وأصُكٍّ، وكفٍّ وأكُفٍّ.

وقد ذكروا أَنَّ بناء (أَفْعُل) في القلة يطرد في نوعين من المفردات:

الأول– ما كان على فَعْل بشرطين؛ أحدهما: أن يكون اسمًا، وأن يكون صحيح العين، نحو: فَلْس، وكَف، ووَجْه، فتقول في هذه: أفْلُسٍ، وأكُفٍّ، وأوجُهٍ.

والثاني– ما كان رباعيًّا، بأربعة شروط: أن يكون اسمًا، وأن يكون بمدة ثالثة، وأن يكون مؤنثًا، وأن يكون بلا علامة، نحو: ذِرَاع، ويمين، فتقول فيها: أذرُع، وأيمُن[٣].

أَمَّا جمع ثَوْبٍ على أَثْوُبٍ فالنحويون فيه على مذهبين:

الأول– من صرَّح بأَنَّهُ شاذٌّ، وهو قول جمهور النحويين[٤]، وبعض

=

"شرح الشافية"، ٢: ٩٠.

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٨٦؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٦٤.

(٢) ينظر: ابن الأثير، "البديع"، ٢: ١١٦.

(٣) ينظر: المرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٠؛ وابن هشام، "أوضح المسالك"، ٤: ٣٠٨؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٢؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٤٨.

(٤) ينظر: الزمخشري، "المفصل"، ٣٣٩؛ وابن الحاجب، "الشافية"، ٧٣؛ وعبد الله بن الحسين =

المفسرين[1].

الثاني- من أورد هذا الجمع، ولم يصرّح بالشذوذ، وأولهم سيبويه[2]؛ إذ بيَّن أَنَّهُ مسموع على قلة، ووافقه في عدم التصريح والقول بالندرة والقلة بعض النحويين[3].

والعلة عند أصحاب هذا المذهب أَنَّ من جمع هذا الجمع إِنَّمَا جاء به

=

العكبري. "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق: عبد الإله النبهان، (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م). ٢: ١٨١، وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٦٤؛ وابن عصفور، "المقرب"، ٢: ١١٠؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨١٦، ١٨١٩، والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ١٠٠، وابن الناظم، "شرح الألفية"، ٥٤٧؛ ومحمد بن حسن بن الصائغ. "اللمحة في شرح الملحة". تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، (ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م). ١: ٢٠٨؛ وابن عقيل، "شرح الألفية"، ٤: ١١٦؛ وابن هشام، "أوضح المسالك"، ٤: ٣٠٨؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٢، والأشموني، "شرح الألفية"، ٤٤٤/١، والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٤٨.

(١) ينظر: الألوسي، "روح المعاني"، ١٥: ٤٩٢.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"،٣: ٥٨٨٧.

(٣) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ١: ١٣٢، ٢: ١٩٩، وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٤٣٣؛ والقيرواني القزاز، "ما يجوز للشاعر في الضرورة". تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، (د.ط، الكويت: دار العروبة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م). ٢٦٥؛ القاسم بن الحسين الخوارزمي صدر الأفاضل. "التخمير شرح المفصل". تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م). ٢: ٣٣٨؛ والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ٩٠؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٠، والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٤٨.

على الأصل[١]، وقيَّده بعضهم بالضرورة الشعرية[٢].

وأَمَّا جمع عَينٍ على أَعْيُنٍ، فَإِنَّهُ يقال فيه ما قيل في أثوُبٍ من حيث العلة في عدم جواز جمع ما كان على (فَعْل) المعتل العين بالياء على (أَفْعُل)، وهي نفورهم من ثقل ضمة الواو أو الياء فيما كان معتل العين بالواو أو الياء إذا جُمِع على (أَفْعُل)؛ ولذلك جمعوه على (أَفْعَال)؛ إيثارًا للسهولة وجنوحًا إلى التخفيف والتيسير.

والنحويون في جمع عَينٍ على أَعْيُنٍ على مذهبين أيضًا:

الأول– من صرَّح بأَنَّهُ شاذٌّ، وهو قول جمهور النحويين[٣]، وبعض المفسرين[٤].

الثاني– من أورد هذا الجمع، ولم يصرّح بالشذوذ، وهو مذهب سيبويه[٥]، وبعض النحويين[٦].

وعلَّل أصحاب هذا المذهب لصحة جواز هذا الجمع بالحمل على الأصل، وهو

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٨٧– ٥٨٨، وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٦٤.

(٢) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ١: ٢٩، ١٣٢، ٢: ١٩٩؛ والقزاز، "ما يجوز للشاعر في الضرورة"، ٢٦٥.

(٣) ينظر: الزمخشري، "المفصل"، ٣٣٩؛ وابن الحاجب، "الشافية"، ٧٣؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٦٤، وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨١٦، ١٨١٩، والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ١٠٠، وابن الناظم، " شرح الألفية"، ٥٤٧؛ وابن عقيل، "شرح الألفية"، ٤: ١١٦؛ وابن هشام، "أوضح المسالك"، ٤: ٣٠٨؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٢، والأشموني، "شرح الألفية"، ١: ٤٤٤؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٤٨.

(٤) ينظر: الألوسي، "روح المعاني"، ١٥: ٤٩٢.

(٥) ينظر: سيبويه، "الكتاب "، ٣: ٥٨٨.

(٦) ينظر: المبرد، "المقتضب"،١: ١٣٢، وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٦٤.

صحيح العين، فبنوا ما كان معتل العين على هذا الأصل، وحملوه عليه[١].

وذكر بعض المحدثين أَنَّ (أعين) جمع قلة للعين الباصرة، وَأَنَّ عين الماء تجمع جمع كثرة على عُيُون، مستدلًّا على ذلك باستعمال القرآن لهذين البناءين[٢].

يتبين مما سبق أَنَّ الحكم بشذوذ جمع ثَوْبٍ على أَثْوُبٍ هو مذهب جمهور النحويين الذين أشاروا إلى استعمال بعض العرب لهذا الجمع؛ إذ قَصَرَه بعضهم على الضرورة الشعرية، وقال بعضهم بندرته؛ وبناء على ذلك أرى أَنَّ هذا الجمع جمع شاذٌّ؛ وذلك لمخالفته لما قرره النحويون من أَنَّ الاسم الثلاثي معتل العين بالواو أو بالياء على وزن (فَعْل) يُجمع في القلة على (أَفْعَال). وَأَنَّ ما اعتل به المجيزون من علل لا تخرجه من حكم الشذوذ ومخالفة القياس، لا سيما وهو قليل الاستعمال، وليس مطردًا، ويبدو لي قوة الرأي القائل بِأَنَّ هذا الجمع مقصور على الضرورة الشعرية، وأنه شاذٌّ في القياس والاستعمال.

وأَمَّا جمع عَيْن على أَعْيُن، فالذي أميل إليه هو جواز هذا الجمع لاطراده، وكثرة استعماله، وروده في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعًا[٣]، كما ورد كثيرًا في الشعر، وفي الحديث الشريف، وهي كثرة تسوغ قياسيته.

---

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٨٨؛ والمبرد، "المقتضب"،١: ١٣٢؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٦٤.

(٢) ينظر: فاضل صالح السامرائي. "معاني الأبنية في العربية". (ط٢، عمّان: دار عمار، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م). ١٤٠.

(٣) ينظر الآيات: المائدة: ٨٣، والأعراف: ١١٦، و١٧٩، و١٩٥، والأنفال: ٤٤ (في موضعين من الآية نفسها)، والتوبة: ٩٢، وهود: ٣١، و٣٧، والكهف: ١٠١، والأنبياء: ٦١، والمؤمنون: ٢٧، والفرقان: ٧٤، والسجدة: ١٧، والأحزاب: ١٩، و٥١، ويس: ٦٦، وغافر: ١٩، والزخرف: ٧١، والطور: ٤٨، والقمر: ١٤، و٣٧.

ب– جمع فَعِيْل على أَفْعُل:

قال أبو حيان: "وَشَذَّ جَمْعُ الْجَبِينِ عَلَى أَجْبُنٍ، وَقِيَاسُهُ فِي الْقِلَّةِ أَجْبِنَةٌ، كَكَثِيبٍ وَأَكْثِبَةٍ، وَفِي الْكَثْرَةِ: جَبَنَاتٌ وَجُبُنٌ، كَ (كُثُبَاتٌ وَكُثُبٌ)"(١).

الدراسة:

القياس في (جَبِينِ) أن يجمع جمع قلة على (أَجْبِنَةٌ)؛ وذلك لِأَنَّ بناء (أَفْعِلَة) يَطَّرد في جمع كل اسم مذكر رباعي ثالثه حرف مدٍّ(٢). و(جبين) متحقق فيه هذا الشرط، فهو إذًا جمع قياسي، كما ذكر أبو حيان(٣)، وذكره غيره(٤).

وأَمَّا جَمْعُ جَبِينِ عَلَى أَجْبُنٍ جمعَ قلة، فَإِنَّ بناء (أَفْعُل) يطّرد في كل اسم صحيح العين، نحو: نَفْس وأَنْفُس، أو في الاسم الرباعي المؤنث، الخالي من تاء التأنيث، وقبل

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٩: ١١٤– ١١٥.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٤، والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٦– ٢٠٩، وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٦، وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٤: ٤١، وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣، وابن الناظم، "شرح الألفية"، ٥٤٨؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٦، والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٢، والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٤١، والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٦.

(٣) ينظر: أبو حيان، "البحر المحيط"، ٩: ١١٥.

(٤) ينظر: ابن يسعون، "المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح"، ٢: ١١٨٥؛ وابن منظور، "لسان العرب"، مادة: جبن، ١٣: ٨٥؛ ومحمد بن يعقوب الفيروزآبادي. "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م). مادة: جبن، ١١٨٥؛ والسمين الحلبي، "الدر المصون"، ٩: ٣٢٤، والزبيدي، "تاج العروس"، مادة: جبن، ٣٤: ٣٤٥، والألوسي، "روح المعاني"، ١٢: ١٢٤.

آخره مدّ، نحو: ذراع وأذرع[١]. وجبين اسم رباعي مذكر[٢]، ويشترط فيما كان رباعيًّا أن يكون مؤنثًا؛ وعليه فَإِنَّ جمعه على أَجْبُنٍ يُعَدُّ جمعًا شاذًّا.

وقد قال بشذوذ جمع جَبِينِ عَلَى أَجْبُنٍ عدد من النحويين[٣]، وبعض المفسرين[٤].

وأورده بعض اللغويين، ولم يقولوا بشذوذه[٥].

وحمله بعض المُحدَّثين على معنى التأنيث، وذلك أنَّ الجبين بمعنى الجبهة[٦].

ويتبين مما سبق أَنَّ أكثر العلماء حكموا بشذوذ هذا الجمع، لمخالفته للقياس؛ وذلك أَنَّ القياس في (أَفْعُل) أن يكون جمع (فعيل) إذا كان مؤنثًا، والجبين مذكر، وبناءً على هذا الضابط، وقلة ما سُمِع عن العرب في جمع (جبين) على (أجبن) يترجّح لديَّ صحة ما ذهب إليه أبو حيان، وغيره من النحويين والمفسرين من القول بشذوذ هذا الجمع قياسًا واستعمالًا، والله أعلم.

---

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٥، وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٤٩؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٠؛ وابن هشام، "أوضح المسالك"، ٤: ٣٠٨؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٢، والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٤٨.

(٢) ينظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري. "المذكر والمؤنث". تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة: وزارة الأوقاف– لجنة إحياء التراث، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م). ١: ٣٣٥.

(٣) ينظر: ابن يسعون، "المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح"، ٢: ١١٨٥؛ والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ١٣٣.

(٤) ينظر: السمين الحلبي، "الدر المصون"، ٩: ٣٢٤؛ والألوسي، "روح المعاني"، ١٢: ١٢٤.

(٥) ينظر: مادة (جبن) في كلٍّ من: ابن منظور، "لسان العرب"، ١٣: ٨٥؛ والفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ١١٨٥؛ والزبيدي، "تاج العروس"، ٣٤: ٣٤٥.

(٦) ينظر: عباس حسين الرفايعة. "ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي". (ط١، عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م). ١٠٧.

المبحث الثالث: ما جُمِع شذوذًا على (أَفْعِلَة)

بعد الاستقصاء والتتبع في الجموع الشاذة التي جاءت على بناء (أَفْعِلَة) في تفسير البحر المحيط وجدتها لا تخرج على الأنماط الثلاثة الآتية:

أ– جمع فَعْل على أفعلة:

قال أبو حيان: "وقرأت أُمُّ الهيثم «أَفْوِدَة» بواوٍ مكسورة... قَالَ صَاحِبُ اللَّوَامِحِ: وَهُوَ جَمْعُ وَفْدٍ، وَالْقِرَاءَةُ حَسَنَةٌ: لَكِنِّي لَا أَعْرِفُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، بَلْ ذَكَرَهَا أَبُو حَاتِمٍ انْتَهَى. أَبْدَلَ الْهَمْزَةَ فِي فُؤَادٍ بَعْدَ الضَّمَّةِ كَمَا أُبْدِلَتْ فِي جَوْنٍ، ثُمَّ جَمَعَ فَأَقَرَّهَا فِي الْجَمْعِ إِقْرَارَهَا فِي المفرد. أو هو جَمْعُ وَفْدٍ كَمَا قَالَ صَاحِبُ اللَّوَامِحِ، وَقُلِبَ؛ إِذِ الْأَصْلُ أَوْفِدَة. وَجَمْعَ فَعْلٍ عَلَى أَفْعِلَةٍ شَاذٌّ، نَحْوَ: نَجْدٍ وَأَنْجِدَةٍ، وَوَهْيٍ وَأَوْهِيَةٍ"(١).

ذكر أبو حيان في هذا النص ثلاثة جموع جاءت في المفرد على وزن (فَعْل)، وجمعت تكسيرًا للقلة على بناء (أَفْعِلَةٍ)، على غير قياس، وهي: (وَفْدٌ وأَوْفِدَةٌ، ونَجْدٌ وأَنْجِدَةٌ، ووَهْيٌ وَأَوْهِيَةٌ).

الدراسة:

يطَّرد بناء (أَفْعِلَة) في جمع كل اسم مذكر رباعي ثالثه حرف مدٍّ، وذلك في الأوزان الآتية(٢):

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٦: ٤٤٧.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٤؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٦– ٢٠٩؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٦، وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٤: ٤١؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣؛ وابن الناظم، "شرح الألفية"، ٥٤٨؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٦؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٢؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٤١؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٦.

- فَعَال، نحو: جواب وَأَجْوِبَة، وَطَعَام وأَطْعِمَة.
- فِعَال، نحو: نِصَاب وَأَنْصبة، وَزِمَام وَأَزِمَّة.
- فُعَال، نحو: غُرَاب وَأَغْرِبَة.
- فَعِيل، نحو: رَغِيْف وَأَرْغِفَة، ذَلِيْل وأَذِلَّة.
- فَعُول، نحو: عَمُود وَأَعْمِدَة.

و(وَفْدٌ) على وزن (فَعْل)، ولا يجمع ما كان ثلاثيًّا على (أَفْعِلَة)؛ لِأَنَّ من شروط ما يجمع على (أَفْعِلَة) أن يكون رباعيًّا؛ ولذا حكم أبو حيان على هذا الجمع بالشذوذ، وتابعه في هذا الحكم بعض المفسرين(١).

ويذكر أصحاب المعاجم أَنَّ الوَفْدَ جمعٌ واحده وافِدٌ(٢). ويجمع الوفد على: أَوْفاد(٣)، ووُفُود(٤)، وأَوْفِدة(٥)، ووَفَد(٦)، ووُفَّد(٧). فـ(أَوْفِدة) على هذا يكون جمع الجمع.

---

(١) ينظر: الألوسي، "روح المعاني"، ٧: ٢٢٦، والسمين الحلبي، "الدر المصون"، ٧: ١١٣-١١٤.

(٢) ينظر: مادة (وفد) في كلٍّ من: الجوهري، "الصحاح"، ٢: ٥٥٣؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ٣: ٤٦٤؛ والفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ٣٢٦.

(٣) ينظر: مادة (وفد) في كلٍّ من: الجوهري، "الصحاح"، ٢: ٥٥٣؛ والفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ٣٢٦.

(٤) ينظر: مادة (وفد) في كلٍّ من: الجوهري، "الصحاح"، ٢: ٥٥٣؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ٣: ٤٦٤؛ والفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ٣٢٦.

(٥) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي. "العين". تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت). مادة: وفد، ٨: ٨٠.

(٦) ينظر: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ٢: ٦٧٤.

(٧) ينظر: الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، مادة: وفد، ٣٢٦.

والذي أراه –بعد هذا العرض– أَنَّ (وَفْدًا) لا يجمع على (أَوْفِدة)؛ لِأَنَّ من شروط ما يجمع على (أَفْعِلَة) أن يكون رباعيًّا، وثالثه حرف مدٍّ[١]، و(وَفْدٌ) اسم ثلاثي، وليس ممدودًا ثالثه، فلا يجمع على (أفْعِلة)؛ وعليه فَإِنِّي أتفق مع رأي أبي حيان، ومن قال بقوله في الحكم على هذا الجمع بالشذوذ.

أَمَّا جمع نَجْدٍ على أَنْجِدَة، فَإِنَّ أكثر النحويين قالوا بشذوذ هذا الجمع، وَأَنَّهُ من المسموع الذي يحفظ ولا يقاس عليه[٢].

ومن العلماء من حكى هذا الجمع، وجعله قياسًا[٣].

وجعل بعضهم مجيء (أَنْجِدَة) جمعًا لـ(نَجْد) من القليل النادر[٤].

وقال بعض اللغويين والنحاة: إنَّ (أَنْجِدَة) هو جمع الجمع، فهو جمع (نِجَادٍ)، و(نِجَادٌ) جَمْعُ (نَجْدٍ)[٥]. وقال آخرون: جُمِع (نَجْدٌ) على (نُجُودٍ)، ثمّ جُمِع (نُجُودٌ) على

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٤، والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٩، وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٦؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٤: ٤١؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٢؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٣٩، والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٦.

(٢) ينظر: الزمخشري، "المفصل"، ٢٧٤؛ وابن يعيش، "شرح المفصل ٤: ٤١؛ وابن الحاجب، "الشافية"، ١: ٤٣؛ وابن مالك، "تسهيل الفوائد"، ٢٧٠؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣– ١٨٢٤؛ والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ٨٩؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٤٠٨/٣؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ٩: ٤٧٧٠ – ٤٧٧١؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٧.

(٣) ينظر: ابن الأثير، "البديع"، ٢: ١١٦.

(٤) ينظر: السمين الحلبي، "الدر المصون"، ٧: ١١٤؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٥٠.

(٥) ينظر: ابن الأثير، "البديع"، ٢: ١١٦؛ وصدر الأفاضل، "التخمير شرح المفصل"، ٣: ٦٨؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٤: ٤١.

(أَنْجِدَة)[1].

ويبدو لي -بعد هذا العرض- أَنَّ (نَجْدًا) لا يصحُّ جمعه على (أَنْجِدَة)؛ لِأَنَّ من شروط ما يجمع على (أَفْعِلَة) أن يكون رباعيًّا، وثالثه حرف مدٍّ[2]، و(نَجْدٌ) اسم ثلاثي، وليس ممدودًا ثالثه، فلا يجمع على (أفْعِلة)، وقد مرَّ بنا أَنَّ أكثر النحويين يقولون بشذوذ هذا الجمع[3].

وأَمَّا جمع وَهْيٍ على أَوْهِيَةٍ، فَإِنَّ أكثر النحويين والمفسرين على القول بشذوذ هذا الجمع[4]، ولم أقف على من قال بجوازه.

وعليه أرى أَنَّ الاسم (وهيًا) لا يجمع على (أَوْهِيَةٍ)؛ لِأَنَّ من شروط ما يجمع على (أَفْعِلَة) أن يكون رباعيًّا، وثالثه حرف مدٍّ[5]، و(وهيٌ) اسم ثلاثي، وليس ممدودًا

---

(١) ينظر: الجوهري، "الصحاح"، مادة: نجد، ٢: ٥٤٢؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٤: ٤١؛ وابن عاقل، "المساعد"، ٣: ٤٠٨.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٤؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٩؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٦؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٤: ٤١؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣، ١٨٢٣؛ وابن الناظم، "شرح الألفية"، ٥٤٨؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٦؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٢؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٣٩؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٦.

(٣) ينظر: ص٢٣- ٢٤ من هذه الدراسة.

(٤) ينظر: ابن مالك، "تسهيل الفوائد"، ص٢٧٠؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣- ١٨٢٤، وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤٠٩؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٤١؛ والسمين الحلبي، "الدر المصون"، ٧: ١١٤؛ والألوسي، "روح المعاني"، ٧: ٢٢٦.

(٥) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٤؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٩؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٦، وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٤: ٤١؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣، ١٨٢٣؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٦؛ =

ثالثه، فلا يجمع على (أفْعِلة).

ب– جمع فَاعِل على أَفْعِلَة:

قال أبو حيان: "﴿ مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٤] هُوَ جَمْعُ وَادٍ، وَأَفْعِلَةٌ فِي جَمْعِ فَاعِلٍ الِاسْمُ شَاذٌّ، نَحْوُ: نَادٍ وَأَنْدِيَةٍ، وَجَائِزٍ وَأَجْوِزَةٍ. وَالْجَائِزُ: الْخَشَبَةُ الْمُمْتَدَّةُ فِي أَعْلَى السَّقْفِ"(١). وقال أيضًا: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾[الرعد: ١٧]، وَقِيَاسُهُ فَوَاعِلُ، لَكِنَّهُمُ اسْتَثْقَلُوهُ لِجَمْعِ الْوَاوَيْنِ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَلَا أَعْرِفُ فَاعِلًا أفعِلَة سِوَاهُ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ نَادٍ وَأَنْدِيَةً"(٢).

ذكر أبو حيان في هذين النصين ثلاثة جموع جاءت في المفرد على وزن (فاعل)، وجُمِعت تكسيرًا للقلة على بناء (أَفْعِلَةٍ)، على غير قياس، وهي: (وادٍ وأَوْدِيَةٌ، ونَادٍ وَأَنْدِيَةٌ، وجَائِزٌ وأَجْوِزَةٌ)، وبيَّن أن فَاعِلًا لا يجمع على أَفْعِلَةٌ، وما ورد منها على أفعلة فهي من المسموع الذي لا يقاس عليه، وبمثل ذلك حكى في الارتشاف(٣).

الدراسة:

سبقت الإشارة إلى أوزان الاسم المفرد التي يجمع عليها هذا البناء، وهي فَعَال، نحو: طَعَام وأَطْعِمَة، وفِعَال، نحو: نِصَاب وَأَنْصِبَة، وفُعَال، نحو: غُرَاب وَأَغْرِبَة، وفَعِيل،

=

والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٢؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٣٩، والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٦.

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٩: ٤٤٦.

(٢) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٥: ٤٨٨.

(٣) ينظر: أبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٣٠٢، ٤١٨

نحو: رَغِيْف وَأَرْغِفَة، وفَعُول، نحو: عَمُود وَأَعْمِدَة. و(وادٍ) على وزن (فاعِل)[١]، فهو ليس من الأوزان التي تجمع على (أَفْعِلَة).

وذكر بعض العلماء أَنَّ جمع وادٍ على أوْدِية شاذٌّ[٢]، وقال آخرون بأَنَّهُ لم يجمع على (أَفْعِلَة) غيره[٣]، واستُدرِك على هذا القول أَنَّهُ قد ورد: نادٍ وأَنْدِية، وجائِز وأَجْوِزة[٤].

وذكر أبو حيان أَنَّ القياس فيه أن يجمع على فواعل؛ لكنهم استثقلوا جمع واوين، فجمعوه على أَفْعِلَة[٥]، وهذه العلة سبق أن ذكرها بعض العلماء[٦].

وذكر أبو علي الفارسي علة أخرى، وهي اشتراك فعيل وفاعل في كثير من المواضع، نحو عليم وعالم، وولي ووالٍ، فكما جُمِع فعيل على أفعلة، شُبِّه هذا الحرف بفاعل[٧]. ونقل هذه العلة عن أبي علي الفارسي جمعٌ من اللغويين والمفسرين[٨].

---

(١) ينظر: ص ٢٤ من هذه الدراسة.

(٢) ينظر: ابن يسعون، "المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح"، ٢: ٨٧٨؛ والعكبري، "التبيان في إعراب القرآن"، ٢: ٧٥٦؛ والقرطبي، "تفسير القرطبي"، ٨: ٢٩١؛ والسمين الحلبي، "الدر المصون"، ٦: ١٣٨؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤٠٧؛ والفارضي، "شرح الألفية"، ٤: ٢٠٧.

(٣) ينظر: الفراهيدي، "العين"، ٨: ٩٩؛ وابن دريد، "جمهرة اللغة"، ٣: ١٣٣٢؛ وابن خالويه، "ليس في كلام العرب"، ٣٣١- ٣٣٢؛ وأبو علي الفارسي، "الحجة للقراء السبعة"، ٥: ٣٧٩؛ والعكبري، "التبيان في إعراب القرآن"، ٢: ٧٥٦.

(٤) ينظر: الفراهيدي، "العين"، ٨: ٩٩؛ والعكبري، "التبيان في إعراب القرآن"، ٢: ٧٥٦؛ والسمين الحلبي، "الدر المصون"، ٦: ١٣٨، ٩: ٦٧٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط، ٤٨٨/٥.

(٦) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، ٢٩٦/٣.

(٧) ينظر: أبو علي الفارسي، "الحجة للقراء السبعة"، ٥: ٣٧٩.

(٨) ينظر: الواحدي، "التفسير البسيط"، ١٢: ٣٣٢؛ والرازي، "تفسير الرازي"، ١٩: ٣٠؛ والعكبري، "التبيان في إعراب القرآن"، ٢: ٧٥٦؛ وصدر الأفاضل، "التخمير شرح =

وأورد بعضهم هذا الجمع ولم يقولوا بشذوذه[١]، وبعضهم حكم بندرته وقلته[٢].

وأَمَّا جمع نَادٍ على أَنْدِيَةٍ فَإِنَّ بناء (أَفْعِلة) يطَّرد في جمع كل اسم مذكر رباعي ثالثه حرف مدٍّ[٣]، والاسم: (نادٍ)، اسم ثلاثي، ومَدَّتُه ثانية، وما كانت فيه المدَّة ثانية فلا يجمع على أفعِلة قياسًا[٤].

والنحويون يذكرون أَنَّهُ سُمع عن بعض العرب أَنَّهُم يجمعون (ندًى) على (أَنْدِيَة) وذلك شاذ[٥]، وذكر بعضهم أن (أَنْدِيَة) جمع (نَدِيّ)[٦].

=

المفصل"، ٢: ٣٦٤؛ وأبو السعود، "تفسير أبي السعود"، ٥: ١٤، والألوسي، "روح المعاني"، ٧: ١٢٢– ١٢٣.

(١) ينظر: ابن القَطَّاع، "أبنية الأسماء والأفعال والمصادر"، ٢٧٣؛ وابن الأثير، "البديع"، ٢: ١٣٢؛ الرضي، "شرح الشافية"، ٢: ١٥٤.

(٢) ينظر: ابن خالويه، "ليس في كلام العرب"، ٣٣١؛ وابن سيده، "المخصص"، ١: ٥٠٩؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٩٦.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٤؛ والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٩؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٦، وابن الناظم، "شرح الألفية"، ٥٤٨؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٦؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٢؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٦.

(٤) ينظر: الشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٤٢.

(٥) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٥٤٠؛ وأحمد بن محمد بن الوليد. "المقصور والممدود". تحقيق: بولس برونله، (مطبعة ليدن، ١٩٠٠م). ١٤٨؛ والسيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٤: ٢٧٣؛ وابن جني، "سر صناعة الإعراب"، ٢: ٢٦٧، والزمخشري، "المفصل"، ٢٧٤؛ وصدر الأفاضل، "التخمير شرح المفصل"، ٣: ٦٨؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٤: ٤١، والرضي، "شرح الشافية"، ٢: ٣٢٩، وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٣٣١، وابن منظور، "لسان العرب"، مادة: ندي، ١٥: ٣١٣.

(٦) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٣: ٨٢؛ وابن دريد، "جمهرة اللغة"، ٣: ١٣٣٢؛ وابن الشجري، =

وذكر السيرافي وابن جني ثلاثة أقوال للنحويين في هذا الجمع، وهي[١]:

الأول: أنه جمع (نَدِيّ).

الثاني: أنه جُمِع (نَدًى) على (نداء)، كما قالوا: (جَمَل) و(جِمَال) و(جَبَل) و(جِبَال)، ثم جُمِع (فِعَال) على (أَفْعِلَة).

الثالث: أن هذا الجمع شاذٌّ.

وحكى آخرون أَنَّهُ قد سُمِع -على قلة- جمع (نادٍ) على (أندية)[٢]، وأورده بعضهم ولم يحكموا عليه بالشذوذ أو القلة، ومفاد ذلك أَنَّهُم يقرون بجواز هذا الجمع[٣].

وأَمَّا جمع جَائِز على أَجْوِزَة فقد حكم عليه أكثرهم بالشذوذ والندرة[٤]،

=

"أمالي ابن الشجري"، ١: ٣٧٧- ٣٧٨.

(١) ينظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ٤: ٢٧٣؛ وابن جني، "سر صناعة الإعراب"، ٢: ٢٦٧.

(٢) ينظر: الفراهيدي، "العين"، ٨: ٩٩؛ والعكبري، "التبيان في إعراب القرآن"، ٢: ٧٥٦، والسمين الحلبي، "الدر المصون"، ٦: ١٣٨، ٩: ٦٧٤.

(٣) ينظر: الأزهري، " تهذيب اللغة"، ١٤: ١٦٤، والواحدي، "التفسير البسيط"، ١١: ٩٢؛ و١٢: ٣٣٢؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٥: ٤٨.

(٤) ينظر: ابن مالك، "تسهيل الفوائد"، ٢٧٠؛ وابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٣؛ وابن منظور، "لسان العرب"، مادة: جوز، ٥: ٣٢٨؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٢؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤١٠، والسمين الحلبي، "الدر المصون"، ٧: ٣٨، ٩: ٦٧٤؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ٩: ٤٧٧١؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٧؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣:٣٥٠، والزبيدي، "تاج العروس"، مادة: جوز، ١٥: ٨٠؛ والألوسي، "روح المعاني"، ١٣: ١٨٢- ١٨٣.

وحكاه بعضهم ولم يقل بشذوذه(١).

وبناء على ما سبق فالذي أذهب إليه هو أَنَّ جمع (وادٍ) على (أَوْدِيَة) ليس شاذًّا، وَأَنَّ أكثر أقوال من سبق ذكرهم نصَّت على أَنَّ جمع فَاعِلٍ عَلَى أَفْعِلَةٍ شَاذٌّ، إلا أَنَّهُ سُمِع جمع (وادٍ) على (أَوْدِيَة)، وقد ورد في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، وورد في السنة النبوية، كما في حديث الاستسقاء، وفيه: "اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ، وَالْآجَامِ وَالظِّرَابِ، وَالْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ"(٢).

أَمَّا جمع (نَادٍ) على (أَنْدِيَة)، وجمع (جَائِز) على (أَجْوِزَة)، فأرى أنهما من الجموع الشاذة، وذلك تبعًا لرأي أكثر النحويين واللغويين والمفسرين، وَإِنَّمَا استثنيتُ جمع وادٍ على أَوْدِيَة؛ لكثرة سماعه، ولما حكاه بعضهم من أَنَّهُ لم يسمع جمع فاعل على أَفْعِلَة غيره(٣).

---

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٣٥١، والأزهري، "تهذيب اللغة"، ١١: ١٠٢؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤١٠، والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٤٢؛ والفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، مادة: جوز، ٥٠٦، والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٧.

(٢) ينظر: البخاري، "صحيح البخاري"، ٢: ٢٨، حديث رقم: (١٠١٣)؛ ومسلم، "صحيح مسلم"، ٦١٢/٢، حديث رقم: (٨٩٧).

(٣) ينظر: ابن خالويه، "ليس في كلام العرب"، ٣٣٢؛ الحسن بن أحمد الفارسي. "الحجة للقراء السبعة". تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، (ط٢، دمشق/بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م). ٥: ٣٧٩؛ والواحدي، "التفسير البسيط"، ١٢: ٣٣٢؛ ومحمد بن عمر فخر الدين الرازي. "التفسير الكبير". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ). ١٩: ٣٠؛ وعبد الله بن الحسين العكبري. "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق: علي محمد البجاوي، (د.ط، القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، =

ج- جمع فَعِيْل على أَفْعِلَة:

ذكر أبو حيان أَنَّ جمع (شَحِيحٍ) على أَشِحَّة جمعٌ لا ينقاس، فقال: "أَشِحَّةً: جَمْعُ شَحِيحٍ، وَهُوَ الْبَخِيلُ، وَهُوَ جَمْعٌ لَا يَنْقَاسُ، وَقِيَاسُهُ فِي الصِّفَةِ الْمُضَعَّفَةِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ أَفْعِلاء، نَحْوَ: خَلِيلٍ وَأَخِلَّاءٍ فَالْقِيَاسُ أَشِحَّاءٌ، وَهُوَ مَسْمُوعٌ أَيْضًا"(١).

وهذا الجمع ذكره سيبويه فقال: "وقد يُكَسِّرُونَ المضاعفَ على أَفْعِلَةٍ، كما كسَّروه على أَفْعِلاء، وَإِنَّمَا هذان البناءان للأسماء، يعني أفعلةً وأفعلاء. وكما جاز أفعلاءٍ جاز أَفْعِلَةٌ، وهي بعد بمنزلتها في البناء، وفي أنَّ آخره حرف تأنيث كما أنَّ آخر هذا حرف تأنيث، نحو: أَشِحَّةٍ"(٢).

فالذي يدل عليه كلام سيبويه أنَّ جمع الصِّفَةِ الْمُضَعَّفَةِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ على أَفْعِلَة جمعٌ منقاس، وذكر السيرافي أَنَّهُ كثير، وأورد منه: "أَعِزَّةٌ"، و"أَذِلَّةٌ"(٣).

وذهب أبو حيان في كتابه ارتشاف الضرب إلى أنَّ مما سُمِع جمعه على أَفْعِلَة: شَحِيح، ونَجِيّ، قالوا: أَشِحَّة، أَنْجِيَة، فهما من المسموع الذي لا يقاس عليه(٤).

وهذا موافق لما ذكره النحاة من أَنَّ جمع فَعِيْل على أَفْعِلَة مما ينقاس فيه، ومنه:

=

د.ت). ٢: ٧٥٦؛ وصدر الأفاضل، "التخمير شرح المفصل"، ٢: ٣٦٤، وأبو السعود، "تفسير أبي السعود"، ٥: ١٤.

(١) أبو حيان، "البحر المحيط"، ٨: ٤٦٣.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٣٤.

(٣) ينظر: السيرافي، "شرح الكتاب"، ٤: ٣٧٧.

(٤) ينظر: أبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٧.

جَرِيبٌ وأَجْرِبَةٌ، وكَثِيبٌ وأَكْثِبَةٌ، ورَغِيفٌ وأَرْغِفَةٌ[١].

وأَمَّا جمع شحيح على أَشِحَّة، فقد ذهب بعض النحويين[٢] والمفسرين[٣] إلى أَنَّ هذا الجمع محفوظ لا يقاس عليه، وقال بعضهم بأَنَّهُ قليل نادر[٤].

وقد أشرتُ في أول هذه المسألة إلى أَنَّ سيبويه يرى جواز هذا الجمع، ولم يقل بشذوذه[٥]، وتابعه على ذلك جمع من النحويين[٦]، ووافقهم عليه بعض المفسرين[٧].

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٤، والمبرد، "المقتضب"، ٢: ٢٠٩؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ٤٤٩، ٣: ٦؛ وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٤٧.

(٢) ينظر: ابن مالك، "تسهيل الفوائد"، ٢٧٠؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤٠٨؛ والمرادي، "تمهيد القواعد"، ٩: ٤٧٧١؛ ومحمد بن أبي بكر ابن القيم. "إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد بن عوض بن محمد السهلي، (ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م). ٢: ٨٩٩، والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٣٩؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٧.

(٣) ينظر: السمين الحلبي، "الدر المصون"، ٩: ١٠٥؛ والألوسي، "روح المعاني"، ١١: ١٦٢.

(٤) ينظر: المرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٢؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٥٠.

(٥) ينظر: ص ٢٨ من هذه الدراسة.

(٦) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو"، ٣: ١٧؛ وأبو علي الفارسي، "التكملة"، ٤٧٦؛ والزمخشري، "المفصل"، ٢٤١؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٨٤؛ وابن الحاجب، "الشافية في علم التصريف"، ١: ٤٩؛ والرضي، "شرح شافية ابن الحاجب"، ٢: ١٣٥؛ والفارضي، "شرح الفارضي على ألفية ابن مالك"، ٤: ٢٠٨، ٢٣١.

(٧) ينظر: الواحدي، "التفسير البسيط"، ٧: ١٣١، ١٨: ٢٠٦؛ و القرطبي، "تفسير القرطبي"، ١٨: ٢٩؛ ومحمد بن محمد العمادي. "تفسير أبي السعود". (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت). ٧: ٩٦.

وأَمَّا جمع نجيّ على أَنْجِيَة، فمن النحويين من قال بِأَنَّ هذا الجمع من المحفوظ الذي لا يقاس عليه(١)، وقال بعضهم بأَنَّهُ قليل نادر(٢).

والذي يترجح لدي -بعد هذا العرض- أَنَّ جمع (فعيل) على (أَفْعِلَة) ليس شاذًّا، بل هو مطَرد قياسًا واستعمالًا، والحكم بالشذوذ لم يرد إلا عند قلة من النحويين.

(١) ينظر: ابن مالك، "تسهيل الفوائد"، ٢٧٠؛ وابن عقيل، "المساعد"، ٣: ٤٠٨؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ٩: ٤٧٧٣؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٤٠؛ والأزهري، "التصريح"، ٢: ٥٢٧.

(٢) ينظر: السيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٥٠.

المبحث الرابع: ما جُمِع شذوذًا على (فِعْلَة)

ورد على هذا البناء جمعٌ واحدٌ في تفسير البحر المحيط، قال أبو حيان الأندلسي بشذوذه، وهو جمع غُلَام على غِلْمَة. وفيما يلي تفصيل القول فيه:

– جمع غُلَام على غِلْمَة:

قال أبو حيان: "الْغُلَامُ: الشَّابُّ مِنَ النَّاسِ...، وَجَمْعُهُ عَلَى: غِلْمَةٍ، شَاذٌّ وَقِيَاسُهُ فِي الْقِلَّةِ: أَغْلِمَةٌ، وَجُمِعَ فِي الْكَثْرَةِ عَلَى: غِلْمَانٍ، وَهُوَ قِيَاسُهُ»[(١)].

الدراسة:

(غِلْمَة) على وزن (فِعْلَة)، وهذا الوزن من أبنية جمع القلة، ويرى الصرفيون أَنَّ هذا البناء من السماعي الذي لا يطرّد في مفردات معينةٍ، والألفاظ التي جاءت مجموعة على هذه الصيغة نُقلِت سماعًا، ولا يقاس عليها في جمع غيرها من الألفاظ[(٢)]؛ ولذلك تعددت أبنية المفرد التي جمعت على هذا البناء.

ومن أوزان المفرد التي جمعت على هذا البناء ما يلي[(٣)]:

- فَعَل، نحو: فَتَى وفِتْيَةٍ.

---

(١) أبو حين، "البحر المحيط"، ٣: ١٠٨.

(٢) ينظر: ابن مالك، "شرح الكافية الشافية"، ٤: ١٨٢٥-١٨٢٦؛ وابن الناظم، "شرح الألفية"، ٥٤٩؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤٤١١٨- ٤١٩؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣:١١٣٨٨٤٤؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٥١١.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٣؛ والسيرافي، "شرح الكتاب" ٤: ١٥٢؛ وابن القَطَّاع الصقلي، "أبنية الأسماء والأفعال والمصادر"، تحقيق: أحمد محمد عبد الدايم، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٩م). ٢٦٤؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٩؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٥٤- ٥٥؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٥١.

- فُعَال، نحو: غُلاَمٍ وغِلْمَةٍ.
- فَعْل، نحو: شَيْخ وشِيخَةٍ.
- فَعَال، نحو: غَزَال وغِزْلَةٍ.
- فَعِيْل، نحو: صَبِيّ وصِبْيَةٍ.

وقد ألمح سيبويه إلى أَنَّ بعض العرب تستسيغ جمع صيغتي (فَعَل) و(فُعال) اللتين للمفرد على (فِعْلة) أكثر من جمعهما على صيغتي أَفْعِلَة وأَفْعَال اللتين هما الأصل قياس جمع لهاتين الصيغتين، كفتى: فتية، وغلام: غِلْمة، حيث يقول: "وغُلام وغِلمان، ولم يقولوا: أَغْلِمَة، واستغنوا بقولهم: ثلاثة غِلْمة، كما استغنوا بفتية عن أَفْتَاء"(١).

وقد تابع سيبويه جمعٌ من النحويين(٢) واللغويين(٣)، فحكوا ورود هذا الجمع عن العرب، ولم يحكموا بشذوذه؛ لِأَنَّهُ ليست من الأبنية المقيسة.

فالحكم بشذوذ جمع (غُلام) على (غِلْمَةٍ) لم يقل به -وفق ما وقفت عليه- سوى أبي حيان(٤)، وتابعه السمين الحلبي(٥).

---

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٣.

(٢) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٢: ٢١١؛ وابن جني، "الخصائص"، ٣: ٢٤٦؛ والسيرافي، "شرح الكتاب"، ٤: ١٥٢؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٧٦؛ وابن الناظم، "شرح الألفية"، ٥٤٩؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٨- ٤١٩؛ والمرادي، "توضيح المقاصد"، ٣: ١٣٨٤؛ وابن عقيل، "شرح الألفية"، ٤: ١١٩؛ والشاطبي، "المقاصد الشافية"، ٧: ٥٤- ٥٥؛ والسيوطي، "همع الهوامع"، ٣: ٣٦١؛ والفارضي، "شرح الألفية"، ٤: ٢١١.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة، ٩٦٠/٢، والصحاح، ١٧٨١/٥، ومقاييس اللغة، ٣٨٧/٤، والمخصص، ٦٠/١، ولسان العرب، ٤٩٣/١١، وتاج العروس، ١٧٦/٣٣.

(٤) أبو حيان، " البحر المحيط"، ٣: ١٠٨.

(٥) السمين الحلبي، "الدر المصون"، ٣: ١٦٠.

وأبو حيان نفسه حكى ورود هذا الجمع في مواضع أخرى من كتبه، ولم يحكم عليه بالشذوذ[١].

والنحاة يذكرون الشذوذ في تصغير غُلَام على أُغَيلِمَة[٢]، كَأَنَّهُ تصغير أَغْلِمَة، والقياس فيه غُلَيْمَةٌ[٣]. ويذكرون أَنَّهُم استغنوا بغِلْمَةٍ عن أغْلِمَةٍ، من باب الاستغناء ببناء الأقل عن الأقل، وهو أسهل من بناء الأكثر عن الأقل، وبناء الأقل عن الأكثر[٤].

وبناء على ما سبق فالذي يترجَّح لديَّ هو جواز جمع (غُلام) على (غِلْمَةٍ)؛ متابعة لجمهور النحويين واللغويين والمفسرين، كما أَنَّ مما قرره النحويون أَنَّ بناء القلة (فِعْلَة) موقوفٌ على ما سُمع منه، وقد سُمع عن العرب جمع (فُعَال) على (فِعْلَة)، نحو: غُلاَمٍ وغِلْمَةٍ، كما مرَّ بنا[٥]، والله أعلم.

(١) أبو حيان، " البحر المحيط"، ٩: ٥١٦، ٥٤٩؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب"، ١: ٤١٨-٤١٩.

(٢) ينظر: ابن عقيل، " المساعد"، ٣: ٥٢٢؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ١٠: ٤٨٧٠.

(٣) ينظر: ابن عقيل، " المساعد"، ٣: ٥٢٢؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ١٠: ٤٨٧٠

(٤) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٣: ٦٠٣، وابن سيده، "المخصص"، ١: ٦٠، وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٣: ٢٧٦.

(٥) ينظر: ص٣٠ من هذه الدراسة.

الخاتمة:

بعد استقصاء الجموع التي حكم عليها أبو حيان الأندلسي بالشذوذ في تفسيره البحر المحيط، وقراءة متأنية لرأيه في ضوء ما قرّره النحويون واللغويون، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- أَنَّ الحكم على بعض الجموع بالشذوذ ليس محل اتفاق، وَأَنَّ أبا حيان –رحمه الله– كان يتّبع منهجًا صارمًا في التقعيد الصرفي، متأثرًا بسابقيه، خصوصًا سيبويه وابن جني.

٢- أظهرت الدراسة أَنَّ جموع القلة الشاذة في تفسير البحر المحيط تعكس وعي أبي حيان بالتفريق بين القياس والسماع، وَأَنَّ حكمه بالشذوذ غالبًا ما ينبني على مخالفة القاعدة الصرفية المقررة عند البصريين.

٣- أَنَّ بعض هذه الجموع –عند التحقيق– يُعَدُّ مطردًا في الاستعمال، أو مقبولًا عند جمهور النحويين، وهو ما يرجّح أَنَّ الشذوذ هنا يخضع لتباين المذاهب النحوية وتعدد مناهجها.

٤- أَنَّ بعض ما حكم عليه أبو حيان بالشذوذ من جموع القلة هو من الجائز عند جمهور النحاة والمفسرين لاطراده في الاستعمال، وفي المقابل، هناك جموع قليلة حكم بشذوذها؛ لخروجها عن القياس، وعدم شيوعها في الاستعمال.

التوصيات:

١. إجراء دراسة مقارنة بين تفسير البحر المحيط وتفاسير أخرى كـ"الكشاف" للزمخشري، لرصد الفروقات في الحكم على الجموع الخارجة عن القياس.

٣. دعوة الباحثين إلى إعادة النظر في الأحكام النحوية القديمة في ضوء القرائن

الاستعمالية والشواهد القرآنية والحديثية.

٤. إنشاء معجم لغوي خاص بـ "جموع القلة الشاذة"، يتتبّعها في مصادر اللغة والتفسير والحديث والشعر؛ لتيسير الوقوف عليها.

٥. توظيف المعالجة الآلية للنصوص للكشف الإحصائي عن تكرار هذه الجموع ودرجات شيوعها في التراث العربي.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري. "البديع في علم العربية". تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ).

الأزهري، خالد بن عبد الله. "التصريح على مضمون التوضيح". تحقيق: محمد باسل، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

الأزهري، محمد بن أحمد. "تهذيب اللغة". تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

الأشموني، علي بن محمد. "شرح ألفية ابن مالك". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

الألوسي، محمود بن عبد الله. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث. "ديوان امرئ القيس". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٥، دار المعارف، ١٩٦٩م).

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، "أسرار العربية"، تحقيق: فخر صالح قدارة، (ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥م).

الأنباري؛ عبد الرحمن بن محمد. "الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو". تحقيق: سعيد الأفغاني. (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم. "المذكر والمؤنث". تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة: وزارة الأوقاف- لجنة إحياء التراث، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

البخاري، محمد بن إسماعيل. "الجامع الصحيح المختصر = صحيح البخاري".

تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٢هـ).
البغوي، الحسين بن مسعود. "معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي". تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، (ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).
الجرجاني، علي بن محمد. "التعريفات". تحقيق: إبراهيم الأبياري، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).
ابن جني، أبو الفتح عثمان. "الخصائص". (ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
ابن جني، أبو الفتح عثمان. "اللُّمَع في العربية". تحقيق: فائز فارس، (ط٢، إربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).
ابن جني، أبو الفتح عثمان. "سر صناعة الإعراب". تحقيق: حسن هنداوي، (دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).
الجوهري، إسماعيل بن حماد. "الصحاح". (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م).
ابن الحاجب، عثمان بن عمر. "الشافية في علمي التصريف والخط". إعداد: صالح عبد العظيم الشاعر، (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).
ابن الحاجب، عثمان بن عمر. "أمالي ابن الحاجب"، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م).
أبو حيان، محمد بن يوسف. "التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق: حسن هنداوي، (ط١، دمشق: دار القلم، وبيروت: دار كنوز إشبيليا، د.ت).
أبو حيان، محمد بن يوسف. "ارتشاف الضرب من لسان العرب"، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ –

١٩٩٨م).

أبو حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط في التفسير". تحقيق: صدقي محمد جميل. (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

ابن خالويه، الحسين بن أحمد. "ليس في كلام العرب". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٢، مكة المكرمة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

ابن الخباز، أحمد بن الحسين. "توجيه اللُّمَع". تحقيق: فايز زكي محمد دياب، (ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٧م).

الخضري، محمد. "حاشية الخضري على شرح ابن عقيل". (ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

الخفاجي، أحمد بن محمد. "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي". (د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت).

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. "جمهرة اللغة". تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

الرضي الأستراباذي، محمد بن الحسن. "شرح الشافية". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

رضي الدين الأستراباذي، محمد بن الحسن. "شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب". تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، (ط٢، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٦م).

الرفايعة، عباس حسين. "ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي". (ط١، عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م).

رؤبة بن العجاج، "ديوان رؤبة بن العجاج". تحقيق: وليم بن الورد، (ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م).

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. "الجمل في النحو". حققه: د. علي توفيق

الحمد، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
الزمخشري، محمود بن عمرو. "الكشاف". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
الزمخشري، محمود بن عمرو. "المفصل في صنعة الإعراب". تحقيق: د. علي بو ملحم، (ط١، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣م).
السامرائي، فاضل صالح. "معاني الأبنية في العربية". (ط٢، عمّان: دار عمار، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).
ابن السراج، محمد بن السري. "الأصول في النحو"، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت).
السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (د.ط، دمشق: دار القلم، د.ت).
سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م).
ابن سيدة، علي بن إسماعيل. "المخصص". تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
السيرافي، الحسن بن عبد الله. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (د.ط، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت).
الشاطبي، إبراهيم بن موسى. "المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية". تحقيق: معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، (ط١، مكة المكرمة: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

ابن الشجري، هبة الله بن علي. "أمالي ابن الشجري"، تحقيق: محمود محمد الطناحي، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م).

الشنفرى، عمرو بن مالك. "ديوان الشنفرى". جمع وتحقيق: إميل بديع يعقوب، (ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

ابن الصائغ، محمد بن حسن. "اللمحة في شرح الملحة". تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، (ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

الصبان، محمد بن علي. "حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي، "التخمير شرح المفصل". تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م).

الصيمري، عبد الله بن علي بن إسحاق. "التبصرة والتذكرة". تحقيق: أحمد مصطفى علي الدين، (ط١، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

ابن عصفور، علي بن مؤمن. "المقرب". تحقيق: عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، (د.ط، القاهرة: وزارة الأوقاف، ١٩٨٦م).

عضيمة، محمد عبد الخالق. "دراسات لأسلوب القرآن الكريم". (د.ط، القاهرة: دار الحديث، د.ت).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. "شرح ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن. "المساعد على تسهيل الفوائد". تحقيق: د. محمد كامل بركات، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، بيروت: دار الفكر، دمشق؛ جدة: دار المدني، ١٤٠٠هـ - ١٤٠٥هـ).

العكبري، عبد الله بن الحسين. "إعراب لامية الشنفري"، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، (ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
العكبري، عبد الله بن الحسين. "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق: علي محمد البجاوي، (د.ط، القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت).
العكبري، عبد الله بن الحسين. "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق: عبد الإله النبهان، (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد. "التعليقة على كتاب سيبويه". تحقيق: عوض بن حمد القوزي. (القاهرة: مطبعة الأمانة، ١٤١٠هـ).
أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد. "التكملة". تحقيق: كاظم بحر المرجان، (ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد. "الحجة للقراء السبعة". تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، (ط٢، دمشق/بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد. "المسائل البغداديات". تحقيق: صلاح الدين عبدالله السنكاوي، (د.ط، بغداد: مطبعة العاني، د.ت).
العمادي، محمد بن محمد. "تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
ابن فارس، أحمد. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
الفارضي، شمس الدين محمد. "شرح الفارضي على ألفية ابن مالك". تحقيق: مصطفى الخطيب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م).

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر. "التفسير الكبير". (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "العين". تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

القرطبي، محمد بن أحمد. "تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

القزاز القيرواني، "ما يجوز للشاعر في الضرورة". تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، (د.ط، الكويت: دار العروبة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

ابن القَطَّاع الصقلي، "أبنية الأسماء والأفعال والمصادر"، تحقيق: أحمد محمد عبد الدايم، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٩م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد بن عوض بن محمد السهلي، (ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).

ابن مالك، محمد بن عبد الله. "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق: محمد كامل بركات، (د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

ابن مالك، محمد بن عبد الله. "شرح التسهيل". تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، (ط١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٠م).

ابن مالك، محمد بن عبد الله. "شرح الكافية الشافية". تحقيق: عبد المنعم أحمد

هريدي، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

المبرد، محمد بن يزيد. "المقتضب". تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة: وزارة الأوقاف، د.ط، ١٣٨٦هـ).

المرادي، حسن بن قاسم. "توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك". تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (ط١، بيروت: دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م).

مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.ط، بيروت: دار الهداية، د.ت).

ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

ناظر الجيش، محمد بن يوسف. "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد". تحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، (ط١، القاهرة: دار السَّلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨هـ).

ابن الناظم، بدر الدين. "شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. "صحيح مسلم". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

ابن هشام، عبد الله بن يوسف. "أوضح المسالك"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت).

الواحدي، علي بن أحمد. "التفسير البسيط". (ط١، الرياض: عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ).

ابن ولاد، أحمد بن محمد بن الوليد. "المقصور والممدود". تحقيق: بولس برونله،

(مطبعة ليدن، ١٩٠٠م).

ابن يسعون، يوسف بن يبقي. "المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح". تحقيق ودراسة: محمد بن حمود الدعجاني، (ط١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

ابن يعيش، يعيش بن علي. "شرح المفصل". تحقيق: إميل بديع يعقوب، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

Bibliography

Ibn al-Athīr, al-Mubārak ibn Muḥammad al-Jazarī. "Al-Badīʿ fī ʿIlm al-ʿArabiyyah", investigated and studied by: Fatḥī Aḥmad ʿAlī, (1st ed., Makkah al-Mukarramah: Umm al-Qurā University, 1420 A.H).

Al-Azharī, Khālid ibn ʿAbdillāh. "Al-Taṣrīḥ ʿalā Maḍmūn al-Tawḍīḥ", investigated by: Muḥammad Bāsil, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1421 A.H. / 2000).

Al-Azharī, Muḥammad ibn Aḥmad. "Tahdhīb al-Lughah", investigated by: Muḥammad ʿAwaḍ Murʿib, (1st ed., Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 2001).

Al-Ashmūnī, ʿAlī ibn Muḥammad. "Sharḥ Alfiyyat Ibn Mālik", (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1419 A.H. / 1998).

Al-Ālūsī, Maḥmūd ibn ʿAbd Allāh. "Rūḥ al-Maʿānī fī Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm wa-l-Sabʿ al-Mathānī", investigated by: ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭiyyah, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1415 A.H.).

Imruʾ al-Qays ibn Ḥujar ibn al-Ḥārith. "Dīwān Imriʾ al-Qays", investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, (5th ed., Cairo: Dār al-Maʿārif, 1969).

Al-Anbārī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad, "Asrār al-ʿArabiyyah", investigated by: Fakhr Ṣāliḥ Qaddārah, (1st ed., Beirut: Dār al-Jīl, 1995).

Al-Anbārī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad, "Al-Ighrāb fī Jadal al-Iʿrāb wa-Lumaʿ al-Adillah fī Uṣūl al-Naḥw", investigated by Saʿīd al-Afghānī, (1st ed., Damascus: Dār al-Fikr, 1377H/1957).

Al-Anbārī, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Qāsim, "Al-Mudhakkar wa-l-Muʾannath", investigated by Muḥammad ʿAbd al-Khāliq ʿAẓīmah, (1st ed., Cairo: Ministry of Endowments - Heritage Revival Committee, 1401 AH/1981).

Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl, "Ṣaḥīḥ al-Bukhārī", investigated by: Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir, (1st ed., Beirut: Dār Ibn Kathīr, 1422 AH).

Al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Masʿūd, "Maʿālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qurʾān = Tafsīr al-Baghawī", investigated by Muḥammad ʿAbd Allāh al-Nimr, ʿUthmān Jumʿah Ḍumayriyah, and Sulaymān Muslim al-Ḥarash, (4th ed., Riyadh: Dār Ṭayyibah li-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ, 1417H/1997).

Al-Jurjānī, ʿAlī ibn Muḥammad, "Al-Taʿrīfāt", investigated by: Ibrāhīm al-Abyārī, (1st ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1405 AH).

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʿUthmān, "Al-Khaṣāʾiṣ", (4th ed., Cairo: Egyptian General Book Authority).
Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʿUthmān, "Al-Lumaʿ fī al-ʿArabiyyah", investigated by Fāʾiz Fāris, (2nd ed., Irbid: Dār al-Amal, 2001).
Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʿUthmān, "Sir Ṣināʿat al-Iʿrāb", investigated by: Ḥasan Hindāwī, (Damascus: Dār al-Qalam, 1413 AH/1993).
Al-Jawharī, Ismāʿīl ibn Ḥammād, "Al-Ṣiḥāḥ", (4th ed., Beirut: Dār al-ʿIlm li-l-Malāyīn, 1407 AH/1987).
Ibn al-Ḥājib, ʿUthmān ibn ʿUmar, "Al-Shāfiyah fī ʿIlmai al-Taṣrīf wa-l-Khaṭṭ", prepared by Ṣāliḥ ʿAbd al-ʿAẓīm al-Shāʿir, (1st ed., Cairo: Maktabat al-Ādāb, 2010).
Ibn al-Ḥājib, ʿUthmān ibn ʿUmar, "Amālī Ibn al-Ḥājib", investigated by: Fakhr Ṣāliḥ Sulaymān Qaddārah, (Beirut: Dār al-Jīl, 1989).
Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, "Al-Tadhyīl wa-l-Tatmīl fī Sharḥ Kitāb al-Tashīl", investigated by: Ḥasan Hindāwī, (1st ed., Damascus: Dār al-Qalam; Beirut: Dār Kunūz Ishbīliyyah).
Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, "Irtishāf al-Ḍarab min Lisān al-ʿArab", investigated, explained, and studied by: Rajab ʿUthmān Muḥammad, (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1418 AH/1998).
Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, "Al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr", investigated by: Ṣidqī Muḥammad Jamīl, (1st ed., Beirut: Dār al-Fikr, 1420 AH).
Ibn Khālawaih, al-Ḥusain ibn Aḥmad, "Laisa fī Kalām al-ʿArab", investigated by: Aḥmad ʿAbd al-Ghafūr ʿAṭṭār, (2nd ed., Makkah al-Mukarramah, 1399 AH/1979).
Ibn al-Khabbāz, Aḥmad ibn al-Ḥusain, "Tawjīh al-Lumaʿ", investigated by: Fāʾiz Zakī Muḥammad Diyāb, (2nd ed., Dār al-Salām, 2007).
Al-Khuḍarī, Muḥammad, "Ḥāshiyat al-Khuḍarī ʿalā Sharḥ Ibn ʿAqīl", (2nd ed., Beirut: Dār al-Fikr, 1424 AH/2003).
Al-Khafājī, Aḥmad ibn Muḥammad, "Ḥāshiyat al-Shihāb ʿalā Tafsīr al-Baiḍāwī", (Beirut: Dār Ṣādir).
Ibn Duraid, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan, "Jamharat al-Lughah", investigated by: Ramzī Munīr Baʿlabakkī, (1st ed., Beirut: Dār al-ʿIlm li-l-Malāyīn, 1987).
Al-Raḍī al-Astarābādhī, Muḥammad ibn al-Ḥasan, "Sharḥ al-Shāfiyah", investigated by Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd et al., (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1395 AH/1975).
Raḍī al-Dīn al-Astarābādhī, Muḥammad ibn al-Ḥasan, "Sharḥ al-Raḍī

ʿalā al-Kāfiyah li-Ibn al-Ḥājib", revised and annotated by Yūsuf Ḥasan ʿUmar, (2nd ed., Benghazi: Manshūrāt Jāmiʿat Qāriyūnis, 1996).

Al-Rifāʿiʿah, ʿAbbās Ḥusain, "Ẓāhirat al-Shudhūdh fī al-Ṣarf al-ʿArabī", (1st ed., Oman: Dār Jarīr, 1426 AH/2006).

Ruʾbah ibn al-ʿAjjāj, "Dīwān Ruʾbah ibn al-ʿAjjāj", investigated by: William bin al-Ward, (2nd ed., Beirut: Dār al-Āfāq al-Jadīdah, 1980).

Al-Zajjājī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Isḥāq, "Al-Jumal fī al-Naḥw", investigated by: ʿAlī Tawfīq al-Ḥamd, (1st ed., Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1404 AH/1984).

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʿAmr, "Al-Kashshāf", (3rd ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1407 AH).

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ʿAmr, "Al-Mufaṣṣal fī Ṣanʿat al-Iʿrāb", investigated by: ʿAlī Bū Malḥam, (1st ed., Beirut: Maktabat al-Hilāl, 1993).

Al-Sāmuarāʾī, Fāḍil Ṣāleḥ, "Maʿānī al-Abniyah fī al-ʿArabiyyah", (2nd ed., Oman: Dār ʿAmmār, 1428 AH/2007).

Ibn al-Sarrāj, Muḥammad ibn al-Sirrī, "Al-Uṣūl fī al-Naḥw", investigated by: ʿAbd al-Ḥusain al-Fatlī, (Beirut: Muʾassasat al-Risālah).

Al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf, "Al-Durr al-Maṣūn fī ʿUlūm al-Kitāb al-Maknūn", investigated by: Aḥmad Muḥammad al-Khaṭṭāṭ, (Damascus: Dār al-Qalam).

Sībawaih, ʿAmr ibn ʿUthmān ibn Qunbar, "Al-Kitāb", investigated by: ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, (3rd ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1988).

Ibn Sīda, ʿAlī ibn Ismāʿīl, "Al-Mukhaṣṣaṣ", investigated by: Khalīl Ibrāhīm Jaffāl, (1st ed., Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1417 AH/1996).

Al-Sīrāfī, al-Ḥasan ibn ʿAbdillāh, "Sharḥ Kitāb Sībawaih", investigated by: Aḥmad Ḥasan Mahdalī and ʿAlī Sayyid ʿAlī, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2008).

Al-Suyūṭī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, "Hamʿ al-Hawāmiʿ fī Sharḥ Jamʿ al-Jawāmiʿ", investigated by: ʿAbd al-Ḥamīd Hindāwī, (Cairo: al-Maktabah al-Tawfīqiyyah).

Al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsā, "Al-Maqāṣid al-Shāfiyah fī Sharḥ al-Khulāṣah al-Kāfiyah", investigated by: Scientific Research Institute, Umm Al-Qura University, (1st ed., Makkah al-

Mukarramah, 1428 AH/2007).
Ibn al-Shajarī, Hibat Allāh ibn ʿAlī, "Amālī Ibn al-Shajarī", investigated by: Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1413 AH/1991).
Al-Shanfarā, ʿAmr ibn Mālik, "Dīwān al-Shanfarā", compiled and investigated by: Imīl Badīʿ Yaʿqūb, (2nd ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1417 AH/1996).
Ibn al-Ṣāʾigh, Muḥammad ibn Ḥasan, "Al-Lamḥah fī Sharḥ al-Mulḥah", investigated by: Ibrāhīm ibn Sālim al-Ṣāʿidī, (1st ed., al-Madīnah al-Munawwarah: Deanship of Scientific Research at the Islamic University, 1424 AH/2004).
Al-Ṣabbān, Muḥammad ibn ʿAlī, "Ḥāshiyat al-Ṣabbān ʿalā Sharḥ al-Ashmūnī li-Alfiyyat Ibn Mālik", (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1417 AH/1997).
Ṣadr al-Afāḍil al-Qāsim ibn al-Ḥusain al-Khwārazmī, "Al-Takhmīr Sharḥ al-Mufaṣṣal", investigated by: ʿAbd al-Raḥmān ibn Sulaymān al-ʿUthaymīn, (1st ed., Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1990).
Al-Saimarī, ʿAbdullāh ibn ʿAlī ibn Isḥāq. "Al-Tabsirah wa al-Tadhkirah", investigated by: Aḥmad Muṣṭafā ʿAlī al-Dīn, (1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Makkah al-Mukarramah: Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Umm al-Qura University, 1402 AH/1982).
Ibn ʿAṣfūr, ʿAlī ibn Muʾmin, "Al-Muqarrab", investigated by: ʿAbd al-Sattār al-Jawwārī and ʿAbdullāh al-Jubūrī, (Cairo: Ministry of Awqāf, 1986).
ʿUḍaimah, Muḥammad ʿAbd al-Khāliq, "Dirāsāt li-Uslūb al-Qurʾān al-Karīm", (Cairo: Dār al-Ḥadīth).
Ibn ʿAqīl, ʿAbdullāh ibn ʿAbd al-Raḥmān, "Sharḥ Alfiyyat Ibn Mālik", investigated by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd, (20th ed., Cairo: Dār al-Turāth, 1400 AH/1980).
Ibn ʿAqīl, ʿAbdullāh ibn ʿAbd al-Raḥmān, "Al-Musāʿid ʿalā Tashīl al-Fawāʾid", investigated by Muḥammad Kāmil Barakāt, (1st ed., Makkah al-Mukarramah: Umm Al-Qura University; Beirut: Dār al-Fikr; Damascus/Jeddah: Dār al-Madanī, 1400 AH/1985).
Al-ʿUkbarī, ʿAbdullāh ibn al-Ḥusain, "Iʿrāb Lāmiyyat al-Shanfarā", investigated by: Muḥammad Adīb ʿAbd al-Wāḥid Jumrān, (1st ed., Beirut: al-Maktab al-Islāmī, 1404 AH/1984).
Al-ʿAkbarī, ʿAbd Allāh ibn al-Ḥusayn, "Al-Tibyān fī Iʿrāb al-Qurʾān",

investigated by ʿAlī Muḥammad al-Bajjāwī, (n.ed., Cairo: ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāʾuh, n.d.).

Al-ʿAkbarī, ʿAbd Allāh ibn al-Ḥusayn, "Al-Lubāb fī ʿIlal al-Bināʾ wa-l-Iʿrāb", investigated by ʿAbd al-Ilāh al-Nabḥān, (1st ed., Damascus: Dār al-Fikr, 1416H/1995).

Abū ʿAlī al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad, "Al-Taʿlīqah ʿalā Kitāb Sībawayh", investigated by ʿAwaḍ ibn Ḥamad al-Qawzī, (Cairo: Maṭbaʿat al-Amānah, 1410H).

Abū ʿAlī al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad, "Al-Takmilah", investigated by Kāẓim Baḥr al-Marjān, (2nd ed., Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1419H/1999).

Abū ʿAlī al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad, "Al-Ḥujjah li-l-Qurrāʾ al-Sabʿah", investigated by Badr al-Dīn Qahwajī and Bashīr Jawaylābī, (2nd ed., Damascus/Beirut: Dār al-Maʾmūn li-l-Turāth, 1413H/1993).

Abū ʿAlī al-Fārisī, al-Ḥasan ibn Aḥmad, "Al-Masāʾil al-Baghdādiyyāt", investigated by: Ṣalāḥ al-Dīn ʿAbdullāh al-Sankāwī, (Baghdad: Maṭbaʿat al-ʿĀnī).

Al-ʿImādī, Muḥammad ibn Muḥammad, "Tafsīr Abī al-Suʿūd = Irshād al-ʿAql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm", (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī).

Ibn Fāris, Aḥmad, "Maqāyīs al-Lughah", investigated by: ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, (Beirut: Dār al-Fikr, 1399 AH/1979).

Al-Fāriḍī, Shams al-Dīn Muḥammad, "Sharḥ al-Fāriḍī ʿalā Alfiyyat Ibn Mālik", investigated by: Muṣṭafā al-Khaṭīb, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, 1439 AH/2018).

Fakhr al-Dīn al-Rāzī, Muḥammad ibn ʿUmar, "Al-Tafsīr al-Kabīr", (3rd ed., Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, 1420 AH).

Al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, "Al-ʿAin", investigated by: Mahdī al-Makhzūmī and Ibrāhīm al-Sāmarāʾī, (Beirut: Dār wa Maktabat al-Hilāl).

Al-Fairūzābādī, Muḥammad ibn Yaʿqūb, "Al-Qāmūs al-Muḥīṭ", investigated by: Heritage Research Office at Al-Resalah Foundation, supervised by: Muḥammad Naʿīm al-ʿArqusūsī, (8th ed., Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1426 AH/2005).

Al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tafsīr al-Qurṭubī = al-Jāmiʿ li-Aḥkām al-Qurʾān", investigated by: Aḥmad al-Bardūnī and Ibrāhīm Aṭfīsh, (2nd ed., Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 1384 AH/1964).

Al-Qazzāz al-Qairawānī, "Mā Yajūz li-al-Shāʿir fī al-Ḍarūrah", investigated by: Ramaḍān ʿAbd al-Tawwāb and Ṣalāḥ al-Dīn al-Hādī, (Kuwait: Dār al-ʿUrubah, 1401 AH/1981).

Ibn al-Qaṭṭāʿ al-Ṣaqlī, "Abniyat al-Asmāʾ wa-al-Afʿāl wa-l-Maṣādir", investigated by: Aḥmad Muḥammad ʿAbd al-Dāym, (Cairo: Dār al-Kutub wa-al-Wathāʾiq al-Qawmīyah, 1999).

Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr, "Irshād al-Sālik ilā Ḥalli Alfiyyat Ibn Mālik", investigated by: Muḥammad ibn ʿAwad ibn Muḥammad al-Sahlī, (1st ed., Riyadh: Aḍwāʾ al-Salaf, 1373 AH/1954).

Ibn Mālik, Muḥammad ibn ʿAbdillāh, "Tashīl al-Fawāʾid wa-Takmīl al-Maqāṣid", investigated by: Muḥammad Kāmil Barakāt, (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1387 AH/1967).

Ibn Mālik, Muḥammad ibn ʿAbdillāh, "Sharḥ al-Tashīl", investigated by: ʿAbd al-Raḥmān al-Sayyid and Muḥammad Badawī al-Mukhtūn, (1st ed., Dār Hijr, 1990).

Ibn Mālik, Muḥammad ibn ʿAbdillāh, "Sharḥ al-Kāfiyyah al-Shāfiyyah", investigated by: ʿAbd al-Munʿim Aḥmad Huraidī, (1st ed., Mecca: Umm Al-Qura University, Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, 1402 AH/1982).

Al-Mubarrid, Muḥammad ibn Yazīd, "Al-Muqtaḍab", investigated by: Muḥammad ʿAbd al-Khāliq ʿUḍaimah, (Cairo: Ministry of Awqāf, 1386 AH).

Al-Murādī, Ḥasan ibn Qāsim. "Tawḍīḥ al-Maqāṣid wa-l-Masālik be-Sharḥ Alfiyyat Ibn Mālik", investigated by: ʿAbd al-Raḥmān ʿAlī Sulaimān, (1st ed., Beirut: Dār al-Fikr al-ʿArabī, 1428 AH/2008).

Al-Zabīdī, Muḥammad ibn Muḥammad, al-Murtaḍā. "Tāj al-ʿArūs min Jawāhir al-Qāmūs", investigated by: a group of investigators, (Beirut: Dār al-Hidāyah).

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukram. "Lisān al-ʿArab", (3rd ed., Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH).

Nāẓir al-Jaish, Muḥammad ibn Yousuf. "Tamḥīd al-Qawāʿid be-Sharḥ Tashīl al-Fawāʾid", investigated by: ʿAlī Muḥammad Fākhr et al. (1st ed., Cairo: Dār al-Salām, 1428 AH).

Ibn al-Nāẓim, Badr al-Dīn. "Sharḥ Ibn al-Nāẓim ʿalā Alfiyyat Ibn Mālik", investigated by: Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, 1420 AH/2000).

Al-Naisābūrī, Muslim ibn al-Ḥajjāj. "Ṣaḥīḥ Muslim", investigated by: Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī, (Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-

ʿArabī).
Ibn Hishām, ʿAbdullāh ibn Yūsuf. "Awḍaḥ al-Masālik", investigated by: Yūsuf al-Shaikh Muḥammad al-Buqāʿī, (Beirut: Dār al-Fikr).
Al-Wāḥidī, ʿAlī ibn Aḥmad. "Al-Tafsīr al-Basīṭ", (1st ed., Riyadh: Deanship of Scientific Research - Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, 1430 AH).
Ibn Walād, Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-Walīd. "Al-Maqṣūr wa-al-Mamdūd", investigated by: Būlus Brunleh, (Leiden Press, 1900).
Ibn Yasʿūn, Yūsuf ibn Yubqī. "Al-Miṣbāḥ limā Aʿtam min Shawāhid al-Iḍāḥ", investigated and studied by: Muḥammad ibn Ḥamūd al-Daʿjānī, (1st ed., Madīnah al-Munawwarah: Deanship of Scientific Research at the Islamic University, 1429 AH/2008).
Ibn Yaʿīsh, Yaʿīsh ibn ʿAlī. "Sharḥ al-Mufaṣṣal", investigated by: Īmīl Badīʿ Yaʿqūb, (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, 1422 AH/2001).

التنبيهات الصرفية الخلافية
في كتاب الشرح الكبير لبَحْرَق الحضرمي(ت٩٣٠هـ)
جمعًا ودراسةً

A Compilation and Study of the Divergent Grammatical Notes Found in the Book “al-Sharh al-Kabir” by Bahraq al-Hadrami (D. 930 AH)

د. نوها جاد المولى علي جاد المولى

أستاذ النحو والصرف المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغات والعلوم الإنسانية بجامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية

البريد الجامعي: 141281@qu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
07/09/2025		15/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-003		

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على التنبيهات الصرفية الخلافية الواردة في كتاب "فتح الأقفال وحل الإشكال المشهور بالشرح الكبير لبَحْرَق الحضرمي"، وإبراز موقف بَحْرَق في هذه التنبيهات، وهل كان صائبًا فيها أو لا؟

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تبرز جهد عالمين جليلين هما: ابن مالك، ومنظومته "لامية الأفعال"، وبَحْرَق، وكتابه "فتح الأقفال"، وما حواه هذا الكتاب من تنبيهات صرفية لها الأثر في إثراء الدرس الصرفي؛ لذا انتظم بحثي في مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها، وقائمة للمراجع والمصادر.

واعتمدت في دراستي على المنهج الوصفي، وذلك بتتبع التنبيهات الصرفية الخلافية في كتاب "فتح الأقفال"، مرتبةً لها وفق ورودها في "لامية الأفعال"، وكتاب "فتح الأقفال"، وكان منهجي المتبع في عرض التنبيهات أن أذكر قول ابن مالك من "لامية الأفعال" ثم أتبعه بتنبيه بَحْرَق، يليه الشرح لمضمون هذا التنبيه، ثم الدراسة والتحليل، وذيلت كل تنبيه بخلاصة أرجح فيها الرأي المختار.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها استخدام بَحْرَق في تنبيهاته لمصطلحات صرفية جديدة لم يسبق إليها، كاستخدامه "للمفعَل، والمفعِل" في الدلالة على المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان.

الكلمات المفتاحية: التنبيهات، الخلافية، الصرفية، بَحْرَق، الشرح الكبير.

Abstract:

This research aims to shed light on the divergent morphological notes found in the book "Fath al-Aqfāl wa-Hallu al-Ishkāl known as al-Sharh al-Kabir" by Bahraq al-Hadrami, and to highlight Baḥraq's position regarding these notes, examining whether his views were accurate or not.

The importance of this study lies in its highlighting of the efforts of two great scholars: Ibn Malik, with his poem "Lāmiyat al-Afʿāl" and Bahraq, with his book "Fath al-Aqfāl", and the morphological notes contained in this book, which have enriched the study of grammar. Therefore, this study is organized into an introduction, a preface, seven chapters, and a conclusion that includes the most important findings, as well as a list of references and sources.

The study adopted the descriptive approach by following the divergent grammatical notes in the book "Fath al-Aqfal" and arranging them according to their appearance in "Lamiyat al-Afʿāl" and "Fath al-Aqfāl" the approach in presenting the notes was to first cite Ibn Mālik's statement from Lāmiyyat al-Afʿāl, followed by Baḥraq's corresponding notes, then provide an explanation of its content, followed by analysis and discussion. The researcher concluded each note with a summary in which he stated the preferred opinion.

One of the most important findings was Bahraq's use of new morphological terms in his notes that had not been used before, such as his use of "al-Mafʿal" and "al-Mafʿil" to refer to al-Maṣdarr al-Mīmī (the - verbal noun formed with the prefix mīm) and the names of time and place.

Keywords: Notes, divergent, Morphology, Bahraq, Al-Sharh al-Kabir.

المقدمة

نحمدك يا من خلق الإنسان وعلمه البيان، ونصلي ونسلم على حبيبك، وعلى آله وأصحابه الذين حازوا بقصب السبق في كل ميدان، وبعد:

يحفل تراثنا اللغوي بالعدد من المؤلفات الصرفية عظيمة النفع، ومن هذه المؤلفات منظومة "لامية الأفعال لابن مالك"، التي تعد من أشهر المنظومات في علم الصرف، تناول فيها مُؤَلِفها صرف الأفعال خاصة، ولها العديد من الشروح منها كتاب "فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير لبَحْرَق الحضرمي"، وهذا الكتاب على الرغم من أنه يحوي بين دفتيه العديد من القضايا الصرفية الغنية بالخلاف الصرفي، وأنه يعد شرحًا لأشهر منظومة صرفية؛ إلا أنه لم ينل من الشهرة والذيوع ما نالته غيره من الكتب الصرفية؛ لذا عقدت العزم منذ أن طالعت هذا الكتاب أن أتناول بعضًا من هذه القضايا الصرفية، فوقع اختياري على التنبيهات الصرفية الخلافية؛ لذلك جاء عنوانه:(التنبيهات الصرفية الخلافية في كتاب الشرح الكبير لبَحْرَق الحضرمي(ت٩٣٠هـ) –جمعًا ودراسةً–

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يأتي:

- أهمية كتاب "فتح الأقفال" فهو عصارة فكر عالم جليل كما أنه من الشروح المهمة للامية الأفعال، وهو حافل بالكثير من المسائل الصرفية الخلافية، وكان للتنبيهات النصيب الأكبر منها، ولا شك أن في دراسة هذه المسائل إثراء للدرس الصرفي.
- الوقوف على هذه التنبيهات الصرفية الخلافية التي أوردها بَحْرَق في كتابه لبيان أهي إكمال لما أورده ابن مالك في لاميته أم هي تلخيص فقط؟ مع بيان أهميتها ولا يتضح ذلك إلا بالدراسة.

- أن كتاب "فتح الأقفال" لم ينل من الشهرة والذيوع ما نالته غيره من الكتب، فأصبح في حكم المفقود، فخَفِي عن التناول، وعزَّ عن التداول مع ما فيه من قواعد صرفية هامة.
- لم يتناول أحد من الباحثين –فيما وقع بين يدي– هذه التنبيهات بالدراسة.

أهداف البحث:

- الوقوف على جهد عالمين جليلين هما: ابن مالك ومنظومته لامية الأفعال، وبَحْرَق وشرحه لهذه المنظومة.
- تسليط الضوء على كتاب أغفل عنه الباحثون، ألا هو: "فتح الأقفال وحل الإشكال" لبَحْرَق.
- توضيح موقف بَحْرَق في تنبيهاته، والجديد الذي أضافه، وكذلك ابن مالك هل كان ملمًا بكل القواعد الصرفية في لاميته، أم كانت خاضعة في بعض قواعدها لحكم الإطلاق؟
- إظهار أثر التنبيهات الصرفية الخلافية في إثراء الدرس الصرفي.

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث ما في لامية الأفعال لابن مالك، من سهو، أو إطلاق لحكم، أو تعميم، أو إيجاز لقاعدة صرفية، أو اختلاف لآراء ابن مالك بين مؤلفاته، بما يعرضه بَحْرَق في كتابه "فتح الأقفال" من تنبيهات صرفية خلافية، وإبراز أثر بَحْرَق في هذه التنبيهات، والجديد الذي أضفاه على الدرس الصرفي.

تساؤلات البحث:

- ما الجديد الذي تفرد به بَحْرَق في تنبيهاته؟
- هل أضاف بَحْرَق أفعالاً جديدة، إلى بعض القواعد لم يسبقه إليها غيره.؟
- ما المصطلحات الصرفية التي أضافها بَحْرق في تنبيهاته، ولم يُسبق إليها؟

– هل كان بَحْرَق في تنبيهاته يميل إلى مذهب نحوي معين؟

– هل كان ابن الناظم مؤيدًا لآراء والده فيما طُرِحَ له من آراء في كتاب "فتح الأقفال"؟

– هل آراء ابن مالك في لاميته موافقة لما ذهب إليه في التسهيل وشرحه؟

الصعوبات:

أما عن الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا، فكانت كالآتي:

– اختلاف وتناقض آراء ابن مالك بين مؤلفاته.

– قراءة كتاب فتح الأقفال لبَحْرَق عدة مرات؛ لوجود تنبيهات كثيرة، ولكن بعضها في الحقيقة يعد ملخصًا لما قاله ابن مالك في لاميته.

– يوجد مصطلح قريب من التنبيهات كان يستعمله بَحْرَق بين الحين والآخر، وهو "تتمات"، وهو في الغالب لا يعرض سوى موجز مختصر للمسألة التي تم طرحها؛ لذلك لم أتناوله في بحثي، واقتصرت على التنبيهات الخلافية.

حدود البحث:

اقتصر البحث على التنبيهات الصرفية (الخلافية) التي عالج بها بَحْرَق ما في لامية الأفعال من إيجاز لقاعدة أو إطلاق لحكم، وتوضيح ما إذا كان بَحْرَق صائبًا في آرائه أم لا.

الدراسات السابقة:

لم أجد –فيما وقع بين يدي– دراسات سابقة في ميدان هذا البحث غير هاتين الدراستين:

– **منهج بَحْرَق في كتاب "فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال"**، د. نورية بويش، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد (٢١)، ٢٠٢١م، وفيها يقدم الباحث تعريفًا باللامية، والشرح الكبير لبحرق ومنهج هذا الشرح، وما تضمنه من فوائد، وحصر الباحث ما كُتِب من

حواشٍ ودراسات حول هذا الشرح، وبهذا لم يخرج الباحث في حدود بحثه عن التعريف بكتاب "فتح الأقفال".

- **محمد بن عمر الحضرمي الشهير بـ" بَحْرَق"، حياته، وآثاره، ومكانته، وأمور مشكلة في ترجمته**، د. حديجان جمال رمضان، مركز حضرموت للدراسات التاريخية، المؤتمر العلمي الدولي الثاني التاريخ والمؤرخون الحضارمة، ٢٠١٧م، وفيه قدم الباحث تعريفًا ببَحْرَق الحضرمي، مبينًا جهوده وآثاره العلمية في مجالات متعددة، وأظهر في بحثه الجوانب المشكلة في ترجمته.

ومما سبق يتضح أن الدراسات السابقة، تختلف في مضمونها عن هذا البحث.

خطة البحث

هذا، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع.

فالمقدمة: عرضت فيها: أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وأسباب اختياري له، وأهدافه، ومشكلته، والصعوبات التي واجهتني، ومنهجي، وخطتي فيه.

وأما تمهيد: فجاء عنوانه: **(نبذة مختصر عن "بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ))**، تحدثت فيه عن بَحْرَق وآثاره.

أما الدراسة، فقسمتها إلى سبعة مباحث، وهي كالآتي:

المبحث الأول: التنبيه الأول: المضارع من "فَعَل" المثال الواوي.

المبحث الثاني: التنبيه الثاني: "فَعَل"، ودلالة مضارعه على المغالبة.

المبحث الثالث: التنبيه الثالث: حركة همزة الوصل.

المبحث الرابع: التنبيه الرابع: فَعِيل بمعنى مَفْعُول.

المبحث الخامس: التنبيه الخامس: "فَعْل" مصدر الثلاثي المتعدي بين القياس والسماع.

المبحث السادس: التنبيه السادس: المحذوف من المصدرين "إفْعَال، واسْتِفْعَال" المعتلين العين.

المبحث السابع: التنبيه السابع: "المفعَل والمفعِل" من المثال الواوي.

أما الخاتمة، فقد ضمنتها أهم النتائج، وبعض التوصيات التي توصلت إليها.

وذيلت هذا البحث بثبتٍ لأهم المصادر والمراجع التي استقيت منها المادة العلمية.

منهج البحث

١- اعتمدت في دراستي هذه على المنهج الوصفي؛ وذلك بتتبع التنبيهات الصرفية الخلافية في كتاب "فتح الأقفال"، مرتبةً لها وفق ورودها في "لامية الأفعال" لابن مالك، و"فتح الأقفال" لبَحْرَق.

٢- وضعت عنوانًا لكل تنبيه يتناسب مع المبحث الصرفي الذي يندرج تحته.

٣- ذكرت قول ابن مالك من لامية الأفعال، ثم أتبعه بتنبيه بَحْرَق.

٤- قدمت شرحًا موجزًا لما تضمنه التنبيه.

٥- تناولت التنبيه بالدراسة والتحليل، وكنت أتطرق من خلالهما لعرض آراء النحاة المتقدمين والمتأخرين المؤيدين والمعارضين لتنبيهات بَحْرَق، ومن بين هذه الآراء التي كنت أطرحها رأي ابن مالك، ورأي بَحْرَق، موضحةً حجة وأدلة كل فريق، موثقةً لكل رأي من مصادره الأصيلة -ما أمكن-.

٦- ذيلت كل تنبيه بخلاصة أرجح فيها الرأي المختار بناء على ما استندت إليه من أدلة وبراهين، موضحةً موقف ابن مالك، وموقف بَحْرَق، ورأي أيهما أولى بالقبول.

٧- وثقت الآيات القرآنية بإسنادها إلى سورها، والقراءات القرآنية بتخريجها وبنسبتها إلى قارئيها، والأبيات الشعرية بنسبتها إلى أصحابها، وإلى دواوينها

–ما أمكن–، ومواطن ورودها، وبحورها شعرية.

٨– ترجمت للعلماء غير المشهورين.

وبعد: فالحمد لله الذي أحصى كل شيء عددًا؛ فهذا بحثي: (التنبيهات الصرفية الخلافية في كتاب الشرح الكبير لبَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ) –جمعًا ودراسةً–، بذلت فيه وسعي وطاقتي، ويعلم الله أني لم أتوانَ، ولم أدخر في ذلك وسعًا؛ فإن كنت قد وفقت، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرى فحسبي أني حاولت أن أطرق بابًا من أبواب الدرس الصرفي، وأن أسهم في إضافة لبنة من لبناته، والله أسأل أن يجنبني الزلل، إنه سميع عليم.

﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس: ١٠].

تمهيد

(نبذة مختصر عن بَحْرَق الحضرمي(ت٩٣٠هـ)

نسبه:

هو مُحَمَّد بن عَمر بن الْمُبَارك بن عبد الله بن عَليّ الْحِمْيَرِي الْحَضْرَمِيّ الْيَمَانِيّ الشَّافِعِي الشهير ببَحْرَق[(١)].

مولده ونشأته:

وُلِدَ بحضرموت[(٢)] في النصف من شعبان، سنة تسع وستين وثمانمائة[(٣)]، ونشأ وترعرع بها فحفظ القرآن الكريم، و"منظومة البرماوي"، و"ألفية ابن مالك"[(٤)]، ثم انتقل من حضرموت إلى الشحر[(٥)] فأخذ عن العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، ومنها إلى "زبيد" وأخذ من علمائها العلوم الشرعية والفنون الأدبية، ثم رحل إلى

(١) أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع". (بيروت: دار مكتبة الحياة)، ٨: ٢٥٣.

(٢) محمد بن أبي بكر باعلوي، "السناء الباهر بتكملة النور السافر في أخبار القرن العاشر". تحقيق: إبراهيم ابن أحمد المقحفي، (ط١، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ٢٠٠٤م)، ٢٠٩.

(٣) حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود –عليه السلام– ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، "معجم البلدان". (ط، ٢ بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ٢: ٢٧٠.

(٤) السخاوي، "الضوء اللامع"، ٢: ٢٥٣.

(٥) إحدى المدن في حضرموت تقع في شرقي اليمن، وهي بين عمان وعدن، المصدر السابق، ٢: ١٣٨.

الحرمين الشريفين، وسمع من الحافظ السخاوي، ثم رجع إلى الديار اليمانية، وأخذ عن الشيخ حمزة الناشري وصاهره بزواجه من ابنته[(١)]، ثم عاد مرة أخرى إلى "عدن" في آخر أيامه، واتصل بمرجان الظافري والي المدينة، ولما توفي مرجان ذهب بَحْرَق إلى الهند، فقربه إليه سلطان الهند مظفر شاه ابن محمود شاه وعظمه، وأنزله المنزلة التي تليق به[(٢)].

مؤلفاته:

ألف بَحْرَق مؤلفات كثيرة في مجالات متعددة، كالحديث، والحساب، والطب، والنحو، والصرف، ومن هذه المؤلفات:

- عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر.
- الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة.
- فتح الرؤف في أحكام الحروف.
- شرح لامية ابن مالك في التصريف–موضوع البحث[(٣)].

(١) الشلي اليمني، "السناء الباهر"، ٢١٠.

(٢) محمد بن عمر بافقيه، "تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأدباء الصالحين". تحقيق: أحمد صالح رابضه، إشراف: د. شائف عبده سعيد، رسالة ماجستير للعام ٢٠٠٠م، ١٤٠.

(٣) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ". عُنى بتصحيحه: محمد شرف الدين يالتقايا، (إسطنبول: وكالة المعارف ١٣٦٠هـ- ١٣٦٢هـ)، ١٥٣٦.

وفاته:

توفي في **العشرين** من شعبان عام (٩٣٠هـ) ومات مقتولاً بالسم في الهند؛ وسبب ذلك أنه حظي بمكانة عالية لدى السلطان مظفر، فحقد عليه وزراء السلطان فكادوا له بالموت مسمومًا[١].

(١) بافقيه "تاريخ حوادث السنين"، ١٤٣؛ وعمر رضا كحالة، "معجم المؤلفين". (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ١١: ٩٠.

المبحث الأول

التنبيه الأول: المضارع من "فَعَل" المثال الواوي

قال ابن مالك:

وَأَفْـــرِدِ الْكَسْـــرَ فِيمَـــا مِـــن "وَرِثْ، وَوَلِي

وَرِمْ، وَرِعْـــتَ، وَمِقْـــتَ، مَـــعْ وَفِقْـــتَ حُلَـــى

وَثِقْـــتَ، مَـــعْ وَرِيَ الْمُـــخُّ احْوِهَـــا، وَأَدِمْ

كَسْـــراً لِعَـــيْنِ مُضَـــارِعٍ يَلِـــي فعَـــلَا (١)

نبه بَحْرَق على مجيء المضارع من فَعَل المثال الواوي بقوله: **"تنبيه"**: صرح في التسهيل(٢) بأن سائر العرب غير بني عامر(٣) يلتزم كسر مضارع هذا النوع، ولم يستثن منه شيئًا، ولا شرط له شرطًا، وهو مقتضى النظم(٤)، وذلك عجيب منه فإنه قد جاءت أفعال منه بالفتح، بل أنا أقول باشتراط كون لامه غير حرف حلق، فإني تتبعت مواده فوجدت حلقي اللام منه مفتوحًا، كوَجَأ التيس يجَؤه:..ودعَه يَدعَه:.....، ولم أعثر على ما شذ من ذلك غير، "وَضَحَ الأمر يَضِح"، ..، وأما

(١)أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك، "لامية الأفعال". تحقيق: د.عبد المحسن بن محمد القاسم، (ط ١، ٢٠٢١ م)، ٧٦.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك، "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق: محمد كامل بركات، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م)، ٣١٣.

(٣) هؤلاء بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ينظر: عمر رضا كحالة، "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة". (ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م)، ٢: ٧٠٤.

(٤) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٧٦.

حلقي العين منه فمكسور على إطلاق النظم والتسهيل....، وعبارته في التسهيل توهم أن بني عامر لا يلتزمون كسر مضارع هذا النوع، ولم ينقل غيره عنهم الضم إلا في: "وَجَده يجُده"، على أنه قال في القاموس: "وجد يجِده، يجُده" -بالضم- ولا نظير له انتهى، ومقتضاه أنه لغة عامة عن سائر العرب"[(١)].

الشرح لمضمون التنبيه

نبه بَحْرَق على أن ابن مالك أطلق كلامه في التسهيل وفي لامية الأفعال بأن مضارع فَعَل الواوي الفاء يكون مكسور العين مطلقًا عند سائر العرب غير بني عامر، ولم يستثنِ من ذلك شيئًا، ولا شرط لذلك شرطًا؛ ولكن بَحْرَق وجد أن هناك أفعالاً جاءت منه مفتوحة العين في المضارع، ومثل لذلك بعدة أمثلة بشرط أن يكون حلقي العين أو اللام، ولم يشذ من ذلك غير فعل واحد فإن مضارعه جاء مكسور العين مع كونه حلقي اللام، وهو "وَضَحَ، يضِح" وهذ الفعل لم يذكره في قائمة الشواذ غير بَحْرَق، والمفهوم من إطلاق ابن مالك في التسهيل والنظم أن مضارعه يكون مكسور العين دائمًا، كما أن عبارة ابن مالك في التسهيل توهم أن بني عامر يضمون عين مضارع "فَعَل" الواوي الفاء مطلقًا، وفي حقيقة الأمر لم ينقل النحاة عن بني عامر في ضمهم لعين مضارع هذا الفعل غير الفعل "وَجَدَ" فقالوا في مضارعه: "يَجُد"، ونقل الفيروزآبادي في هذا الفعل الوجهين كسر عين المضارع وضمها.

الدراسة والتحليل

(١) محمد بن يعقوب، "القاموس المحيط". مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (ط ٨، بيروت: لبنان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥ م)، ٣٢٤، مادة، " و. ج.د"؛ وبَحْرَق الحضرمي، محمد بن عمر، "فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال". تحقيق: د. مصطفى النحاس، (ط ٢، ١٩٥٤م)، ٦٨.

"فَعَل" لا يخلو أن يكون للمغالبة، أو لا يكون، فإن كان لغير المغالبة لا يخلو أن يكون مثالاً، أو أجوف، أو ناقصًا، وقد يكون مضعفًا أو غير ذلك[١]، فإن كان مثالاً واويًا، فإن مضارعه يأتي مكسور العين، نحو: " وَعَدَ، يَعِد"، سواء كان الفعل لازمًا أو متعديًا؛ وإنما حُذِفَتْ الواو؛ لوقوعها بين عدوتيها، وهي الياء المفتوحة، والكسرة؛ ولأن الواو ثقيلة في ذاتها ووقعت أيضًا بين ثقيلين، والفعل أيضًا أثقل من الاسم؛ فلما اجتمع كل هذا الثقل حذفت الواو، ولم يجز حذف الياء التي هي حرف المضارعة؛ لأنه بحذفها يفوت الغرض الذي جيء به من أجلها وهو الدلالة على المضارعة؛ مع كراهية الابتداء بالواو، ولا يجوز حذف الكسرة؛ لأنه بها يعرف وزن المضارع؛ لذلك حذفت الواو وكان حذفها أبلغ في التخفيف، ثم حُمِلَ "أعِد"، و"نَعِد"، و"تَعِد" عليه جريًا للباب على سنن واحد، وللكوفيين رأي آخر في حذف الواو من مضارع هذه الأفعال، وهو التفرقة بين المتعدي واللازم، فما كان منها متعديًا حذفت واوه، نحو: "وَعَدَ يَعِد"، "ووَزَنَ، يَزِن"، وما كان منها لازمًا لا تحذف واوه في المضارع، نحو: "وَحَلَ، يَوْحِل"، "ووَجَلَ يَوْجِل"، وردّ ابن يعيش على ما ذهب إليه الكوفيون بعلتين، أولهما: أن الواو سقطت في مضارع تلك الأفعال المتعدية وغير المتعدية، نحو: "وَكَفَ البيت يَكِف"، و"وَخَدَ البعير يَخِد" ثانيهما: أن بعض أفعال هذا الباب يجيء مضارعها على: "يفعِل، ويفعَل"، فحذفوا الواو فيما كان مضارعه مكسور العين، نحو: "وَحَرَ، يَحِر"، وأثبتوا الواو فيما كان مضارعه على "يفعَل"، فقالوا: "يَوحَر"[٢].

(١)أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد، "الممتع في التصريف". تحقيق: د. فخر الدين قباوة، (ط١، بيروت: لبنان، دار المعرفة، ١٩٧٨م)، ١: ١٧٤.

(٢) موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي، "شرح المفصل". (إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها =

وإذا كان الفعل حلقي اللام أو العين فمضارعه يأتي مفتوح العين، نحو: "يدَع، ويَضَع"؛ والفتح في المضارع عارض لأجل حرف الحلق، والعارض كالمعدوم والأصل الكسر؛ لذلك حذفت الواو[(١)]، وحُمِل "يَذَر" على "يَدَع"[(٢)]، ومثال حلقي العين: "وَهَبَ، يَهَب"[(٣)] وهذا ما اختاره بَحْرَق وأكثر النحاة؛ نحو: "وَدَعه، يَدَعَه"، ولم يشذ من ذلك غير "وَضَحَ، يَضِح"، حيث جاء هذا الفعل حلقي اللام ومضارعه مكسور العين، ولم يحكم على هذا الفعل بالشذوذ غير بَحْرَق[(٤)].

أما ابن مالك فقد أطلق في التسهيل ولامية الأفعال، في مضارع "فَعَل" الواوي الفاء، ولم يشترط لذلك شرطًا، ولم يستثن من ذلك شيئًا، بل جعل مضارعه دائمًا مكسور العين حيث قال: "من وجوه الإعلال الحذف، ...فمن مطرده حذف الواو، من مضارع ثلاثي فاؤه واو استثقالاً ولوقوعها في فعل بين ياء مفتوحة وكسرة ظاهرة... أو مقدرة"[(٥)]، ولم يأتِ مضارع "فَعَل" الواوي الفاء على زنة "يفعُل" إلا في فعل واحد، وهو "وَجَدَ، يَجُد"، وحُكِم على ضم عين مضارعه بالشذوذ والأصل أن يأتي مضارعه على "يَفْعِل"؛ والدليل على ذلك حذف الواو في المضارع؛ مما يدل على أن الأصل هو الكسر والضم عارض، كما كان الفتح عارضًا، في نحو: "يَقَع، ويَدَعَ"؛

=

محمد منير الدمشقي)، ١٠: ٦٠؛ وابن عصفور، "الممتع"، ١: ١٧٤.

(١) ابن عصفور، "الممتع"، ١: ١٧٧.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها". شرحه، وضبطه، محمد أحمد جاد المولى بك، (ط٣، القاهرة: دار التراث)، ٢: ٣٩.

(٣) المصدر السابق، ٢: ٣٩.

(٤) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الاقفال"، ٦٨.

(٥) ابن مالك، "التسهيل"، ٣١٣؛ وابن مالك، "لامية الأفعال"، ٧٩.

والدليل على عروض الفتحة حذف الواو[١]، وقيل: إن ضم عين مضارع الفعل "يجُد" لغة ضعيفة لبني عامر، ووجه ضعفها أنها خارجة عن القياس والاستعمال، أما خروجها عن القياس، فلأن الواو لا تحذف في المضارع إلا أن يكون مكسور العين؛ أما في الاستعمال فقد جاء الاستعمال لهذا الفعل دائمًا بكسر عين المضارع كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا﴾ [النور: ٢٨].

أما ابن مالك فقد ذهب في التسهيل[٢] إلى أن لغة بني عامر ليست قاصرة على الفعل "وَجَدَ"، بل جعلها لغة عامة لهم في المثال الواوي، فإنهم يحذفون الفاء ويضمون العين في كل مثال واوي على فَعَل، فيقولون في وَكَل: "يكُل"، وفي وَلَد: "يلُد"[٣].

وفي حقيقة الأمر ما ذهب إليه ابن مالك يعد مخالفًا لما أجمع عليه النحويون، فنجد ابن جني يصف هذه اللغة بأنها شاذة، ولا يصح الاعتداد بها؛ لضعفها؛ ولعدم وجود نظير لها؛ ولمخالفتها لما أجمع عليه النحويون[٤].

أما ابن عصفور فقال في ذلك: "وشذ أيضًا من "فَعَل" الذي فاؤه واو لفظة واحدة، حيث جاء مضارعها على: "يَفعُل" بضم العين، وهي: "وَجَدَ، يَجُد"، وأصله:

(١) أبو الفتح عثمان بن جني، "المنصف شرح كتاب التصريف للمازني". (ط١، دار إحياء التراث القديم، ١٩٥٤م)، ١٨٧.

(٢) ابن مالك، "التسهيل"، ٣١٣.

(٣) السيد الشريف محمد بن الحسن الرضي، "شرح شافية ابن الحاجب"، شرح شواهده للعالم الجليل: عبد القادر البغدادي، تحقيق: محمد نور الحسن، (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٧٥م)، ١: ١٣٣.

(٤) أبو الفتح عثمان بن جني، "سر صناعة الإعراب"، تحقيق: د. حسن هنداوي، (ط: ٢، دمشق، حلب: دار القلم، ١٩٩٣م)، ٢: ٥٩٦.

"يَوْجُدُ"، فحذفت الواو لكون الضم هنا شاذًا، والأصل الكسر فحذفت الواو كما حذفت مع الكسرة، وعلى ذلك قوله:

لــو شــئتَ قَــدْ نَقَــعَ الفــؤادُ بِشــربةٍ

تَــدَعُ الحــوائم لا يَجُــدْن غلــيلا"[1][2]

وفسر سيبويه ذلك بأن "وَجَدَ" مضارعها جاء على "يَجُد" بزنة "يفعُل"، وحذفوا الواو ولم يقولوا: "يَوجُد" وإن كان هو القياس؛ ليعلموا أن أصلها "يَجِد"[3]، وصرح في موضع آخر بأنها لغة لناس من العرب، وأنها ضعيفة لا يوجد لها نظير بقوله: "وقد قال ناس من العرب "وَجَدَ"، "يَجُد"، كأنهم حذفوها من "يَوجُد"، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام"[4].

الخلاصة:

فالذي أطمئن إليه بعد هذا العرض هو ما نبه إليه بَحْرَق من أن مضارع "فَعَل" الواوي الفاء يأتي مكسور العين، ولا يأتي مفتوح العين إلا إذا كان حلقي العين أو اللام، ولم يشذ من ذلك غير الفعل "وَضَحَ، يَضِح" -ولم يحكم على هذا الفعل

(١) ابن عصفور: "الممتع"، ١: ١٧٧.

(٢) من الكامل، لجرير بن عطية الخطفى: "ديوان جرير". بشرح: محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، (ط٣، القاهرة: دار المعارف بدون تاريخ)، ١: ١٠٧.
= البيت من شواهد: الحسين بن أحمد: "ليس في كلام العرب". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط ٢، ١٩٧٩م؛ وابن عصفور، "الممتع"، ١: ١٧٧.

(٣) عمرو بن عثمان أبو بشر، "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م)، ٤: ٣٣٩.

(٤) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الاقفال"، ٦٨.

بالشذوذ غير بَحْرَق–، وأنه لم يسُمع الضم في عين مضارع "فَعَل" الواوي الفاء إلا في فعل واحد جاء على لغة ضعيفة وهي لغة بني عامر، وهو الفعل" وَجَدَ" وهذا الرأي أولى بالقبول من إطلاق ابن مالك، ومن جعله ضم عين المضارع ليس قاصرًا على "وَجَدَ"، بل جعلها لغة عامة لبني عامر في كل فعل على زنة "فَعَل" واوي الفاء، و في الحقيقة أنه لم ينقل غير ابن مالك في ضم عين مضارع هذا الفعل غير الفعل "وَجَد"؛ وعلل النحاة لذلك بأنها لغة ضعيفة؛ لمخالفتها لما أجمع عليه النحويون[١].

(١) ينظر: ص، ١٣، ١٤ من البحث.

المبحث الثاني

التنبيه الثاني: فَعَل، ودلالة مضارعه على المغالبة

قال ابن مالك:

عَيْنـاً لَـهُ الْـوَاوُ أَوْ لَامـاً يُجَـاءُ بِـهِ
مَضْـمُومَ عَـيْنٍ، وَهَـذَا الْحُكْـمُ قَـدْ بُـذِلَا
لِمَـا لِبَـذٍّ مُفَـاخِرٍ، وَلَـيْسَ لَـهُ
دَاعِـي لُـزُومِ انْكِسَـارِ الْعَـيْنِ نَحْـوُ "قَلَـى"
وَفَـتْحُ مَـا حَـرْفُ حَلْـقٍ غَـيْرُ أَوَّلِـهِ
عَـنِ الْكِسَـائِيِّ فِي ذَا النَّـوْعِ قَـدْ حَصَـلَا
فِي غَـيْرِ هَـذَا لَـدَى الْحَلْقِـيِّ فَتْحـاً اشِـعْ
بِالِاتِّفَـاقِ كَـآتٍ صِـيغَ مِـنْ سَـأَلَا[1]

نبه بَحْرَق (ت٩٣٠هـ) على مجيء مضارع "فَعَل" دالاً على المغالبة بقوله: **تنبيه:** "مقتضى الصحاح[2] موافقة الكسائي في أن حروف الحلق مانع من الضم، فإنه قال: خَصَمه يَخْصِمه: غلبه، وهو شاذ، فإن "فاعلتُه ففعلتُه" يرد "يَفْعل" منه إلى الضم إن لم تكن عينه حرف حلق انتهى"[3].

(١) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٧٧.

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد المعروف بالجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، بيروت: ١٩٨٧م)، ٢: ٦٩٩، مادة "ش. ع. ر".

(٣) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الاقفال"، ٩٩.

الشرح لمضمون التنبيه

أشار بَحْرَق في نصه هذا إلى آراء النحاة في عين مضارع "فَعَل" الدال على المغالبة، فإن جمهور النحاة أوجبوا أن يكون مضارعه على "يَفْعُل" مطلقًا، وتبعهم في ذلك ابن مالك، أما الكسائي –وهو كوفي المذهب– فقد جعل المغالبة من هذا الفعل على زنة "يَفْعُل" بشرط ألا يكون حلقي اللام أو العين، فإن كان كذلك، فالمغالبة منه تأتي على زنة "يَفْعَل"، وتبعه في ذلك الجوهري، وشذ ما ذهب إليه الجوهري، من جعله المضارع من "خَصَم" للمغالبة على زنة "يَفْعِل".

الدراسة والتحليل

إذا أريد معنى المغالبة من "فَعَل"، والمغالبة نعني بها: أن يغلب أحد الأمرين الآخر في معنى المصدر، فلا يكون الفعل إذن إلا معتديًا[(١)]، وفي صوغ مضارعه خلاف تفصيله كالآتي:

الرأي الأول:

يرى أن "فَعَل" إذا أريد به المغالبة فمضارعه يأتي على زنة "يَفْعُل" مطلقًا، ولا فرق في ذلك بين أن يكون "فَعَل" حلقي اللام أو العين أو لا يكون، فيقال: سابَقَني فسَبَقته فأنا أسْبُقه، ويقال في الحلقي: "صَارَعني فأنا أصْرُعه"، إلا أن يكون الفعل معتل الفاء بالواو، نحو: "وَعَدَ"، أو معتل العين، بالياء، نحو: "بَاعَ"، أو معتل اللام بالياء، نحو: "رَمَى" فإن المغالبة منه تأتي على زنة: "يفْعِل"، فيقال: "واعَدَني فأنا أَعِده"، و"بَايَعَني فأنا أَبِيعه".

(١) الرضي، "شرح الشافية"، ١: ٧٠.

وقال بهذا الرأي:

سيبويه[١]، وأبو زيد الأنصاري[٢]، وابن مالك[٣]، وابن منظور[٤]، والفيروزآبادي[٥]، وبَحْرَق[٦]، ونُسبِ هذا الرأي للبصريين عامة.

قال سيبويه: "واعلم أن يفعل من هذا الباب، باب المغالبة، على مثال: "يَخْرُج" بالضم، نحو: عازّني فعززته أعزُّه، ....، بضم عين المضارع فيها...، إلا ما كان من الياء مثل: "رَمَيتُ، وبِعتُ"، وما كان من باب: "وَعَدَ"، فإن ذلك لا يكون إلا على أفْعِله بكسر عين المضارع...."[٧].

وحكى أبو زيد الأنصاري كل ذلك بضم عين مضارعه، ولم يفرق بين أن يكون الفعل حلقي العين أو اللام[٨]، وهذا ما أيده ابن منظور قائلاً: "... فاخَرَه ففَخَره يَفْخُره..."[٩]، فـ "فَخَر" حلقي العين، وجاء مضارعه على "يفعُل".

وأجاز أبو حيان أن تأتي المغالبة على زنة "يفْعُل" في مضارع كل فعل ثلاثي سواء أكان على زنة: "فَعَل، أو فَعِلَ، أو فَعُلَ"، سواء أكان هذا الفعل لازمًا أم

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٦٨.

(٢) سعيد بن ثابت أبو زيد الأنصاري، "النوادر في اللغة". تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، (ط١، دار الشروق، ١٩٨١م)، ٥٥٧.

(٣) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٧٧.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، ٥: ٤٩، مادة "ف. خ. ر".

(٥) الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ٤٥٥، مادة "ف. خ. ر".

(٦) السيوطي، "المزهر"، ٢: ٣٨؛ وبَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ٩٩.

(٧) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٦٨.

(٨) أبو زيد الأنصاري، "النوادر في اللغة"، ٥٥٧.

(٩) ابن منظور، "لسان العرب"، ٥: ٤٩، مادة " ف. خ. ر".

متعديًا؛ لأن اللازم بهذه المغالبة يصير متعديًا[١].

الرأي الثاني:

يرى أن "فَعَل" إذا أريد به المغالبة فإن مضارعه يأتي على زنة "يَفْعُل"، إن لم يكن حلقي العين أو اللام، وإلا المغالبة منه يجب أن تأتي على زنة: "يَفْعَل"، فيقال: "شَاعَرَني فشَعَرتُه أشْعَره"، و"وَاضَأني فوَضَأتُه أوضَؤه".

وقال بهذا الرأي: الكسائي[٢]، والجوهري[٣].

قال الجوهري: "وشاعَرْتُهُ فشَعَرْتُهُ أَشْعَرُهُ –الفتح–، أي غلبتُه بالشِعْرِ"[٤].

يتضح من نص الجوهري موافقته لما ذهب إليه الكسائي من فتح عين مضارع "فَعَل" إذا قُصِدَ به المغالبة؛ لكون "شَعَرَ" حلقي العين.

وشذ ما ذهب إليه الجوهري من كسره لعين مضارع الفعل "خَصَمَ" لقصد المغالبة قائلاً: "...وخاصَمْتُ فلاناً فَخَصَمْتُهُ أَخْصِمُهُ بالكسر، ولا يقال بالضم، وهو شاذٌّ"[٥]، حيث أوجب له الكسر، وحكم على ضم عين مضارعه بالشذوذ، ووافق الجوهري فيما ذهب إليه الزبيدي قائلاً: "... خاصَمَنِي فخَصَمْتُهُ، فأَنا أَخْصِمُهُ،

(١) محمد بن يوسف، "ارتشاف الضرب من كلام العرب". تحقيق: د. رجب عثمان محمد، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م)، ١٥٧.

(٢) ينظر رأيه في: ابن عصفور، "الممتع"، ١: ١٧٣؛ محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: جماعة من المختصين، (الكويت: إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء، ٢٠٠١م)، ١٢: ١٨٠، مادة "ش. ع. ر".

(٣) الجوهري، "الصحاح"، ٢: ٦٩٩، مادة "ش. ع. ر".

(٤) المصدر السابق، ٢: ٦٦٩، مادة "ش. ع. ر".

(٥) المصدر السابق، ٥: ٩١٢، مادة "خ. ص. م".

بِالْكَسْرِ، لَا ثانِيَ لَهُ"[(١)]، وما ذهبا إليه شاذ عند البصريين قياسًا واستعمالاً، وفي ذلك يقول السيوطي: "وجوز الكسائي في حلقي العين فتح عين مضارعه، كحاله إذا لم يكن لمغالبة"[(٢)].

الخلاصة:

فالذي أطمئن إليه بعد عرض هذه الآراء، هو الرأي القائل: أن "فَعَل" إذا أريد به المغالبة فمضارعه يأتي على "يَفْعُل" مطلقًا، ولا فرق في ذلك بين أن يكون حلقي اللام أو العين أو لا يكون...، و هو رأي الجمهور، وابن مالك، وبَحْرَق[(٣)]، واختاره الرضي، حيث قال: "حُكِي عن الكسائي أنه استثنى أيضًا ما عينه أو لامه أحد الحروف الحلقية، وقال: "يلزمه الفتح، نحو: "شَاعَرْتُهُ فَشَعَرْتُهُ أَشْعُرُهُ"، والحق ما ذهب إليه غيره؛ لأن ما فيه حرف الحلق لا يلزم طريقة واحدة كالمثال الواوي والأجوف والناقص اليائيين، بل كثير منه يأتي على الأصل نحو بَرَأَ يَبْرُؤُ..... وقد حكى أبو زيد شاعَرْتُهُ فشَعَرْتُهُ أَشْعُرُهُ.... اعلم أنه ليس باب المغالبة قياسًا بحيث يجوز لك نقل كل لغةٍ أردت إلى هذا الباب لهذا المعنى..."[(٤)].

(١) الزبيدي، "تاج العروس"، ٤: ٣٦٦، مادة "خ. ص. م".
(٢) السيوطي، "المزهر"، ٢: ٣٨.
(٣) ينظر ص ١٨، ١٩ من البحث.
(٤) الرضي، "شرح الشافية"، ١: ٧١.

المبحث الثالث

التنبيه الثالث: حركة همزة الوصل

قال ابن مالك:

أَوَّلُـــهُ، وَبِهَمْـــزِ الْوَصْـــلِ مُنْكَسِـــراً

صِـــلْ سَـــاكِناً كَـــانَ بِالْمَحْـــذُوفِ مُتَّصِـــلَا[(١)]

أشار بَحْرَق إلى حركة همزة الوصل بقوله: "**تنبيه:** لعل الناظم –رحمه الله–إنما أطلق قوله أولاً: "وَبِهَمْزِ الْوَصْلِ مُنْكَسِراً "؛ ليشير إلى أنها زيدت ساكنة، ثم حركت حركة التقاء الساكنين وهو الكسر؛ وإنما عوض الضم فيما ثالثه مضموم للمناسبة؛ لاستثقال الانتقال من كسرة إلى ضمة، وهذا مذهب الجمهور–غير سيبويه، وعند سيبويه أنها زيدت ابتداء متحركة، بما حُرِّكت به من كسرة أو ضمة[(٢)]، وهو ظاهر عبارة الناظم"[(٣)].

الشرح لمضمون التنبيه

ذهب بَحْرَق إلى أن أصل حركة همزة الوصل عند ابن مالك أن تكون ساكنة، ولكنها حُرِكت بالكسر للتخلص من الساكنين؛ وإنما جاء تحريكها بالضم فيما ثالثة مضموم؛ لاستثقال الانتقال من الكسر إلى الضم، ونسب بَحْرَق هذا الرأي للجمهور،

(١) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٨٠.

(٢) وفي حقيقة الأمر لم يقل سيبويه بغير ما قال به جمهور النحاة من أن همزة الوصل حركتها الأصلية الكسر؛ وإنما عُدِل من الكسر إلى الضم فيما ثالثه مضموم؛ لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم، ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ٤: ١٤٦.

(٣) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ١٦٣.

ماعدا سيبويه؛ فإنه يرى أنها قد تحرك بالكسر أو بالضم، أي إنها زيدت في الأصل متحركة، وما نسبه بَحْرَق إلى جمهور النحاة ليس بصحيح، فالجمهور لم يقل بغير ما قال به سيبويه، وهو أن همزة الوصل تحرك بالكسر أو بالضم -كما سيتضح من مذهبهم- وابن مالك لم يقل بغير ما قال به الجمهور وسيبويه، على ما يبدو من كلامه في اللامية، وفي شرحه للتسهيل -على ما سنبينه فيما بعد- مما يدل على أن حركة همزة الوصل محل خلاف، وأن بَحْرَقًا اضطرب في نسبة الآراء إلى أصحابها.

الدراسة والتحليل

أجمع النحاة على أنه لا يجوز الابتداء بالساكن، وإن أردنا الابتداء بالساكن جئنا بهمزة الوصل توصلاً إلى النطق به[(١)]، ووقع الاختيار على همزة الوصل لأمرين، أولهما: أن الألف كانت الأولى بالزيادة لخفتها؛ وإنما عدلنا عنها إلى الهمزة المتحركة؛ لكون الألف ساكنة، والهمزة أخت الألف في المخرج، وتشابهها في أمور كثيرة، ثانيهما: أن الهمزة تعد أول الحروف الحلقية، فخُصت بالابتداء لكي تناسب المعنيين[(٢)]، أما عن أصل حركتها، فهذا محل خلاف تفصيله كالآتي:

الرأي الأول:

يرى أن الأصل في حركة همزة الوصل الكسر، وإنما ضمت فيما ثالثه مضموم،

(١) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق: أحمد شمس الدين، (ط١، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٩٩٨م)، ٣: ٤٠٢.

(٢) أبو البقاء بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، (ط١، بيروت، لبنان: دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية: دار الفكر، ١٩٩٥م)، ٢: ١٩١.

نحو: "أُدْخُل"؛ تجنبًا لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم؛ لذلك لا يوجد في كلام العرب "فِعُل"[١].

وقال بهذا الرأي:

سيبويه[٢]، والمبرد [٣]، والعكبري[٤]، وابن مالك[٥]، وبَحْرَق[٦]، ونُسِبَ هذا الرأي لبعض البصريين[٧].

قال سيبويه: "واعلم أن الألف الموصولة ... في الابتداء مكسورة أبدًا، إلا أن يكون الحرف الثالث مضمومًا فتضمها، وذلك قولك: أُقتُل، ... وذلك أنك قربت الألف من المضموم، إذ لم يكن بينهما إلا ساكن فكرهوا كسرة بعدها ضمة....؛ لأنه ليس في الكلام حرف أوله مكسور وثانيه مضموم...."[٨].

(١) ابن جني، "سر الصناعة"، ١: ١١٦؛ وأبو البركات بن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين"، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، بدون تاريخ)، ٥٩٤.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ١٤٦.

(٣) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، "المقتضب". تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، (القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٤م)، ٢: ٨٧، ٨٨.

(٤) العكبري، "اللباب في علل البناء والإعراب"، ١٩٢/٢.

(٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، "شرح التسهيل". تحقيق: د. عبد الحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، (ط١، هجر، ١٩٩٠م)، ٣: ٤٦٥.

(٦) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ١٦٣.

(٧) أبو البركات الأنباري، "الإنصاف"، ٥٩٤.

(٨) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ١٤٦.

ومما يدل على موافقة ابن مالك لما ذهب إليه سيبويه والجمهور قوله: "ولما استحقت همزة الوصل الكسر في الأفعال كسرت أيضًا في الأسماء؛ لتجري على سنن واحد؛ فإن عرض فيما يلي الساكن الذي جيء بها من أجله ضمة لازمة، ضُمت هي إتباعًا، وتخلصًا من تتابع كسر وضم..."[(١)].

حجتهم في ذلك أمران:

أولاً: إنما تحركت همزة الوصل بالكسرة؛ لخفتها عن الضمة، ولم تحرك بالفتحة حتى لا تلتبس بهمزة الاستفهام إذ لوقلنا في: "اِصطفى"، "اَصطفى" بالفتح؛ لتوهم أن المراد بها الاستفهام، ولو قيل في الإخبار: "اِصطفى" بالكسر، وفي الاستفهام "اَصطفى" بالفتح، أُمِن اللبس؛ ولكثرة مصاحبة الكسرة للساكن؛ ألا ترى أنه لو اجتمع ساكنان لا يمكن التخلص منهما إلا بتحريك الأول منهما بالكسر؛ لذلك كانت الكسرة أولى من غيرها[(٢)].

ثانيًا: إنما جاءت همزة الوصل متحركة ولم تكن ساكنة؛ لأننا جئنا بها توصلاً إلى النطق بالساكن؛ لأن الابتداء بالساكن محال، وإذا زيدت وجب أن تُزاد متحركة، وإلا فكيف تُزاد ساكنة، والمقصد من زيادتها هو التخلص من النطق بالساكن؟[(٣)].

الرأي الثاني:

يرى أن همزة الوصل ساكنة؛ وإنما حُرِكت بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين[(٤)].

---

(١) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣: ٤٦٦.

(٢) السيوطي، "الهمع"، ٣: ٤٤٦؛ أبو البركات الأنباري، "الإنصاف"، ٥٩٦.

(٣) أبو البركات الأنباري، "الإنصاف"، ٥٩٤.

(٤) أبو محمد عبد الله بن علي الصيمري، "التبصرة والتذكرة". تحقيق: د. فتحي مصطفى أحمد =

قال بهذا الرأي:

الصيمري[١][٢].

ونُسِبَ هذا الرأي للفارسي[٣]، وأبو الفداء[٤].

حجتهم في ذلك:

أن الحرف الذي يلي الهمزة ساكن، وهي ساكنة؛ لأنها زائدة على بناء الكلمة، ولا يجوز الجمع بين ساكنين؛ وللتخلص من الساكنين حُرِكت بالكسرة[٥].

الرد على هذا الرأي بأمرين:

أولهما: أنه لو كان الحرف الأول من الكلمة ساكنًا، وجئنا بالهمزة ساكنة لكي نتمكن من النطق بالساكن؛ لكان هذا الافتراض محالاً.

ثانيهما: أن الهمزة لو زيدت ساكنة ثم حُركت بالكسر لالتقاء الساكنين، لم تكن زيادتها في أول الكلمة من أجل النطق بالساكن؛ إذ لو كانت زيادتها من أجل

=

علي، (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢م) ١: ٤٣٦.

(١) تاريخ وفاة الصيمري مختلف فيه بين المترجمين له، ولكنهم أجمعوا على أنه من علماء القرن الرابع الهجري، ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٢: ١٤٩.

(٢) الصيمري، "التبصرة والتذكرة"، ١: ٤٣٦.

(٣) ينظر رأيه في: السيوطي، "الهمع"، ٣: ٤٠٣.

(٤) عماد الدين إسماعيل، "الكناش في فني النحو والصرف". تحقيق: د. رياض بن حسن الخوام، (بيروت: لبنان، المكتبة العصرية، ٢٠٠٠م)، ٢: ١٩٩.

(٥) الصيمري، "التبصرة والتذكرة"، ١: ٤٣٦، وأبو البركات الأنباري، "الإنصاف"، ٥٩٥.

ذلك؛ لأدى ذلك إلى العودة إلى ما فررنا منه[١].

الرأي الثالث:

يرى أن حركة همزة الوصل للاتباع فيجب كسرها إذا كان الحرف الثالث من الكلمة مكسورًا، نحو: "اِضرِب"، وتضم إذا كان الثالث مضمومًا، نحو: "اُدْخُل"، ولا يجوز الاتباع إذا كان الثالث مفتوحًا حتى لا يلتبس الخبر بالإنشاء[٢].

ونُسِبَ هذا الرأي للكوفيين[٣].

حجتهم في ذلك:

أنهم جعلوا حركة همزة الوصل تابعة لحركة العين؛ لأن العرب يتبعون ذلك في كلامهم، واستدلوا بأمثلة كثيرة على ذلك، منها قولهم: "مُنْتُن" بضم التاء تبعًا لضم الميم؛ والقياس أن تكون التاء مكسورة؛ لأنها مأخوذة من الفعل "أَنْتَنَ"، فهو "مُنْتِن"؛ إلا أنهم مالوا للاتباع، ومن ذلك قراءة قوله تعالى: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء:١١]، بكسر الهمزة اتباعًا لكسر الميم في قوله: "فلأمه"[٤]، وهي قراءة حمزة، والكسائي[٥]،

(١) أبو البركات الأنباري، "الإنصاف"، ٥٩٨.

(٢) السيوطي، "الهمع"، ٣: ٤٠٤.

(٣) ينظر: أبو البركات الأنباري، "الإنصاف"، ٥٩٤؛ والمصدر السابق ٣: ٤٠٤.

(٤) قُرئ بضم الهمزة، وكسرها، فمن ضمها فعلى الأصل، ومن كسرها فعلى الاتباع، ينظر: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، "البيان في غريب إعراب القرآن" تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، ١: ٢٤٤.

(٥) ينظر: أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، "إعراب القراءات السبع وعللها". تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، ١٩٩٢م)، ١٢٩.

وهما من القراء السبعة[١].

الرد على هذا الرأي:

أن الاتباع في التحريك ليس على سبيل الوجوب، وإنما هو على سبيل الجواز في كلمات محدودة، فكلمة "مُنْتُن" التي استدلوا بها على الاتباع يمكن المجيء بها على الأصل، ويقال: "مُنْتِن"[٢]، وكذلك القراءة في الآية قد ترد على الأصل بدون اتباع[٣].

الخلاصة:

فالذي أميل إليه من هذه الآراء، هو الرأي القائل: أن الأصل في حركة همزة الوصل أن تكون متحركة بالكسر، وإنما ضمت فيما ثالثه مضموم، تجنبًا لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم، وهو ما اختاره ابن مالك، وبَحْرَق، وأكثر البصريين[٤]؛ وذلك لقوة حجتهم؛ وسلامته من الاعتراضات الواردة على غيره من المذاهب.

(١) ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، ١: ١٢٨.

(٢) أبو البركات الأنباري، "الإنصاف"، ٥٩٦، ٥٩٧.

(٣) ينظر: العكبري، "البيان في غريب إعراب القرآن"، ١: ٢٤٤.

(٤) ينظر: ص٢٣ من البحث.

المبحث الرابع

التنبيه الرابع: فَعِيل بمعنى مَفْعُول

قال ابن مالك:

مِـنْ ذِي الثَّلَاثَـةِ بِـ "الْمَفْعُـولِ" مُتَّـزِناً
وَمَـا أَتَـى كَـ "فَعِيـلٍ" فَهْـوَ قَـدْ عُـدِلَا
بِـــهِ عَـــنِ الْأَصْـــلِ، .....

.....

نبه بحرق على اختلاف النحاة في نيابة "فَعِيل" عن "مَفْعُول" بقوله: "**تنبيهان**: أحدهما: مجيء "فَعِيل بمعنى مَفْعُول"، كثير في كلامهم، ومع كثرته فهو عند الجمهور مقصور على السماع، كما تُفهم عبارة الناظم[(١)]، وقال في التسهيل خلافًا لبعضهم[(٢)]، وفي شرحه: "وجعله بعضهم مقيسًا فيما ليس له "فَعِيل بمعنى فَاعِل"، أي فيجوز: "ضَرِيب بمعنى مَضْرُوب"، ولا يجوز: "عَلِيم بمعنى مَعْلُوم"[(٣)]، فيما نقله ولده بدر الدين -رحمه الله- من إجماع النحاة على أنه لا ينقاس[(٤)]- ذهول عما نص عليه والده في التسهيل وشرحه من الخلاف فيه"، **ثم نبه بَحْرَق** مرة أخرى قائلاً: "...إلى أن ما أتى ... نائبًا عن وزن مَفْعُول، فهو إنما ينوب عنه في الدلالة فقط لا في العمل..."، **ونبه**

(١) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٨١.
(٢) ابن مالك، "التسهيل"، ١٣٨.
(٣) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣: ٨٨.
(٤) أبو عبد الله بدر الدين المعروف بابن الناظم، "شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٣١٦.

أيضًا بقوله: "... ما ذكره الناظم –رحمه الله– هو مذهب الجمهور، وظاهر عبارته شمول "فَعِيل" وغيره، وقد أجازه ابن عصفور مطلقًا، وأجازه بعضهم في "فَعِيل" لكثرته..."[(١)].

الشرح لمضمون التنبيه

أشار بَحْرَق إلى أن المفهوم من لامية الناظم، أنه قد يأتي من الأبنية ما هو على زنة "فَعِيل" دالاً على المفعول، نحو: "كَحِيل بمعنى مَكْحُول"؛ للدلالة على المعنى دون العمل، وهذا كثير في كلام العرب، ولكنه مع كثرته مقصور عند الجمهور على السماع، ولكن ابن مالك في التسهيل أشار إلى أنه ليس مقصورًا على السماع، بل يجوز فيه القياس، وفي شرحه للتسهيل وضح بأنه يكون مقيسًا إذا لم يأتِ منه "فَعِيل بمعنى فَاعِل"، والغريب أن ابن الناظم في شرحه لألفية والداه نقل إجماع النحاة على أن "فَعِيل بمعنى مَفْعُول" لا ينقاس.

الدراسة والتحليل

"فَعِيل" من الأوزان المشتركة بين الصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، ولكنها عندما تدل على الصفة المشبهة، تكون من الصفات الملازمة لصاحبها، بخلافها للمبالغة، فإنها تدل على شدة اتصاف صاحبها بهذه الصفة، ولكن لا يعني ذلك ملازمتها له، وقد تنوب هذه الصيغة بكثرة عن اسم المفعول، فيقال: "كَحِيل"، بمعنى: "مَكْحُول"، ومن الصفات التي تنوب عن اسم المفعول في الدلالة على معناه: "فِعْل"، كـ" ذِبْحٍ" بمعنى: "مَذْبُوح"، و"فَعَل" كـ"قَبَض" بمعنى: "مَقْبُوض"، وفي نيابة "فَعِيل" عن اسم المفعول خلاف في كون هل نيابته قياسية أم سماعية؟ وتفصيله كالآتي:

(١) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦.

الرأي الأول:

يرى أن مجيء "فَعِيل بمعنى مَفْعُول" كثير، ولكنه مقصور على السماع، فلا يقال: "ضَرِيب" بمعنى" مَضْرُوب"[(١)]؛لعدم ورود السماع بذلك.

وقال بهذا الرأي: جمهور النحاة[(٢)].

وفي ذلك يقول أبو حيان مشيرًا إلى عدم قياسيته: "وقد جاءت ألفاظ بمعنى المفعول على "فِعْل"، نحو: "ذِبْح"، ... وعلى "فَعَل" نحو: "قَنَص"...، وعلى "فُعْلَة": "أُكلَة"، .... فـ "ذِبْح" بمعنى: "مَذْبُوح"، وكذا باقيها ولا ينقاس هذا فلا تقول: "ضَرَب" ... في معنى: "مَضْرُوب.."[(٣)].

الرأي الثاني:

يرى أن مجيء "فَعِيل بمعنى مَفْعُول" مقيس فيما ليس له "فَعِيل بمعنى فَاعِل"، كـ"قَتِيل"؛ فإنها تأتي بمعنى "مَقْتُول" لا بمعنى "قَاتِل"، وأما "سَمِيع، وعَلِيم" فإنها تأتي بمعنى فَاعِل؛ لأنه لم يرد لها "فَعِيل بمعنى مَفْعُول" فيقال: "سَمِيع بمعنى سَامِع"، و"عَلِيم بمعنى عَالِم"[(٤)].

---

(١) بهاء الدين بن عقيل، "المساعد على تسهيل الفوائد". تحقيق: محمد كامل بركات، (ط٢، دمشق: دار الفكر ١٩٨٢م)، ٢: ٢٠٩.

(٢) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"١٧٤، ونسب الشيخ خالد الأزهري هذا الرأي لابن مالك، ينظر: خالد بن عبد الله الأزهري: "التصريح بمضمون التوضيح". تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٢: ٤٤.

(٣) أبو حيان، "ارتشاف الضرب "، ٥ :٢٢٨٨.

(٤) ابن مالك، "شرح التسهيل" ٣: ٨٨، أبو محمد بدر الدين بن قاسم المرادي، "توضيح المقاصد والمسالك". تحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان (ط: ١، دار الفكر العربي، =

وقال بهذا الرأي: ابن مالك[(١)].

الرأي الثالث:

يرى أن مجيء "فَعِيل بمعنى مَفْعُول" لا ينقاس بإجماع النحاة.

وقال بهذا الرأي: ابن الناظم[(٢)].

الرد على هذا الرأي:

ما ذكره ابن الناظم فيه نظر؛ لأن والداه، وضح في باب اسم الفاعل في معرض حديثه عن نيابة "فَعِيل بمعنى المفعول"، أن هذه النيابة ليست مقيسة خلافًا لبعضهم[(٣)].

وفي شرح التسهيل بين أن بعض النحاة جعله مقيسًا فيما ليس له "فَعِيل بمعنى فَاعِل"[(٤)].

والتمس السيوطي العذر لابن الناظم فيما ذهب إليه، بأنه توهم كلام والده في شرح الكافية على إطلاقه، فقد قال في ذلك الناظم: "وكل ذلك محفوظ لا يقاس عليه"[(٥)]، فتوهم ابن الناظم أن هذا الإطلاق يشمل الأوزان الثلاثة التي تنوب عن اسم

=

٢٠٠٠م)، ٣: ٨٧١.

(١) ابن مالك، "التسهيل"، ١٣٨؛ وابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣: ٨٨.

(٢) ابن الناظم، "شرح ابن الناظم"، ٣١٦.

(٣) ابن مالك، "التسهيل"، ١٣٨.

(٤) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣: ٨٨.

(٥) أبو عبد الله محمد بن مالك، "شرح الكافية الشافية". تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية

=

المفعول، وهي: "فَعِيل، وفَعَل، وفَعْل"؛ ولكنه في حقيقة الأمر الكلام مقصور على" فَعَل، وفَعْل"؛ لأنه فصلهما بعد أن وضح أن مجيء "فَعِيل بمعنى مَفْعُول" كثير؛ وأنه لا يقاس عليه ولم يذكر في ذلك إجماعًا ولا خلافًا[1].

أما بالنسبة لعمل هذه الصفات عمل اسم المفعول، الذي يمثل التنبه الثاني والثالث الذي أشار إليه بَحْرَق في هذه المسألة؛ فهذا أيضًا محل خلاف تفصيله كالآتي:

الرأي الأول:

يرى أن هذه الصفات التي تنوب عن "مَفْعُول" لا تعمل عمله، وإنما تدل على معناه؛ فلا يقال: "مررت برجلٍ جريح عبدُه"، فترفع عبده بـ"جريح"، وما ورد منها من عمل فهو موقوف على السماع.

وقال بهذا رأي:

ابن مالك[2]، وابن عقيل[3]، ونُسِب هذا الرأي للجمهور، واختاره بَحْرَق[4].

الرأي الثاني:

يرى أن جميع الصفات التي تنوب عن "مَفْعُول" تعمل عمله؛ فيجوز رفع ما بعدها.

=

الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨٢م)، ٤ :٢١١٠.

(١) السيوطي، "الهمع"، ٣: ٢٨٨.

(٢) ابن مالك، "التسهيل"، ١٣٨.

(٣) بهاء الدين عبد الله بن عقيل، "شرح ألفية ابن مالك ". تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (ط٢٠، القاهرة: دار التراث، دار مصر، سعيد جودة السحار وشركاه، ١٩٨٠م)، ٣: ١٣٩.

(٤) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ١٧٦.

وقال بهذا الرأي: ابن عصفور.

وفي ذلك يقول : "... واسم المفعول، وما كان من الصفات بمعناه حكمه بالنظر إلى ما يطلبه من المعمولات، حكم الفعل المبني للمفعول"[(١)].

وردّ هذ الرأي:

بأنه يحتاج في منعه أو إجازته إلى نقل صحيح عن العرب[(٢)].

الخلاصة:

فالذي أرتضيه بعد هذا العرض هو الرأي الثاني الذي وضح أن مجيء "فَعِيل بمعنى مَفْعُول" يكون قياسًا إذا لم يأت منه "فَعِيل بمعنى فَاعِل"؛ لاعتماده على المنطوق من كلام العرب[(٣)]، أما بَخْرَق فلم أجد له رأيًا واضحًا في هذه المسألة بل كان ناقلاً لآراء من سبقوه دون تأييد أو معارضة، وإنما أبدى اندهاشه مما ذهب إليه ابن الناظم في إجماعه على أن مجيء "فَعِيل بمعنى مَفْعُول" لا ينقاس بالإجماع، أما بالنسبة لعمل هذه الصفات فالذي اختاره هو ما أجمع عليه الجمهور، وأيده بَخْرَق، وهو عدم إعمال هذه الصفات عمل اسم المفعول؛ لأنه لم ينقل عن العرب[(٤)].

(١) ابن عصفور، "المقرب"، ١: ٨١.

(٢) أبو حيان، "التذييل والتكميل"، ١٠ :٣٦٢.

(٣) ينظر: ص ٣٠ من البحث.

(٤) ينظر: ص٣١ من البحث.

المبحث الخامس

التنبيه الخامس: "فَعْل" مصدر الثلاثي المتعدي بين القياس والسماع

قال ابن مالك:

"فَعْـلٌ مَقِـيسُ الْمُعَـدَّى، وَ "الْفُعُـولُ" لِغَـيْ

رِهِ؛ .....[1]

نبه بحرق قائلاً: "**تنبيه:** ظاهر كلامه أن "فَعْلاً"مقيس في "فَعَل" المفتوح المعدّى مطلقًا، وإن سُمِعَ غيره، وهو مذهب الفراء[2]، ولكن المنقول عن سيبويه[3] والأخفش[4] أنه مقيس ما لم يُسمع، فإن سُمِعَ غيره وُقف عنده، ولم يخترع له مصدرًا آخر على القياس فلا يقال في طَلَبَه طَلَبًا...، طَلْبًا، .....، ولا يجوز أن يقال ذلك قياسًا، وظاهر عبارته أيضًا أنه مقيس في "فَعِلَ" المكسور بلا قيد، وهو أيضًا ظاهر إطلاق الخلاصة[5]، حيث قال: "فَعْل" قياس مصدر المعدّى"[6]، وهو مقتضى كلام سيبويه والأخفش، ولكن قيد في التسهيل اطراداه بأن يدل على عمل بالفم، نحو: "لَقِمَ لَقْمًا"، ....، وأما غير عمل الفم فجيء مصدره على "فَعْل" قليل، ومنه "حَمِده

(١) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٨٣.

(٢) ينظر رأيه في، ابن عقيل: "المساعد"، ٢: ٦٢٢.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٩.

(٤) ينظر رأيه في: ابن عقيل، "المساعد"، ٢: ٦٢٢.

(٥) ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك، "ألفية ابن مالك في النحو والصرف"(بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، منشورات: محمد على بيضون)، ٣٥.

(٦) ابن مالك، "التسهيل"، ٢٠٥؛ وابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣: ٤٧٠، ٤٧١.

حَمْدًا"..."[١].

الشرح لمضمون التنبيه

نبه بَحْرَق على أن ظاهر كلام الناظم في لاميته أن "فَعْلاً" مصدرًا قياسيًا لـ "فَعَل" المتعدي، وإن سُمِعَ غيره، وهذا ما اختاره الفراء، أما سيبويه، والأخفش، فذهبا إلى أنه مقيس مالم يُسمع غيره، فإن سُمِعَ غيره، وجب الوقوف على ما سُمِعَ، ولم نضع له مصدرًا آخر على القياس، وظاهر كلام الناظم في الخلاصة أنه جعل "فَعْل" مصدرًا قياسيًا لـ "فَعِل" ولم يقيده بشيء، ولكنه قيده في التسهيل بأن يُفهم عملاً بالفم، وإن لم يُفهم ذلك فمجيء مصدره على "فَعْل" قليل.

الدراسة والتحليل

تعددت مصادر الفعل الثلاثي اللازم الذي يأتي على "فَعَل، وفَعِل"، أما مصدر المتعدي منهما فإنه يأتي على "فَعْل"، وفي قياسية هذا المصدر خلاف تفصيله كالآتي:

الرأي الأول:

يرى أن "فَعْلاً" هو المصدر القياسي للمتعدي من "فَعَل، وفَعِل"، "كـ"رَدَّ ردًّا "وأَكَل أَكْلًا "، و"فَهِم فهْمًا، ولَقِمَ لقْمًا"، مالم يُسمع خلافه، فإن سُمِع خلافه وجب الوقوف على ما سُمِعَ.

وقال بهذا الرأي:

سيبويه[٢]، والأخفش[٣]، وبَحْرَق[٤].

(١) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ١٨٢، ١٨٣.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٩.

(٣) ينظر رأيه في: ابن عقيل، "المساعد"، ٢: ٦٢٢.

(٤) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ١٨٢، ١٨٣.

قال سيبويه: ".. وقالوا ضَرَبَهَا الفحل ضِرَابًا ...، والقياس، ضَرْبًا، ولا يقولونه كما لا يقولون نَكْحًا، وهو القياس"(١).

قال بَحْرَق: "المنقول عن سيبويه والأخفش أنه مقيس ما لم يُسمع، فإن سُمِعَ غيره وُقف عنده، ولم يخترع له مصدرًا آخر على القياس فلا يقال في: طَلَبَه طَلَبًا، ....، طَلْبًا، .....، ولا يجوز أن يقال ذلك قياسًا"(٢).

يُفهم من كلام بَحْرَق موافقته لما ذهب إليه سيبويه، والأخفش، ووضح الصبان المقصود بالقياس بأنه: إذا ورد فعل ولم يعلم له مصدر فإنه يقاس على "فَعْل"، ويؤتى بمصدره على هذا الوزن، أما إذا سُمِع له مصدر آخر فنقف على ما سُمِعَ(٣).

الرأي الثاني:

يرى أنه يجوز القياس على "فَعْل" للمتعدي من "فَعَل، وفَعِل"، وإن سُمِع غيره.

وقال بهذا الرأي: الفراء(٤)، وابن مالك(٥) -في أحد قوليه.

الرأي الثالث:

يرى أنه لا تدرك مصادر الفعل الثلاثي إلا بالسماع، فلا نقيس على "فَعْل"، وإن لم يوجد السماع.

---

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤، ٩.

(٢) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ١٨٢، ١٨٣.

(٣) محمد بن علي الصبان، "حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك"، (ط١، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م)، ٢: ٤٥٩.

(٤) ينظر رأيه في: ابن عقيل، "المساعد"، ٢: ٦٢٢.

(٥) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٨٣.

وقال بهذا الرأي: المبرد[١]، وابن جودي[٢][٣].

فأشار المبرد إلى استحالة خضوع مصادر الفعل الثلاثي للقياس بقوله: "اعْلَم أَن هَذَا الضَّرْب من المصادر يَجِيء على أَمْثِلَة كَثِيرَة بزوائد وَغير زَوَائِد وَذَلِكَ أَن مجازها مجَاز الْأَسْمَاء والأسماء لَا تقع بِقِيَاس"[٤]، أي أنها سماعية عنده.

الرأي الرابع:

يرى أن مصادر الثلاثي عامة قياسية لكثرتها.

وقال بهذا الرأي: الزمخشري[٥]، وأبو بكر الرازي[٦].

حيث جزم الأخير أن القياس الغالب في مصادر الأفعال الثلاثية المتعدية من "فَعَل، و"فَعِل" أن يجيء مصدرهما على "فَعْل"؛ لكثرتها، نحو: "نَصَر: نَصْرًا"، و"فَهِم،

(١) المبرد، "المقتضب"، ٢: ١٤٢.

(٢) هو خلف بن فتح بن جودي القيسي، نحوي، مقرئ، من أهل يابرة وسكن قرطبة، ومن مؤلفاته: الناهج في شرح ما أشكل من الجمل للزجاجي، توفي سنة ٤٣٤هـ، ينظر ترجمته في: السيوطي، "بغية الوعاة"، ١: ٥٥٦.

(٣) ينظر رأيه في: السيوطي، "الهمع"، ٣: ٢٨٢.

(٤) المبرد، " المقتضب"، ٢: ١٤٢.

(٥) أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، "المفصل في علم العربية ". تحقيق: د. فخر صالح قدراة، (ط١، الأردن: دار عمار، ٢٠٠٤م) ٢١٥؛ والنعمان بن ثابت المعروف بأبي حنيفة، "المطلوب شرح المقصود في التصريف، وبهامشه شرحان على المقصود، روح الشروح لعيسى السيروى، وإمعان الأنظار"، لزين الدين محمد بيرعلى المعروف ببيركلى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٢٤م)، ٢٤.

(٦) الرازي، "مختار الصحاح "، ٧.

فَهْمًا"[١].

الرأي الخامس:

يرى أن "فَعْلاً" يكون مصدرًا قياسيًا لـ"فَعَل" المتعدي، وإن سُمِعَ غيره، ولا يكون هذا المصدر قياسيًا في "فَعِل" المتعدي إلا إذا أفهم عملاً بالفم، نحو: "لَقِمَ لَقْمًا"، وإن لم يُفهم ذلك فمجيء المصدر منه على "فَعْل" قليل، نحو: "حَمِده حَمْدًا"، وقد يجيء على فِعْل كـ"حَفِظَه حِفْظًا"، وعلى "فُعْل"، كـ" لَبِسه لُبْسًا".

وقال بهذا الرأي:

ابن مالك-في أحد قوليه.

قال ابن مالك: "والمقيس في المتعدي من فَعَل" مطلقًا، ومن " فَعِل" المُفهِم عملاً بالفم: "فَعْل".."[٢].

الخلاصة:

فالذي أختاره بعد هذا العرض هو الرأي القائل: أن "فَعْلاً" هو المصدر القياسي للمتعدي من "فَعَلَ، وفَعِل"، مالم يُسمع خلافه، فإن سُمِع خلافه وجب الوقوف على ما سُمِعَ، وهو ما اختاره بَحْرَق[٣]؛ وما ذهب إليه بعض النحاة من عدم قياسية مصادر الثلاثي عامة غير صحيح، وهذا ما ضعفه ابو البقاء الكفوي بقوله: "القَوْل بِأَن مصَادر الثلاثي.. لَا تنقاس لَيْسَ بِصَحِيح بل لَهَا مصَادر منقاسة ذكرهَا

(١) المصدر السابق، ٧.

(٢) ابن مالك، "التسهيل"، ٢٠٥؛ ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٣: ٤٧٠، ٤٧١.

(٣) ينظر: ص ٣٤ من البحث.

النحويون"[١]، ولم يشترط أحد من النحاة ما شرطه ابن مالك في التسهيل في مصدر "فَعِل" المتعدي لكي يأتي مصدره على "فَعْل" أن يفهم عملاً بالفم[٢]، ولم يتفق أكثر النحويين مع ابن مالك فيما أطلقه في لاميته من كون "فَعْل" مصدرًا قياسيًا لـ "فَعَل" المتعدي، وإن سُمِعَ غيره[٣]؛ لأنه إن لم يوجد القياس فلابد أن يوقف على السماع؛ مما يدل على قوة ما ذهب إليه بَحْرَق، وضعف غيره من الآراء.

(١) أيوب بن موسى الكفوي، "الكليات". تحقيق: عدنان درويش، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ١٠٤٧.

(٢) ابن مالك، "التسهيل"، ٢٠٥.

(٣) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٨٣.

المبحث السادس

التنبيه السادس: المحذوف من المصدرين "إفْعَال، واسْتِفْعَال" المعتلين العين

قال ابن مالك:

-مَـا عَينُـهُ اعْتَلَّـتِ "الْإِفعَـالُ" مِنْـهُ، و"الِاسْـ

تِفْعَـالُ: "بِالتَّـا؛ وَتعْـوِيضٌ بِهَـا حَصَـلَا[1]

نبه بحرق في معرض حديثه عن مصدر غير الثلاثي المعتل العين، بقوله: "**تنبيه:**... واختلفوا في المحذوف من، نحو: "الإقَامة، والاسْتِقَامة" من الألفين، فعند سيبويه، والخليل، أنها الألف المزيدة قبل الآخر للدلالة على المصدر؛ ...[2]"، وعند الأخفش والفراء العكس؛ ..."[3][4]، **ثم نبه مرة أخرى قائلاً:** "و ربما حذفوا التاء من، نحو: "الإقَامة"، فقالوا: "إقَاما، وإجَابا"، وقد نبه على ذلك في الخلاصة، حيث قال: "وغالبًا ذا التاء الزم"[5]، ويكثر ذلك مع الإضافة، نحو: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:٣٧][6]".

الشرح لمضمون التنبيه

يتضح أن بَحْرَقًا نبه على الخلاف في تحديد المحذوف من مصدر "إفْعَال،

(١) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٨٤.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٨٣.

(٣) ينظر رأيهما في: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ١٠: ٧٠.

(٤) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الاقفال"، ١٩٧.

(٥) ينظر: ابن مالك، "الألفية"، ٣٥.

(٦) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الاقفال"، ١٩٨.

واسْتِفْعَال" معتلي العين، فذكر أن الخليل وسيبويه أجازا حذف الألف الثانية الزائدة؛ لأن حذف الزائد أولى من حذف الأصل، والفراء، والأخفش أجازا حذف الألف الأولى التي تمثل عين الكلمة؛ لأن الحرف المزيد زيد للدلالة على معنى، وبحذفه يفوت الغرض من زيادته، وسواء أكان المحذوف في صيغتي "إفْعَال، واسْتِفْعَال" الألف الأولى أم الثانية، يعوض عن المحذوف بتاء في آخر المصدر تدل على المحذوف، وأجاز ابن مالك في ألفيته حذفها لأجل الإضافة.

الدراسة والتحليل

لما كانت الأفعال لهذه المصادر معتلة العين، أعلت مصادرها لاعتلال أفعالها، ومن أمثلة ذلك قولنا في مصدر الفعل "أقَامَ": "إِقَامة"، ومصدر الفعل "اسْتَقَام": "اسْتِقَامة"، فالأصل في مصدر هذين الفعلين: "إِقْوَام"، و"اسْتِقْوَام"؛ نقلت حركة الواو فيهما، وهي "الفتحة" إلى الساكن الصحيح قبلهما؛ فصارتا "إِقَوْام"، و"اسْتِقَوْام"، ثم قلبت "الواو" فيهما ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها، فصارتا "إِقَاْام"، "واسْتِقَاْام"، فالتقى ساكنان – الألف الأولى التي تمثل عين الكلمة، والألف الثانية الزائدة، وهي ألف المصدر –، ولابد من حذف أحد الساكنين، فصارتا بعد حذف أحد الساكنين "إِقَام، واسْتِقَام"، وعُوِضَ عن الحرف المحذوف بالتاء في آخرهما فقيل: "إِقَامَة، واسْتِقَامة"[(١)]، ولكن أي الساكنين حُذف الأول أم الثاني؟، هذا محل خلاف توضيحه كالآتي:

الرأي الأول:

يرى أن المحذوف من المصدرين "إفْعَال، واسْتِفْعَال" المعتلين العين، هي الألف الثانية الزائدة، – التي تمثل ألف المصدر.

(١) المبرد، "المقتضب"، ١: ٢٣٨؛ وابن جني، "المنصف"، ٢٩١؛ وابن يعيش، "شرح المفصل"، ٦: ٥٨، ١٠: ٧٠؛ والرضي، "شرح الشافية"، ١: ١٦٥، ٣: ١٥١.

وقال بهذا الرأي:

الخليل[١]، **وسيبويه**[٢].

حجتهما في ذلك:

أن ألف المصدر- زائدة، والزائد أولى بالحذف، ووزنهما بعد حذف الألف الزائدة "إفَعْلة، واسْتِفَعْلة"، وأجاز سيبويه عدم التعويض بالتاء، واستدل على ذلك بقوله تعالىَّ: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:٣٧][٣].

الرأي الثاني:

يرى أن المحذوف من المصدرين "إفْعَال، واسْتِفْعَال" المعتلين العين، هي الألف الأولى التي تمثل عين الكلمة، وعوض عن المحذوف بالتاء، ووزنهما بعد الحذف: "إِفَالة، واسْتِفَالة"، وأجاز الفراء عدم التعويض بالتاء وخص ذلك بحال الإضافة؛ لأن السماع لم يثبت إلا مع الإضافة[٤]؛ولأن الإضافة سدت مسد التعويض[٥].

(١) ابن جني، "المنصف"، ٢٩١.

(٢) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٨٣.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٨٣.

(٤) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، "معاني القرآن". تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، (ط١، دار المصرية، بدون تاريخ)، ٢: ٢٥٤.

(٥) المصدر السابق، ٢: ٢٥٤؛ أبو السّعادات هبة الله بن عليّ بن الشجري، "الأمالي الشجرية". تحقيق: د. محمد محمود الطناحي، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٩٩٢م)، ٢: ١٨٦، ١٨٧.

وقال بهذا الرأي:

الفراء[١]، والأخفش[٢]، و بَحْرَق[٣].

قال بَحْرَق: "... فإن كان معتلها كـ"اسْتَعَان، واسْتَقَام"، ....تسقط العين في مصدره...."[٤].

وحجتهم في ذلك:

أن حذف حرف العلة أولى من حذف حرف زيد للدلالة على معنى، وبحذفه يفوت الغرض الذي جيء به من أجله[٥].

الخلاصة:

فالذي أميل إليه هو الرأي القائل: أن المحذوف من مصدر "إفْعَال، واسْتِفْعَال" المعلين العين، هي الألف الثانية الزائدة، – التي تمثل ألف المصدر.؛ لأن حذف الزائد أولى من حذف الأصل؛ مما يدل على ضعف رأي بَحْرَق ومن تبعه[٦].

(١) الفراء، "معاني القرآن"، ٢: ٢٥٤.

(٢) ينظر رأيه في: ابن عصفور، "الممتع"، ٢: ٤٩٠.

(٣) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ١٩٧.

(٤) المصدر السابق، ١٩٧.

(٥) الرضي، "شرح الشافية"، ١: ١٦٥.

(٦) ينظر: ص ٣٩من البحث.

المبحث السابع

التنبيه السابع: المَفْعَل والمَفْعِل من المثال الواوي[1]

قال ابن مالك:

مِـنْ ذِي الثَّلَاثَـةِ لَا "يفْعِـلْ" لَـهُ أَثْـتِ بِـ"مَفْ
عَـلٍ" لِمَصْـدَرٍ أَوْ مَـا فِيـهِ قَـدْ عُمِـلَا
كَـذَاكَ مُعْتَـلُّ لَامٍ مُطْلَقـاً، وَإِذَا الْ
فَـا كَـانَ وَاواً بِكَسْـرٍ مُطْلَقـاً حَصَـلَا
وَلَا يـؤَثِّرُ كَـوْنُ الْـوَاوِ فَـاءً إِذَا
مَـا اعْتَـلَّ لَامٌ كَ "مَـوْلِىً"، فَـارْعَ صِـدْقَ وَلَا
فِي غَـيْرِ ذَا عَيَنَـهُ افـتَحْ مَصْـدَراً، وَسِـوَا
هُ اكْسِـرْ، وَشَـذَّ الَّـذِي عَـنْ ذَلِـكَ اعْتَـزَلَا[2]

نبه بَحْرَق على مجيء "المَفْعَل والمَفْعِل" من المثال الواوي، سواء أريد بذلك المصدر الميمي، أو اسم الزمان والمكان، بقوله: "**تنبيه:** شمل إطلاقه ما فاؤه واو ومضارعه مفتوح: سواء كان من باب "فَعَل" بالفتح ك" وَضَعَ"، "يَضَعَ"، أو من باب "فَعِل" بالكسر ك"وَجِلَ"، "يَوجَل"، ...، لكن المختار -وبه صرح بدر الدين رحمه الله- أن ذلك خاص بما مضارعه على "يفْعِل" بالكسر، ك"وَعَدَ"، "يَعِد"، أما، نحو: "وَضَعَ"، و"وَجِلَ"، "يَوْجَل" فملحق بباب: "فَرِحَ"، "يَفْرَح"، وقد سبق أن المفعل منه

(١) التسمية بهذا المصطلح انفرد بها بَحْرَق.
(٢) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ٨٥.

مفتوح مطلقًا..."[١].

الشرح لمضمون التنبيه

نبه بَحْرَق إلى إطلاق ابن مالك في لاميته عندما تحدث عن مجيء المصدر الميمي، واسمي الزمان والمكان من المثال الواوي، فإنه جعل المفعل منه مكسور العين مطلقًا ولم يفرق بين ما إذا كان مضارعه مكسورًا، نحو: "وَعَدَ"، "يَعِد"، وبين ما كان مضارعه مفتوحًا، نحو: "وَجِلَ"، "يَوْجَل"، و"وَضَعَ"، "يَضَع"، وهذا ما ذهب إليه غيره من النحاة –على ما سنوضحه فيما بعد– ولكن بدر الدين –حمه الله– خص "المفْعِل" بمكسور العين في المضارع، نحو: "وَعَدَ"، "يَعِد"، فيقال: "مَوْعِد"، أما نحو: "وَجِلَ"، "يَوْجَل"، و"وَضَعَ"، "يَضَع"، فالمفعل منه مفتوح العين فيقال: "الموْجَل"، و"الموْضَع"[٢]، وهو المختار عند بَحْرَق.

الدراسة والتحليل

تتداخل بعض الصيغ في الدلالة على شيئين مختلفين من مشتقات الفعل، ك "المفعِل، والمفعَل" فقد يدلان على المصدر أو على اسمي الزمان والمكان، وفي مجيء "المفعَل، والمفعِل" من المثال الواوي خلاف توضيحه كالآتي:

الرأي الأول:

يرى أن المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان من المثال الواوي يأتي على زنة "مفعِل" مطلقًا، سواء كان مكسور العين في المضارع، نحو: "وَعَدَ"، "يَعِد"، أو

(١) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ٢٠٣.

(٢) أبو عبد الله بدر الدين المعروف بابن الناظم، "شرح العلامة بدر الدين على لامية ابن مالك". (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٩٩٢م)، ٤٩، ٥٠.

مفتوحها، سواء أكان مفتوح العين من باب "فَعَل" كـ"وَضَعَ"، "يَضَعَ"، أو من باب "فَعِل" كـ "وَجِلَ"، "يَوجَل"، فيقال: "مَوْعِد"، و "مَوْضِع"، و"مَوْجِل".

وقال بهذا الرأي:

سيبويه(١)، والفراء(٢)، وابن السراج(٣)، وابن مالك(٤)، والرضي(٥).

قال الفراء: "... وما كَانَ أوّله وَاوًا مثل: "وزنت، وورثت..." فالمفعل فِيهِ اسمًا كَانَ أو مصدرًا مكسور..."(٦).

وبين سيبويه السبب في مجيء المفعل من "وَجِلَ، يَوْجَل"، على زنة "مَفْعِل" بقوله: "وقال أكثر العرب في "وَجِل"، "يَوْجَل" و"وَحِلَ"، "يَوْحَل"، "مَوْجِل ومَوْحِل"؛ وذلك لأن "يَوجَل"، "يَوْحَل"، وأشباههما في هذا الباب من "فَعِل"، "يَفْعَل" قد يعتل، فتقلب الواو ياء مرة، وألفًا مرة، وقد تعتل الياء التي قبلها حتى تكسر؛ فلما كانت كذلك شبهوها في الأول؛ لأنها في حالة اعتلال؛ ولأن الواو منها في موضع الواو من الأول، وهم مما يشبهون الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله في جميع حالاته"(٧).

(١) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٩٢.

(٢) الفراء، "معاني القرآن"، ٢: ١٥٠.

(٣) أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، "الأصول في النحو". تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م)، ٣: ١٤٦.

(٤) ابن مالك، "لامية الأفعال"، ١٣٨.

(٥) الرضي، "شرح الشافية"، ١: ١٧٠؛ وابن عصفور، "الممتع"، ٢: ٤٣٢.

(٦) الفراء، "معاني القرآن"، ٢: ١٥٠.

(٧) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٩٣.

وشرح الرضي ما قاله سيبويه بأنه لما كانت واو "يَوْجَل"، و"يَوْحَل" في المضارع قد تعل بقلبها ألفًا، فيقال: "ياجل، ويَاجل" وقد تقلب ياء، فيقال: "يِيجَل، ويِيحَل"، وعندما تقلب ياء تكسر الياء التي قبلها، شبهت بالواو التي في "يَوعِد" المعتلة بالحذف، فجاء المفعل منهما مكسور العين، كما جاء المفعل من "وَعَدَ" كذلك، فقالوا: "مَوْجِل"، و"مَوْحِل" كما قالوا: "مَوْعِد"[١].

الرأي الثاني:

يرى أن ما كان مضارعه مفتوح العين، نحو: "وَضَعَ، يَضَع"، و"وَجِلَ، يَوْجَل"، فإن المصدر الميمي، واسمي الزمان، والمكان منه يأتيان على زنة: "مَفْعَل"، وما كان مضارعه مكسورًا، نحو: "وَعَدَ"، "يَعِد"، فإن المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان يأتيان منه على زنة "مَفْعِل".

وقال بهذا الرأي: ابن المؤَدِب[٢]، وابن الناظم[٣]، وبَحْرَق[٤].

ونجد سيبويه يوضح سبب مجيء المفعل من هذه الأفعال بفتح العين بأنها لغة ضعيفة لقوم من العرب بقوله: "وحدثنا يونس ... أن ناسًا من العرب يقولون في: "وَجِلَ، يَوْجَل"، ونحوه: "مَوجَل، ومَوْحَل"؛ وكأنهم هم الذين قالوا: "يوجَل"، فسلّموه، فلما سُلِّم وكان "يَفْعَل ك "يركَب"، ونحوه شبهوه به..."[٥].

(١) الرضي، "شرح الشافية"، ١: ١٧٠.

(٢) أبو القاسم بن محمد بن سعيد المعروف بابن المؤَدِّب، "دقائق التصريف". تحقيق: د. أحمد ناجي القيسي، (العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م) ١٢٣.

(٣) ابن الناظم، "شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك"، ٤٩، ٥٠.

(٤) بَحْرَق الحضرمي، "فتح الأقفال"، ٢٠٣.

(٥) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٩٣.

ووضح بَحْرَق مراده هو ومن تبعه في هذا الرأي، بأنهم جعلوا المفعل تابع للمضارع فما كان مضارعه على يفعِل وسقطت عينه في المضارع، فإن المفعل منه يأتي مكسور العين، سواء كانت عينه في الماضي مفتوحة، أو مكسورة، فيقال: "المَوْعِد، والمَوْئِل، والمَوْرِد"، وما كان مضارعه مفتوح العين، فإن واوه لا تحذف في المضارع، وفي هذه الحالة يأتي المفعل منه مفتوح العين.

وجعل ابن المؤَدِب اسمي الزمان والمكان مما لم تحذف عينه في المضارع، على زنة "مفعِل" نحو: "يَوسَن"، و"يَوْجَل"، وتفتح عين المفعل إذا أريد به المصدر[(١)].

الخلاصة:

فالذي أطمئن إليه بعد هذا العرض، هو الرأي القائل: أن المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان من المثال الواوي يأتي على زنة "مفعِل" مطلقًا، سواء كان مكسور العين في المضارع أو مفتوحها؛ لأنه يمثل رأي الكثير والغالب من أقوال النحاة، فضلاً عن كونه يمثل لغة أكثر العرب[(٢)]، وهذا ما صرح به سيبويه حيث قال: "وقال أكثر العرب في"وَجِل"، "يَوْجَل" و"وَجِل"، "يَوْحَل"، "مَوْجِل ومَوْحِل"..."[(٣)]؛ مما يدل على

(١) ابن المؤَدِب، "دقائق التصريف"، ١٢٣.

(٢) ينظر: ص ٤٣، ٤٤ من البحث.

(٣) سيبويه، "الكتاب"، ٤: ٩٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسوله الذي أوتي جوامع الكلم، وبعد:

فقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، وهي كالآتي:

- كشفت الدراسة عن أهمية التنبيهات التي ذكرها بَحْرَق في كتابه، أنها كانت إكمالاً لما فات ابن مالك في لاميته، وتوضيحًا لما أطلقه، وبيانًا لما أجمله، فهي تكميل لجهد ابن مالك في لاميته.
- أثبت الدراسة صحة ما نبه إليه بَحْرَق من أنه إذا أريد المغالبة من "فَعَل" فإن مضارعه يأتي على" يَفعُل" مطلقًا، ولا فرق في ذلك بين حلقي العين أو اللام أو غيره.
- أيدت الدراسة ما نبه إليه بَحْرَق من أن الأصل في حركة همزة الوصل أن تكون متحركة بالكسر؛ وإنما ضمت فيما ثالثه مضموم؛ لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم..
- أوضحت الدراسة صحة ما نبه إليه بَحْرَق من أن صيغة "فَعِيل" بمعنى "مَفْعُول" تنوب عنه في الدلالة على معناه دون عمله؛ لعدم ورود النيابة في العمل عن العرب.
- أشارت الدراسة إلى تأييد ما أرتأه بَحْرَق من أن "فَعْلاً" هو المصدر القياسي للمتعدي من "فَعَل، وفَعِل" ما لم يُسْمَع خلافه، وإن سُمِعَ خلافه وجب الوقوف على ما سُمِع.
- بينت الدراسة ضعف ما نبه إليه بَحْرَق من أن المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان من المثال الواوي يأتي على "مَفعَل" إذا كان مفتوح العين في المضارع، ويأتي على "مَفْعِل" إذا كان مكسور العين فيه؛ لأنه لا يمثل لغة أكثر العرب؛ ولم يقل به أكثر النحويين.
- أثبتت الدراسة اضطراب بَحْرَق في نسبة بعض الآراء إلى أصحابها، فقد نسب إلى ابن مالك أن أصل حركة همزة الوصل أن تكون ساكنة، وحُرِكَت بالكسر

للتخلص من الساكنين، ونسب هذا الرأي للجمهور ما عدا سيبويه، وفي حقيقة الأمر لم يقل سيبويه وابن مالك بغير ما قال به الجمهور، وهو أن أصل حركتها الكسر وضمت فيما ثالثه مضموم.

- بينت الدراسة انفراد بَحْرَق باستخدامه لمصطلحات جديدة لم يسبق إليها كإطلاقه لمصطلحي المفعَل، والمفعِل على اسمي الزمان والمكان والمصدر الميمي.
- أظهرت الدراسة إضافة بَحْرَق بعض الأفعال إلى قائمة الأفعال الشاذة التي لم يسبقه إليها غيره، كالفعل "وَضحَ، يَضِح" مضارعه على "يَفْعِل" وهذا شاذ عنده، وقياسه "يفعَل".
- لم يتبع بَحْرَق مذهب نحوي معين، بل كان يختار منها ما قويت حجته، وصحت أدلته.
- تركيز بَحْرَق في تنبيهاته على عين الفعل وما تصرف منه خاصة، وهذا لم يسبقه إليه غيره.

ومن أهم التوصيات التي أوصي بها:

اهتمام الباحثين بعمل دراسة مقارنة بين كتاب "فتح الأقفال" وبين الشروح الأخرى التي اهتمت بشرح لامية الأفعال لابن مالك.

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن السراج، أبو بكر محمد. "الأصول في النحو". تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م).

ابن الشجري، أبو السّعادات هبة الله. "الأمالي الشجرية". تحقيق: د. محمد محمود الطناحي. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٩٩٢م).

ابن المؤَدِب، أبي القاسم بن محمد. "دقائق التصريف". تحقيق: د. أحمد ناجي القيسي، و د. حاتم صالح الضامن، و د. حسين تورال. (العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "سر صناعة الإعراب". تحقيق: د. حسن هنداوي. (ط٢، دمشق، حلب: دار القلم، ١٩٩٣م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "المنصف، شرح كتاب التصريف للمازني". (ط١، دار إحياء التراث القديم، ١٩٥٤م).

ابن الناظم، أبو عبد الله بدر الدين. "شرح العلامة بدر الدين على لامية ابن مالك". (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٩٩٢م).

ابن الناظم، أبو عبد الله بدر الدين. "شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك". تحقيق: محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين. "إعراب القراءات السبع وعللها". تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، ١٩٩٢م).

ابن خالويه، الحسين بن أحمد. "ليس في كلام العرب لابن خالويه". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (ط٢، ١٩٧٩م).

ابن عصفور، أبو الحسن علي. "الممتع في التصريف". تحقيق: د. فخر الدين قباوة. (ط١، بيروت، لبنان: دار المعرفة، ١٩٧٨م).

ابن عقيل، بهاء الدين بن عقيل. "المساعد على تسهيل الفوائد". تحقيق: محمد كامل بركات. (ط١، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢م).

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله. "شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل". تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. (ط: ٢٠، القاهرة: دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٨٠م).

ابن مالك، أبو عبد الله محمد. "شرح التسهيل". تحقيق: د. عبد الحمن السيد، د. محمد بدوي المختون. (ط١، هجر، ١٩٩٠م).

ابن مالك، أبو عبد الله محمد. "لامية الأفعال". تحقيق: د. عبد المحسن بن محمد القاسم. (ط١، ٢٠٢١ م).

ابن مالك، أبو عبد الله محمد. "ألفية ابن مالك في النحو والصرف". (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، "بدون تاريخ").

ابن مالك، أبو عبد الله محمد. "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد". تحقيق: محمد كامل بركات. (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧ م).

ابن مالك، أبو عبد الله محمد. "شرح الكافية الشافية". تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي. (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء

التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨٢م).

ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء. "شرح المفصل". (دمشق: إدارة الطباعة المنيرية، "بدون تاريخ").

ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء. "شرح الملوكي في التصريف". تحقيق: فخر الدين قباوة. (ط١، دمشق، حلب: المكتبة العربية ١٩٧٣م).

ابن الأنباري، أبو البركات بن الأنباري. "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين". تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك. مراجعة د. رمضان عبد التواب. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، "بدون تاريخ").

أبو حنيفة، النعمان بن ثابت. "المطلوب شرح المقصود في التصريف، وبهامشه شرحان على المقصود، روح الشروح لعيسى السيروى، وإمعان الأنظار لزين الدين محمد بيرعلى المعروف ببيركلى. (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٢٤م).

أبو حيان، محمد بن يوسف. ارتشاف الضرب من كلام العرب. تحقيق: د. رجب عثمان محمد، ود. رمضان عبد التواب. (ط: ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م).

أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت. "النوادر في اللغة". تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد. (ط١، دار الشروق، ١٩٨١م).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل. "الكناش في فني النحو والصرف". تحقيق: د. رياض بن حسن الخوام. (بيروت، لبنان: المكتبة العصرية، ٢٠٠٠م).

بَحْرَق الحضرمي، محمد بن عمر. "فتح الاقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال". تحقيق: د. مصطفى النحاس. (ط ٢، ١٩٥٤م).

جرير، جرير بن عطية. "ديوان جرير". بشرح محمد بن حبيب. تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه. (ط٣، القاهرة: دار المعارف، "بدون تاريخ ").

الجوهري، إسماعيل بن حماد. "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون". عُنى بتصحيحه. محمد شرف الدين يالتقايا، (إسطنبول: وكالة المعارف ١٣٦٠ هـ- ١٣٦٢ هـ).

الرضي، محمد بن الحسن الرضي. "شرح شافية ابن الحاجب". شرح شواهده للعالم الجليل: عبد القادر البغدادي. تحقيق: محمد نور الحسن، وآخرون. (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٧٥م).

الزبيدي، محمد بن مرتضى. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: جماعة من المختصين. (الكويت: إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء، ٢٠٠١م).

الزمخشري، محمود بن عمرو. "المفصل في علم العربية للزمخشري". تحقيق: د. فخر صالح قدراة. (ط١، الأردن: دار عمار، ٢٠٠٤م).

السخاوي، أبو الخير محمد. "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع". (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ).

سيبويه، عمرو بن عثمان. "الكتاب". تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط٢، دار الفكر، ١٩٧٩م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "المزهر في علوم اللغة وأنواعها". شرحه، وضبطه: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (ط٣، القاهرة: دار التراث "بدون تاريخ").

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق:

أحمد شمس الدين. (ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

الشلي اليمني، محمد بن أبي بكر باعلوي. "السناء الباهر بتكملة النور السافر في أخبار القرن العاشر". تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي. (ط١، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ٢٠٠٤م).

الصبان، محمد بن علي. "حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك". (ط١، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمي، ١٩٩٧م).

الصيمري، عبد الله بن علي. "التبصرة والتذكرة". تحقيق: د. فتحي مصطفى أحمد علي. (ط ١، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٢م).

العكبري، عبد الله بن الحسين. "البيان في غريب إعراب القرآن". تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م).

العكبري، عبد الله بن الحسين. "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق: غازي مختار طليمات. (ط١، بيروت، لبنان: دار الفكر، المعاصر، دمشق، سورية: دار الفكر، ١٩٩٥م).

عمر رضا كحالة. "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة". (ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م).

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. "معاني القرآن". تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي. (ط١، دار المصرية "بدون تاريخ").

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. "القاموس المحيط". (ط٨، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م).

الكفوي، أيوب بن موسى. "الكليات". تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري. (بيروت: مؤسسة الرسالة "بدون تاريخ").

المبرد، محمد بن يزيد. "المقتضب". تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. (القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٤م).

المرادي: بدر الدين حسن. "توضيح المقاصد والمسالك". تحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان. (ط١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م).

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله. "معجم البلدان". (ط٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م).

ثانيًا: الرسائل العلمية:

بافقيه الشحري، محمد بن عمر. "تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأدباء الصالحين". تحقيق: أحمد صالح رابضه. إشراف: د. شائف عبده سعيد. رسالة ماجستير" للعام، ٢٠٠٠م.

Bibliography

I: Sources and references :

al-Qur'ān al-Karīm.

Ibn Al-Sarrāj, Abū Bakr Muḥammad. "Al-Uṣūl fī Al-Naḥw". Investigated by: Dr. ʻAbd al-Ḥusain al-Fatlī. (3st ed, Beirut: Mu'assasat Al-Risālah, 1996m).

Ibn Al-Shajarī, Abū al-Saʻādāt Hibat Allāh. "Al-Amālī Al-Shajariyyah". Investigated by: Dr. Muḥammad Maḥmūd Al-Ṭanāḥī. (1st ed, Cairo: Maktabat Al-Khānjī, Maṭbaʻat Al-madanī, Al-Mu'assasah Al-Saʻūdīyah Be-Miṣr, 1992).

Ibn al-Mu'addib, Abu Al-Qāsim Ibn Muḥammad. "Daqā'iq Al-Taṣrīf". Investigated by: Dr. Aḥmad Nājī al-Qaisī, Dr. Ḥātim Ṣāliḥ al-Ḍāmin, and Dr. Ḥusain Tūrāl. (Iraq: Maṭbaʻat Al-Majmaʻ Al-ʻIlmī Al-ʻIrāqī, 1987).

Ibn Jinnī, Abū Al-Fatḥ ʻUthmān. "Sirr Ṣināʻat al-Iʻrāb". Investigated by: Dr. Ḥasan Hindāwī. (2st ed , Damascus, Aleppo: Dār al-Qalam, 1993).

Ibn Jinnī, Abū Al-Fatḥ ʻUthmān. "Al-Munṣif, Sharḥ Kitāb al-Taṣrīf lil-Māzinī", (2nd ed., Dār Iḥyā' Al-Turāth Al-Qadīm, 1954).

Ibn Al-Nāẓim, Abū ʻAbdillāh Badr Al-Dīn. "Sharḥ Al-ʻAllāmah Badr Al-Dīn ʻalá Lāmīyat Ibn Mālik". (1st ed., Cairo: Maktabat Al-Khānjī, Maṭbaʻat Al-Madanī, Al-Mu'assasah Al-Saʻūdīyah Be-Miṣr, 1992).

Ibn Al-Nāẓim, Abū ʻAbdillāh Badr al-Dīn. "Sharḥ Ibn Al-Nāẓim ʻalá Alfīyat Ibn Mālik". Investigated by: Muḥammad Bāsil ʻUyūn al-Sūd. (1st ed , Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2000).

Ibn Khālawaih, Abū ʻAbdillāh Al-Ḥusain. "Iʻrāb Al-Qirā'āt Al-Sabʻ Wa-ʻIlalihā". Investigated by: Dr. ʻAbd al-Raḥmān Ibn Sulaymān Al-ʻUthaymīn. (1st ed., Cairo: Maktabat Al-Khānjī, Maṭbaʻat Al-Madanī, Al-Mu'assasah Al-Saʻūdīyah, 1992).

Ibn Khālawaih, Al-Ḥusain Ibn Aḥmad. "Laysa fī Kalām Al-ʻArab li-Ibn Khālawaih". Investigated by: Aḥmad ʻAbd al-Ghafūr ʻAṭṭār. (2nd ed., 1979).

Ibn ʻUṣfūr, Abū Al-Ḥasan ʻAlī. "al-Mumtiʻ fī al-Taṣrīf". Investigated by: Dr. Fakhr Al-Dīn Qabāwah. (1st ed., Beirut, Lebanon: Dār al-Maʻrifah, 1978).

Ibn ʻAqīl, Bahā' Al-Dīn Ibn ʻAqīl. "Al-Musāʻid ʻalá Tas′hīl Al-Fawā'id". Investigated by: Muḥammad Kāmil Barakāt. (1st ed.,

Damascus: Dār al-Fikr, 1982).
Ibn ʻAqīl, Bahā' Al-Dīn ʻAbdillāh. "Sharḥ Alfīyat Ibn Mālik li-Ibn ʻAqīl". Investigated by: Muḥammad Muḥyī Al-Dīn ʻAbd al-Ḥamīd. (20th ed., Cairo: Dār al-Turāth, Dār Miṣr, 1980).
Ibn Mālik, Abū ʻAbdillāh Muḥammad. "Sharḥ Al-Tas′hīl". Investigated by: Dr. ʻAbd al-Ḥaman al-Sayyid, Dr. Muḥammad Badawī al-Makhtūn. (1st ed., Dār Hijr, 1990).
Ibn Mālik, Abū ʻAbdillāh Muḥammad. "Lāmīyat al-Afʻāl". Investigated by: Dr. ʻAbd al-Muḥsin Ibn Muḥammad Al-Qāsim. (1st ed., 2021).
Ibn Mālik, Abū ʻAbdillāh Muḥammad. "Alfīyat Ibn Mālik fī Al-Naḥw wa-Al-Ṣarrf". (Beirut, Lebanon: Dār Al-Kutub Al-ʻIlmīyah).
Ibn Mālik, Abū ʻAbdillāh Muḥammad. "Tas′hīl al-Fawā'id wa-Takmīl Al-Maqāṣid". Investigated by: Muḥammad Kāmil Barakāt. (Cairo: Dār al-Kātib Al-ʻArabī, 1967).
Ibn Mālik, Abū ʻAbdillāh Muḥammad. "Sharḥ Al-Kāfiyah Al-Shāfiyah". Investigated by: ʻAbd al-Munʻim Aḥmad Harīdī. (1st ed., Makkah al-Mukarramah: Umm Al-Qura University, Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Faculty of Sharia and Islamic Studies, 1982).
Ibn Yaʻīsh, Muwaffaq Al-Dīn Abū al-Baqā'. "Sharḥ Al-Mufaṣṣal" (Damascus: Al-Muniriyah Printing Department, "No date").
Ibn Al-Anbārī, Abū Al-Barakāt Ibn Al-Anbārī. "Al-Inṣāf fī Masā'il Al-Khilāf Bayna Al-Baṣrīyīn Wa-al-Kūfīyīn". Investigated by: Jawdah Mabrūk Muḥammad Mabrūk. Review by: Dr. Ramaḍān ʻAbd al-Tawwāb. (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī "No Date").
Abū Ḥanīfah, Al-Nuʻmān Ibn Thābit. "Al-Maṭlūb Sharḥ Al-Maqṣūd fī Al-Taṣrīf, wa-be-Hāmishihi Sharḥān ʻalá Al-Maqṣūd, Rūḥ Al-Shurūḥ li-ʻĪsá al-Sairawá, wa-Imʻān Al-Anẓār li-Zayn Al-Dīn Muḥammad Birʻlá Al-Maʻrūf be-Birklá. (Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2024).
Abū Ḥayyān, Muḥammad Ibn Yūsuf. "Irtishāf Al-Ḍarab Min Kalām Al-ʻArab". Investigated by: Dr. Rajab ʻUthmān Muḥammad, and Dr. Ramaḍān ʻAbd al-Tawwāb. (1st ed., Cairo: Maktabat al-Khānjī, 1998).
Abū Zaid Al-Anṣārī, Saʻīd Ibn Aws Ibn Thābit. "Al-Nawādir fī al-Lughah". Investigated by: Dr. Muḥammad ʻAbd al-Qādir Aḥmad. (1st ed., Dār Al-Shurūq, 1981).
Abū Al-Fidā', ʻImād Al-Dīn Ismāʻīl. "Al-Kunnāsh fī Fannai Al-Naḥw

Wa-al-Ṣarf". Investigated by: Dr. Riyāḍ Ibn Ḥasan Al-Khawwām. (Beirut, Lebanon: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, 2000).

Baḥraq Al-Ḥaḍramī, Muḥammad Ibn ‘Umar. "Fatḥ al-Aqfāl wa-Ḥallu Al-Ishkāl be-Sharḥ Lāmīyat Al-af‘āl". Investigated by: Dr. Muṣṭafá Al-Naḥḥās. (2st ed , 1954).

Al-Jawharī, Ismā‘īl Ibn Ḥammād. "Al-Ṣiḥāḥ Tāj Al-Lughah wa-Ṣiḥāḥ Al-‘Arabīyah". Investigated by: Aḥmad ‘Abd al-Ghafūr ‘Aṭṭār. (4th ed., Beirut: Dār Al-‘Ilm lil-Malāyīn, 1987).

Al-Raḍī, Muḥammad Ibn Al-Ḥasan Al-Raḍī. "Sharḥ Shāfīyah Ibn Al-Ḥājib". Commentary by: ‘Abd Al-Qādir Al-Baghdādī. Investigated by: Muḥammad Nūr Al-Ḥasan, et al. (Beirut – Lebanon: Dār Al-Kutub Al-‘Ilmīyah, 1975).

Al-Sakhāwī, Abū al-Khair Muḥammad. "Al-Ḍaw’ Al-Lāmi‘ li-Ahl Al-Qarrn Al-Tāsi‘". (Beirut: publications of Dār Maktabat Al-Ḥayāh, no publication year).

Sībawaih, ‘Amr Ibn ‘Uthmān. "Al-Kitāb". Investigated by: ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. (2nd ed., Cairo: Maktabat Al-Khānjī, 1982).

Al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān Ibn Abī Bakr. "Bughyat Al-Wu‘āh fī Ṭabaqāt Al-Lughawīyīn Wa-al-Nuḥḥāh lil-Suyūṭī". Investigated by: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (2nd ed., Dār al-Fikr, 1979).

Al-Suyūṭī, ‘Abd Al-Raḥmān Ibn Abī Bakr. "Al-Muz′hir fī ‘Ulūm Al-Lughah Wa-Anwā‘ihā" Commentary by: Muḥammad Aḥmad Jād Al-Mawlá Bik, ‘Alī Muḥammad Al-Bajāwī and Muḥammad Abū Al-Faḍl Ibrāhīm. (3rd ed., Cairo: Dār al-Turāth " no Publication year ").

Al-Suyūṭī, ‘Abd Al-Raḥmān Jalāl Al-Dīn. "Ham‘ Al-Hawāmi‘ fī Sharḥ Jam‘ Al-Jawāmi‘". Investigated by: Aḥmad Shams Al-Dīn. (3rd ed., Beirut, Lebanon: Dār Al-Kutub Al-‘Ilmīyah, 1998).

Al-Ṣabbān, Muḥammad Ibn ‘Alī. "Ḥāshiyat Al-Ṣabbān ‘alá Sharḥ Al-Ushmūnī ‘alá Alfīyat Ibn Mālik". (1st ed., Beirut, Lebanon: Dār Al-Kutub Al-‘Ilmī, 1997).

Al-Ṣaimarī, ‘Abdullāh Ibn ‘Alī. "Al-Tabṣirah Wa-al-Tadhkirah". Investigated by: Dr. Fatḥī Muṣṭafá Aḥmad ‘Alī. (1st ed., Damascus: Dār Al-Fikr, 1982).

Al-‘Ukbarī, ‘Abdullāh ibn al-Ḥusain. "al-Bayān fī Gharīb I‘rāb Al-Qur’ān. Investigated by: Dr. Ṭāhā ‘Abd al-Ḥamīd Ṭāhā, revised Muṣṭafá al-Saqqā. (Cairo: al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, 1980).

Al-‘Ukbarī, ‘Abdullāh ibn al-Ḥusain. "Al-Lubāb fī ‘Ilal al-Binā’ Wa-Al-I‘rāb". Investigated by: Ghāzī Mukhtār Ṭulaymāt. (1st ed., Beirut, Lebanon: Dār al-Fikr, al-Mu‘āṣir, Damascus, Syria: Dār al-Fikr, 1995).

‘Umar Riḍā Kaḥḥālah. "Mu‘jam Qabā’il al-‘Arab al-Qadīmah wa-al-Ḥadīthah". (7th ed., Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1994).

Al-Farrā’, Abū Zakarīyā Yaḥyá ibn Ziyād. "Ma‘ānī al-Qur’ān". Investigated by: Aḥmad Yūsuf Najātī and ‘Abd al-Fattāḥ Ismā‘īl al-Shalabī. (1st ed., Dār al-Miṣrīyah " no Publication year ").

Al-Fayrūz Ābādī, Muḥammad ibn Ya‘qūb. "al-Qāmūs al-Muḥīṭ". (8th ed., Beirut, Lebanon: Mu’assasat al-Risālah, 2005).

Al-Kaffawī, Ayyūb ibn Mūsá. "al-Kullīyāt". Investigated by: ‘Adnān Darwīsh and Muḥammad al-Miṣrī. (Beirut: Mu’assasat al-Risālah "bi-dūn Tārīkh").

Al-Mubarrid, Muḥammad ibn Yazīd. "al-Muqtaḍab". Investigated by: Muḥammad ‘Abd al-Khāliq ‘Uḍaimah. (Cairo: Ministry of Religious Endowments, Supreme Council for Islamic Affairs, Committee for the Revival of Islamic Heritage, 1994).

Al-Murādī, Badr Al-Dīn Ḥasan. "Tawḍīḥ Al-Maqāṣid wa-Al-Masālik". Investigated by: Dr. ‘Abd al-Raḥmān ‘Alī Sulaimān. (1st ed., Dār al-Fikr al-‘Arabī, 2000).

Yāqūt al-Ḥamawī, Shihāb al-Dīn Abū ‘Abdillāh. "Mu‘jam al-Buldān". (2nd ed., Beirut: Dār Ṣādir, 1995).

II: Scientific Thesis:

Bāfaqih Al-Shaḥrī, Muḥammad ibn ‘Umar. "Tārīkh Ḥawādith al-Sinīn wa-Wafāt Al-‘Ulamā’ Al-‘Āmilīn wa-Al-Sādah Al-Murabbīn wa-Al-Udabā’ Al-Ṣāliḥīn". Investigated by: Aḥmad Ṣāliḥ Rābḍh. Supervised by: Dr. Shā’if ‘Abduh Sa‘īd. MA thesis, for the year 2000.

تعليلات الفراء الصوتيَّة
في كتابه "كتاب لغات القرآن"

The phonetic justifications provided by al-Farrāʾ in his work Kitāb Luġāt al-Qurʾān

د. سلوى راجح محمد العبدلي الشريف

أستاذ اللغويَّات المساعد بقسم اللُّغة والنحو والصرف بكليَّة اللغة العربيَّة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

البريد الإلكتروني: srabdali@uqu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
13/09/2025		22/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-004		

المستخلص:

للفراءِ فكرٌ صوتيٌّ يُعتدُّ به، اعتمد فيه على التَّحليل المنطقيّ، وربط التغيرات الصوتيَّة اللهجيَّة بنواح فسيولوجية، سابقًا بذلك علماء اللغة في العصر الحديث؛ إذ علل في مؤلفاته التي ألَّفها في معاني القرآن وألفاظه للظواهر الصوتيَّة في القراءات القرآنيَّة رابطًا إياها باعتبارات لهجيَّة حينًا، ونواح تشريحيَّة حينًا آخر؛ فجمع بذلك بين علم اللغة والفسيولوجيا والمنطق، ونظرًا لاتساع مجال البحث في تلك التعليلات؛ اختصت هذه الدراسة بكتابه(كتاب لغات القرآن)؛ لاحتوائه على تعليلات صوتيَّة تكشف ملامح منهجه في تحليل الظواهر الصوتيَّة، فاتجهت الدراسة إلى تجلية هذه الأهميَّة بالوقوف على تلك التعليلات في مواطنها، ثم تحليلها من وجهة نظر علم اللغة الحديث. وقد توصلت الدراسة إلى إبراز مكانة الفراء التحليلية في الدرس الصوتي، حيث قرَّر عددًا من القواعد الصوتيَّة منها: أنَّ غياب الدعم الحركي الذي تمنحه الحركة للصوت اللغويّ؛ يسهل عملية إبدال الأصوات الصامتة التي يصعب نطقها في سياقات معينة، وأنَّ وجود صوت صامت يفصل بين صوتين صائتين متباعدين في المخرج والصفة يسهل عملية التماثل الصوتي بينهما في بعض اللَّهجات العربيَّة، بالإضافة إلى تأكيده على مبدأ التوافق السياقي وأثره في البنية اللغويَّة الصوتيَّة.

الكلمات المفتاحية: تعليلات، الفراء، الصوتيَّة، كتاب، لغات القرآن.

Abstract:

Al-Farra' had a significant phonetic thought, based on logical analysis and linking dialectal phonetic changes to physiological aspects he preceded contemporary linguists in this field. In his writings on the meanings and expressions of the Qur'an, he interpreted phonetic phenomena in Qur'anic recitations. In his writings on the meanings and expressions of the Qur'an, he interpreted phonetic phenomena in Qur'anic recitations, linking them to dialectal considerations at times and to anatomical aspects at other times. In doing so, he combined linguistics, physiology, and logic. Given the breadth of research into these commentaries, this study has been devoted to his book (Kitāb Lughāt al-Qurʾān). Since it contains phonetic commentaries, many of which are not covered in his other works, and since they have not been collected and studied by those who have transmitted from him, this study aims to clarify this importance by examining these commentaries in their context and then analyzing them from the perspective of contemporary linguists. The study came to shed light on his analytical position in phonetic studies, as he established a set of phonetic rules, including: that the absence of motor support provided by movement to the linguistic sound facilitates the process of replacing consonants that are difficult to pronounce in certain contexts, and that the presence of a consonant sound separating two vowel sounds that are far apart in pronunciation and quality facilitates the process of phonetic similarity between them in some Arabic dialects. He also emphasized the principle of contextual compatibility.

Keywords: explanations, Al-Farra, phonetics, a book, Kitāb Luġāt al-Qurʾān.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين، أمَّا بعد.

إنَّ علم اللغة في العصر الحديث اهتم بالتحليل الصوتي للظواهر اللغويَّة المختلفة، ومعرفة التغيرات التي تطرأ على الأصوات اللغويَّة في اللغات الإنسانيَّة، وبيان مسبباتها؛ لذلك فإنَّ هذه التغيرات جديرة بالبحث والتمحيص بالنسبة لجميع اللغات الإنسانيَّة، وتزداد أهميَّتها إذا ارتبطت بمجال القراءات القرآنية؛ نظرًا لارتباطها بلغة الدِّين الإسلاميّ، ولارتباطها بكتاب الله –عز وجل– على وجه الخصوص، ولارتباطها أيضًا ببيان أسباب اختلاف اللَّهجات العربيَّة في البيئة اللغويَّة الواحدة.

لذلك سعت هذه الدِّراسة إلى الكشف عن هذه التغيرات وبيان مسبباتها من خلال(كتاب لغات القرآن) للفراء؛ لما امتاز به الفراء من فكر صوتيّ يُعتدُّ به؛ ولاعتماده على التحليل المنطقي، وربط التغيرات الصوتيَّة اللهجيَّة بنواح فسيولوجيَّة، سابقًا بذلك علماء اللغة في العصر الحديث؛ إذ علل في مؤلفاته التي ألَّفها في معاني القرآن وألفاظه للظواهر الصوتيَّة في القراءات القرآنية رابطًا إياها باعتبارات لهجيَّة حينًا، وبنواح تشريحية حينًا آخر؛ فجمع بذلك بين علم اللغة والفسيولوجيا والمنطق.

ونظرًا لاحتواء هذا الكتاب على تعليلات صوتيَّة لم يتطرق إلى عدد منها في كتابه (معاني القرآن)، منها: تعليله لنطق السين الساكنة بصوت بين الشين والضاد في لغة بنى سدوس، وتعليله لامتزاج تاء الافتعال بالصاد بشرط تسكينها ومجيء ساكن حلقي قبلها، وتعليله لقول بعض العرب (حير عين) في (حور عين) وغيرها من التعليلات الصوتيَّة؛ اتجهت هذه الدِّراسة إلى تجلية هذه الأهميَّة بالوقوف على تلك التعليلات في مواطنها، ثم تحليلها من وجهة نظر علم اللغة الحديث.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

١) تتبع تعليلات الفراء الصوتيَّة في كتابه "كتاب لغات القرآن".

٢) تحليل هذه التعليلات تحليلاً صوتيًّا.

٣) الربط بينها وبين ما توصل إليه البحث اللُّغوي في العصر الحديث.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

اهتم علماء اللغة المحدثون بجمع وتدوين فكر الفراء الصوتي من خلال كتبه، والكتب التي نقلت عنه، ومن ذلك:

١) من فكر الفراء الصوتي قراءة جديدة في تراثنا الصوتي، صبيح حمود التميمي، المورد، وزارة الثقافة والإعلام، المجلد١٩، العدد٢، ١٩٩٠م، تناول فيه المؤلف ست مسائل صوتية نقلاً عن السيرافي في محاولة لتصحيح أوهام السيرافي فيما نقلة عن الفراء، وهي دراسة مغايرة للدراسة التي بين أيدينا.

٢) أوهام السيرافي في نسبة الآراء إلى الفراء دراسة صوتيَّة، حيدر فخر ميران، كلية الآداب، المجلد ٢، العدد٢، جامعة بابل، ٢٠١٢م، حاول فيه المؤلف تصحيح أوهام السيرافي التي نقلها عن الفراء، وهي دراسة مغايرة للدراسة التي بين أيدينا أيضًا.

٣) من آراء الفراء الصوتيَّة في كتاب الإدغام للسيرافي: دراسة تحليلية نقدية، سناء أحمد شهاب الدين، التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، العدد ١٥٧–١٥٨، ٢٠٢٠م، وهي دراسة مغايرة لهذه الدراسة، حيث ترد الباحثة فيها على من اتهم السيرافي بالوهم والنقل غير الدقيق عن الفراء.

٤) تحقيق الهمز وتخفيفه في كتاب فيه لغات القرآن للفراء (ت٢٠٧)، فالح

الأسدي، محاسن كماش، المجلد ١٣، العدد١، تناول الباحثان ظاهرة الهمز والتحقيق في القراءات القرآنية واختلاف لغات القبائل في تحقيقها وتخفيفها، وهي دراسة مغايرة للدراسة التي يتناولها هذا البحث.

٥) الإبدال بين الصوامت في كتاب فيه لغات القرآن للفراء(ت٢٠٧هـ) فالح الأسدي، محاسن كماش، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلد١٣، العدد٢، ٢٠٢٢. تناول فيه الباحثان أثر الإبدال بين الصوامت في تغير الدِّلالة اللُّغويَّة أو المحافظة عليها، وهي دراسة مغايرة لما تناوله هذا البحث.

٦) كتاب "لغات القرآن للفراء :دراسة لغوية" محاسن كماش، مؤسسة دار الصادق الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى (٢٠٢٤م) تضمن هذا الكتاب ما نشرته الباحثة في الدراستين السابقتين المذكورة في هذا البحث مع إعادة ترتيب المباحث وإضافة عدد من الفصول، وقد اقتصرت فيه على العرض الوصفي دون التطرق إلى التعليلات الصوتيَّة الواردة في الكتاب، ماعدا موضع تعليلي صوتي واحد فقط أشارت إليه بصيغة تقليدية نقلية، دون تعميم على سائر التعليلات، أو تحليلها من وجهة نظر علم اللغة الحديث، ومن ثم يختلف هذا البحث عن دراستها في المجال والهدف.

٧) اللهجات العربية في كتاب لغات القرآن للفراء دراسة صوتية دلالية، نعيمة محمود محمود محمد الرخ، رسالة دكتوراه، جامعة المنصورة، كلية الآداب، (٢٠٢٣م) ذكرت الباحثة في مقدمتها أنَّ من أهدافها بيان اللَّهجات العربيَّة المجمع عليها، واللَّهجات الشاذة، واللُّغات المنسوبة، وبيان أثر التغيرات الصوتيَّة في دلالة الألفاظ، ومن ثمَّ فإنَّ ها البحث يختلف عن دراستها في الموضوع والاتجاه العلمي.

لذا امتاز هذا البحث عن الدراسات السابقة باتجاهه إلى تحليل فكر الفراء

الصوتيّ، من خلال الوقوف على تعليلاته الصوتيَّة الواردة في كتابه "كتاب لغات القرآن" لاستنتاج تقعيداته الصوتيَّة، ووضعها في مكانتها من الدَّرس اللُّغويّ الحديث.

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

المقدمة: ذكرت فيها سبب اختياري للموضوع، والهدف منه، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: اشتمل على التعريف بـ"كتاب لغات القرآن" وأهميَّته ومنهجه، ونقول العلماء عنه.

المبحث الأول: أثر التسكين في حدوث التغيرات الصوتيَّة.

المطلب الأول: التسكين شرط لحدوث الإبدال بين الصَّاد والزَّاي.

المطلب الثاني: التسكين شرط لانحراف صوت السِّين نحو صوت الصَّاد.

المطلب الثالث: التسكين شرط لتحول نطق صوت السِّين إلى صوت بين الشَّين والضَّاد.

المطلب الرابع: التسكين شرط لامتزاج تاء الافتعال في الصَّاد.

المبحث الثاني: أثر المصوّتات في البنية اللغويَّة:

المطلب الأول: تعليله لجواز إبدال الواو المضمومة همزة إذا وقعت في أوَّل الكلام.

المطلب الثاني: تعليله لإتباع صائت لصائت في كلمتين.

المبحث الثالث: أثر الجوار في حدوث التغيرات الصوتية:

المطلب الأول: التوافق بين الصوائت (التوافق الحركي)

المطلب الثاني: التوافق بين الصوامت (التوافق الحرفي)

المطلب الثالث: التوافق السياقي

مصطلحات البحث

تعليلات، الفراء، الصوتيَّة، كتاب لغات القرآن.

التمهيد

يعدُّ (كتاب لغات القرآن) للفراء(ت٢٠٧هـ)[١] من الكتب الهامة التي تناولت اللُّغات الواردة في ألفاظ القرآن الكريم، فهو من أقدم الكتب المؤلفة في هذا الباب، وقد بيَّن الفراء فيه لغات القبائل العربيَّة، واختلافها في نطق الكلمات، مع توجيهه للقراءات القرآنية.

أهميته:

تبرز أهميَّة كتاب "كتاب لغات القرآن" في النقاط الآتية:

- يُعدُّ هذا الكتاب المصدر الأقدم لبعض الروايات.
- حكَّم الفراء فيه السماع في الرواية.
- تفرد ببعض المسائل الصوتيَّة.
- أبدى رأيه فيما يروى مع اهتمامه بالتوجيه وبيان السبب[٢].

---

(١) ترجمته في الخطيب البغدادي، "تاريخ بغداد". تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط٢، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية،٢٠٠٤م)، ١٤: ١٥٤؛ محمد ابن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء". تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، (القاهرة، مصر، دار الحديث، (٢٠٠٦م)، ٨: ٢٩١-٢٩٢؛ محمد بن أحمد الذهبي، "تاريخ الإسلام". تحقيق: سعد يوسف محمود أبو عزيز-مجدي فتحي السيد-خيري سعيد - مصطفى شتات-أسامة عكاشة-ياسر أبو شادي، (د.ت، القاهرة، المكتبة: التوفيقية)، ١٤: ١٥٣؛ خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، "الأعلام". (ط٥، بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٨: ١٤٦؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي ابن خلكان، "وفيات الأعيان". تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٠٠م)، ٦: ١٨١؛ عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء". تحقيق: إبراهيم السامرائي، (ط٣، الزرقاء، الأردن، مكتبة المنار، ١٩٨٥م)، ص٨٣.

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء، "كتاب لغات القرآن". (ط١، تحقيق: الموافي الرفاعي البيلي، مصر: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م)، ينظر: مقدّمة المحقق، ص٢٢-٢٣.

منهجه:

اتبع الفراء في "كتاب لغات القرآن" منهجًا محددًا ودقيقًا، على النحو الآتي:

- ترتيبه بحسب سور القرآن، حيث يبدأ بسورة الفاتحة ثم .. إلى نهاية القرآن.
- يذكر في كل سورة الكلمة، أو الكلمات التي وردت فيها لغات مختلفة.
- اهتمامه بربط مادة الكتاب بلغات العرب التي وردت في ألفاظ القرآن الكريم سواء قُرِئ بها أم لم يُقرأ.
- اهتمامه بذكر الموضع المقصود من الآية، ثم ذكر ما فيه من لغات شافه أصحابها من العرب أو سمعها من الرواة.
- اهتمامه بذكر الشواهد من القرآن الكريم وقراءاته، ومن الشعر وأقوال العرب.
- عنايته بالرواية عن العلماء مع ذكر سند الرواية في كثير من الأحيان(١).

نقول العلماء عنه:

نقل عن هذا الكتاب عدد من علماء اللغة والنحو الصرف والأدب والتفسير، منهم: ابن فارس في "المجمل" وابن السكيت في "القلب والإبدال"، وأبو الحسن المزني في "الحروف"، وابن الأنباري في " المذكر والمؤنث"، والأزهري في "تهذيب اللغة" والجوهري في "الصحاح" وابن منظور في "لسان العرب"، والقفطي في "إنباه الرواه"، والسمين الحلبي في "الدر المصون"، وأبو حيان في "البحر المحيط"، والواحدي في " التفسير البسيط"، وابن الجوزي في "زاد المسير" وأبو حيان في "ارتشاف الضرب"، وغيرهم(٢).

(١) الفراء، "لغات القرآن". ينظر: مقدمة المحقق، ص ٢١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦-٢١.

المبحث الأول: أثر التسكين في حدوث التغيرات الصوتية

المراد بالتغيرات الصوتيَّة: تلك التغيرات التي تطرأ على بنى بعض الكلمات، حيث ينتقل الصوت اللغويّ إلى صوت لغويٍّ آخر مع احتفاظه بنفس الدِّلالة اللُّغويَّة في بعض اللَّهجات(١)، ومن المعلوم أنَّ هذا الانتقال لا بدَّ أن تتصل به طرق ووسائل تتيحه وتسوِّغه؛ لذلك قرَّر الفراء عددًا من القواعد الصوتيَّة منها: أنَّ التسكين، أي:(انعدام الحركة) يسوغ حدوث الانتقال بين تلك الأصوات، وفي المطالب الآتية بيان ذلك:

المطلب الأول: التسكين شرط لحدوث الإبدال بين الصَّاد والزَّاي

لا شك في أنَّ الفراء أسس قواعده الصوتيَّة على المسموع من كلام العرب، وقد أشار إلى ذلك أثناء تعليلاته الصوتيَّة، من ذلك ذكره لعلَّة إبدال الصَّاد زايًا في بعض اللهجات العربيَّة والقراءات القرآنية؛ إذ ذكر أنَّ الصَّاد إذا سَكُنت جاز إبدالها بحرف الزَّاي، وأشار إلى أنَّ ذلك مسموعٌ عن العرب، وأنَّها أذا حُرِّكتْ، يعني (الصَّاد) فلا تبدل بحرف الزَّاي، واستدَّل على ذلك بشواهد ذكرها في سياق الكتاب موضوع الدراسة، منها:

- قوله: "وكان حمزةُ يَقرأُ:﴿الزِّرَاطَ﴾، بالزايِ، وهي لغةٌ لعُذْرَةَ وكَلْبٍ وبني القَيْنِ، يقولون: أُزْدُقْ، فيجعلونها زايًا؛ لانْجِزَامِها(٢). ولا تَدْخُلُ هذه اللغةُ في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ لأنها متحركةٌ، وقد قالت العربُ: الأَزْدُ والأَسْدُ، وهذا من ذلك"(٣).

(١) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللُّغويَّة". بتصرف، ص ١٦٧.
(٢) يريد سكونها.
(٣) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص٤٤.

- وقوله: "تَمِيمُ تقولُ: ازْدُق، ومَزْدَق، فيجعلون الصادَ زايًا في كلِّ موضعٍ انْجَزَمَتْ فيه"(١).
- وقوله أيضًا: "﴿حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾[القصص: ٢٣]، و﴿يَصْدُرَ﴾، كثيرٌ من العربِ إذا انْجَزَمَتِ الصادُ جَعَلَها زايًا، يقولُ أحدُهم: أُزْدُقْ، ويقولون في المِصْدَغَةِ ـ وهي من الصُّدْغِ ـ : مِزْدَغَةٌ(٢).

من خلال الشواهد السابقة يتضح لنا اشتراط الفراء سكون صوت (الصَّاد) ليتحول إلى صوت(الزَّاي) في بعض اللَّهجات العربيَّة، مما يجعلنا نتساءل: هل انعدام الحركة يتيح للصوت اللغويَّ هذه الانتقالات، للإجابة على هذا التساؤل لا بدَّ من تحليل الصوتين (الصَّاد، والزَّاي) من حيث المخرج والصفة على النحو الآتي:

- **أولاً: من حيث المخرج:** نجد أنَّهما صوتان لثويان مخرجهما من مقدِّمة اللِّسان مع اللِّثَة العليا خلف الأسنان(٣).
- **ثانيًا: من حيث الصفة:** نجد أنَّ (الصَّاد) صوتٌ رخوٌ مهموسٌ صفيريٌّ مطبق(٤) وأنَّ (الزَّاي) صوت رخوٌ صفيريٌّ مجهورٌ(٥).

من المعلوم أنَّ مخرج الصوت اللُّغويّ وصفته مرتبطان بجوانب فسيولوجيَّة وفيزيائيَّة، ففي الشواهد الآنفة الذكر شاركت (الصَّاد) (الزَّاي) في المخرج وفي عددٍ من الصِّفات الصوتيَّة ماعدا صفة الهمس والجهر، وصفة الإطباق وعدمه؛ وهما صفتان أساسيتان لتحديد ملامح الصوت اللُّغويّ، فالصَّاد صوتٌ مهموس غير مهتز مطبق، ينخفض

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٤، انجزمت فيه: أي سُكِّنت فيه.
(٢) السابق نفسه، ص٣١٨-٣١٩.
(٣) ينظر: إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغويَّة" (د. ط، مصر: مكتبة الأنجلو، ٢٠٠٧م)، ص٤٧.
(٤) المرجع نفسه، ص٧٥.
(٥) نفسه، ص٧٤.

وسط اللسان عند النطق به ويرتفع من الخلف والأمام[١] ومعلوم أنَّ هذه الصفة أعني الإطباق يصعب التحول عنها[٢]، لكن في حال غياب الدَّعم الحركي، نكون بصدد صفة أخرى يمكن زوالها، وهي صفة: الاهتزاز، فإذا اهتزت (الصَّاد) زال اطباقها عن مؤخرة اللسان، لتنطق في بعض اللَّهجات العربيَّة بصوت قريب في المخرج والصفة منها.

ومما لا شك فيه أنَّ غياب الدَّعم الحركي قد سهَّل هذا الانتقال؛ فالأصوات الصائتة رفيقة الأصوات الصامتة في بنى الكلمات العربيَّة، وهي أطول زمنًا منها، فإذا ارتبطت بصوتٍ صامتٍ مكَّنته؛ لطول زمنها؛ لذلك نجد الفراء يشترط التسكين لإجراء أي انتقالات صوتيَّة في عمليَّة الإبدال اللُّغويّ بين الأصوات اللغويَّة المتقاربة في المخرج والصفة.

المطلب الثاني: التسكين شرط لانحراف صوت السِّين نحو صوت الصَّاد

إذا سكنت السِّين تقرأ بصوت بين السِّين والصَّاد، يُرجع الفراء هذا الأمر إلى وجود هذه الظاهرة اللُّغويَّة لدى بعض القبائل العربيَّة من بني سدوس وكثير من أهل اليمن، ومن ذلك قوله: "زَعَم الكِسَائيُّ أنَّ بعضَ بني سَدُوسٍ وكثيرًا من أهلِ اليمنِ يجعلون السينَ الساكنةَ بينَ السينِ والصادِ، وهو شيءٌ لا يضبطُه الكتابُ"[٣] لكي يتضح هذا التعليل، لا بد من التحليل الصوتي لكلا الصوتين، أعني (السِّين)و(الصَّاد)

(١) ينظر: عبدالعزيز علاَّم، عبدالله ربيع، "علم الصوتيَّات". ص ٢٧٢.

(٢) ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، "الكتاب". (ط٥، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٩م)، ٤: ٤٨١.

(٣) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص٤٧٧-٤٧٨. أصل الرواية في هذا النص للكسائي، أمَّا التعليل فالأرجح أنَّه يعود إلى الفراء؛ لتكرار ذكره أثر التسكين في حدوث مثل هذه التغيرات، ولوجود نص للكسائي يذكر فيه لغة مشابهة أو قريبة منها دون اشتراط التسكين، ينظر: حاشية ١ ص ١٤ من هذا البحث.

على النحو الآتي:

- **أولاً: من حيث المخرج:** عند الوقوف على مخرج حرفي (الصَّاد) و(السِّين) نجد أنَّ مخرجهما واحد، هو مقدِّمة اللِّسان مع اللِّثة العليا خلف الأسنان[١] فهما صوتان لثويان[٢].
- **ثانيًا: من حيث الصفة:** عند النظر إلى الخصائص الصوتيَّة لكلا الصوتين نجد أنَّ صوت (السِّين) رخوٌ، مهموسٌ غير مهتز، صفيريٌّ، يختلف بعض الاختلاف في مخرجه باختلاف اللَّهجات العربيَّة، بل وباختلاف الأفراد أحيانًا[٣]، والصَّاد صوتٌ رخوٌ مهموسٌ صفيريٌّ مطبق[٤]؛ فهما متقاربان في المخرج وفي معظم الصفات الصوتيَّة، ومختلفان في صفة الإطباق فقط؛ لذلك فإنَّ عمليَّة الانحراف الصوتيّ لا تكون إلاَّ باكتساب صوت (السِّين) لصفة الإطباق، وهذا ممكن بحسب الفراء في حال غياب الدَّعم الحَركيّ، بالإضافة إلى ما ذكره البحث سابقًا[٥] من حيث أنَّ الأصوات الصائتة أطول زمنًا من الأصوات الصامتة، وهي ممكِّنة لها إذا رافقتها؛ لذلك فإنَّ هذه التحولات لا تكون إلا في حال السكون فقط.

المطلب الثالث: التسكين شرط لتحول نطق صوت السِّين إلى صوت بين الشَّين والضَّاد

يرى الفراء بأنَّ (السِّين) إذا سكنت تنطق عند بني سدوس، وعند كثير من العربِ

(١) ينظر: إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغويَّة": ص ٧٣-٧٥.

(٢)كمال بشر، "علم الأصوات". (مصر، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)، ص٣٠١ - ٣٠٢.

(٣) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغويَّة". ص٧٤.

(٤) ينظر: ص١١ من هذا البحث.

(٥) ص١١ من هذا البحث.

من أهلِ اليمنِ مِن فُصَحائِهم بصوت بين (الشِّين) و(الضَّاد) في قراءة من قرأ منهم، ويرى أنَّ الذي سوغ ذلك سكونها، وخلوها من أيِّ مصوِّت، والشاهد على ذلك قوله: "وزَعَم الكِسَائِيُّ أنَّ بعضَ بني سَدُوسٍ وكثيرًا من العربِ من أهلِ اليمنِ مِن فُصَحائِهم؛ يجعلون السينَ الساكنةَ بينَ الشينِ والضادِ، شيئًا لا يَضْبِطُه الكلامُ"(١).

إننا عندما ننظر إلى مخارج الأصوات الثلاثة (السِّين، والشِّين، والضَّاد) وخصائصها الصوتيَّة نلحظ الآتي:

أولاً: من حيث المخرج:

- صوت السِّين: صوتٌ لثويٌّ(٢).
- صوت الشِّين: صوتٌ لثويٌّ وسط حنكي(٣).
- صوت الضَّاد: اختلف العلماء في وصف طريقة نطقه قدامى ومحدثين نتيجة التطور الصوتيّ الذي أصابه(٤) فالضَّاد العربيَّة الحديثة لثويَّة أسنانيَّة مغلقة مطبقة

(١) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص٢٣٣. ورد سماع لغة مشابهة نقلاً عن الكسائي في العباب، دون تعليلها أو بيان أثر التسكين في حدوث التغيرات الصوتية، وذكر أنها لغة لربيعة واليمن، قال الصغاني: "الكسائي: المُضْطُ: المُشْطُ، قال: يَجعَلُونَ الشِّينَ ضاداً بين السِّين والضَّاد؛ ليست بِضَادٍ صَحيحةٍ ولا شِينٍ صَحيحةٍ، وهي لُغةٌ في ربيعةَ واليمنِ". الحسن بن محمد، "العباب الزاخر واللباب الفاخر". (العراق – بغداد: دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م)، ص١٩٧.

(٢) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغويَّة". ص٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٧٥.

(٤) ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، "الكتاب". ٤: ٤٣٢؛ وإبراهيم أنيس، "الأصوات اللغويَّة". ص٥٠ وما بعدها، رمضان عبدالتواب، "المدخل إلى علم اللغة؛ ومناهج البحث اللغوي". (ط٤، القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م)، ص ٦٢.

مهتزة[١]، والضَّاد العربيَّة القديمة تخرج من أوَّل حافة اللِّسان وما يليه من الأضراس[٢].

ثانيًا: من حيث الصفة:

- صوت السِّين: صوتٌ رخوٌ مهموسٌ صفيريٌّ غير مهتز[٣].
- صوت الشِّين: صوتٌ رخو مهموس غير مهتز[٤].
- صوت الضَّاد القديمة: صوت مجهورٌ، رخوٌ، غير مهتز، مطبق[٥] مضارع لصوتيّ الشِّين والسِّين من حيث الرخاوة وعدم الاهتزاز، ومخالف لهما في صفتي الجهر والإطباق.

إنَّ إيضاح العلاقة بين الأصوات الثلاثة وطبيعة التحولات التي مرَّت بها، للوصول إلى نطق صوت (السِّين) إلى نطقٍ بين صوتي (الشِّين) و(الضَّاد) يتطلب تحليلاً تأصيليًا فسيولوجيًا فيزيائيًا دقيقًا؛ فمن المعلوم أنَّ صفة الإطباق يصعب الانتقال عنها، قال سيبويه: "فإنَّما يخرج الصوت إلى مثله في كل شيء إلا الإطباق"[٦]، لكن (الضَّاد) في الشاهد الذي ذكره الفراء خرجت إلى صوت (الشِّين) مع اتصافها بالإطباق، وقد وصف العلماء قديمًا إطباقها هذا بالضعف، منهم أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) عندما أشار إلى أنَّ ضعف (الضَّاد) يعود لضعف إطباقها؛ قال: "كما إذا قلت:(ضرب) ولم

(١) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغويَّة". ص ٤٩.
(٢) سيبويه، "الكتاب". ٤: ٤٣٣.
(٣) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغويَّة". ص٧٤.
(٤) المرجع السابق: ص٧٥.
(٥) سيبويه، "الكتاب". ٤: ٤٣٦_٤٣٥.
(٦) المرجع نفسه، ٤: ٤٨١، وينظر: ص ١٠من هذا البحث.

تُشبع مخرجها، ولا اعتمدت عليه ولكن تُخفِّف وتختلِس؛ فيضعُف إطباقها"[١]، بالإضافة إلى أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي عدَّ (الضَّاد) من الحروف الشَّجريَّة وهي عنده (الجيم والشِّين والضَّاد) [٢] زد على ذلك أنَّ ابن جني يرى بأنَّ صوت (الضَّاد) فيه تفشي واستطالة [٣] كصوت (الشِّين)؛ ولكي تمتزج الضَّاد بالشِّين فإن أبرز الصفات الصوتيَّة التي تجمع بين الصوتين، وتسوغ الامتزاج بينهما، هما صفتا: الاستطالة[٤] والتفشي[٥]، وقد ذكر سيبويه أنَّها لا تدغم في الصَّاد والسِّين والزَّاي لاستطالتها يعني الضَّاد؛ كما امتنعت الشين[٦]، وهذا لا يكون إلاَّ في الضَّاد العربية القديمة التي أطلق عيها سيبويه الضاد الضعيفة[٧].

إنَّ تلك الضاد الضعيفة يتسع مخرجها حتى يتصل بمخرج الشين، وينتشر معها الهواء فلا ينحصر مخرجها، فتزول عنها صفة الإطباق؛ لأنَّها حينًا تنطق من الجانب الأيمن للِّسان، وحينًا آخر من الجانب الأيسر، وهو أخف، وهي من حافة اللسان

(١) أبو حيان، أثير الدين الأندلسي، "ارتشاف الضرب من لسان العرب". تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبدالتواب، (ط١، مصر، القاهرة: مكتبة الخانجي)، ١ :١٥.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، "العين". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيرون، لبنان، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٢م)، ١: ٨٦.

(٣) أبو الفتح عثمان ابن جني ،"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها". تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩م)، ٢: ٥٥.

(٤) الاستطالة "امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها" عبدالفتاح المرصفي، "هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري". ١ :٨٩.

(٥) التفشي: انتشار الريح في الفم عند النطق بالحرف. السابق، المرجع نفسه.

(٦) سيبويه، "الكتاب". ٤: ٤٦٦

(٧) المرجع نفسه: ١ :٤٣٢.

مطبقة، فإذا نطقت من جانب واحد من جانبي اللسان زال إطباقها عن موضعه؛ فيصبح امتزاجها مع حروف اللِّسان أيسر[١] كالشَّين التي تستطيل معها .

لذلك فإنَّنا عندما ننطق صوت الشَّين الممتزجة بصوت الضَّاد الضعيفة، نلحظ مرور الهواء من الحنجرة دون اهتزاز الوترين، وبين مقدِّمة اللِّسان ومقدِّمة الحنك ومؤخرة اللِّثة يحدث التضييق مصحوبًا باستدارة الشفتين وبروزهما مع فتحة أوسع من السِّين فيخرج الهواء محدثًا صوت (الشين)[٢] المصاحبة للضَّاد الضعيفة، وباحتكاك هواء الزَّفير المجهور بحافة اللسان اليمنى، والأضراس المقابلة لهذا الجانب يتولَّدُ صوتٌ يستطيلُ –وهو الضاد– ليُخالِط مَخْرَج غيره من حروف اللسان –وهو صوت (الشِّين)– فيسهُل تحويله إلى الحافة اليسرى، ثم يَنْسَلُّ منها ليتَّصِل بحروف اللِّسان كما كان في الحافة اليمنى التي تسمح باستطالة الصوت وتفشيه، وعند التقاء أوَّل اللِّسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى يترك العضوان بينهما فراغًا ضيقًا، مما يسبب نوعًا من الصفير أقل من صفير السِّين، وذلك لأن مجرى السِّين عند مخرجها أضيق من مجرى الشِّين عند المخرج الممتزجة بالضاد الضعيفة، إنَّ الفراء يرى أنَّ كلَّ تلك التغيرات لا تتم إلاَّ في حال تسكين صوت السين؛ أي في حال عدم وجود مصِّوت أثناء نطق الصوتين الممزوجين اللَّذين حلا محل صوت السين؛ لأنه يرى أنَّ وجود أيَّ مصوِّت في أثناء هذا الامتزاج، وأيضًا أثناء هذا التحول يعيق هذه العملية؛ بسبب البعد الفيزيائي المتعلق بزمن الصوت.

المطلب الرابع: التسكين شرط لامتزاج (تاء)الافتعال في الصَّاد

يرى الفراء أنَّ تاء الافتعال تمتزج مع صوت الصَّاد المتحركة، بشرط سكونها(أعني تاء الافتعال) وخلوها من أي مصوِّت، وبشرط آخر هو وجود صوت حلقي ساكن قبلها، إذ يقول: "وإنما أصلُها كلِّها: يَخْتَصِمُونَ، فسكَّنوا الخاءَ والتاءَ، وهي مُدْغَمةٌ في

(١) ينظر: سيبويه، "الكتاب". ٤: ٤٣٢.

(٢) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية" بتصرف، ص٧٥.

الصادِ، فيُخَيَّلُ إليك أنَّ الصادَ مشدَّدةٌ، وليست كذلك، إنَّما هذا لدخولِ التاءِ فيها"(١).

من خلال النص السابق يظهر أنَّ الفراء يرى أنَّ تاء الافتعال إذا سكنت تمتزج بصوت (الصَّاد) المتحركة، ولا تبدل صادًا(٢)؛ حيث يفقد الصوت اللُّغوي وهو (التَّاء) بعض خصائصه الصوتيَّة عند تسكينه، ليمنحه ذلك انسيابًا واندماجًا مع الصوت الموالي له، وهو (الصَّاد) المتحركة، المماثلة لصوت (التَّاء) في المخرج ومعظم الصفات الصوتيَّة، ويزداد هذا الانسياب؛ إذا سبقت تلك التاء الساكنة بصوت حلقي ساكن على أصل وضعه، كصوت الخاء الساكنة على أصل وضعها في هذه الكلمة(٣). وعند النظر إلى مخارج الأصوات الثلاثة وصفاتها للوصول إلى آلية النطق، نلحظ الآتي:

أولاً: من حيث المخرج:

- صوت الخاء: صوت حلقي(٤).
- صوت التاء: صوت لثويٌّ أسناني(٥).
- صوت الصاد: صوت لثويٌّ.

ثانيًا: من حيث الصفة:

- صوت الخاء: صوتٌ رخو (احتكاكي) مهموس (غير مهتز)(٦).

(١) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص٣٤٢-٣٤٣.

(٢) ذكر الفراء في كتابه (معاني القرآن) أوجه القراءات في (يختصمون) ووضح بعض أوجه القراءة فيها، ولم يذكر هذا التعليل الذي في هذا الكتاب، ينظر: الفراء، "معاني القرآن". ١: ١٨، ٢: ٣٧٩، ٢، ٢٩٥.

(٣) ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني، (ط٢، ١٩٦٤م)، ١٥: ٣٨.

(٤) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية". ص٨٥.

(٥) عبدالعزيز علاَّم وعبدالله ربيع، "علم الصوتيَّات". ص ٢٧٢.

(٦) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٤٨، ٦١.

- صوت التاء: صوتٌ شديد (انفجاري) مغلق، مهموس (غير مهتز)[١].
- صوت الصاد: صوتٌ رخو (احتكاكيٌّ)، مهموس (غير مهتز) صفيريٌّ، مطبق[٢].

يتبيَّن من التحليل الصوتي للأصوات الثلاثة بُعد مخرج صوت (الخاء) الساكنة، واتفاق المخرج بين صوتي التاء الساكنة والصَّاد المتحركة.

أمَّا من حيث الصفات الصوتيَّة فنجد صفة الرخاوة الموجودة في صوت الخاء الساكنة تسمح بجريان الصوت من الحلق[٣]، وصفة الهمس تمنع اهتزاز الوترين الصوتيَّين عند نطقها، ثم يتخذ الصوت مجراه من الحلق إلى الفم ليلتقي بصوتين لثويين أسنانيين، وهما (التَّاء) الساكنة المتصفة بالانغلاق والانفجار، ثم يأتي بعدها صوت (الصَّاد) المتحركة المشتركة مع صوت (التَّاء) الساكنة في المخرج، وفي بعض الصفات الصوتيَّة، ماعدا صفة الانفجار التي يقابلها صفة الاحتكاك، وصفة الإطباق التي يقابلها صفة الانفتاح(عدم الإطباق)، وصفة الصفير التي يقابلها عدم الصفير؛ ولكي يتم تحول صوت (التَّاء) إلى صوت يندمج مع صوت الصَّاد الموالية لها في هذه القراءة؛ يشترط الفراء زوال الدعم الحركي الموجود في تاء الافتعال؛ لأننا بزواله نكون أمام صوتين ساكنين أولهما الخاء الساكنة على أصل وضعها، وثانيهما تاء الافتعال الساكنة لعلَّة الإدغام في الصاد الموالية لها، ولقوة صوت الصاد المدعومة بالصوت الصائت القصير، وهو الكسرة، ولما في صوت الكسرة من قوة وتأثير، احتفظت الصاد بصفاتها الصوتية من إطباق وصفير واستلت إليها صوت التاء الساكنة بزوال الانفجار والانغلاق عنها، حيث وقعت (التَّاء) الساكنة بين صوتين رخوين أولهما ساكن؛ مما يؤكد وقوف الفراء على قاعده صوتيَّة

(١) المرجع السابق ، ص٨٥.

(٢) السابق نفسه، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٣) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٢٦.

هامة، لحدوث التغيرات اللُّغويَّة، مبنيَّة على أثر زوال الدعم الحركي في حدوثها.

ولا يزال البعد الفيزيائي حاضرًا في بيان أثر التسكين في حدوث هذه التغيرات الصوتيَّة، فالأصوات الصائتة المرتبطة ببنى الكلمات العربيَّة أطول زمنًا من الأصوات الصامتة؛ لذلك فإنَّها إذا ارتبطت بها، تمنحها قوة وثبات، يزول بزوالها.

المبحث الثاني: أثر الصوائت في حدوث بعض التغيرات الصوتيَّة

الصوائت هي "أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها، على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتيَّة، تدخلاً يمنع خروجها، أو يسبب فيه احتكاكًا مسموعًا"(١)، وتنقسم إلى:

- صوائت قصيرة (الحركات): الفتحة، والكسرة، والضمة.
- صوائت طويلة (حروف المدّ): ألف المدّ، وياء المدّ، و واو المدّ(٢).

ويظهر أثر الصوائت في حدوث التغيرات الصوتية عند الفراء في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إطالة زمن الصوت الصائت في ابتداء الكلام سبب لحدوث الإبدال

من المعلوم أنَّ الكلمة العربية لا تبدأ بصوت صائت؛ وبدؤها لا يكون إلاَّ بصوت صامت، لكن إذا جانس الصائت الصامت المبدوء به الكلام طال زمن الصوتين المتجانسين، واندمجا حتى كانا كصوت واحد طويل، قال أبو علي الفارسي: "ألا ترى أنّ الضمّة مع الواو كالواوين"(٣) لذلك قد يستدعي هذا الصوت الطويل الإبدال في بعض اللَّهجات العربيَّة، وقد ذكر الفراء ذلك، حين أشار إلى أنَّ الواو الساكنة إذا لحقتها الضَّمة في ابتدأ الكلام تبدل همزة في لغة من لغات القبائل، فقال في قراءة من قراء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]، وفي مصحفِ عبدِ اللهِ بالواوِ: ﴿وُقِّتَتْ﴾، وإذا انضمَّتِ الواوُ في أولِ حرفٍ هَمَزَها عامةُ قَيْسٍ، فيقولون: أُجُوهٌ ، ونَظَرَ

(١) رمضان عبدالتواب، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ". ص٩١.

(٢) تمام حسان، "مناهج البحث في اللغة". ص١٢٠.

(٣) أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة". تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، (ط٢، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٩٩٣م)، ٢: ٤٢٣.

إليَّ بأُجَيْهِ سوءٍ"[١] يعود ذلك لكون صوت الواو وهو صوت صامت أقصى حنكي، احتكاكي، مهتز(مجهور)، دائري، إذا رافقته الضَّمة، وهي صوت صائت لين مجهور ضيق[٢] صعد اللِّسان عند النطق بهما معًا نحو الحنك أقصى ما يكون لصوت اللين؛ بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك، وإحداث نوع من الحفيف، ينتج عنه صوت (الواو) شبه الصامتة، وقد سماها بعضهم بالواو شبه الصائتة، إذ تقوم الواو بوظيفة الصوت الصامت، فتقع في أوَّل الكلام وتحتمل الحركة؛ ثمَّ ترافقها الضمة، ليسهل بذلك تحول صوت الواو المضمومة إلى صوت الهمزة؛ بسبب التقارب في الصفات الصوتيَّة؛ فالهمزة قد جمعت بين الصفتين الموجودتين في صوتي الواو المضمومة، وهما صفتي الجهر والهمس، وبعبارة أخرى جمعت الواو المضمومة بين صفتين موجودة في صوت الهمزة في صفة واحدة، هي التوسط بين الجهر والهمس، بالإضافة إلى أنَّ الواو تأتي في بداية لمقطع ولا تأتي الضمة[٣].

إذن فالتماثل الصوتي بين الواو المضمومة التي توسطت بين الجهر والهمس وكذا الهمزة المتوسطة بين الجهر والهمس سوغ لقبيلة قيس حكاية عن الفراء إبدالها همزة.

(١) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص٤٤٨-٤٤٩.

(٢) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية". ص٣٧.

(٣) تمام حسان، "مناهج البحث في اللغة". (د.ط، مصر، القاهرة: مكتبة الإنجلو، ١٩٩٠م)، ص١٢١.

المبحث الثالث: أثر الجوار في حدوث التغيرات الصوتيَّة

الجوار أو الاتباع من الظواهر اللُّغوية التي حظيت باهتمام علماء العربيَّة، ووردت في كثير من مؤلفاتهم، يقول سيبويه في الكتاب: "وزعم الخليل: أنَّ الَّذين يقولون: غاق غاق، وعاء وحاء، فلا ينونون فيها ولا في أشباهها، أنَّها معرفة، وكأنك قلت في عاء وحاء الإتباع"(١)، وقال ابن فارس: "للعرب الإتباع وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعا وتأكيدا. ورُوِي أنَّ بعض العرب سئل عن ذلك فقال: هو شيء نتدبر به كلامنا. وذلك قولهم: "ساغب لاغب" و"هو خب ضب" و"خراب يباب". وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب"(٢)، في صوائتها (الحركات)، وصوامتها (الحروف)، وابنيتها الصوتيَّة (كلماتها)، وسيتطرق البحث إلى تعليلات الفراء لهذه الظاهرة في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التوافق بين الصوائت (التوافق الحركي)

التوافق بين الأصوات الصائتة، أو التوافق (الحركي) ويطلق عليه اللغويون المحدثون اسم (Vowel Harmony) يدخل في باب المماثلة الصوتيَّة(٣) لأنَّ مصطلح المماثلة الصوتية يطلق على: "التعديلات التكيُّفية للصوت، بسبب مجاورته لأصوات أخرى، أي

(١) سيبويه، "الكتاب". ٣: ٣٠٢.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، "الصاحبي في فقه اللغة العربيَّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها". (ط١، تحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت، لبنان، مكتبة المعارف، ١٩٩٣م)، ص٨٨.

(٣) محمود فهمي حجازي، "علم اللغة العربية" (د.ط، مصر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع)، ص٢٢٩.

تحوُّل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة؛ إمَّا تماثُلاً جزئيًّا أو كليًّا"[١]، وقد عرَّفه دانيال جونز بقوله: "هي عمليَّة إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة"[٢]، وذكر بأنَّه من الممكن اتساعها لتشمل تفاعل صوتين متواليين، ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما[٣].

بهذا التعريف يتضح لنا أنَّ المماثلة الصوتيَّة قد تكون بين الأصوات الصائتة على نحو قول الفراء: "وسمعتُ نفرًا من رَبِيعَةَ يرفعون الدالَ واللامَ؛ فَيقولون: ﴿الحَمْدُ لُلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١]. وإنَّما رفعوهما جميعًا؛ لأنهم تَوهَّموا أنَّه حرفٌ واحدٌ[٤]، والحرفُ الواحدُ قد يكونُ فيه ضمتان مجتمعتان، مثلُ: الحُلُمِ، والْعُقُبِ"[٥].

إنَّ الفراء علَّل لهذا التوافق الحركي باتباع الضَّمة للضَّمة في الآية الكريمة بالتَّوهم، وقصد به في هذا الباب لهجات العرب في إجراء المنفصل مجرى المتصل، قال العكبري في تعليله لهذه القراءة ﴿الحمدُ لُلَّه﴾: "وهو ضعيف، لأن لام الجر متصل بما بعده، منفصل عن الدال، ولا نظير له في حروف الجر المفردة، إلا أنَّ من قرأ به فرَّ من الخروج من الضم إلى الكسر، وأجراه مجرى المتصل، لأنه لا يكاد يستعمل الحمد منفردا عمَّا بعده"[٦]، وقال أبو جعفر: "وهاتان لغتان معروفتان وقراءتان موجودتان في كل واحدة

(١) ينظر: أحمد مختار عمر، "دراسة الصوت اللغوي". (ط٤، القاهرة، مصر، عالم الكتب، ٢٠٠٦م)، ص ٣٧٨.

(٢) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغويَّة". ص ١٧٨.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) يقصد كلمة واحدة.

(٥) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص٣٥.

(٦) أبو البقاء، العكبري، "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق: علي محمد البجاوي، (مصر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦م)، ص١، ٥.

منهما علَّة"[١]. وذكر ابن جني هذه القراءة في المحتسب ونسبها لأهل البادية[٢] أيضًا، وقال: "ورواها لي بعض أصحابنا قراءة لإبراهيم بن أبي عبلة"[٣]، ويرى بأنها شاذة في القياس والاستعمال، إلاَّ أنَّ العرب اتبعوا أحد الصوتين الآخر لكثرة الاستعمال، وشبهوها بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، ويرى أنَّ ﴿الحمدُ لُه﴾ بضم الحرفين أسهل من ﴿الحمدِ لِه﴾ بكسرهما؛ لأن أقيس الاتباع أن يكون الثاني تابعًا للأول، ولأنَّ ضمَّة الدال في الحمد إعراب وكسرة اللام في لله بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء[٤]وذكر الزجاج بأنَّها قراءة للحسن[٥]. قال الهمذاني: "بضم اللام على إتباع الثاني الأول، وهو أحسن وأقوى، لأنَّ حرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء"[٦] لذلك وافق جمهور العلماء الفراء في تعليله لهذه القراءة بالتَّوهم في تنزيل العرب للمنفصل منزلة المتصل.

أمَّا من الناحية الصوتية فيمكن التعليل لهذه الظاهرة بأن الضمَّة في نهاية المقطع

(١) أحمد بن محمد النحاس، "إعراب القرآن". تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (لبنان، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية)، ص١٨.

(٢) ابن جني "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح". ١: ١١٠.

(٣) نسبها ابن خالويه له أيضًا ينظر:، الحسين بن أحمد ابن خالويه، "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم". ص١٩-١٨ .

(٤) ابن جني، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح". ١: ١١٠-١١١.

(٥) علي بن الحسين الزجاج، "إعراب القرآن". تحقيق: إبراهيم الإبياري، (ط٤، بيروت، دار الكتب اللبنانية، ١٤٢٠هـ)، ص٣٨٠.

(٦) الهمذاني، المنتحب، "الفريد في إعراب القرآن المجيد". تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، (ط١، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، دار الزمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م)، ١: ٧١.

القصير المفتوح (دُ) (ص ح) من كلمة (الحَمْدُ) مثلت أعلى نقطة فيه، وهي نواته[١]؛ قد قابلت في بداية المقطع الموالي لها المقطع المتوسط المغلق (لِلْ) (ص ح ص) وقد مثَّلت الكسرة أعلى نقطة فيه أيضًا، ومن المعلوم أنَّ الضَّمة صوت صائت قصير ضيق مستدير خلفي فتحته الخلفيَّة أوسع، يخرج من أقصى الحلق عند ارتفاع أقصى اللسان نحو الحنك[٢]، وصوت الكسرة صوت صائت قصير أماميّ يقع بين مقدمة اللِّسان وما يقابله من الحنك الأعلى فتحته الخلفية أضيق [٣].

إننا عندما ننظر إلى وضع هذه الأصوات، نجد أنَّ (اللام) الأولى في كلمة (لله) قد فرَّقت بين الصوتين الصائتين، أعني: صوت الضمة الموجود في نهاية الكلمة الأولى، وصوت الكسرة الموجود في بداية الكلمة الثانية؛ مع التأكيد على بُعد صوت الضمَّة عن صوت الكسرة في المخرج والصفة؛ لذلك فإنَّ الذي سوغ هذا الإبدال وجود الصوت الصامت بينهما[٤].

(١) يُعَّرف المقطع بأنَّه: "مجموعة من الأصوات تشتمل على حركة واحدة" عبدالعزيز علاَّم، عبدالله ربيع، "علم الصوتيات". ص٢٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٨ وما بعدها.

(٣) عبدالعزيز علاَّم وعبد الله ربيع، "علم الصوتيات". ص٢٣٨ وما بعدها.

(٤) اختلف العلماء في أيُّهما أسبق في الكلام الحرف أم الحركة، أم هما يصدران معًا، وقد توصل البحث إلى أسبقية الحرف المتصل ببنية الكلمة على الحركة المتصلة بها، بخلاف حركة الإعراب المتصلة بنهاية الكلمة لتغيرها بتغير الموقع الإعرابي، ينظر: حول هذا الخلاف: ابن جني، أبو الفتح عثمان، "الخصائص". تحقيق: محمد علي النجار، (المكتبة العلمية: مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠م)، ٢: ٣٢٩، ابن جني، "سرُّ صناعة الإعراب". (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ١: ٤٥؛ والعكبري، أبو البقاء، "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق: د. عبد الإله النبهان، (ط١، سوريا، دمشق، دار الفكر)، ١: ٦٢؛ والسيوطي، جلال الدين، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (مصر: =

وقريبٌ من هذا قول الفراء:"قُرَيْشٌ وهَوَازِنُ وهُذَيْلٌ يكسرون ألفَ «أُمٍّ »، إذا كانتْ قبلَها كسرةٌ أو ياءٌ مجزومةٌ، فأما الكسرةُ فمثلُ قولِه: ﴿فَلِإِمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]، ولا تُبَالِ أكان الحرفُ متصلًا بها أم منفصلًا، المنفصلُ مثلُ قولِه: ﴿فِي بُطُونِ إِمَّهَاتِكُمْ﴾ [الزمر: ٦]"[(١)] .

يقرر الفراء من خلال هذا الشاهد أنَّ السوابق الصائتة للأصوات الصامتة المرتبطة ببنية الكلمة قد تؤثر فيها، وتؤدي إلى حدوث بعض التَّغيرات الصوتيَّة للأصوات اللاحقة بها، فالذي سوَّغ كسر الهمزة المضمومة في (أُمّ) في لغة قريش وهوازن وهذيل بحسب رأي الفراء وجود كسر قبلها، أو وجود ياء ساكنة قبلها؛ فمما هو معلوم أنَّ الياء الساكنة ماهي إلا امتداد لصوت الكسرة، ويقرر أيضًا عدم اشتراط الاتصال في حدوث هذه التغيرات، فقد تكون هذه التغيرات في كلمة مسبوقة بحرف متصل بها كقوله تعالى: ﴿فَلِإِمِّهِ السُّدُسُ﴾، وقد تكون في كلمتين منفصلتين تنتهي أولاهما بالكسرة، كقوله تعالى: ﴿فِي بُطُونِ إِمَّهَاتِكُمْ﴾ لنجد نتيجة أثر الصوت السابق بالصوت اللاحق، وهذا ما يعرف حديثًا بالتأثر التقدمي في قانون المماثلة الصوتية[(٢)].

يظهر ذلك بصورة أوضح عند التحليل الصوتي لتلك الأصوات، لنجد أنَّ الضمة في بداية المقطع القصير المغلق من كلمة (أُ مْ م) الذي يتكون من (ص ح ص ص) قد مثَّلت أعلى نقطة فيه، بالإضافة إلى أنَّها نواته؛ قد قابلت في بداية المقطع القصير المفتوح السابق لها صوت اللام المكسورة (لِ) حيث مثَّلت الكسرة وهي نواته أعلى نقطة فيه أيضًا.

وعند النظر إلى صوت الضَّمة، نجد أنَّه صوت صائت قصير ضيق مستدير خلفي فتحته الخلفية أوسع، يخرج من أقصى الحلق عند ارتفاع أقصى اللسان نحو الحنك،

المكتبة التوفيقية)، ١، ٧٦.

(١) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص١٤٧.

(٢) أحمد مختار عمر، "دراسة الصوت اللغوي". ص٣٧٩.

وصوت الكسرة صوت صائت قصير أمامي يقع بين مقدمة اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى فتحته الخلفية أضيق[١]، أي: إنَّ صوت الكسرة بعيد في المخرج والصفة عن صوت الضَّمة؛ إذن فما المسوغ لهذا التحول من ضم إلى كسر؟ والإجابة هي: أنَّ الذي سوغ هذا التحول من ضم إلى كسر مع بعد المخرج والصفة بين الصائتين وجود صوت صامت بينهما، وهو صوت الهمزة في قوله: ﴿لِأُمِّه﴾.

والأمر نفسه بالنسبة لقوله تعالى ﴿فِي بُطُونِ إِمَّهَاتِكُمْ﴾ حيث سوغ هذا التحول أيضًا من ضم إلى كسر في قوله: ﴿إِمَّهَاتِكُمْ﴾ مع بعد المخرج والصفة بين الصائتين وجود الصوت الصامت بينهما، وهو صوت الهمزة أيضًا.

المطلب الثاني: التوافق بين الصوامت (التوافق الحرفيّ)

هذا النوع يمثل النوع الثاني من أنواع التوافق الصوتي، حيث يحدث بين الأصوات الصامتة، نتيجة تغيرات صوتيَّة تحدث في مخارجها وبعض صفاتها؛ بسبب الاتفاق الصوتيّ بينها وبين الأصوات المحيطة بها في الكلمة[٢]، مع مراعاة مبدأ أنَّ الصوت لا يمكن أنَّ ينقلب إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج[٣] إلا لعله، وقد أشار إلى ذلك الفراء في كتابه (معاني القرآن)[٤] فقال: "إذا تقارب الحرفان في المخرج، تعاقبا في اللغات".

يمثل هذا النوع من التوافق تعليل الفراءلإبدال صوت (السِّين) بصوت (الصَّاد) في كلمة إذا جاورت صوت (القاف)، فقال: "العربُ جميعًا تقولُ: سَاق، وسُوق،

(١) ينظر: ص٢٠ من هذا البحث.

(٢) ينظر: رمضان عبدالتواب، "التطور اللغوي علله وقوانينه". (ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م)، ص٣٠.

(٣) رمضان عبدالتواب، "التطور اللغوي علله وقوانينه"، ص٣٠.

(٤) ٣: ٢٤١.

وسَوِيق، بالسينِ، إلا نَفَرًا من بني العَنْبَرِ من تَمِيمٍ؛ فإنهم يقولون: صَاقَ، وصَوِيقٌ، وذهبتُ الصُّوقَ، إذا دَخَلَتِ القافُ معَ السينِ صيَّروا السينَ صادًا"(١).

مما لا شك فيه أنَّ صوت السِّين مقارب لصوت الصَّاد في المخرج ومعظم الصفات الصوتيَّة، وقد جاء في الشاهد السابق متحرِّكاً خلافًا لقاعدته السابقة التي يشترط فيها التسكين لحدوث بعض التحولات الصوتيَّة للأصوات المتقاربة في المخرج والصفة(٢)، وفي إزاء ذلك اشترط شرطًا جديدًا، فهو بصدد تعليل جديد للإبدال لعلة جديدة، وهي مجاورة صوت (القاف) لصوت(السّين) في نفس الكلمة، فاتخذ مبدأ الجوار سببًا لذلك، أي: حين يجاور الصوت اللُّغوي الصامت صوت لغويٌّ صامت آخر تسهِل عمليَّة الإبدال، لأسباب صوتيَّة، ولبيان ذلك بصورة أدق ينظر: البحث في الأصوات الثلاثة من حيث المخرج والصفة، على النحو الآتي:

– **أولاً: من حيث المخرج**: صوت القاف صوت لهويٌّ(٣)، وصوت السِّين صوت لثويٌّ ، وصوت الصَّاد صوت لثويٌّ(٤).

– **ثانيًا: من حيث الصفة**: نجد أنَّ صوت الصَّاد رخوٌ مهموسٌ صفيريٌّ مطبق(٥)، والقاف صوتٌ انفجاري مغلق مهموس غير مهتز، يتم إصداره عن طريق اتصال مؤخرة اللسان بمنطقة اللهاة مع الطبق اللين بصورة لا تسمح بمرور الهواء، يعقبه تسريح فجائي له انفجار مفخَّم(٦)، أمَّا صوت السِّين فهو صوت رخو مهموس احتكاكي صفيري غير

(١) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص٤٢٠.
(٢) ينظر: ص٩من هذا البحث.
(٣) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللُّغويَة". ٨٢.
(٤) سبق بيان مخرج صوتي السين والصاد، ص١١.
(٥) سبق بيان صفات صوت الصاد، ص ١١.
(٦) ينظر: كمال بشر، "علم الأصوات". ص٢٨٥.

مهتز مرقق[١].

إذن الصوتان أعني (القاف) و(السين) مختلفان من حيث المخرج وبعض الصفات الصوتيَّة ؛ لكن عند إمعان النظر في تعليل الفراء لهذا النوع من الإبدال نجد أنَّه راعى مبدأ الجوار المفضي إلى حدوث التوافق الحرفي، حين جاورت السين القاف في كلمة واحدة، مع وجود صوامت تفرق بينهما، وهو ما يعرف حديثًا بالتأثر المدبر الجزئيّ في حال الانفصال[٢]؛ فـ(القاف) شاركت (الصاد) في بعض الصفات الصوتيَّة، لأنَّ صوت القاف مفخمٌ تفخيم جزئيٌّ؛ ينسحب اللِّسان إلى الخلف عند النطق به، وترتفع مؤخرته تجاه أقصى الطبق؛ لذلك شابه الصاد في صفة التفخيم، سوَّغ ذلك إبدال صوت (السِّين) في كلمة (سويق) بصوت قريبً في الصفة من صوت القاف، وقريب في المخرج من صوت السين؛ وهو صوت الصَّاد؛ لأنَّه لثويَّ كصوت (السِّين) يتصف بالصفير، والاحتكاك، وبعدم الاهتزاز، ويختلف عن صوت (السِّين) في صفة الاطباق، ويشترك مع صوت (القاف) في صفتي الاستعلاء والتفخيم؛ لذلك فإنَّ التوافق الصوتي بين صوتي السيِّن والقاف بحسب الفراء سوَّغ لبني العنبر إبدال السِّين صادًا رغم تحركها.

ومن ذلك أيضًا تعليله لجعل تاء (الافتعال) دالاً إذا كان قبلها جيم، إذ يقول[٣]: "والعربُ تقولُ: يَجْتَبِيك، ويَجْتَمِعُون، ويَجْتَلِدُون، إلا بعضَ بني عَامِرٍ؛ فإنهم يقولون: يَجْدَبِيك، ويَجْدَمِعُون، يجعلون تاءَ الافتعالِ دالًا، إذا كان قبلَها جيمٌ". عند نظر إلى التحليل الصوتي لجعل تاء الافتعال دالاً إذا كان قبلها صوت (الجيم)، يتناولها البحث من حيث المخرج والصفة، على النحو الآتي:

(١) سبق بيان صفات صوت السين، ص١١.

(٢) ينظر: أحمد مختار عمر، "دراسة الصوت اللغوي". ص٣٢٥.

(٣) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص١٤١.

من حيث المخرج: التاء صوت لثويٌّ أسنانيٌّ[١] والدال صوت لثويٌّ أسنانيٌّ أيضا[٢] إذن اشترك الصوتان في المخرج.

من حيث الصفة: نجد أنَّ صوت التاء انفجاري مهموس، غير مهتز[٣] وصوت الدال انفجاري مجهور مهتز[٤].

إذن الصوتان متشابهان من حيث المخرج ومعظم الصفات الصوتيَّة، إلا في صفة الاهتزاز وعدمه؛ لذلك يرى الفراء أنَّ الذي أجاز هذا الانتقال في تلك اللغة وجود الجيم الفصيحة التي تشارك الدال في صفة الاهتزاز، حيث يمرُّ الهواء بالحنجرة، فيهتز الوتران الصوتيان، ويحدث غلق محكم لفترة قصيرة بين مقدِّمة اللسان ومقدَّمة الحنك ومؤخرة اللِّثة، ثمَّ تبدأ الأعضاء بالانفراج مع بطء ملحوظ، لذا هي في أوَّل زمنها تشبه صوت الدال، وفي آخره تشبه الجيم الشامية[٥]، لتسمح لأصحاب تلك اللغة بإبدال تاء الافتعال دالاً لمجاورتها صوت الجيم الفصيحة.

(١) إبراهيم أنيس،"الأصوات اللُّغويَّة". ص٤٨.
(٢) السابق نفسه، ص ٢٤٩.
(٣) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللُّغويَّة". ص٦١.
(٤) المرجع نفسه، ص ٤٩
(٥) عبدالعزيز علاَّم، عبدالله ربيع، "علم الصوتيات". ص ٢٧٢.

المطلب الثالث: التوافق السياقي

التوافق السياقي: هو ذلك التغير الصوتي الذي يطرأ على كلمة ما في السياق المنطوق، نتيجة تأثرها بكلمة مجاورة لها من حيث البنية الصوتيَّة، الغرض منه: التخفيف على اللِّسان، وتحسين الجرس الإيقاعي، وتحقيق الانسجام في النطق، وقد يكون أحيانًا لضرب من التوكيد والإشباع إذا تأثرت الكلمة بالكلمة المجاورة لها في البنية الصوتية وماثلتها في المعنى.

هذه الظاهرة لم تكن خافية على علماء اللُّغة العربيَّة الأُوَل إذ ظهرت في مؤلفاتهم، وتناولها جماعة منهم بالتحليل والتأويل، وعلى رأسهم الفراء، وقد نقل ابن الأحنف الجبلي(١) عن النحاس قوله: "وحَكَى الفَرّاءُ أن من العرب من يقول: "حِيرٌ عِينٌ" على الإتْباعِ"، أي: إبدال الواو ياء في كلمة لكثرة صحبتها كلمة أخرى، لذلك فإن الفراء يُعِدُّ الإتباع ظاهرة لغوية قائمة على إلحاق كلمة بكلمة أخرى تماثلها في الوزن، أو الحروف، أو الإيقاع، وتستخدم الثانية عادة لتوكيد الأولى، أو لنوع من التناغم الصوتي بين الكلمتين في السياق اللغوي.

والشاهد على ذلك قول الفراء: "والعربُ تقولُ: حُورٌ عِينٌ، وربَّما قالوا: حِيرٌ، ونُرَى أنَّهم حَوَّلُوا الواوَ إلى الياءِ؛ لكثرةِ صُحْبَتِها «العِينَ». أَنْشَدَنِي بعضُهم: غَرّاءُ عَيْنَاءُ مِنَ الْعِينِ الْحِيرِ قال: وأَنْشَدَنِي بعضُ بني أَسَدٍ: إِلَى السَّلَفِ الْمَاضِي وَآخرُ سَائِرٌ ... إِلَى رَبْرَبٍ حِيرٍ حِسَانٍ جَآذِرُهْ"(٢).

(١) ابن الأحنف، أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي، "البستان في إعراب مشكلات القرآن". تحقيق: أحمر الجندي (ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، ٢٠١٨م)، ٢٩٨/٣، وينظر: النحاس، "إعراب القرآن". ٣٢٩/٤.

(٢) الفراء، "كتاب لغات القرآن". ص ٣٧٦- ٣٧٧.

من خلال الشاهد السابق يقرر الفراء قاعدة المماثلة الصوتية التباعدية، التي يسميها المحدثون بـ (Vowel Harmony) وهي في هذا الموضع مماثلة تامة؛ لوجود تماثل بين الأصوات المتجاورة، بين حركة وحركة أخرى، مما أدى إلى فقدان الصوت اللُّغويّ بعض خصائصه النطقية، ليكتسب بعض خصائص الصوت المجاور له، محققًا بذلك مبدأ المماثلة الصوتيَّة التباعدية[١]، التي قرَّر الفراء حدوثها بسبب كثرة الاستعمال؛ لأنَّ الياء والواو المديتان اختان من وجهة نظره؛ لاشتراكهما في المخرج –وهو الجوف– لا يلتقي بهما موضع من الفم كما يلتقي على غيره، قال سيبويه: "إذ كان من كلامهم أن يقلبوا الواو ياء ولا يتبعوها الضمة فرارا من الضمة، والواو إلى الياء لشبهها بالألف، وذلك قولهم: مشوب ومشيب، وغار منول ومنيل، وملوم مليم، وفي حور: حير"[٢].

وفي التحليل الصوتيّ الموالي للكلمتين تتضح هذه العلاقة، على النحو الآتي:

الكلمة الأولى(حور)	الكلمة المجاورة(عِين)
الحاء/صوت وسط حلقي، احتكاكي(رخو)، غير مهتز(مهموس)[٣].	العين/ صوت وسط حلقي، احتكاكي، مهتز، مجهور أي: متوسط بين الشدة والرخاوة[٤].
واو المد: صوت أقصى حنكي مجهور، مستدير[٥].	ياء المد: صوت وسط حنكي، مجهور، غير مستدير[٦].
الراء: صوت لثوي، تكرري، مهتز، رخو[٧]	النون، صوت لثوي أسناني، أنفي، مهتز، متوسط بين الشدة والرخاوة[٨].

(٣) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية". ص٨٦.

(٤) السابق نفسه، ص ٨٥.

(٥) سيبويه، "الكتاب". ٤: ٤٣٦؛ إبراهيم، "الأصوات اللغوية". ص ٣٤؛ وينظر: عمر، أحمد مختار، "دراسة الصوت اللُّغويّ". ص٣١٧.

=

من خلال الجدول السابق يظهر أنّصوت (الحاء) يشارك صوت (العين) في المخرج، ومعظم الصفات الصوتية، ويختلف عنه في صفة الاهتزاز وعدمه أي في الجهر والهمس، بالإضافة إلى اتساع مخرج العين نسبيا عن مخرج الحاء، واختلاف الجرس الصوتي بينهما فالعين ناصعة والحاء بحاء[٩]، والأمر نفسه بالنسبة لصوتي الراء والنون حيث يتقاربان في المخرج ومعظم الصفات الصوتيَّة أيضًا، ويختلفان في أنَّ أحدهما ترديّ والآخر أنفي، بالإضافة إلى جمع حرف النون لصفتي الشِّدَّة والرخاوة، مع اتصاف صوت الراء بالرخاوة فقط، أمَّا حروف المدَّ فهي جوفيَّة كما ذكر الفراء، إلاَّ أنَّ الموضع الأقرب لصدور صوت (واو المدَّ) أقصى الحنك، بدون حدوث أيّ احتكاك مسموع ، وموضع صدور (ياء المدَّ) وسط الحنك بدون حدوث أيّ احتكاك مسموع أيضًا.

إنَّ الذي سوَّغ هذا التغير في كلمة (حُور) التي تحولت إلى (حِير) عند بعض العرب، هو ذلك التقارب الصوتي السياقي بين الكلمتين، إذ تحولت الواو إلى صوت مماثل لصوت الكلمة المجاورة، وهو صوت (الياء) مع كسر ما قبلها لمناسبة المدّ، وقد علل الفراء لهذا التحول بكثرة المصاحبة بين الكلمتين في السياقات اللغويَّة المختلفة.

---

(٤) السابق نفسه، ص ٨٥.

(٥) سيبويه، "الكتاب". ٤: ٤٣٦؛ إبراهيم، "الأصوات اللغوية". ص ٣٤؛ وينظر: عمر، أحمد مختار، "دراسة الصوت اللُّغويّ". ص٣١٧.

(٦) إبراهيم أنيس، "الأصوات اللغوية". ص٣٣، وينظر: أحمد مختار، "دراسة الصوت اللُّغويّ". ص ٣١٧

(٧) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٨) السابق نفسه.

(٩) ينظر: جعفر، علي سيِّد، "مصطلحات صوتية غامضة". (ط٢، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ٢٠١٥م)، ص١١٠.

الخاتمة:

تمَّ بحمد الله وتوفيقه إتمام البحث وتحصيل مقاصده حول تعليلات الفراء الصوتيَّة، وذلك بالوقوف على أبرز القواعد التي أسسها الفراء في مجال علم الأصوات من خلال كتابه (كتاب لغات القرآن) وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- أنَّ غياب الدعم الحركي الذي تمنحه الحركة للصوت اللغويّ؛ يسهل عملية إبدال الأصوات الصامتة التي يصعب نطقها في سياقات معينة.
- أنَّ طول زمن الأصوات الصائتة يعيق عملية الإبدال اللغوي؛ لذا يشترط الفراء التسكين لإجراء أي انتقالات صوتية بين الأصوات اللغويَّة المتقاربة في المخرج والصفة.
- أنَّ التماثل الصوتي بين الواو المضمومة التي توسطت بين الجهر والهمس، وكذا الهمزة المتوسطة بين الجهر والهمس سوغ لقبيلة قيس حكاية عن الفراء إبدال الواو المضمومة همزة.
- يقرر الفراء أنَّ السوابق الصائتة للأصوات الصامتة المرتبطة ببنية الكلمة قد تؤثر فيها، وتؤدي إلى حدوث بعض التغيرات الصوتيَّة للأصوات اللاحقة بها.
- أنَّ وجود صوت صامت يفصل بين صوتين صائتين متباعدين في المخرج والصفة يسهل عملية التماثل الصوتي بينهما، مثلما ساغ ذلك في قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿الحمدُ لُله﴾ بضمتين بسبب فصل اللام (الصامتة) بينهما.
- يقرر الفراء قانون المماثلة الصوتية التباعدية، في قوله: (حِير عِين) في بعض اللهجات العربيَّة نتيجة كثرة الاستعمال.
- يؤكد الفراء مبدأ التوافق السياقي، وهو ذلك التغير الصوتي الذي يطرأ على كلمة ما في السياق المنطوق، نتيجة تأثرها بكلمة مجاورة لها من حيث البنية الصوتيَّة، ويعلل له بكثرة الاستعمال أيضًا.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

ابن الأحنف، أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي، "البستان في إعراب مشكلات القرآن". تحقيق: أحمر الجندي، (ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، ٢٠١٨م).

ابن الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، "نزهة الألباء في طبقات الأدباء". تحقيق: إبراهيم السامرائي، (ط٣، الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م).

ابن الأنباري، محمد بن القاسم، "الأضداد". (بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، ١٩٨٧م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "الخصائص". تحقيق: محمد علي النجار، (مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "سرُّ صناعة الإعراب". (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها". تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩م).

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم". (مصر، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤١م).

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، "وفيات الأعيان". تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٠٠م).

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، "الصاحبي في فقه اللغة العربيَّة

ومسائلها وسنن العرب في كلامها". تحقيق: السيد أحمد صقر، (ط١، بيروت، لبنان، مكتبة المعارف، ١٩٩٣م).

أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، "ارتشاف الضرب من لسان العرب". تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبدالتواب، (ط١، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي).

أنيس، إبراهيم، "الأصوات اللغويَّة". (مصر، مكتبة الأنجلو، ٢٠٠٧م).

بشر، كمال، "علم الأصوات". (مصر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م).

جعفر، علي سيد أحمد جعفر، "مصطلحات صوتية غامضة". (ط٢، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، ٢٠١٥م).

حجازي، محود فهمي، "علم اللغة العربية". (مصر، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع).

حسان، تمام، "مناهج البحث في اللغة". (مصر، القاهرة: مكتبة الإنجلو، ١٩٩٠م).

الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، "تاريخ بغداد". تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط٢، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

الذهبي، محمد ابن أحمد، "سير أعلام النبلاء". تحقيق: محمد أيمن الشبراوي، (مصر، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م).

الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد، "تاريخ الإسلام". المحققون: سعد يوسف محمود أبو عزيز – مجدي فتحي السيد – خيري سعيد – مصطفى شتات – أسامة عكاشة – ياسر أبو شادي، (مصر، القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٦م).

الزجاج، علي بن الحسين بن علي، "إعراب القرآن". (ط٤، تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتب اللبنانية، ١٤٢٠هـ).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، "الأعلام". (ط٥، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، "الكتاب". تحقيق: عبدالسلام هارون، (ط٥، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٩م).

السيوطي، جلال الدين، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (مصر: المكتبة التوفيقية).

الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد، "العباب الزاخر واللباب الفاخر". (العراق، بغداد، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م).

عبدالتواب، رمضان، "التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه". (ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).

عبدالتواب، رمضان، "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ". (ط٤، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).

العكبري، أبو البقاء، "التبيان في إعراب القرآن". تحقيق: علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه).

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، "اللباب في علل البناء والإعراب". تحقيق: د. عبد الإله النبهان، (ط١، دمشق، دار الفكر).

علام، عبدالعزيز، ربيع، عبدالله، "علم الصوتيَّات"، (المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد، ٢٠٠٩م).

عمر، أحمد مختار عمر، "دراسة الصوت اللغوي". (ط٤، القاهرة، مصر، عالم الكتب، ٢٠٠٦م).

الفارسي، أبو علي، "الحجة للقراء السبعة". (ط٢، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٩٩٣م).

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، "معاني القرآن". تحقيق: أحمد النجاتي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (ط١، مصر، الدار المصريَّة للتأليف والترجمة، ١٩٩٧م).

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، "كتاب لغات القرآن". تحقيق: الموافي الرفاعي البيلي، (ط١، مصر، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، "العين". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٢م).

المرصفي، عبدالفتاح، "هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري"، (ط٢، المدينة المنورة: مكتبة طيبة).

النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد، "إعراب القرآن". تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (لبنان، بيروت، منشورات محمد علي بيضون: دار الكتب العلمية).

الهمذاني، المنتجب، "الفريد في إعراب القرآن المجيد". تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، (ط١، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).

Bibliography

Abū Ḥayyān, Athīr al-Dīn Muḥammad ibn Yūsuf ibn ʻAlī al-Andalusī, "Irtishāf al-ḍarb min Lisān al-ʻArab". Investigated by Rajab ʻUthmān Muḥammadʿ Ramaḍān ʻbdāltwāb, (1st edition. Cairo, Egypt: Maktabat al-Khānjī).

al-Dhahabī, Muḥammad Ibn Aḥmad, "Siyar Aʻlām al-nubalā'". Investigated by: Muḥammad Ayman al-Shabrāwī, (Cairo, Egypt : Dār al-ḥadīth, 2006).

al-Dhahabī, Shams al-Dīn, Muḥammad ibn Aḥmad, "Tārīkh al-Islām", investigated by: Saʻd Yūsuf Maḥmūd Abū ʻAzīz-Majdī Fatḥī al-Sayyid-Khayrī Saʻīd-Muṣṭafá Shatāt-Usāmah ʻUkāshah-Yāsir Abū Shādī, (Cairo, Egypt: al-Maktabah al-Tawfīqīyah, 2006).

al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad, "al-ʻAyn". Investigated by ʻAbd al-Ḥamīd Hindāwī, (1st edition. Beirut: Dār al-Kutub alʻlmyyh, 2002).

al-Fārisī, Abū ʻAlī, "al-Ḥujjah lil-qurrā' al-sabʻah". Investigated by Badr al-Dīn Qahwajī, Bashīr jwyjāby, (2nd edition. Damascus: Dār al-Ma'mūn lil-Turāth, 1993).

al-Farrā', Abū Zakarīyā Yaḥyá ibn Ziyād "Kitāb lughāt al-Qur'ān". Investigated by al-Muwāfī al-Rifāʻī al-Biyalī, (1st edition. Egyp: al-Maktabah al-ʻAṣrīyah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 2016).

al-Farrā', Abū Zakarīyā Yaḥyá ibn Ziyād ibn ʻAbd Allāh ibn manẓūr, "maʻānī al-Qur'ān" Investigated by: Aḥmad alnjāty, ʻAbd al-Fattāḥ Ismāʻīl Shalabī, (1st edition. Egypt: al-Dār almṣryyah lil-Ta'līf wa-al-Tarjamah, 1997).

al-Hamadhānī, al-Muntajab, "al-farīd fī iʻrāb al-Qur'ān al-Majīd". Investigated by Muḥammad Niẓām al-Dīn al-Futayyiḥ, (1st edition. Saudi Arabia, Medina: Dār al-Zamān lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 2006).

al-Khaṭīb, Abū Bakr Aḥmad ibn Alī al-Baghdādī, "Tārīkh Baghdād". Investigated by Muṣṭafá ʻAbd al-Qādir ʻAṭā, (2nd edition. Beirut, Lebanon, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2004).

Allām, ʻAbd-al-ʻAzīz, Rabīʻ, Allāh, "ʻilm alṣwtyyāt", (Saudi Arabia: Maktabat al-Rushd, 2009).

al-Marṣafī, ʻbdālftāḥ, "Hidāyat al-qāri' ilá tajwīd kalām al-Bārī", (2 th edition. Medina: Maktabat Ṭaybah).

ālnḥās, Abū Jaʻfar alnnaḥḥās Aḥmad ibn Muḥammad, "iʻrāb al-Qur'ān". Investigated by ʻAbd al-Munʻim Khalīl Ibrāhīm, (Beirut, Lebanon: Manshūrāt Muḥammad ʻAlī Bayḍūn : Dār al-Kutub al-

‘Ilmīyah).
al-Ṣaghānī, Raḍī al-Dīn al-Ḥasan ibn Muḥammad, "al-‘Ubāb al-zākhir wa-al-lubāb al-fākhir" (Iraq, Baghdad :Dār al-Rashīd lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, 1979)
al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn, "Ham‘ al-hawāmi‘ fī sharḥ jam‘ al-jawāmi‘". Investigated by :Abd al-Ḥamīd Hindāwī, (Egypt: al-Maktabah al-Tawfīqīyah).
al-‘Ukbarī, Abū al-Baqā’ ‘Abd Allāh ibn al-Ḥusayn, "al-Lubāb fī ‘Ilal al-binā’ wa-al-i‘rāb". Investigated by: Abd al-Ilāh al-Nabhān, (1st edition. Damascus: Dār al-Fikr).
al-‘Ukbarī, Abū al-Baqā’, "al-Tibyān fī i‘rāb al-Qur’ān". Investigated by ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī, (Egypt :Īsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh).
al-Zajjāj, ‘Alī ibn al-Ḥusayn ibn ‘Alī, "i‘rāb al-Qur’ān". Investigated by: Ibrāhīm al-Ibyārī, (4 th edition. Beirut: Dār al-Kutub al-Lubnānīyah, 1420).
al-Ziriklī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd ibn Muḥammad, "al-A‘lām". (5 th edition. Beirut, Lebanon: Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, 2002).
Anīs, Ibrāhīm, "al-aṣwāt allghwyyah". (Egypt: Maktabat al-Anjlū, 2007).
bdāltwāb, Ramaḍān, "al-Madkhal ilá ‘ilm al-lughah wa-manāhij al-Baḥth allghwī". (4 th edition. Cairo, Egyp : Maktabat al-Khānjī, 1997).
bdāltwāb, Ramaḍān, "al-taṭawwur al-lughawī maẓāhiruhu wa-‘ilalihi wa-qawānīnuhu". (3 th edition. Cairo, Egypt: Maktabat al-Khānjī ,1997).
Bishr, Kamāl, "‘ilm al-aṣwāt". (Cairo, Egypt :Dār Gharīb lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wāltwzy‘2000).
Ḥassān, Tammām, "Manāhij al-Baḥth fī al-lughah". (Cairo, Egypt: Maktabat Anglo, 1990).
Ḥijāzī, Maḥmūd Fahmī, "‘ilm al-lughah al-‘Arabīyah" (Cairo, Egypt: Dār Gharīb lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘).
Ibn al-Aḥnaf, Aḥmad ibn Abī Bakr ibn ‘Umar al-Jabalī, "al-Bustān fī i‘rāb Mushkilāt al-Qur’ān". Investigated by: Aḥmar al-Jundī, (1st edition. al-Riyāḍh: Markaz al-Malik Fayṣal lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al’slāmyyah, 2018).
Ibn al-Anbārī, Kamāl al-Dīn ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn ‘Ubayd Allāh al-Anṣārī, "Nuzhat al-alibbā’ fī Ṭabaqāt al-Udabā’". Investigated by Ibrāhīm al-Sāmarrā’ī, (3rd, edition. al-Zarqā’,

Jordan: Maktabat al-Manār, 1985).
Ibn al-Anbārī, Muḥammad ibn al-Qāsim, "al-Aḍdād" (Beirut, Lebanon: al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, 1987).
Ibn Fāris, Abū al-Ḥasan Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā al-Rāzī, "al-Ṣāḥibī fī fiqh al-lughah al-ʻArabiyyah wa-Masā'iluhā wa-Sunan al-ʻArab fī Kalāmihā", Investigated by al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr, (1st edition, Beirut, Lebanon: Maktabat al-Maʻārif, 1993).
Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʻUthmān, "al-Khaṣā'iṣ". Investigated by Muḥammad ʻAlī al-Najjār) Egypt: al-Maktabah al-ʻIlmīyah, Maṭbaʻat Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 2000).
Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʻUthmān, "al-Muḥtasib fī Tabyīn Wujūh Shawādh al-Qirā'āt wa-al-īḍāḥ ʻanhā". Investigated byʻAlī al-Najdī Nāṣif, ʻAbd al-Ḥalīm al-Najjār, ʻAbd al-Fattāḥ Ismāʻīl Shalabī (Egypt: al-Majlis al-Aʻlá lil-Shu'ūn al-Islāmīyah, 1969).
Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ʻUthmān, "Sirru ṣināʻat al-iʻrāb". (Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah,, 2001).
Ibn Khālawayh, al-Ḥusain ibn Aḥmad, "iʻrāb thalāthīn Sūrah min al-Qur'ān al-Karīm", (Egypt: Maṭbaʻat Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 1941).
Ibn Khallikān, Abū al-ʻAbbās Shams al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm ibn Abī Bakr al-Barmakī al-Arbalī, "Wafayāt al-Aʻyān". Investigated by Iḥsān ʻAbbās, (Beirut: Dār Ṣādir, 1900).
Jaʻfar, ʻAlī Sayyid Aḥmad Jaʻfar, "Muṣṭalaḥāt ṣawtīyah ghāmiḍah". (2nd edition. Majmaʻ al-lughah al-Arabīyah ʻalá al-Shabakah al-ʻĀlamīyah, 2015).
Sībawaih, ʻAmr ibn ʻUthmān ibn Qanbar, "al-Kitāb". Investigated by Abdussalām Hārūn, (5th edition. Cairo, Egypt: Maktabat al-Khānjī, 2009).
Umar, Aḥmad Mukhtār ʻUmar, "dirāsah al-Ṣawt al-lughawī". (4 th edition. Cairo, Egypt :Ālam al-Kutub, 2006).

أثر المحظورِ اللّغويّ في توليد الألفاظ
دراسة دلاليّة تداوليّة

The Impact of Linguistic Taboo on Lexical Generation: A Semantic-Pragmatic Study

وفاء بنت لافي بن مقبل الرّشيديّ

الأستاذ المساعد بجامعة حائل

البريد الإلكتروني: wafa4489@hotmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
01/09/2025		20/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-005		

الملخّص

تتناول الباحثة في هذا البحث أثر المحظور اللّغويّ في اللّغة العربيّة، بوصفه ظاهرة تسهم في توليد الألفاظ وتحريك المعجم، من خلال تحليل الألفاظ الّتي تجنّبها المتكلّم العربيّ عبر العصور، واستراتيجيّات التّعبير البديلة عنها، كالكناية والتّورية والتّكنية، وذلك ضمن إطار دلاليّ تداوليّ.

ويهدف البحث إلى بيان العلاقة بين المحظور اللّغويّ (اللّامساس: أي الامتناع عن التّلفّظ بألفاظ معيّنة لدواعٍ دينيّة أو اجتماعيّة) وتوليد الألفاظ، والكشف عن أثر العوامل الدّينيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة في دفع اللّغة نحو بدائل أكثر تهذيبًا وتداولًا. وقد اعتمدت الدّراسة تحليل نصوصٍ دينيّة وأدبيّة، ونماذج من اللّهجات المعاصرة؛ لرصد أنماط التّحوير اللّفظيّ، وتتبّع الألفاظ المستحدثة النّاتجة عن الحظر. وتسعى الدّراسة إلى الإسهام في ردم الفجوة البحثيّة المتعلّقة بعلاقة المحظور اللّغويّ بتوليد الألفاظ من منظور تداوليّ، في ظلّ اقتصار معظم الدّراسات السّابقة على جمع الأمثلة دون تحليل سياقيّ معمّق.

وقد خلصت النّتائج إلى أنّ المحظور لا يقيّد اللّغة، بل يسهم في إثرائها، ويدفع نحو الابتكار، ممّا يجعل من "اللامساس" قوّةً بلاغيّةً وتداوليّةً فاعلة في تشكيل المعجم، كما خلصت إلى أنّ المحظور يؤثّر في زيادة التّرادف، وفي تطوير الاستعارة، وفي شيوع الألفاظ المهذّبة على حساب الصّريحة.

وتوصي الدّراسة بتوثيق الألفاظ المحظورة ومقارنتها باللّهجات العربيّة المعاصرة.

الكلمات المفتاحيّة: (المحظور اللّغويّ، التّلطّف، التّداوليّة، توليد الألفاظ) .

Abstract

This study explores the phenomenon of linguistic taboo in the Arabic language as a dynamic force that contributes to lexical generation and lexicon expansion. It analyzes the words historically avoided by Arabic speakers and the alternative expressive strategies—such as euphemism, allusion, and metonymy—used in their place, within a semantic-pragmatic framework.

The research aims to explain the relationship between linguistic taboo (non-verbalization: i.e., refraining from uttering certain words for religious or social reasons) and generating words, it also seeks to uncover the impact of religious, social, and psychological factors on motivating speakers to adopt more refined and contextually appropriate alternatives. The study draws upon religious and literary texts, as well as contemporary dialects, to trace lexical substitution patterns and the emergence of new expressions resulting from prohibition.

The study seeks to address the research gap concerning the connection between linguistic taboo and lexical generation from a pragmatic perspective, given that most prior studies have focused on collecting examples without conducting deeper contextual analysis.

The study concludes that linguistic taboo does not restrict the language; rather, it contributes to its enrichment and drives innovation. This makes 'non-utterance' an effective rhetorical and pragmatic force in shaping the lexicon. The findings also reveal that taboo plays a role in increasing synonymy, developing metaphor, and promoting the prevalence of euphemistic expressions at the expense of explicit ones.

The study recommends documenting taboo expressions and comparing them with those found in contemporary Arabic dialects.

Keywords: (linguistic taboo, euphemism, pragmatics, lexical generation).

مقدّمة

تُعدّ اللّغة أداة تداوليّة أساسيّة في التّفاهم والتّواصل بين أفراد المجتمع في مختلف نواحي الحياة، وهي وثيقة الصّلة بالفكر؛ إذ تصاغ الأفكار في قالب لغويّ تتبلور من خلاله؛ لتأخذ حيّزها في الواقع.

ومع تباين عادات الشّعوب وتقاليدها واتّجاهاتها النّفسيّة والثّقافيّة والسّياسيّة، ينعكس هذا التّباين على اللّغة؛ بوصفها سجلًّا صادقًا لحياة المجتمعات، فتتمايز الطّبقات في مفرداتها وأساليبها، وهو ما يُنتج تحوّلات تداوليّة في الاستعمال تؤثّر في دلالة الألفاظ ومقامات توظيفها(١).

واللّغة في جوهرها نظام إشاريّ يربط بين المعاني والصّور الصّوتيّة، وهي حين تُستدعى في التّخاطب تفعّل سياقاتها النّفسيّة والاجتماعيّة والتّداوليّة. ومن منظور علم النّفس الاجتماعيّ، ترتبط الإشارة الصّوتيّة بالانطباع الّذي تتركه في الحواسّ، لا بمجرّد تمثيلها الفيزيائيّ، وتختزن الكلمات في الذّهن استعدادًا لإعادة إنتاجها، وهو ما يُعرف في علم النّفس بـ "الفكر"(٢).

وتُعدّ اللّغة العربيّة من أكثر اللّغات مرونة وتجدّدًا، بما تمتاز به من دقّة التّعبير، ورقي المفردات، وتهذيب التّوجّهات النّفسيّة، وانتقاء الألفاظ الملائمة دون إسفاف(٣).

وتنشأ في اللّغة العربيّة نزعة واضحة إلى تفادي بعض الألفاظ التي تُعدّ مخلّة أو خارجة عن الذّوق العامّ، ويستعاض عنها بوسائل تعبير بلاغيّة تتجنّب التّصريح المباشر،

---

(١) ينظر: وافي، علي عبد الواحد، "**اللّغة والمجتمع**". (ط٤، جدة: مكتبة عكاظ، ١٩٨٣م)، ١٣، ١٦.

(٢)ينظر: سوسير؛ فيردناند، "**علم اللّغة العامّ**". ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النّصّ العربيّ: مالك يوسف المطلبي، (بغداد: دار آفاق عربيّة، ١٩٨٥م)، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٨٤، ٨٥.

(٣) ينظر: وافي، "**اللّغة والمجتمع**"، ١٣.

فيما يُعرف بالمحظور اللّغويّ (linguistic taboo)، وهو مصطلح يُشير إلى الامتناع عن التّصريح بألفاظ معيّنة؛ خشية خرق ما تفرضه الجماعة من قيود عرفيّة أو ثقافيّة.

وترتبط ظاهرة المحظور بالبعد التّداوليّ الاجتماعيّ للُّغة، وبمقامات التّخاطب بين المتكلّم والمخاطَب، وتكتسب أهمّيّتها من قدرتها على دفع اللّغة إلى توليد بدائل أكثر تهذيبًا وتلاؤمًا مع السّياق، ويُعدّ هذا التّحوّل في الاستعمال دلالة على تطوّر اللّغة في ضوء التّغيّرات الحضاريّة والاجتماعيّة؛ فتختفي بعض الألفاظ، وتُستحدث أخرى أو يُعاد التّعبير عن المعنى نفسه بصيغ متعدّدة بما يواكب الحسّ التّداوليّ والتّحفّظ الثّقافيّ المعاصر.

أسئلة الدّراسة

يثير هذا الحضور للمحظور تساؤلًا حول أثره في توليد الألفاظ وتجديدها؛ بوصفه عاملًا دلاليًّا وتداوليًّا فاعلًا في المعجم. ومن هنا، تسعى هذه الدّراسة إلى تحليل التّداخل التّداوليّ للمحظورات اللّغويّة، والكشف عن الدّوافع النّفسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة الكامنة وراءها، وبيان أثرها في توليد الألفاظ واستحداثها، وذلك من خلال الإجابة عن سؤالها الرّئيس:

ما أثر المحظور اللّغويّ في توليد الألفاظ من وجهة دلاليّة تداوليّة؟

وقد انطلقت من سؤال الدّراسة الرّئيس: **ما أثر المحظور اللّغويّ في توليد الألفاظ من وجهة دلاليّة تداوليّة؟** مجموعة من الأسئلة الفرعيّة؛ منها:

- ما المحظور اللّغويّ؟
- وما أبرز أسبابه؟
- كيف تكشف ظاهرة المحظور عن علاقة اللّغة بالبعد النّفسيّ والاجتماعيّ والثّقافيّ؟
- ما الوسائل التّداوليّة الّتي تُستخدم لتجاوز المحظور والتّعبير عنه بطرق غير مباشرة؟

- ما دور الألفاظ المتلطّفة في بناء بدائل دلاليّة للمحظورات؟
- كيف يسهم المحظور اللّغويّ في توليد الألفاظ وتجديد المعجم؟

أهداف الدّراسة

تهدف الدّراسة إلى:

- بيان مفهوم المحظور اللّغويّ، وتحليل أسبابه النّفسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة.
- تفسير الدّور التّداوليّ للمحظور في تحفيز توليد الألفاظ وابتكارها.
- الكشف عن العلاقة بين الألفاظ المتلطّفة والمحظورات من منظور دلاليّ تداوليّ.
- إبراز المحظور اللّغويّ بوصفه محرّكًا فاعلًا في تشكيل الثّروة اللّفظيّة.

أهمّيّة الدّراسة

تنبع أهميّة هذه الدّراسة من تناولها المحظور اللّغويّ بوصفه ظاهرة تعبّر عن حيويّة اللّغة واستجابتها للقيود الاجتماعيّة والثّقافيّة، وتبرز وظيفته كأداة تداوليّة لتغيير المعنى وتلطيفه، ويُقارب مفهوم "اللّامساس" هذا الدّور؛ إذ يدلّ على الامتناع عن التّلفّظ الصّريح بدوافع دينيّة أو عرفيّة أو ذوقيّة. وتسعى الدّراسة إلى الكشف عن أثر هذا الامتناع، ودور البُعد الدّلاليّ والتّداوليّ في إنتاج بدائل مهذّبة ومقبولة، ممّا يوضّح كيف يسهم المحظور في توجيه حركة المعجم وتطوّر الثّروة اللّفظيّة.

الدّراسات السّابقة

شهدت الدّراسات الحديثة اهتمامًا متزايدًا بظاهرة المحظور اللّغوي، خاصّة في سياقات الخطاب الدّينيّ والاجتماعيّ والأدبيّ؛ فقد ركّزت بعض الأبحاث على البعد التّداوليّ للمحظور، من خلال استراتيجيّات التّلطيف والإخفاء، كما في الخطاب السّياسيّ والإعلاميّ، بينما تناولت دراسات أخرى المفردات المحظورة في المعجم العربي، ومدى تغيّر دلالاتها بتأثير العوامل السّياقيّة والثّقافيّة والدّينيّة، غالبًا من منظور

وصفيّ دون تحليل تداوليّ معمّق، ومن أبرز الدّراسات الّتي تناولت هذا الحقل:

- دراسة كريم زكي حسام الدّين في كتابه المحظورات اللّغويّة: دراسة للمستهجن والمحسّن من الألفاظ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٨٥م)، الّتي تناولت المحظورات الدّلاليّة في كتابي الثّعالبي والجرجانيّ، وصنّفتها ضمن أربعة مجالات: الحسّيّات، والعادات، والموت والمرض، والمفارقات.
- دراسة عصام الدّين عبد السّلام أبو زلال: التّعبير عن المحظور اللّغويّ والمحسّن اللّفظيّ في القرآن الكريم: دراسة دلاليّة (رسالة دكتوراة، كلّيّة الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، حيث بحثت العلاقة بين المحظور والمحسّن في القرآن؛ مبيّنة خصائص الألفاظ ومجالاتها؛ كالمصائب، والأمور الجنسيّة، والصّفات السّلبيّة، والمرأة.
- دراسة محمّد أحمد أبو عيد: التّلطّف والمحظور في لغة القرآن الكريم: دراسة لسانيّة اجتماعيّة (مجلّة راشد بن حميد للثّقافة والعلوم، عجمان، مج. ١٣، ع. ٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، الّتي أبرزت تقاطع لغة القرآن مع محظورات المجتمع، ومخالفتها لها في بعض الجوانب.
- كتاب ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللّغة، ترجمه وقدّم له: كمال محمّد بشر (عمّان: مكتبة الشّباب، د.ت)، حيث ناقش فيه مفهوم اللّامساس؛ مبيّنًا كيف تؤدّي الاستعاضة النّفسيّة والبلاغيّة إلى إنتاج ثروة لفظيّة متجدّدة.
- كتاب محمّد أحمد حمّاد: الثّروة اللّفظيّة في اللّغة العربيّة (الرّياض: دار النّشر الدّوليّ، ط١، ٢٠٠٧م)، تناول جهود علماء اللّغة ووسائل تنمية الثّروة؛ كالنّحت، والاشتقاق، والتّعريب، والدّخيل.
- دراسة إقبال عبد العزيز منوفلي: الثّروة اللّفظيّة في اللّغة العربيّة (مجلّة الدّراسات الإنسانيّة، جامعة دنقلا، السّودان، ع. ١٤، ٢٠١٥م)، تناولت وسائل وضع

الألفاظ، وأثر نزول القرآن الكريم في حفظ اللّغة.

- كتاب بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمّد: معجم المناهي اللّفظيّة وفوائد في الألفاظ (الرّياض: دار العاصمة للنّشر والتّوزيع، ط٣، ١٩٩٦م)؛ يقول فيه مؤلّفه: "...فهذا بابٌ من التّأليف جامع لجملة كبيرة من الألفاظ، والمقولات، والدّائرة على الألسن قديمًا، وحديثًا، المنهي عن التلفّظ بها؛ لذاتها، أو لمتعلقاتها، أو لمعنى من ورائها، كالتّقيّد بزمان، أو مكان، وما جرى مجرى ذلك من مدلولاتها، وجملة التّراجم الجامعة لمنثورها على ما يأتي: ألفاظ منهيّ عنها في جانب توحيد الله، وأسمائه، وصفاته –سبحانه وتعالى–. وألفاظ منهيّ عنها في حقّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، وفي جانب الوحيين الشّريفين: الكتاب والسّنة. وفي حقّ الصّحابة –رضي الله عنهم– ومن قفى أثرهم، واتبعهم بإحسان –رحمهم الله تعالى–..."[1]، وقد شمل المعجم كذلك: أحكام أفعال العبيد، وأبواب الفقه كافّة، من الطّهارة وأركان الإسلام إلى الآخر.. وفي البيوع، والأنكحة، والحدود، والجنايات، والأيمان، والنّذور، والأقضية، والشّهادات، والإقرار، والأدعية والأذكار، والرّقاق والآداب، والمتفرقات، والسّلام والتّهاني، والأزمنة، والأمكنة، وفيما غيّره النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– من الأسماء والكنى والألقاب، وفي اللّغات الدّخيلة، واللّهجات والأساليب المولّدة المعاصرة، وغيرها.

وبالرّغم من غنى هذه الدّراسات، إلّا أنّ أكثرها:

- اقتصر على توصيف الظّاهرة دون الرّبط بين الحظر والحركيّة اللّفظيّة.
- ركّز على نماذج قرآنيّة أو تراثيّة أو بيئات محلّيّة دون مقاربة شاملة للعوامل التّداوليّة والدّينيّة والنّفسيّة المؤثّرة في توليد الألفاظ.

(١) ينظر: مقدّمة كتاب بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد، "معجم المناهي اللّفظيّة وفوائد في الألفاظ". (ط٣، الرياض: دار العاصمة للنّشر والتّوزيع، ١٩٩٦م).

وتأتي هذه الدّراسة رابطة المحظور اللّغويّ بحركيّة الثّروة اللّفظيّة، واتّخاذ "اللّامساس" مدخلًا تداوليًّا للكشف عن طرائق تكيّف العربيّة مع القيود التّعبيريّة، واستحداثها بدائل تعبيريّة تعبّر عن وعي المتكلّمين وسياقاتهم المتجدّدة. وتنظر إلى المحظور اللّغويّ بوصفه عنصرًا فاعلًا في توليد الألفاظ وتطوير المعجم.

منهج الدّراسة وحدودها

تعتمد هذه الدّراسة على تحليل دلاليّ تداوليّ لظاهرة المحظور اللّغويّ في اللّغة العربيّة، عبر أربعة محاور: تصنيف الألفاظ المحظورة، وتتبّع آليّات التّحوير (كالتّكنيَة والتّلطيف)، وتحليل الدّوافع التّداوليّة، وربطها بسياقاتها الثّقافيّة والدّينيّة والاجتماعيّة. وتسعى الدّراسة إلى تحليل مختارات من اللّغة العربيّة الفصيحة ونماذج مختارة من بعض لهجاتها المعاصرة، مع اعتماد التّحليل التّداوليّ دون مقارنات لغويّة أو معالجة إحصائيّة.

ويتيح هذا المنهج الوقوف على أثر المحظور في توليد الألفاظ، ضمن رؤية تتجاوز التّوصيف إلى تحليل فاعليّة اللّغة وتكيّفها في الاستعمال الحقيقيّ؛ ولذلك فإنّ المنهج المتّبع في هذه الدّراسة هو المنهج الوصفيّ التّحليليّ الّذي يدمج الجانب الوصفيّ مع الجانب التّحليليّ.

مفهوم المحظور اللّغويّ ومصطلحاته

يرجع المحظور إلى المادّة اللّغويّة (ح ظ ر)، والّتي تدور معانيها حول المنع[١]، و"الحظر: الحَجر، وهو خلاف الإباحة، والمحظور: المحرّم، وكلّ ما حال بينك وبين شيء، فقد حَظرَه عليك"[٢]؛ فالمحظور اللّغويّ لغة: هو الممنوع والمحرّم، وأمّا اصطلاحًا

(١) ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد، "معجم مقاييس اللّغة". تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٢: ٨٠. مادّة: (ح ظ ر).

(٢) ابن منظور، محمّد بن مكرّم، "**لسان العرب**". تحقيق اليازجي وآخرون، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٤: ٢٠٢. مادة: (ح ظ ر).

فيسير مع ما عرّفه أحمد مختار عمر إذ عبّر عن المحظورات اللّغوية بأنّها: "كلمات أو تعبيرات غير مهذّبة أو بذيئة؛ لها إيحاءات مكروهة ودلالتها على ما يستقبح ذكره"(١)، وهذا يعني مَنْع استعمال بعض الكلمات في اللّغة؛ لما تحمله من إيحاءات سلبيّة أو دلالات صريحة على ما يُستقبح ذكره في مجالات الحياة المختلفة.

لم يستعمل علماء اللّغة الأوائل مصطلح المحظور، لكنّهم أشاروا إلى مضمونه من خلال مفاهيم تداوليّة تُظهر توجّهًا إلى تجنّب بعض الألفاظ المحرّمة أو المرفوضة، ويعدّ مصطلحا الكناية والتّعريض(٢) من أبرز المصطلحات الّتي استعملها علماء اللّغة

(١) يُنظر: أحمد مختار عمر، "**علم الدّلالة**". (ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م)، ٢٦٥.

(٢) ينظر على سبيل التّمثيل: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، "**كتاب الحيوان**". تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، (ط٢، د.م، ١٩٦٥م)، ١: ٣٤٤؛ والمبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد، "**الكامل في اللّغة والأدب**". تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، (ط٣، القاهرة: دار الفكر العربيّ، ١٩٩٧م)، ٢: ٢١٥؛ وابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن، "**جمهرة اللّغة**". تحقيق رمزي منير بعلبكي، (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ١: ٢٣٧؛ والكاتب، ابن وهب أبي الحسين إسحاق، "**البرهان في وجوه البيان**". تحقيق حفني محمّد شريف، (القاهرة: مكتبة الشّباب، ١٩٦٩م)، ١٠٩–١١٠؛ والثّعالبيّ، أبو منصور عبد الملك، "**فقه اللّغة وأسرار العربيّة**". ضبطه وعلّق حواشيه وقدّم له ووضع فهارسه ياسين الأيّوبي، (ط٢، صيدا– بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠٠م)، ٤٣٨–٤٤٠؛ والثّعالبيّ، أبو منصور عبد الملك، "**الكناية والتّعريض**". دراسة وشرح وتحقيق عائشة حسين فريد، (دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د.ت)، ٤٤؛ والجرجانيّ، القاضي أبو العبّاس أحمد بن محمّد، "**كنايات الأدباء وإشارات البلغاء**". تحقيق محمود شاكر القطّان، (القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ٢٠٠٣م)، ٣٧، ٣٨، ٤١؛ والأندلسيّ، ابن عبد ربّه أحمد بن محمّد، "**العقد الفريد**". تحقيق مفيد محمّد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت)، ٢/٢٩٤.

الأوائل للدّلالة على ما يُتجنّب من الألفاظ، وتابعهم بعض المحدثين الّذين استعملوا الكناية[١] في سبيل تفادي استخدام الألفاظ الخادشة للذّوق العامّ، أمّا مصطلح (المحظور) فقد برز لاحقًا عند علماء العربيّة المحدثين[٢] فقد ظهرت بوادر استعماله متّصلة بمفاهيم كاللّامساس، أو التّابو[٣]، أو تحريم المفردات[٤] أو الحرام، أو الكلام الحرام وغير اللّائق[٥] أو المبتذل[٦] أو التّورية والمحظورات[٧]، وغير ذلك من مصطلحات كلّها تنبع من أصل واحد؛ لتدلّ على ما خرج عن اللّائق والمقبول من الألفاظ والتّعبيرات.

ويعدّ مصطلحا اللّامساس والتّابو، من أكثر المصطلحات المتداولة للدّلالة على المحظور اللّغويّ، وهما من أصل بولينزيّ نسبة إلى ploynesia (وهي مجموعة من الجزر الصّغيرة في المحيط الباسيفيكي شرق أستراليا)، شاعا في اللّغات الأوروبيّة، ويطلقان على كلّ ما يحرّم أو يُخشى الاقتراب منه، سواء أكان ذلك إنسانًا أم كلمة أم فعلاً أم

(١) ينظر: فندريس، "**اللّغة**". ترجمة عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصّاص، (مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٥٠م)، ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) يعدّ مراد كامل وعلي القاسمي وكريم زكي حسام الدّين من أوائل من استعمل هذا المصطلح، ينظر: أبو زلال، عصام الدّين عبد السّلام، "**التّعبير عن المحظور اللّغويّ والمحسّن اللّفظيّ في القرآن الكريم**، دراسة دلاليّة". (أطروحة دكتوراة، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م)، ٤٠.

(٣) ينظر: عمر، أحمد مختار، "**علم الدّلالة**". (ط ١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ٢٣٩.

(٤) ينظر: فندريس، "**اللّغة**". ٢٨١.

(٥) ينظر: السّعران، محمود، "**اللّغة والمجتمع– رأي ومنهج**". (ط ٢، الإسكندريّة، ١٩٦٣م)، ١٣٢.

(٦) ينظر: أنيس، إبراهيم، "**دلالة الألفاظ**". (ط ٢، الإسكندريّة، ١٩٦٣م)، ١٣٩–١٤٥.

(٧) ينظر: جيرو، بيير، "**علم الدّلالة**". ترجمه عن الفرنسيّة منذر عيّاشي، (ط١، دمشق: دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ١٩٨٨م)، ١٠٥–١٠٧.

شيئًا آخر؛ فيستبدل اللّفظ المحظور بآخر مهذّب خالٍ من إيحاء الضّرر أو الأذى[١].

فجوهر التّابو –لا سيّما– عند البدائيّين يقوم على الخوف من الأرواح الشّريرة، الّذي يرجع إلى الخوف من روح المتوفّى الّتي صارت جنّيًّا، ذلك أنّ التّابو ينشأ من موقف عاطفيّ مزدوج؛ إذ يحدث في الحياة النّفسيّة العاديّة أو المرضيّة إسقاطًا ينكر فيه قريب المتوفَّ أيّة عاطفة عدائيّة على الإطلاق تجاه المتوفَّ الحبيب، غير أنّ روح المتوفّى تضمر ذلك، وتسعى طيلة فترة الحداد لإشعال هذه العدوانيّة، والإيمان بالتّابو هو في حقيقته إيمان بقوّة جنّيّة كامنة في الجسد، وتنتقم عند اللّمس أو استعمال المحظور؛ فهي تسحر الجاني، أي إنّه الخوف الموضع تمامًا، وهو خوف لم يتمايز بعد إلى الشّكلين اللّذين يتّخذهما في المرحلة المتقدّمة: الإجلال والاشمئزاز، ويحدث هذا التّحوّل من خلال انتقال الأوامر التّابويّة من التّصوّرات الجنّيّة إلى التّصوّرات الإلهيّة، والتّناقض بين المقدّس والنّجس إنّما يتصادف مع تتابع مرحلتين ميثولوجيّتين؛ فلا تزول المرحلة الأسبق تمامًا بل تبقى ماثلة في شكل تقييم أدبيّ يختلط تدريجيًّا بالازدراء؛ ففي الميثولوجيا يسري عمومًا القانون المتضمّن أنّ المرحلة السّابقة تستمرّ إلى جانب المرحلة اللّاحقة في شكل محتقر؛ لأنّها انكسرت أمامها وتقهقرت، بحيث تتحوّل مواضع الإجلال إلى اشمئزاز[٢].

أمّا "اللّامساس"؛ فيمكننا ربطه بالحظر الأساسيّ الّذي يميّز العصاب وهو أحد أنواع الخوف، كما هو الحال في مفهوم التّابو الّذي يقوم على (حظر اللّمس)، ومن هنا جاءت التّسمية؛ أي: (الخوف من اللّمس)، ولا يقتصر الحظر على الملامسة

(١) ينظر: أولمان، ستيفن، "**دور الكلمة في اللّغة**". ترجمه وقدّم له وعلّق عليه كمال محمّد بشر، (القاهرة: مكتبة الشّباب، ١٩٦٢م)، ١٧٤.

(٢) ينظر: فرويد، سيجموند، "**الطّوطم والتّابو**". ترجمة بو علي ياسين، مراجعة محمود كبيبو، (ط١، اللاذقيّة: دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ١٩٨٣م)، ٤٧–٤٩، ٧٦، ٨٢، ٨٤، ٨٦.

الجسديّة المباشرة، بل يمتدّ أيضًا إلى المعنى المجازيّ؛ ليشمل كلّ ما يثير الاقتراب الذّهنيّ أو التّخيّليّ من المحظور؛ فكلّ ما يثير الفكرة أو يستدعيها يعدّ تماسًّا رمزيًّا مع الشّيء المحرّم، كما لو كان احتكاكًا جسديًّا مباشرًا، كما في مفهوم التّابو، وهذا الاتّساع في المفهوم نجده بوضوح في تفسير فرويد للتّابوهات(١).

ويتّضح من هذا أنّ تجنّب الألفاظ المحظورة لا ينبع من معناها المعجميّ فقط، بل من سياق استعمالها ومقام التّخاطب، ممّا يجعل المحظور اللّغويّ سلوكًا تداوليًّا يعبّر عن مراعاة الذّوق واللّباقة واعتبارات التّلطيف (Face-saving)، وهو ما يُفضي إلى استبدال الألفاظ المشينة بأخرى أكثر ملاءمة.

وبذلك، يتبيّن أنّ المحظور عرف منذ العصور القديمة عند العرب والغرب، وتنوّعت المصطلحات الّتي عبّر بها عنه، فساهم اجتناب الألفاظ الجارحة في نشوء بدائل لغويّة مبتكرة، في إطار حركيّة لفظيّة تنهَل من معينٍ لا ينضب.

الإطار المرجعيّ لظاهرة المحظور اللّغويّ

يمثّل المحظور اللّغويّ أحد العوامل المؤثّرة في تشكيل الأعراف الدّينيّة والثّقافيّة، ضمن سياسة لغويّة تميل إلى استخدام الألفاظ المهذّبة والمستحسنة؛ فتتولّد عنها دلالات جديدة تتفاوت بين التّوسّع والتّضييق، والانحطاط والارتقاء.

وتدفع الرّغبة في تجنّب الجارح إلى اختيار تعبيرات مقبولة تداوليًّا، تراعي اللّباقة وذوق المتلقّي، ويُعدّ هذا الحذر ناتجًا عن دوافع تدفع المتكلّم إلى تجنّب التّصريح ببعض الألفاظ؛ كالأدب، والخوف، وتجنّب الإهانة، أو التّطيّر والتّفاؤل، ويشكّل هذا التّصرّف اللّغويّ استجابة تداوليّة تُراعي مقام الخطاب وذوق المتلقّي، بما يندرج ضمن استراتيجيّات التّلطيف ومقتضيات التّخاطب، وتعود هذه الدّوافع عمومًا إلى أسباب

(١) المرجع السّابق، ص٥.

دينيّة، واجتماعيّة، ونفسيّة، وفي الآتي بيانها:

الأسباب الدّينيّة: لقد حثّ القرآن الكريم على التّلطّف وحسن التّعبير، وهو ما تؤكّده النّصوص الدّينيّة، ويتمثّل في قوله تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣] وقوله –صلّى الله عليه وسلّم–: "**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ ليقل لَقِسَتْ نفسي**"، و(لقست) بمعنى (خبثت) أي: حصل لها الكسل والخمول أو المرض، لكنّه –عليه السّلام– كره لفظ (خبث) لبشاعة معانيه؛ إذ يدلّ على فساد الاعتقاد، والكذب في القول، وسوء الفعل[(١)]؛ فاللّامساس يعدّ من ضروب حسن التّعبير الّتي أوصت بها الشّريعة، وهي من سمات المجتمعات المتحضّرة الرّاقية الّتي ترفض انتهاك قواعد الأدب في الخطاب.

ومن دواعي المحظورات في العقائد الدّينيّة: التّأدّب والهيبة، إذ بلغ ببعض الأمم أن حرّموا ذكر(اسم الرّب)؛ فاليهود –مثلًا– لا ينطقون بـ(يهوفا)، بل يستبدلونه بـ(أدناي) بمعنى (سيّدي) عند التّلاوة أو التّرتيل[(٢)]، ويمتدّ الحظر من تحريم بسيط إلى قيود دقيقة لاستعمال اسم (الله)، وهي عادة شائعة في ديانات كالبِرهميّة واليهوديّة والإسلام؛ ففي العبريّة يُكتب (يهوه) ولا يُنطق، ويُستعاض عنه بـ(سيدي)، ويُفسَّر هذا الاتّجاه في الإسلام بحذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول تعظيمًا لله، كما في: "خُلق الخنزيرُ"[(٣)]، كما يُلاحظ تحرّج الأقباط في الغالب من التّداول العلنيّ بعباراتهم الدّينيّة أمام المسلمين، ولو كانت من أساليب القسم، ويتجنّبون الرّدّ على تحيّة "السّلام عليكم" بتحايا بديلة مثل: "سعيدة" أو "نهارك سعيد"، وهي عبارات شاعت

(١) ينظر: البخاريّ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل، "**صحيح البخاريّ**". تحقيق مصطفى ديب البغا، (ط٥، دمشق: دار ابن كثير ودار اليمامة، ١٩٩٣م)، ٥: ٢٢٨٥.

(٢) ينظر: أنيس، "**دلالة الألفاظ**". ١٤٤.

(٣) ينظر: أولمان، "**دور الكلمة في اللّغة**". ١٧٤.

كذلك بين بعض المسلمين المصريّين(١).

وليس الدّافع الدّينيّ هو السّبب الرّئيس في تجنّب المحظور؛ فالنّصوص تُظهر توظيف ألفاظ اللّامساس تداوليًّا في بعض المواضع دون غيرها، إذ يُستخدم التّلطّف في سياقات النّصح، بينما يُصرّح بالمحظور في مواضع الأحكام والزّجر لأغراض بلاغيّة وسياقيّة، وهذا يُشير إلى أنّ الأعراف والذّوق النّفسيّ أكثر تأثيرًا في الحظر اللّغويّ.

ففي سياق الحديث **عن النّكاح وما يرتبط به نلحظ التّكنية** بألفاظ مستحسنة؛ إذ كنّى النّصّ القرآنيّ بلفظة (الأهل) و(حلائل) و(السّيّد) عن الزّوج، فعبّر عنها على سبيل التّعميم، كما تجلّى في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ** تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا **سَيِّدَهَا** لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ **بِأَهْلِكَ** سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف آية: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿**وَحَلَائِلُ** أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النّساء: ٢٣].

وفيما **يرتبط بالغريزة الجنسيّة** استعاض النّصّ القرآنيّ عن الألفاظ المتّصلة بالأمور الجنسيّة وما يرتبط بها بألفاظ حسنة متلطّفة؛ فعبّر عن (النّكاح) بلفظه الصّريح في قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ **نِكَاحًا** حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النّور: ٣٣].

واستعاض النّصّ القرآنيّ بألفاظ راقية ورقيقة **للتّعبير عن الجماع**، بحيث يتوصّل بعبارات حسنة إلى المقصود حتّى إذا شاع في الاستعمال صار علمًا على المعنى

(١) ينظر: السّعران، "**اللّغة والمجتمع**". ١٢٨.

المقصود، فقد كنّى النّصّ القرآنيّ عنه بألفاظ متلطّفة كـ(المباشرة) في قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ **بَاشِرُوهُنَّ** وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. و(الرّفث) في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ **الرَّفَثُ** إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. و(الطّمث) في قوله تعالى: ﴿لَمْ **يَطْمِثْهُنَّ** إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرّحمن: ٧٤]. و(الملامسة) في قوله تعالى: ﴿أَوْ **لَامَسْتُمُ** النِّسَاءَ﴾ [النّساء: ٤٣]. و(الإفضاء) في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ **أَفْضَى** بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النّساء: ٢١]. و(الدّخول) في قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي **دَخَلْتُمْ بِهِنَّ** فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النّساء: ٢٣]. و(العسيلة) في الحديث الشّريف عندما طلّق رجل امرأته، فتزوّجت رجلًا غيره فطلّقها، وكانت معه مثل الهدبة، فلم تصل منه إلى شيء تريده، فلم يلبث أن طلّقها، فأتت النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– فقالت: يا رسول الله، إنّ زوجي طلّقني، وإنّي تزوجت زوجًا غيره فدخل بي، ولم يكن معه إلّا مثل الهدبة، فلم يقربني إلّا هنّة واحدة، لم يصل منّي إلى شيء، فأَحِلُّ لزوجي الأوّل؟ فقال عليه السّلام: "لا تحلّين لزوجك الأوّل حتّى يذوق الآخر عسيلتك وتذوقي عسيلته"(١).

واستعانت النّصوص الدّينيّة للتّعبير عن العلاقات الجنسيّة الشّاذّة بألفاظ متلطّفة في مواضع وبلفظها الصّريح في أخرى، فكنّى النّصّ القرآني عن (الزّنا) بألفاظ متلطّفة في مواضع، منها: (باطن الإثم) في قوله تعالى: ﴿**وذروا ظهر الإثم وباطنه**﴾

(١) البخاريّ، "**صحيح البخاريّ**". ٥: ٢٠١٦.

[الأنعام: ١٢٠]. و(البغاء) جاءت في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النّور: ٣٣].

وتكشف الشّواهد القرآنيّة المتعلّقة بالمحظور اللّغويّ في موضوعي الجماع والزّنا عن توظيف تداوليّ رفيع يتّسم بالتّلطيف والمواءمة بين وضوح الدّلالة وحفظ الحياء؛ إذ تُعرض المعاني الجنسيّة أو الأخلاقيّة الحسّاسة ضمن سياقات تشريعيّة أو وعظيّة بلغة عالية لا تخدش الذّوق. فقد اختيرت تعبيرات كنحو: (باشروهن)، و(الرّفث)، و(أفضى بعضكم إلى بعض)، و(البغاء) و(ظاهر الإثم وباطنه) بدلًا من التّصريح المباشر؛ تحقيقًا لوظيفة تداوليّة محورها مراعاة مقام الخطاب المقدّس، وحالة المتلقّي النّفسيّة والاجتماعيّة، ممّا أسفر عن خطاب يبلّغ الحكم أو التّوجيه بلباقة، ويوازن بين البيان والسّتر، والإقناع دون صدمة لغويّة.

وكنّى النّصّ القرآني عن الأعضاء التّناسليّة الّتي تؤدي وظائف جنسيّة بألفاظ مستحسنة متلطّفة؛ فاستعمل (السّوءات)، في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وفي الحديث: "عن النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–: (الفخذ عورة)"(١). و(الفرج) في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التّحريم: ١٢]. و(ما بين رجليه) في قول النّبي –صلّى الله عليه وسلّم–: "منْ يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنّة"(٢).

(١) البخاريّ، "**صحيح البخاريّ**". ١: ١٤٥.

(٢) المرجع السّابق. ٥: ٢٣٧٦.

أمّا الألفاظ المتعلّقة بقضاء الحاجة فلم تصرّح النّصوص الدّينيّة بها، بل استعاضت عنها بألفاظ اللّامساس؛ فاستعمل (الغائط) في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾[المائدة:٦]، والغائط: المطمئنّ من الأرض، وجمعه الغيطان والأغواط"(١)، وفي الحديث عن أبي أيّوب الأنصاري: أنّ النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– قال: "إذا أتيتم الغائط، فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرّقوا أو غرّبوا)، قال أبو أيوب: فقدمنا الشّأم، فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة، فننحرف ونستغفر الله تعالى"(٢)، وفي حديث عائشة، رضي الله عنها عن النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– قال: "قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ فِي حاجَتِكُنَّ"(٣).

وفي حديث النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– تحت باب "قبلة أهل المدينة، وأهل الشّأم، والمشرق، "لا تستقبلوا القبلة بغائط أو بول، ولكن شرّقوا أو غرّبوا"(٤).

وفي سياق الأمراض والعاهات، استعمل النّصّ القرآني الألفاظ الصّريحة للتّعبير عن بعض العاهات والأمراض، وكنّى بالألفاظ المستحسنة في بعض المواضع، ومن ذلك:

– استعمال (العمى) بلفظه الصّريح في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١-٢]، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

(١) الأزهريّ، أبو منصور محمّد بن أحمد، "**تهذيب اللّغة**". تحقيق محمّد عوض مرعب، (ط١، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، ٢٠٠١م)، **٨: ١٥٢**، مادّة (غ و ط).

(٢) ينظر: البخاريّ، "**صحيح البخاريّ**". ١: ١٥٤.

(٣) المرجع السّابق. ١: ٦٧.

(٤) المرجع السّابق. ١: ١٥٤.

– استعمال (البرص والصّمم والبكم والعمى والعرج) بألفاظها الصّريحة كما في قوله تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ [المائدة:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الزّخرف: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]، ولكنّه كنّى عن (العمى) بتعبير مستحسن لطيف هو (ابيضّت عيناه) في مقام الحديث عمّا أصاب عينيّ نبي الله يعقوب –عليه السّلام–، كما تجلّى بقوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

الأسباب الاجتماعيّة: تُعدّ الأعراف السّائدة والذّوق الاجتماعي من أبرز العوامل المؤدّية إلى نشوء المحظور اللّغويّ، ولا سيّما في المجتمعات المحافظة؛ إذ تُستبعد الألفاظ الّتي تُعدّ فظّة أو خادشة للحياء أو مثيرة للحرج، مراعاةً للّياقة ومقتضيات الذّوق العام، وتتغيّر المفردات ويُستعاض عن غير المقبول منها بتعبيرات مهذّبة رقيقة تتناسب مع قيم المجتمع ورهافة سمعه.

ويتجنّب المتحدّثون الألفاظ المخالفة للأعراف، فيستعيضون عنها بكلمات مستحسنة مراعية للسّياق التّداولي، خاصّة في الحديث عن العلاقة الجنسيّة والمرأة، إذ تحظى هذه الموضوعات بالنّصيب الأكبر من المحظور اللّغوي، فيُستبدل مثلًا لفظ (حبلى) بكلمة (حامل) لما في الأولى من رقةٍ وتلطّف في الخطاب(١).

ويُلاحظ في مجتمعات معاصرة الحذر من ذكر المرأة أو الإشارة إليها صراحة، فيُستعاض عنها بعبارات مثل (الأهل) أو (البيت)، أو يُخاطبها زوجها بصيغة المذكّر إذا كان بين أصحابه.

(١) ينظر: عمر، **"علم الدّلالة"**. ٢٦٦.

واستخدمت العامّة ألفاظًا ترتبط بالعلاقة الجنسيّة ک (النّوم، والاستحمام، والاجتماع)، وتجنّبوا لفظة (النّكاح) الّتي كانت تعني الزّواج، لكنّها في الاستعمال العامّي اقترنت لاحقًا في الأذهان بالمعنى الجنسي، فاقتصرت على الكناية كما كان مألوفًا في لسان العرب المتقدّمين(١).

وممّا كانت العرب تكنّي به عن عورة المرأة: (مطلب أنفه)، و(المآزر)، وعن عورة الرّجل: (ما بين الرّجلين)، و(البلبلة)، و(الطّومار)(٢)، وعن الجماع، كقولهم: (بنى فلان على أهله) بمعنى دخل بها(٣)، ومن طرائف الكنايات ما ورد في "ملح النّوادر" أنّ رجلًا راود امرأة عذراء، فقالت: "هذه ختم الله"، فأشار إلى متاعه وقال: "وهذا مفتاح الله"(٤).

ومن أبرز أسباب ابتذال بعض الألفاظ ما اكتنفها من ظروف اجتماعيّة جعلتها تُعدّ قبيحة الدّلالة، بغيضة للسّمع واللّسان، خاصّة ما ارتبط بالشّتائم، والزّنا، أو القذارة، أو الغرائز، فتندثر تدريجيًّا لتحلّ محلّها ألفاظ أكثر تهذيبًا أو تعمية. ومن الألفاظ المتغيّرة باستمرار تلك الّتي تشير إلى التّبوّل والتّبرّز، إذ سرعان ما يمجّها الذّوق العامّ، فيُستعاض عنها بعبارات من اللّغة نفسها، وقد كنّى العرب عن مكان قضاء الحاجة بمصطلحات مثل: (الخلاء)، و(المبرّز)، و(المذهب)، و(المتوضّأ)، و(الميضأة)(٥)، وابتكروا ألفاظًا كثيرة تشير في مجملها إلى ذلك المكان، فيقال: (الكَنيف) و(المستراح) و(المرحاض)، أو من اللّغات الأجنبيّة كالشّمشة (من الفارسيّة)، والكابنيه

(١) أنيس، "**دلالة الألفاظ**". ١٤٢.

(٢) ينظر: الثّعالبيّ، "**الكناية والتّعريض**". ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٦.

(٣) ينظر: الجرجانيّ، "**كنايات الأدباء وإشارات البلغاء**". ٨٣.

(٤) ينظر: الثّعالبيّ، "**الكناية والتّعريض**" ٢٨.

(٥) المرجع السّابق. ٨٧.

(من الأوروبيّة)[١].

وتُعدّ التّورية –عبر المجاز والكناية– آليّة تداوليّة لتحويل المحظور إلى معانٍ مجاورة، وتنسجم مع الحذف والاختصار، كما في التّعبير عن (المرحاض) بألفاظ ألطف مثل: (بيت الخلاء) أو (الحمّام)، أو استعمال الاختصار الأجنبي (WC) المأخوذ من (Water Closet)ويعني خزانة المياه[٢]، وتعود هذه التّسمية إلى تصميم المكان واحتوائه على خزانة مياه، ويُطلق عليه في العربيّة المعاصرة: (دورة المياه)[٣].

فالألفاظ لا تفنى تمامًا، بل قد تندثر مؤقّتًا نتيجة ابتذالها أو انحطاط معناها، وقد تعود للحياة بعد قرون من الاختفاء[٤]، لكنّ الذّوق الاجتماعيّ فرض إقصاء بعض الألفاظ، فشاعت مصطلحات مثل: (دورة المياه) و(الحمّام) و(تواليت) و(WC)، تأثّرًا باللّغات الدّارجة واللّهجات الطّبقيّة، ولا تزال ألفاظ مثل: (المرحاض) و(بيت الأدب) حيّة في بعض الأرياف[٥]، ومع أنّ هذا الاختصار لا يتضمّن ابتكارًا جديدًا غير أنّها تزيد في أعداد الكلمات الموجودة بالفعل، مع منحها صيغة أقرب إلى النّفس وآلف[٦].

وقد استُعيض في اللاتينيّة عن أفعال خشنة مثلّ (mingere) :يبولّ، و

(١) أنيس، "**دلالة الألفاظ**". ١٤١، ١٤٢.

(٢) جيرو، "**علم الدّلالة**". ١٠٧.

(٣) ينظر: عبد الرّحيم. ف، "**معجم الدّخيل في اللّغة العربيّة الحديثة ولهجاتها**". (ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م)، ٨٦.

(٤) ينظر: أولمان، "**دور الكلمة في اللّغة**". ١٩٢.

(٥) ينظر: عبد التّوّاب، رمضان. "**التّطوّر اللّغويّ– مظاهره وعلله وقوانينه**". (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م)، ٢٠٢.

(٦) ينظر: أولمان،" **دور الكلمة في اللّغة**". ١٤٢.

" (vomir)يقيء"، ببدائل ألطف دلالة كـ (uriner) و(rejeter) ، تأدّبًا وتهذيبًا، وقد عدّت الكناية وسيلة حضاريّة لتحريم المفردات، الّتي لا تفتأ تتغيّر تبعًا للذّوق والسّياق التّداولي[١]، وهو ما يؤكّد أنّ اللّغة لا تتجمّد، بل تتجدّد مدفوعة بالحاجة إلى التّعبير المهذّب المناسب.

الأسباب النّفسيّة: ترتبط بالحالة الانفعاليّة والعاطفيّة للسّامع والمتكلّم، فكثير من أسباب ابتذال بعض الألفاظ، وجعلها توسم بالقبح، تعود إلى كونها بغيضة ومستكرهة، أو تثير الذّعر والهلع والتّشاؤم **في** نفوس النّاس، فينفرون من سماعها ويتجنّبون ذكرها؛ لما تتركه من آلام في الأذهان، خاصّة الألفاظ المتّصلة بالموت والأمراض أو الأشباح والعالم الرّوحيّ، فيستبدل اللّفظ المباشر بتعبير ألطف يحافظ على المعنى ويصون المقام؛ فلا يفزع منها السّامع أو يتشاءم؛ فالتّشاؤم والتّفاؤل – الّذي يقوى في البيئات البدائيّة خاصّة– يؤدّي دورًا خطيرًا في حياة النّاس، وهو أثر يبدو في كلّ لغة وكلّ مكان أو زمان[٢].

ويكشف تنوّع البدائل وكثرتها أنّ المحظور اللّغوي يُبنى على وعي تداوليّ يُراعي المقام وذوق المتلقّي، ويوجّه نحو التّلطيف **بوصفه** آليّة تواصليّة تحفظ التّوازن بين الصّراحة والاحترام.

ففي سياق العاهات والأمراض نجد النّاس تكنّي عنها بألفاظ رقيقة؛ فالعرب تكنّي عن (الأعور) بـ(الممتع) تطيّرًا من ذكره، وهي كناية معكوسة؛ إذ يكنّى بها الغراب لحدّة نظره[٣]، وعن (الأبرص) بـ(الوضّاح) و(الأبرش) و(الأبيض)، وعن

(١) ينظر: فندريس، "**اللّغة**". ٢٨٠.

(٢) أنيس، "**دلالة الألفاظ**". ١٤٢، ١٤٣.

(٣) ينظر: الجرجانيّ،" **كنايات الأدباء وإشارات البلغاء**". ٢٠١، ٢٠٢.

(الأعمى) بـ(المحجوب) و(البصير)[١]، وعن (الحمّى) في الأرياف بـ(المبروكة) لرقّتها في الدّلالة، وقد يكتفى بالتّعبير عنها في بعض البيئات بالتّعبير السّاميّ (اللّي ما تتسمّى)[٢]، وهي كناية عن (الحصبة) في اللّهجة المصريّة الّتي تتحرّج كثير من الأمهات من استعمالها، ويُستعاض عن ذكر الأمراض الخطيرة كالسّلّ أو الحمى في اللّهجة المصريّة بعبارات مثل: "الشّرّ برّة وبعيد" أو "تفّ من بُقّك" أو "اللّهمّ احفظنا"[٣]، ومن لطائف كنايات العرب: الكناية عن الإسهال بالاستفراغ، وعن القيء بالتّعالج[٤].

وقد تجنّب الأطباء استعمال كلمة (عمليّة– operation) لما ارتبطت به من صور مخيفة لدى المريض؛ إذ تذكّره بالأدوات الجراحيّة والدّماء والآلام، ولهذا فضّلوا كلمة "تدخّل"؛ باعتبارها أحدث وأخفّ وقعًا وأكثر غموضًا، فلا تثير في نفسه الفزع[٥].

وفي سياق الحديث عن الموت، تجنّب العرب التّصريح به لما فيه من تطيّر؛ فتداولوه بتعابير مخفّفة، مثل: "استأثر الله به"، و"أسعده الله بجواره"، و"نقله إلى دار رضوانه"، و"اختار له النّقلة إلى محلّ الأبرار"[٦]، ومن كناياتهم أيضًا: "لحق باللّطيف الخبير"، و"هادم اللّذات"، و"رماه الله بدينه"، لما في هذه العبارات من تهذيب وتجنّب

(١) ينظر: الثّعالبيّ، "**الكناية والتّعريض**". ٩٩، ١٠١، ١٥٧.
(٢) أنيس، "**دلالة الألفاظ**". ١٤٣.
(٣) ينظر: السّعران، "**اللّغة والمجتمع**". ١٣١، ١٣٢.
(٤) ينظر: الثّعالبيّ، "**الكناية والتّعريض**". ١٥٩.
(٥) ينظر: فندريس، "**اللّغة**". ٢٨١.
(٦) ينظر: الثّعالبيّ، "**الكناية والتّعريض**". ١٣٩.

للفظ الموت الصّريح[١]، وتكنّي العرب عن (ملك الموت) بـ(أبي يحيى)[٢]، وعن (القبر) بـ(التّربة) و(المضجع) و(المرقد) و(المشهد)[٣]، ولا يخفى ما فيه هذه التّعبيرات من تلطّف ورقّة. وكانت تكنّي عن (الهلاك) بـ"داء الذّئب"، كما في المثل: "رَماهُ اللهُ بداء الذِّئب"، وهو دعاء بالهلاك؛ إذ يُقال إنّ الذئب لا داء له إلّا الموت أو أنّه دائم الجوع [٤]. ولم تكن كلمة (الهلاك) في الاشتقاق السّامي القديم تعني سوى (الذّهاب)، ولا تزال تحمل هذه الدّلالة في العبريّة، لكنّها تطوّرت في العربيّة لتحلّ محلّ (الموت)، إلى جانب ألفاظ أخرى مثل: "فاضت روحه" و"انتهى"، وغيرها ممّا هو أقلّ شيوعًا وتأثيرًا[٥]. ويشيع استعمال عبارات مثل: (فارق الحياة)، و(انتقل إلى رحمة الله)، و(العمر إلكم)، و(البقيّة بحياتكم)، وفي المصريّة: (ربّنا افتكره)، مع ما في بعضها من تحفّظ دينيّ؛ إذ إنّ الموت قضاء، ويُستحبّ فيه الاسترجاع والدّعاء للرّاحل. ويظهر الأثر التّداوليّ؛ لاستعمال ألفاظ الموت في توليد مرادفات عديدة؛ إذ يُفضي المحظور إلى التّرادف، ولا يشترط أن يستخدم جميع المتكلّمين هذه الكلمات رغم معرفتهم بها؛ فالتّابوهات الاجتماعيّة في السّلوك اللّغويّ تدخل ضمن علم اللّغة الاجتماعيّ، وتؤثّر في الدّلالة التّعبيريّة والاجتماعيّة للمفردات، ولا يُستبعد أن تؤدّي بعض الألفاظ، كالمتّصلة بالجنس، إلى دعاوى قانونيّة، ممّا يجعل بعضها أقلّ شيوعًا رغم حضورها

(١) ينظر: الجرجانيّ، "**كنايات الأدباء وإشارات البلغاء**". ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩١.

(٢) ينظر: الثّعالبيّ، "**الكناية والتّعريض**". ١٥٧؛ والجرجانيّ، "**كنايات الأدباء وإشارات البلغاء**". ١٨٨.

(٣) ينظر: الثّعالبيّ، "**الكناية والتّعريض**". ١٤٠.

(٤) ينظر: الميدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمّد، "**مجمع الأمثال**". حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمّد محيي الدّين عبد الحميد، (د.م، مطبعة السّنّة المحمّديّة، د.ت)، ١: ٢٨٧.

(٥) ينظر: أنيس، "**دلالة الألفاظ**". ١٤٣.

الذّهني. ويكشف تأريخ الألفاظ أثر التّلطّف في تغيّر المعاني وتبدّلها[١]. وتركت الخرافات اللّغويّة، وعادات حظر استعمال الكلمات آثارًا ملحوظة في قطاعات تنوّع الألفاظ، ومن أمثلتها أنّ بعض أسماء الحيوانات المثيرة للذّعر كانت العرب تستعيض عنها بأخرى متلطّفة، فاستُعيض بـ(أبي جعدة) عن (الذّئب)، والجعدة: الرّخلة من أولاد العنز، ومن أمثالهم: "الذّئب يُكنّى أبا جَعدَة"، يُضرب للرّجل يظهر الإكرام ويضمر الغيلة؛ فالذّئب وإن حَسُنت كنيته، ففعله غير ذلك[٢].

وتُكنّى الهوامّ والحشرات السّامّة بكنايات بعيدة تفاديًا لشرّها وسمومها، لما تثيره من خوفٍ واشمئزاز؛ إذ ترسّخ في الذّهنيّة البشريّة منذ القدم اعتقادٌ بوجود علاقة وثيقة بين اللّفظ ومدلوله، حتى إنّ مجرّد النّطق بلفظة (الحيّة) يُظنّ أنّه يستدعيها من جحرها[٣]، ولا يلفظ بعض النّاس خاصّة في الأرياف أسماء الحيوانات الخطرة كالثّعلب أو الصّقر؛ ويُستعاض عنهما بضمير الغائب (هو)، أو اسم الإشارة (ذا): أخذ ثلاث دجاجات هذه اللّيلة[٤]، وهي أمور ترجع إلى ثقافة المجتمعات والعُرف الاجتماعيّ الّذي ألقى بظلاله على الألفاظ وما يرتبط بها من تطيّر بما ينعكس على الثّروة المعجميّة. وهناك عادات نلحظها في المأثورات الشّعبيّة لكثير من الأمم والأجناس تُؤثِر استبدال الألفاظ؛ لصرف الأرواح الشّريرة عن المخلوقات الّتي لا تساوي شيئًا في ادّعاء أهلها، ففي (بلاد المجر) خلال العصور الوسطى، كان بعض الأطفال يسمّون أسماء ذات طابع وقائي؛ مثل :(الموت الصّغير) أو (ليس حيًّا) أو (القذر) و(الوسخ)،

(١) ينظر: ليونز، جون، "**اللّغة وعلم اللّغة**". (ط١، دار النّهضة العربيّة، د.ت)، ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) ينظر: الجرجانيّ، "**كنايات الأدباء وإشارات البلغاء**" ٢٩٥؛ ويراجع: الميدانيّ، "**مجمع الأمثال**". ١: ٢٧٧.

(٣) أنيس، "**دلالة الألفاظ**". ١٤٤.

(٤) ينظر: جيرو، "**علم الدّلالة**". ١٠٨.

وفي بعض المناطق الرّيفيّة في الصّعيد تنزع الصّفحة من كتاب (المزامير) وتغمّس في العجين، ثمّ تقدّم إلى الأغنام في صورة طعام؛ أملًا في شفائها أو قصدًا إلى طرح الأرواح الشّريرة وإبعادها عنها، فرهبة تأثير الكلمة وسحرها العجيب يعكسان كثيرًا من هذه العادات والخزعبلات الخرافيّة(١).

ولأسماء العفاريت والجنّ والشّياطين رموز مكنيّة أو معمّاة(٢)، والخوف من ذكرها يجعلنا نتلطّف في التّعبير عنها واستبدالها بألفاظ مستأنسة وقريبة من النّفس، فيكنّى عنها بألفاظ، فالعربُ تكنّي عن (الجنّ) بـ(عمّار الدّار)(٣)، ويطلق المصريّون، وخصوصًا النّساء، على الجنّ بـ(الأسياد) أو (الأخوات)، لاعتقادهم أنّ لكلّ إنسيّ "أخًا من الجنّ"، ويستأذنون عند اقتحام مكان مجهول بقولهم: "دستوركم يا مُباركين"(٤)، ذلك أنّ بعض الكلمات، منطوقةً أو مكتوبةً، تتمتّع منذ القدم بقوّةٍ غامضة، وتُستغلّ في الرّقى والتّعاويذ، فيهابها النّاس أو يخشون ضررها؛ في مستوى تواصلي محمّل بالخوف، فيُحرَّم استعمالها أو يُضيَّق. ولا يزال هذا ظاهرًا في عاداتنا وخرافاتنا اللّغويّة، وفي أسلوب حسن التّعبير، وفي إحجامنا عن قول "يا أعور" مثلًا، ممّا يعكس اعتقادًا ساذجًا بأنّ الأشياء المجرّدة –وهي من صنع الإنسان– لها وجود حقيقيّ، وهذا ما يُعبَّر عنه بـ (استبداد الكلمات tyranny of the word) ، الّذي يسعى علمُ المعنى العامّ إلى مقاومته، ويجد ما يدعمه في بعض التّعاليم الدّينيّة(٥).

(١) ينظر: أولمان، "**دور الكلمة في اللّغة**". ١٧٥.
(٢) ينظر: جيرو، "**علم الدّلالة**". ١٠٨.
(٣) ينظر: الثّعالبي، "**الكناية والتّعريض**". ١٥٨.
(٤) ينظر: السّعران، "**اللّغة والمجتمع**". ١٣١.
(٥) ينظر: أولمان، "**دور الكلمة في اللّغة**". ٤٦.

وفي ضوء ما عرضه هذا المبحث من الخلفيّات المرجعيّة لظاهرة المحظور اللّغويّ، يتّضح أنّ الحظر اللّغويّ يتأسّس على عوامل دينيّة واجتماعيّة ونفسيّة، ويتجلّى في ميادين تعبيريّة متعدّدة تمسّ المقدّس والجسد والموت وغيرها، وقد أظهر هذا التّأسيس المرجعي أنّ الحظر ليس مجرّد امتناع لغويّ، بل هو سلوك تواصليّ يستجيب للذّوق العامّ ويعكس بنية الوعي الجمعيّ.

تطبيقات المحظور اللّغويّ في العربيّة

تمثّل الثّروة اللّفظيّة رصيد الألفاظ المتداولة بين المتكلّمين في تفاعلاتهم، وهي مفردات متداخلة بدرجات؛ تتمايز دلاليًّا بتأثير المزاج الفرديّ والنّشأة والحرفة والبيئة[١]؛ فهي مجموعة المفردات المستعملة للدّلالة على المدلولات؛ وفق مقتضيات السّياق والمقام، أمّا حركيّتها فتعني: اتّجاهها نحو التّوسّع أو التّضييق أو الانحطاط أو التّضاؤل؛ بسبب عوامل سياقيّة تداوليّة تؤثّر في تغيّر المعنى الّذي يؤدّي إلى فناء بعض الألفاظ وولادة أخرى.

المحظور اللّغويّ وأثره التّداوليّ في توليد الألفاظ

إنّ استحضار بعض المفردات ممّا شاع استعماله في سياق المحظورات يفصح عن أثر هذا المحظور في الثّروة اللّفظيّة، ذلك أنّه قلّما أثّرت عوامل أخرى في المفردات وابتكار الألفاظ أو تركيبها كما أثّر المحظور اللّغويّ. ففي سياق الابتكار يشيع – خاصّة في اللّغة المحكيّة بين العامّة وفي الإعلام ووسائل التّواصل الاجتماعيّ– استعمال كلمات من نوع "اللّامساس" بما يلبّي حاجة المتكلّم دون حرج في النّطق ويُقبل من قِبل المستمع، ففي سياق الحديث عن (الزّوجة) مثلًا، ابتكر العامّة، ولاسيّما في بلاد الشّام، لفظي (المرَة) و(العيلة)، وفي بعض دول الخليج يستعمل لفظ (الحرمة)، غير أنّ

(١) المرجع السّابق. ٣٣

بعض هذه الألفاظ يُحظر استعماله في بلدان عربيّة أخرى، ففي مصر، مثلًا، لا يستساغ استعمال (المرّة)، وتعدّ من الكلمات المرفوضة في الذّوق العامّ.

وفي سياق الحديث عن الأمراض القاتلة كـ(السّرطان–Cancer) ابتكرت التّعبيرات: (المرض الخبيث) و(بعافية) و(المرض القاتل والعياذ بالله) و(ذاك المرض كفانا الله شرّه)..

وفي سياق الموت ابتكر لفظ (المنيّة–Death) الّتي ترادف المصطلح المحظور (مات)، وفي سياق الطّلاق ابتكرت الألفاظ (ترك) و(انفصل)، وفي سياق الحديث عن وقوع الفاحشة أي الزّنا ابتكر التّعبير (اصطحبها إلى مكان خال ووقع المحظور) و(ذهبت للعلاج ووقع المحظور)، وفي سياق الشّتائم الخادشة للحياء ابتكر اللّفظ المركّب (تحت الحزام– Below the belt)، وهو من قبيل المشابهة بين العادات المحرّمة وتلك الشّتائم، وفي سياق الحديث عن الأرواح الشّريرة، كالجنّ (Jinn) ابتكر لفظ (الأسياد) و(دستور من خاطرهم) ويشيع التّعبير بالبسملة للدّلالة عليها.

وأمّا في سياق الحديث عن (العلاقات الجنسيّة– Sexual relations) فقد ابتكرت ألفاظ متعدّدة، فاستُخدم: (الزّواج) و(الدّخلة)، و(ليلة الزّفاف)، وللكناية عن العمليّة الجنسيّة قيل: (ليلة حمراء)، كما جرى استبدال الألفاظ الصّريحة مثل (زانية) و(عاهرة)، بتعابير أخفّ وقعًا، مثل: (بنات اللّيل)، و(بائعات الهوى)، وكذلك استعان العامّة لوصف الفعل المنكر بتعبير (لا أخلاقيّ) وهو تركيب مؤلّف من أداة النّفي (لا) والاسم المنسوب (أخلاقيّ).

كما استساغت العامّة أن تستبدل من الحاء الدّال في (أسود)؛ فيقولون: (يا نهار أسوح)؛ للهروب من (أسود)، كونها أقلّ تأثيرًا في المستمع، فصار لدينا لفظٌ مولّد عن طريق التّوليد الصّوتيّ.

ولأنّ المفردات لا تستقرّ على حال؛ لأنّها تتأثّر بظروف المتكلّم؛ فيبني كلّ متحدّث معجمه الشّخصي من أوّل حياته إلى آخرها، عبر ما يكتسبه من البيئة المحيطة به، فالإنسان يضيف إلى رصيده من المفردات باستمرار، لكنّه في الوقت نفسه يفقد بعضها أو يغيّر في استعمالها، في حركة دائمة من الأخذ والطّرح، ولا تُقصي المفردات الجديدة القديمة بالضّرورة؛ إذ يعتاد الذّهن وجود المترادفات والمتقابلات ويوزّعها على استعمالات متباينة، وتظلّ الحياة عاملًا أساسيًّا في هذا التّبدّل؛ فهي تدفع إلى التّغيير بتأثير ظروفها المتجدّدة، فيندثر بعض الألفاظ أو تتحوّل دلالاتها، مما يقتضي ظهور ألفاظ جديدة؛ كالعلاقات الاجتماعيّة والصّناعات والعُدد المتنوّعة[١]، وما ارتباط المحظور اللّغويّ بابتذال الألفاظ إلّا لكونه وسيلةً لتجديد الألفاظ بما يثري اللّغة بإمدادات لا حصر لها من الكلمات؛ بحيث تصير نحو الانحطاط أو التّضييق في دلالتها، وعليه فإنّ الثّروة اللّفظيّة الخاصّة بالمحظور اللّغويّ تسير في مسالك تتمظهر في أكثر حالاتها في الآتيّ:

انحطاط المعنى: من طرق تغيير المعنى، ولقد لاحظه العلماء المتقدّمين بسبب كثرة ظهوره في تطوّر معاني الكلمات عبر الزّمن، وفسّر بعضهم هذا الاتّجاه بأنّه يعبّر عن نزعة تشاؤميّة في تفكير الإنسان، ففي حالات تخصيص المعنى كثيرًا ما يركّز على الجوانب السّلبيّة للمعاني المحايدة، فكلمة (gift) في الألمانيّة، ومثلها (poison) في الإنجليزيّة، كان معناها الأصلي: "جرعة من أيّ سائل"، ثمّ تخصّص معناها ليشير إلى الجرعات السّامّة فقط، لكنّ المجال الإنسانيّ بوجه خاصّ، هو الّذي تشيع فيه ظاهرة انحطاط المعنى، فالكلمة (knave) مثلًا، ومعناها: (لئيم/خسيس)، كانت في الأصل تعني: (الغلام) أو (الخادم)، وما زالت تُستعمل بهذا المعنى، كما في اللّغة الألمانيّة، وفي العبارة الإنجليزيّة: (the knave of hearts). ولا شكّ في أنّ التّحايل الطّبقيّ في

(١) ينظر: فندريس، "**اللّغة**". ٢٤٦، ٢٤٧.

المجتمع كان عاملًا مباشرًا في التّطوّر الدّلالي لهذه الكلمة، كما أسهم أيضًا في تطوّر معنى الكلمة المقابلة لها، وهي: (villain)، الّتي كانت تعني في الأصل: (خادم المزرعة)، وترجع إلى اللاتينيّة (villa): مسكن ريفيّ، وهذه الكلمة نفسها قد تطوّرت في الفرنسيّة وصارت تستعمل في معنى قبيح(١).

وكذلك اللّفظ اللّاتينيّ (captivus) بمعنى: أسير، الّذي انحطّ معناه واتّجه اتّجاهًا مختلفًا، فصار في الإنجليزيّة (caitiff): حقير، وفي الفرنسيّة (chatif): عليل، وفي الإيطاليّة (çattivo): سيّئ، وعلى هذا المنوال فإنّ الكلمة الإنجليزيّة (hussy) بمعنى: وقحة، فاجرة، ليست إلّا صيغة أخرى لكلمة (housewife): ربّة البيت، وكذلك الكلمة الفرنسيّة (fille): بمعنى (بنت)، قد انحطّ معناها انحطاطًا أوجب استعمال الصّفة (jeune): شابّة، سابقةً لها؛ لتعيد إليها اعتبارها(٢).

وقد تذهب أهمّيّة اللّفظ ويتدهور معناه تدريجيًّا إلى الانحطاط بسبب كثرة الاستعمال، بحيث يفقد خاصيّة الرّفق واللّطف ويصبح لفظًا مبتذلًا باليًا غير مستساغ، ويحلّ محلّه لفظ آخر، نحو كلمة: (undertaker) ومعناها الأصلي: الّذي يأخذ على عاتقه مسؤوليّة القيام بعمل من الأعمال، ثمّ تخصّصت وغلب استعمالها في معنى "حانوتي" الّذي هو اختصار للتّعبير (funeral undertaker)، وهو ضرب من ضروب حسن التّعبير؛ إذ تخلّصنا من اللّفظ "funeral" الّذي هو نصّ في المعنى غير المرغوب فيه، وهو (الدّفن) وبمرور الزّمن أصبح اللّفظ (undertaker) نفسه غير مقبول لارتباطه هو الآخر بهذا المعنى(٣)، والواقع أنّه لا علاقة بين منْ يجهّز الموتى للغسل والدّفن وكلمة (الحانوت)، وإنّما هو منسوب إلى "الحَنوط": نوع من الطّيب

(١) ينظر: أولمان، "**دور الكلمة في اللّغة**". ١٨٠، ١٨١.

(٢) المرجع السّابق. ١٨١.

(٣) ينظر: أولمان، "**دور الكلمة في اللّغة**". ١٢١، ١٦٧، ١٧٧، ١٧٨.

يُخلط للميّت خاصّة، غير أنّ التّشابه الصّوتي بين هذه الكلمة و(حانوت) هو الّذي أفضى إلى هذا الاشتقاق الشّعبيّ[١].

ويختلف مقياس الحكم بقبح اللّفظة باختلاف الأجيال والتّقاليد، وأنماط السّلوك، فقد ذكر يسبرسن أنّ لفظة (السّراويل) كانت تعدّ في الماضي من ألفاظ اللّامساس؛ فلا يمكن التّعبير عنها، أو توضيحها أو وصفها، ولا يحتمل النّطق أو الهمس بها أو ذكرها، وقد كانت سيّدات بوسطون يكتفين بالإشارة إلى (قوام البيانو) وإلى (أرجلهنّ)؛ ليتجنّبن ذكر الكلمة المعيبة (سيقان– legs)[٢].

أمّا التّأثير الأكثر حكمة والأقوى فاعلية؛ فيمكن أن نحصل عليه من أساليب التّهكّم الّذي يزعم صاحبه أنّه يقول ضدّ المقصود بالفعل، كأسلوب النّفي المزدوج (نفي النّفي) نحو: ليس غبيًّا، المراد منه أنّه ذكي، وقد يؤدّي ذلك إلى الابتذال.

ويترتّب على الابتذال عادة أن تنحطّ دلالة اللّفظة أو أن تنزوي وتندثر، وكان بعض علماء العربيّة يشيرون إلى الابتذال في ثنايا كتبهم إشارة عابرة عند الحديث عن بعض الألفاظ دون العناية بظروف الابتذال أو أسبابه، ذلك أنّهم اكتفوا بتتبّع بعض الألفاظ الّتي جرت على ألسنة الجهلة والسّفلة من القوم؛ كأن يقولوا مثلًا: إنّ كلمة (خشّ) بمعنى (دخل) مبتذلة، مع أنّها عربيّة صحيحة[٣].

وكذلك كلمة (البربور) الّتي أصبحت الآن قبيحة مبتذلة وانزوت في الاستعمال؛ فلا نكاد نسمعها إلّا بين العامّة أو في الوسط الخاصّ حيث تزول الكلفة بين المرء وغيره وفي مجال الفكاهة والدّعابة بصفة خاصّة، وإذا صحّ أنّها انحدرت من الكلمة العربيّة الفصيحة (البربور) بمعنى "الجشيش من البر، والبربرة: صوت الماعز وكثرة الكلام

(١) ينظر: عبد التّوّاب، "**التّطوّر اللّغويّ**". ١٨٣.

(٢) ينظر: أولمان، "**دور الكلمة في اللّغة**". ١٧٩.

(٣) ينظر: أنيس، "**دلالة الألفاظ**".١٤٠؛ ويراجع: ابن دريد، "**جمهرة اللّغة**". ١: ١٠٥.

والجلبة والصّياح"؛ لوجه الشّبه بين المخاط والبر المجشوش؛ إذ إنّه يصدر من الأنف مع صوت كصوت الماعز أو عند كثرة الكلام والصّياح، وقد أصاب الكلمة بانحدارها من هذه الدّلالة من سوء الحظّ ما أصابها؛ إذ اشتُهرت بالمعنى العامّي المألوف ثمّ ابتذلت لكثرة الاستعمال واستُعيض عنها بكلمة أخرى هي: (المخاط)[1].

انقراض الكلمات: إنّ اعتبارات حسن التّعبير أو اللّامساس قد أدّت إلى انقراض الكلمات واندثارها بعد أن بَليت واستهلكت، ويلاحظ أنّ هذا الاحتمال يكون قويًّا بصفة خاصّة عندما تكون تلك الكلمات من باب المشترك اللّفظيّ، مع تحقّق اعتبارات اللّامساس فيها، ففي الإنجليزيّة –مثلًا– كان اللّفظ (adl) يستعمل بمعنى: (مرض) –إلى جانب ما له من إيحاءات بغيضة– وقد اصطدم بلفظ آخر يشبهه في الصّوت، يحمل معنى (قذارة)، ولا يزال هذا الأثر باقيًا في التّعبير عن هذا المعنى في لفظة (addle egg) أي: بيضة فاسدة، فجيء بلفظ ألطف وأخفّ وقعًا؛ ليحلّ محلّ تلك الكلمة القديمة، وهي (disease) وتعني حرفيًّا: "عدم الرّاحة"، ولم يعد ينظر أحد إلى استعمال (disease) على أنّه من قبيل التّحويم حول المعنى أو تلطيفه، وإنّما صارت هذه الكلمة الوسيلة السّائدة للتّعبير عن هذا المعنى غير السّارّ[2].

نشوء المترادفات: ينشأ التّرادف أحيانًا من باب التّلطّف في التّعبير أو المجاز، كما في إطلاق (الجميل) أو (اللّطيف) على ابن عِرس، وإطلاق (ذهب) أو (رحل) أو (فارق الحياة) على المتوفَّى، وقد ينشأ كذلك من التّضادّ المجازيّ، كما في إطلاق (المبروكة) على (الحمّى)، وهو من باب المجاز وحسن التّعبير، كما ينشأ من الألفاظ المشتركة الّتي تستدعي أحكامًا سلبيّة أو مهينة من الرّأي العامّ؛ فتؤدّي إلى تجنّب اللّفظ وحظر استعماله؛ مثل لفظة (الزّهري)، الّتي حُملت دلالتها الثّقافيّة على المرض

(١) ينظر: أنيس، "**دلالة الألفاظ**". ١٤١؛ ويراجع: الأزهري؛ "**تهذيب اللّغة**". ١٥: ١٣٧.
(٢) ينظر: أولمان، "**دور الكلمة في اللّغة**". ١٩٠.

أو الوصمة، ولذلك يُلجأ إلى بدائل كلفظي (السّوء الإيطاليّ) و(العطب)؛ للتّخفيف من وقع المشترك اللّفظيّ الكريه. وما التّورية إلّا صورة للتّأدّب في مواجهة التّداعيات المكدّرة؛ ففي موقف حكم فيه على شخص بالشّنق، فإنّ الأَولى التّعبير بالإشارة، وتسميته: الفقيد أو المتوفّ؛ وذلك لكسر المشترك السّلبي عبر استعمال البدائل التّلطيفيّة (التّوريات) الّتي تعتمد على إدراك نفسيّ مشترك بين المتكلّم والمتلقّي[١]، فأهمّ عامل من عوامل تغيّر المعنى هو الاستعمال المجازيّ؛ إذ إنّ انتقال الكلمات من محيط دلاليّ إلى محيط آخر هو ما يُصطلح عليه بالمجازات، غير أنّ المجازات تخضع –في الغالب– للذّوق العامّ؛ فإذا أسرف الشّاعر فيها أو غالى أو بَعُد بها عن المألوف، لم يقبلها الذّوق العامّ، ولا تلبث أن تموت، لكن إذا مرّت الأيّام على تلك المجازات وكثر استعمالها، فإنّها تفقد مجازيّتها تدريجيًّا، وتستقرّ في الأذهان بوصفها دلالات حقيقيّة مستقلّة عن أصلها، والبحث عن تلك المجازات المنسيّة أمر ليس باليسير؛ لأنّه يتطلّب التّوغّل في العصور التّاريخيّة، والبحث في نصوص قديمة استُعملت فيها الكلمات بشكل مجازيّ واضح، أو يتطلّب التّوغّل في تاريخ الحياة الاجتماعيّة لأمّة من الأمم؛ لنصل إلى أنّ المعنى الّذي يبدو الآن حقيقيًّا كان في بدايته مجازيًّا، بناء على ما كان سائدًا من تقاليد أو تصوّرات اجتماعيّة، وكلّ تحوّل في البنية الاجتماعيّة ينعكس على الألفاظ؛ فتتبدّل معانيها وإن احتفظت بصورتها الحاليّة[٢].

ولا يقتصر أثر تحريم الألفاظ على إحلال لفظ مكان آخر بل يتعدّى ذلك أحيانًا إلى تشويه الكلمة نفسها؛ إذ يغيّر حرف أو ينقل للتّخفيف ممّا تحمله من معنى جارح أو غير لائق، من غير أن يضيع مقصودها، فيدرك السّامع المراد بسهولة، وكأنّ

(١) ينظر: جيرو، "**علم الدّلالة**". ١٠٥، ١٠٦.

(٢) ينظر: أنيس، إبراهيم، "**في اللّهجات العربيّة**". (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، د.ت)، ١٦٧، ١٦٨.

الحجاب هنا لا يستر سوى ما يجرح الحياء، بينما يظلّ جوهر الكلمة ومعناها العام ظاهرًا ، ولذا نجد من الشّتائم في لغات مختلفة قد لحقها هذا التّشويه المتعمّد، حتّى غدت صالحة للتّداول في الأوساط الرّاقية ، مثل: (BIGRE) أو (FICHTRE)، ويقال:(PARDIENNE، PARGNIEU، PARBLEU، PALSAMBLEU) بدلًا من (PAR LE SANG DE DIEU): بدم الإله، أو (PAR DIEU): بالله [1]، وتظهر أمثلة على هذا التّشويه في ألفاظ العربيّة، مثل: "يا نهار أسوح" أو "يا نهار أحوس" أو "يا نهار أسوخ" بدلًا من (أسود)، وذلك ما أشار إليه علماء العربيّة الأوائل، فقد ذكر الفرّاء عن العرب استقباحهم قول: "قاتله الله، واستعاضوا عنها بـ: قاتعه وكاتعه، واستقباحهم: (جوعًا) دعاء على الرّجل، واستبدالها بـ: جُودًا، أو عند بعضهم: جُوسًا، وقولهم: (وَيْحَك وويسكَ)، وأنّها (ويلك) إلّا أنّها دونها[2].

بناء على ما تقدّم، يظهر أنّ التّغييرات الّتي تخضع لها اللّفظة ليست تغييرات معجميّة، بل تحرّكات تداوليّة تنبع من وعي المتكلّم بسياقات الخطاب، فتحرّك الثّروة اللّفظيّة باتّجاه إنتاج مفردات جديدة، وتلجأ العربيّة إلى التّعمية عبر آليّات تداوليّة كالكناية، والمجاز، والإبدال؛ لتجّنب المحظورات، فتدور الألفاظ في حركيّة بين الاستحداث والتّوليد والابتكار والتّجديد، بما يثري الدّلالات ويطوّرها، ويمكن بيان ذلك من خلال عرض العلاقات الدّلاليّة النّاجمة عن حركيّة التّداوليّة، في الجدول الآتي:

(١) ينظر: فندريس، "**اللّغة**". ٢٨٢.

(٢) ينظر: عبد التّوّاب، "**التّطوّر اللّغويّ**". ٢٠٥؛ ويراجع: الفرّاء، أبو زكريّا يحيى بن زياد، "**معاني القرآن**". تحقيق ومراجعة محمّد علي النّجار، (الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، د.ت)، ٢: ٣٦٢.

اللّفظ المحظور	اللّفظ البديل	المجال	المعنى	الدّلالة	العلاقة
الزّوج	الأهل/السّيّد	الاجتماعيّ	البعل	التّأدّب	التّعميم
المرحاض	دورة المياه	الاجتماعيّ	مكان قضاء الحاجة	التّأدّب	المجاز
أسود دميم	كأنّ وجهه قمر الثّلاثين	النّفسيّ	قبيح لون الوجه	التّشاؤم	التّضادّ
الحمى	المبروكة	النّفسيّ	من الأمراض	التّشاؤم	التّضادّ
القيء	التّعالج	النّفسيّ	من الأمراض	التّشاؤم	التّضادّ
الإسهال	الاستفراغ	النّفسيّ	من الأمراض	التّأدب	المجاز
الأبرص	الأبيض/الوضّاح/ الأبرش	النّفسيّ	العاهات	التّشاؤم	التّضادّ
الأعمى	البصير/المحجوب	النّفسيّ	العاهات	التّشاؤم	التّضادّ
العمليّة الجراحيّة	التّدخّل الجراحي	النّفسيّ	شقّ في الأنسجة لعلاج مرض أو إصابة	التّشاؤم	التّرادف
الموت	رحل/غادر/هلك/ فاضت روحه	النّفسيّ	الفناء	التّشاؤم	التّرادف
القبر	التّربة/المرقد	النّفسيّ	مكان دفن الميّت	التّشاؤم	المجاز
ملك الموت	أبو يحيى	النّفسيّ	قابض الأرواح	التّشاؤم	التّضادّ
الرّذيلة	المحظور	النّفسيّ	الزّنا	التّشاؤم	التّرادف
الذّئب	أبو جَعْدَةَ	النّفسيّ	حيوان مفترس	التّشاؤم	التّضادّ
الدّبّ	آكل العسل/خنزير العسل	النّفسيّ	حيوان خطير	التّشاؤم	المجاز
ابن عرس	اللطيف/الجميل/ اللقلاق	النّفسيّ	حيوان مفترس	التّشاؤم	التّضادّ
طفلي الجميل	الموت الصّغير/القذر/ الوسخ	النّفسيّ	تسمية الأطفال	التّشاؤم	التّضادّ
الجنّ	الأسياد/الأخوات	النّفسيّ	الأرواح الشّريرة	التّشاؤم	التّضادّ
الملامسة	المباشرة	الاجتماعيّ	المضاجعة	التّأدّب	التّعميم

مناطق الإثارة الجنسيّة	المناطق الحسّاسة	الاجتماعيّ	الأعضاء التّناسليّة	التّأدّب	التّعميم
يهوفا – يهوه	أدوناي	الدّيني	الإله	التّبجيل	التّوليد الصّوتيّ
الزّهري	السّوء الإيطالي/ العطب	الاجتماعيّ	مرض جنسيّ	التّأدّب	المشترك
الحيض	الاحتشام/العذر الشّرعيّ	الاجتماعيّ	الانقباض/ الإعفاء	التّأدّب	المشترك
المخاط	البربور	الاجتماعيّ	صوت الماعز وكثرة الكلام والجلبة والصّياح	التّأدّب	المجاز
السّرطان	المرض الخبيث	النّفسي	مرض قاتل	التّأدّب	المجاز
الدّافن	حانوتي من (الحَنوط)	النّفسي	من يجهّز الموتى للدّفن	التّأدّب	التّوليد الصّوتيّ
الهلاك	داء الذّئب	الاجتماعيّ	الموت	التّأدّب	التّوليد المعنويّ
مكان التّبوّل والتّبرّز	الكنيف/الحمّام/بيت الرّاحة/المرحاض/ دورة المياه	الاجتماعيّ	مكان قضاء الحاجة	التّأدّب	المجاز
صفات في المنطقة التّناسليّة	تحت الحزام	الاجتماعيّ	الشّتائم المستقبحة	التّأدّب	التّوليد التّركيبيّ
ممارسة الرّذيلة	ليلة حمراء	الاجتماعيّ	العمليّة الجنسيّة	التّأدّب	التّوليد التّركيبيّ
الزّنا	ليلة حمراء	الاجتماعيّ	ممارسة الرّذيلة	التّأدّب	التّوليد التّركيبيّ
يا نهار أسود	يا نهار أسوح	الاجتماعيّ	سوء الطّالع	التّأدّب	التّوليد الصّوتيّ

خاتمة

كشفت الباحثة في هذه الدّراسة أنّ المحظور اللّغويّ لا يقاس بمنطق المنع فحسب؛ بل يعدّ ظاهرة تعيد تشكيل النّظام التّعبيريّ في العربيّة، من خلال تحفيز المتكلّمين على توليد ألفاظ بديلة تراعي السّياق وذوق المتلقّي، وقد بيّن التّحليل التّداوليّ والدّلاليّ أنّ "اللّامساس" لا يُضعف اللّغة بل يثريها، إذ يُثبّت آليّات بلاغيّة كالتّكنية والكناية ويفعّلها في توليد تعبيرات جديدة تغني المعجم وتوسّع أفق الخطاب، ويدفع نحو الابتكار، ممّا يجعل من "اللامساس" قوّةً بلاغيّةً وتداوليّةً فاعلة في تشكيل المعجم، كما خلصت إلى أنّ المحظور يؤثّر في زيادة التّرادف، وفي تطوير الاستعارة، وفي شيوع الألفاظ المهذّبة على حساب الصّريحة.

نتائج الدّراسة

توصّلت الباحثة في دراستها إلى النّتائج الآتية:

١. عدّ المحظور اللّغويّ عاملًا رئيسًا في تنشيط الثّروة اللّفظيّة؛ إذ دفع المتكلّمين إلى اجتناب التّعبير المباشر، باستعمال أدوات بلاغيّة تُنتج بدائل لغويّة ملائمة.

٢. عُدّت السّياسة اللّغويّة للمجتمع (الدّينيّة، والنّفسيّة، والاجتماعيّة) المحرّك الأساس للمحظورات، بما عكس وعيًا تداوليًّا بالمواءمة بين الذّوق العامّ وضرورات التّعبير.

٣. شكّلت آليات التّعبير البديل (كالتّكنية، والاستعارة، والكناية) أدوات تداوليّة فاعلة في توليد ألفاظ جديدة أو إحياء ألفاظ مهجورة، ممّا أسهم في إثراء المعجم العربيّ.

٤. بَرَز التّفاوت الجمعيّ في تقبّل الألفاظ المحظورة أو رفضها البعد التّداوليّ المرتبط بالبيئة الثّقافيّة، إذ تغيّرت دلالة اللّفظ بحسب السّياقات أو المقام.

٥. اعتمد المحظور اللّغويّ في النّصوص الدّينيّة على السّياق التّداولي، إذ يُصرَّح باللفظ في مقام الزّجر أو الحكم، ويُستبدل في مقام النّصح والتّهذيب.

٦. ظهر الأثر التّداوليّ للمحظور في مجالات متعدّدة؛ أبرزها الألفاظ المرتبطة بالجنس، والموت، والأمراض، والعاهات، وقضاء الحاجة، والعلاقات الاجتماعيّة، وغيرها.

توصيات الدّراسة

بناءً على ما تقدّم، توصي الباحثة في الدّراسة بما يلي:

١. توثيق المحظورات اللّفظيّة في العربيّة ضمن معاجم متخصّصة تُبرز سياقاتها الدّلاليّة والتّداوليّة.

٢. إجراء دراسات مقارنة بين العربيّة وغيرها من اللّغات؛ لكشف المشترك الثّقافيّ واختلاف المعايير التّداوليّة للحظر والتّلطّف.

٣. رصد المحظور في اللّهجات المحكيّة، وتتبّع الألفاظ المتحوّلة تداوليًّا بفعل الذّوق الاجتماعيّ أو التّحفّظ.

٤. مراعاة الأثر التّداوليّ للمحظور اللّغويّ في التّعليم والإعلام، دون الوقوع في التّعمية أو الإخلال بالمعنى.

٥. تشجيع الدّراسات التّداوليّة والبلاغيّة الّتي تتناول ظاهرة المحظور، وربطها باستراتيجيّات كالتّورية، والإيحاء، والصّمت.

المصادر والمراجع

الأزهريّ، أبو منصور محمّد بن أحمد. "**تهذيب اللّغة**". تحقيق محمّد عوض مرعب. (ط١، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، ٢٠٠١م).

أمين، أحمد. "**ضحى الإسلام**". (ط٢، مطبعة الاعتماد، ١٩٣٤م).

الأندلسيّ، ابن عبد ربّه أحمد بن محمّد. "**العقد الفريد**". تحقيق مفيد محمّد قميحة. (بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت).

أنيس، إبراهيم. "**دلالة الألفاظ**". (ط٢، الإسكندريّة، ١٩٦٣م).

أنيس، إبراهيم. "**في اللّهجات العربيّة**". (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، د.ت).

أولمان، ستيفن. "**دور الكلمة في اللّغة**". ترجمه وقدّم له وعلّق عليه كمال محمّد بشر. (القاهرة: مكتبة الشّباب، ١٩٦٢م).

البخاريّ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل. "**صحيح البخاري**". تحقيق مصطفى ديب البغا. (ط٥، دمشق: دار ابن كثير ودار اليمامة، ١٩٩٣م).

الثّعالبيّ، أبو منصور عبد الملك. "**الكناية والتّعريض**". دراسة وشرح وتحقيق عائشة حسين فريد. (دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د.ت).

الثّعالبيّ، أبو منصور عبد الملك. "**فقه اللّغة وأسرار العربيّة**". ضبطه وعلّق حواشيه وقدّم له ووضع فهارسه ياسين الأيّوبي. (ط٢، صيدا– بيروت: المكتبة العصريّة، ٢٠٠٠م).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. "**كتاب الحيوان**". تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون. (ط٢، د.م، ١٩٦٥م).

الجرجانيّ، القاضي أبو العبّاس أحمد بن محمّد. "**كنايات الأدباء وإشارات البلغاء**". تحقيق محمود شاكر القطّان. (القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ٢٠٠٣م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان. "**الخصائص**". تحقيق محمّد علي النّجار. (بيروت: عالم الكتب د.ت).

جيرو، بيير. "**علم الدّلالة**". ترجمه عن الفرنسيّة منذر عيّاشي. (ط١، دمشق: دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ١٩٨٨م).

الخفاجيّ، أبو محمّد عبد الله بن سنان. "**سرّ الفصاحة**". صحّحه وعلّق عليه عبد المتعال الصّعيدي. (مكتبة ومطبعة محمّد علي صبيح وأولاده، الأزهر، ١٩٥٣م).

ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن. "**جمهرة اللّغة**". تحقيق رمزي منير بعلبكي. (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

أبو زلال، عصام الدّين عبد السّلام. "**التّعبير عن المحظور اللّغويّ والمحسّن اللّفظيّ في القرآن الكريم**: دراسة دلاليّة". (أطروحة دكتوراة، القاهرة: جامعة القاهرة، ٢٠٠١م).

السّعران، محمود. "**اللّغة والمجتمع– رأي ومنهج**". (ط ٢، الإسكندريّة، ١٩٦٣م).

سوسير، فيردناند. "**علم اللّغة العامّ**". ترجمة يوئيل يوسف عزيز. مراجعة النّصّ العربيّ مالك يوسف المطلبي. (بغداد: دار آفاق عربيّة، ١٩٨٥م).

عبد التّوّاب، رمضان. "**التّطوّر اللّغويّ– مظاهره وعلله وقوانينه**". (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).

عبد التّوّاب، رمضان. "**المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغويّ**" (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م).

عبد الرّحيم، ف. "**معجم الدّخيل في اللّغة العربيّة الحديثة ولهجاتها**". (ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م).

عبد الله، بكر أبو زيد بن محمّد. "**معجم المناهي اللّفظيّة وفوائد في الألفاظ**". (ط٣، الرّياض: دار العاصمة للنّشر والتّوزيع، ١٩٩٦م).

عمر، أحمد مختار. "**علم الدّلالة**". (ط١/ط٥، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥م/١٩٩٨م).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. "**معجم مقاييس اللّغة**". تحقيق عبد السّلام محمّد

هارون. (دار الفكر، ١٩٧٩م).
الفرّاء، أبو زكريّا يحيى بن زياد. "**معاني القرآن**". تحقيق ومراجعة محمّد علي النّجار. (الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، د.ت).
الفراهيديّ، الخليل بن أحمد. "**العين**". تحقيق مهدي المخزوميّ وإبراهيم السّامرائيّ. (د.م، مكتبة الهلال، د.ت).
فرويد، سيجموند. "**الطّوطم والتّابو**". ترجمة بو علي ياسين. مراجعة محمود كبيبو. (ط١، اللّاذقيّة: دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ١٩٨٣م).
فندريس. "**اللّغة**". ترجمة عبد الحميد الدّواخلي، ومحمّد القصّاص. (مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٥٠م).
الكاتب. ابن وهب أبي الحسين إسحاق. "**البرهان في وجوه البيان**". تحقيق حفني محمّد شريف (القاهرة: مكتبة الشّباب، ١٩٦٩م).
ليونز، جون. "**اللّغة وعلم اللّغة**". (ط١، دار النّهضة العربيّة، د.ت).
المبارك، محمّد. "**فقه اللّغة وخصائص العربيّة**– دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة وعرض لمنهج العربيّة الأصيل في التّجديد والتّوليد". (دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د.ت).
المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد. "**الكامل في اللّغة والأدب**". تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. (ط٣، القاهرة: دار الفكر العربيّ، ١٩٩٧م).
ابن منظور، محمّد بن مكرّم. "**لسان العرب**". تحقيق اليازجي وآخرون. (ط٣، بيروت: دار صادر،١٤١٤هـ)..
الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمّد. "**مجمع الأمثال**". حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمّد محيي الدّين عبد الحميد. (د.م، مطبعة السّنّة المحمّديّة، د.ت).
وافي، علي عبد الواحد. "**اللّغة والمجتمع**". (ط ٤، جدّة: مكتبة عكاظ، ١٩٨٣م).

Bibliography

Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad. "Tahdhib al-Lughah". Investigated by Muhammad ʿAwad Mur'ab. (1st ed., Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 2001).

Amin, Ahmad. "Duha al-Islam". (2nd ed., Matba'at al-I'timad, 1934).

Al-Andalusi, Ibn 'Abd Rabbih Ahmad ibn Muhammad. "Al-'Iqd al-Farīd". Investigated by Mufid Muhammad Qumaihah. (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, no d.).

Anis, Ibrahim. "Dalālāt al-Alfaz". (2nd ed., Alexandria, 1963).

Anis, Ibrahim. "fi al-Lahjāt al-ʿArabiya". (Cairo: Anglo-Egyptian Library, no d.).

Olman, Stephen. "The Role of the Word in Language" (in Arabic). Translated, foreword, and commented on by Kamal Muhammad Bishr. (Cairo: Youth Library, 1962).

Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail. "Sahih al-Bukhari." Investigated by Mustafa Deeb al-Bagha. (5th edition, Damascus: Dar Ibn Kathir and Dar al-Yamama, 1993).

Al-Thaʿālibi, Abu Mansur Abd al-Malik. "Al-Kināya wa al-Taʿrīd." Studied, explained, and investigated by Aisha Hussein Farid. (Dar Quba for Printing, Publishing, and Distribution, no d.).

Al-Thaʿālibi, Abu Mansur Abdul Malik. "Fiqh al-Lugha wa Asrar al-Arabiyya." Investigated, with annotated notes, introduced, and indexed by Yassin al-Ayyoubi. (2nd edition, Sidon-Beirut: Al-Asriya Bookstore, 2000).

Al-Jahiz, Abu Uthman ʿAmr ibn Bahr. "Kitāb al-Hayawān." Investigated and explained by Abd al-Salam Muhammad Harun. (2nd edition, 1965).

Al-Jurjani, al-Qādi Abu al-ʿAbbas Ahmad ibn Muhammad. "The Metaphors of Writers and the Allusions of Eloquent Speakers" (in Arabic). Investigated by Mahmoud Shakir al-Qattan. (Cairo: The Egyptian General Book Organization, 2003).

Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman. "Al-Khaṣa'iṣ". Investigated by Muhammad Ali al-Najjar. (Beirut: Alam al-Kutub, no d.).

Giraud, Pierre. "Semantics". Translated from the French by Munther Ayashi. (1st ed., Damascus: Dar Talas for Studies, Translation, and Publishing, 1988).

Al-Khafaji, Abu Muhammad Abdillah ibn Sinan. "Sirr al-Faṣāha". Corrected and annotated by Abd al-Muta'al al-Sa'idi. (Muhammad Ali Subaih & Sons Library and Printing Press, Al-

Azhar, 1953).
Ibn Duraid, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan. "Jamharat al-Lughah". Investigated by Ramzi Munir Baalbaki. (1st ed., Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin, 1987).
Abu Zalal, ʿIsam al-Din Abd al-Salam. " Expressing linguistic prohibitions and rhetorical embellishments in the Noble Quran: A semantic study" (in Arabic). (Doctoral dissertation, Cairo: Cairo University, 2001).
Al-Sa'ran, Mahmoud. "Language and Society - Opinion and Methodology" (in Arabic). (2nd ed., Alexandria: 1963).
Saussure, Ferdinand. "General Linguistics". Translated by Yoel Youssef Aziz. Arabic text reviewed by Malik Youssuf al-Mutalibi. (Baghdad: Dar Afaq Arabiya, 1985).
ʿAbd al-Tawwab, Ramadan. "Linguistic Development - Its Manifestations, Causes and Laws" (in Arabic). (3rd ed., Cairo: Al-Khanji Bookstore, 1997).
ʿAbd al-Tawwab, Ramadan. "Introduction to Linguistics and Linguistic Research Methods" (in Arabic). (3rd ed., Cairo: Maktabat al-Khanji, 1997).
Abd al-Rahim, F. "A Dictionary of Loanwords in Modern Arabic and its Dialects" (in Arabic). (1st ed., Damascus: Dar al-Qalam, 2011).
Abdullah, Bakr Abu Zaid ibn Muhammad. "A Dictionary of Prohibited Words and Benefits in Vocabulary" (in Arabic). (3rd ed., Riyadh: Dar al-Asimah for Publishing and Distribution, 1996).
Omar, Ahmad Mukhtar. "ʿIlm al-Dilālah", (1st/5th ed., Cairo: Alam al-Kutub, 1985/1998).
Ibn Faris, Abu al-Husain Ahmad. "Muʿjam Maqāyīs al-Lugha". Investigated by Abd al-Salam Muhammad Haroun. (Dar al-Fikr, 1979).
Al-Farrā, Abu Zakariya Yahya ibn Ziyad. "Maʿāni al-Qur'an". Investigated and reviewed by Muhammad ʿAli al-Najjar. (Egyptian House for Authorship and Translation, no d.).
Al-Farahidi, al-Khalil ibn Ahmad. "Al-'Ain". Investigated by Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai. (n.p., Maktabat al-Hilal, n.d.).
Freud, Sigmund. "Totem and Taboo". Translated by Bu Ali Yasin. Reviewed by Mahmoud Kabibo. (1st ed., Latakia: Dar al-Hiwar

for Publishing and Distribution, 1983).
Vendryes. "Language". Translated by Abd al-Hamid al-Dakhili and Muhammad al-Qassas. (Anglo-Egyptian Library, 1950).
Al-Kātib, Ibn Wahb Abu al-Husain Ishaq. "Al-Burhān fi Wujouh al-Bayān". Investigated by Hafni Muhammad Sharif. (Cairo: Maktabat al-Shabab, 1969).
Lyons, John. "Language and Linguistics" (in Arabic). (1st ed., Dar al-Nahda al-Arabiyya, no d.).
Al-Mubarak, Muhammad. "The Science of Language and the Characteristics of Arabic: A Comparative Analytical Study of the Arabic Word and a Presentation of the Authentic Methodology of Arabic in Renewal and Generation" (in Arabic). (Dar al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution, n.d.).
Al-Mubarrid, Abu al-ʿAbbas Muhammad ibn Yazid. "al-Kāmil fi al-Lugha wa-al-Adab". Investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim.(3rd ed., Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 1997).
Ibn Manzour, Muhammad ibn Mukarram. "Lisan al-ʿArab." Investigated by al-Yaziji et al. (3rd ed., Beirut: Dar Sader, 1414 AH).
Al-Maidāni, Abu al-Fadl Ahmad ibn Muhammad. "Majmaʿ al-Amthāl". Investigated, annotated, revised, and footnotes added by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid. (Place of publication not specified, Matba'at al-Sunnah al-Muhammadiyyah, no d.).
Wafi, ʿAli Abd al-Wahid. "Language and Society" (in Arabic). (4th ed., Jeddah: Maktabat Ukaz, 1983).

قراءة في مشاريع تجديد الدرس البلاغي في المملكة العربية السعودية
مشروع بلاغة النص العلمي عند عبد الله بانقيب أنموذجا

A Study of Rhetorical Renewal Projects in Saudi Arabia: The Rhetoric of the Scientific Text in Abdullah Banaqeeb's Work as a Case Study

د. غادة محمد ذاكر الزبيدي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بالكلية الجامعية بالقنفذة –جامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: gmzubaidi@uqu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
12/09/2025		15/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-006		

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث مشروع بلاغة النص العلمي عند عبد الله بانقيب بوصفه أحد مسارات تجديد الدرس البلاغي في المملكة العربية السعودية. وينطلق من تساؤلات رئيسة، وهي: ما المقصود ببلاغة النص العلمي؟ وما أهم الروافد المعرفية والفكرية التي أسهمت في تشكله؟ وكيف تجلت تصوراته النظرية والإجرائية في التطبيق؟

واعتمدت الدراسة ثلاث مقاربات قرائية: القراءة التأصيلية للكشف عن الجذور الفكرية والعلمية للمشروع، وتجلت في استلهامه أصول البلاغة التراثية، وبعض طرائق التحليل البلاغي عند الشيخين محمد أبو موسى ومحمود توفيق، إلى جانب الإفادة من منجزات البلاغة الجديدة ومقولات فلسفة العلم. والقراءة السياقية التي وضعت المشروع ضمن إطاره الثقافي والبلاغي، مبرزةً صلته بجدلية القديم والجديد في البلاغة العربية. والقراءة النسقية التي أظهرت الجهاز المفاهيمي والإجرائي للمشروع، مؤكدةً توازنه بين التنظير والتطبيق. وخلص البحث إلى أن بانقيب قد وسّع مفهوم النص العلمي ليشمل العلوم الطبيعية والإنسانية معا، مؤسسا لمشروعية دراسة النصوص النقدية والبلاغية بعدّها نصوصا علمية. كما طرح مداخل تحليلية متعددة؛ بيانية، وحجاجية، وأسلوبية، تتنوع بحسب طبيعة النص، مع جعل التأويل مدخلا محوريا للكشف عن المعاني الكامنة في النص. وتؤكد نتائج البحث أن مشروع بلاغة النص العلمي يمثل إسهاما علميا معتبرا في تطوير الدرس البلاغي؛ إذ تجاوب مع متطلبات العصر، وفتح آفاقا جديدة لربط البلاغة بالمعارف الإنسانية والطبيعية، معززا حضور البلاغة العربية كحقل معرفي مرن وقابل للتجديد.

الكلمات المفتاحية: تجديد البلاغة، النص العلمي، عبد الله بانقيب.

Abstract

This study focuses on Abdullah Banaqeeb's project on the rhetoric of scientific texts as one of the paths for renewing rhetorical studies in the Kingdom of Saudi Arabia. It begins with key questions: What does "the rhetoric of scientific texts" entail? What intellectual and theoretical foundations shaped it? And how were its concepts and methods applied?

To address these, the research employs three critical approaches. The foundational reading traces the project's roots in classical Arabic rhetoric, particularly the methodologies of Muhammad Abu Musa and Mahmoud Tawfiq, while also engaging modern rhetoric and philosophy of science. The contextual reading situates the project within its cultural and rhetorical environment, highlighting its role in debates on tradition and modernity in Arabic rhetoric. The systemic reading explores its conceptual structure and methodological tools, emphasizing the balance between theory and practice.

Findings show that Banaqeeb expands the notion of the "scientific text" to encompass both natural and human sciences. This broader scope legitimizes rhetorical analysis of critical and rhetorical writings as scientific texts. He also proposes diverse analytical methods—stylistic, argumentative, and exegetical—adapted to the nature of each text, with interpretation as a key means of uncovering implicit meanings. For Banaqeeb, scientific texts carry rhetorical value through precision, clarity, and argumentative strength, positioning them alongside literary texts as central to rhetorical inquiry.

In conclusion, Banaqeeb's project significantly contributes to contemporary rhetorical studies, opening new pathways for linking rhetoric with multiple fields of knowledge and affirming the adaptability and relevance of Arabic rhetoric in modern contexts.

Keywords: Renewal of Rhetoric, Scientific Text, Abdullah Banaqeeb.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله النبي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإذا كانت أصوات المشاريع الفكرية والعلمية تعلو نتيجة للقراءات التي تستنطق مضامينها وتسبر أغوارها، فإن هذه الدراسة تضع في حسبانها رغبة المشاركة في تقديم مشروع من مشاريع تجديد الدرس البلاغي في المملكة العربية السعودية للساحة البلاغية والنقدية العربية؛ لاعتقادها بجدة هذه المشاريع وجديتها وجدواها، وهو مشروع بلاغة النص العلمي عند عبد الله بانقيب. وتهدف الدراسة إلى الكشف عن التصور والإجراء الذي يقوم عليه مشروع بلاغة النص العلمي، من خلال الوقوف على الأصول الفكرية المؤطرة له ومعرفة دورها في صياغة المشروع نظريا، ثم فحص الإجراء التطبيقي. **ويمكن لهذه الدراسة أن تجيب عن الأسئلة الآتية:**

- ما المقصود ببلاغة النص العلمي؟
- ما أهم الروافد التي رفدت مشروع بلاغة النص العلمي؟
- وكيف تجلت تصورات المشروع النظرية عند التطبيق؟

أما عن منهجية البحث فتأتي عبر الإجراءات الآتية:

- ستقوم قراءة المشروع على ثلاث أدوات قرائية، اقتضتها طبيعة البحث، وهي: القراءة التأصيلية، والقراءة السياقية، والقراءة النسقية.
- ستقدم الدراسة مفهوما لكل أداة قرائية في موضعه.
- لا يعني تقسيم البحث إلى ثلاث قراءات حدودا فاصلة بينها؛ بل تتعاضد القراءات كونها أدوات تتطلبها طبيعة البحث ومسائله المتداخلة.
- ستتناول الدراسة المشروع في الجانبين النظري والتطبيقي، أما النظري فمن

خلال تتبع مراحل تطور فكرة المشروع في مؤلفات بانقيب عامة، وأما التطبيقي فبالبحث عن تطبيقات بانقيب على النصوص العلمية التي سبقت الإفصاح عن المشروع، لكنها تنسجم مع المقترح الذي وضعه في كتابه بلاغة النص العلمي، ولن تعرض الدراسة لتطبيقاته التي لا تتصل بصلب المشروع.

وبناء على ذلك جاءت خطة البحث وفق الآتي:

- مقدمة وضحت المقدمة أهمية الموضوع وأسئلته، ومنهجية البحث، وخطته.
- **المبحث الأول:** بعنوان القراءة التأصيلية، تناولت فيه أصول المشروع وجذوره المعرفية والفكرية والعلمية من خلال أداة قرائية أطلق عليها القراءة التأصيلية.
- **المبحث الثاني:** بعنوان القراءة السياقية، خصصته لدرس المشروع ضمن سياقه الثقافي والبلاغي من خلال أداة قرائية أطلق عليها القراءة السياقية.
- **المبحث الثالث:** بعنوان القراءة النسقية، درست فيه الإجراءات التطبيقية من خلال أداة قرائية أطلق عليها القراءة النسقية.
- **الخاتمة:** تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول: القراءة التأصيلية

تقوم القراءة التأصيلية على تدقيق المشروع بهدف فحص جذوره، واستقصاء أسسه ومبادئه، وذلك بالبحث في العوامل التي أثرت فيه، وبمعرفة الخلفية الفكرية لصاحب المشروع وتكوينه العلمي؛ للإلمام بمصادر مادته، وإدراك انتمائه الفكري ما أمكن. ولا يخفى ما لذلك من أثر في توجيه مسار المشروع؛ لفهمه فهما دقيقا لا يعتمد النقل أو التفسير الثانوي. كما تقوم القراءة التأصيلية على بحث إمكانية وصل المشروع بالمشاريع المتاخمة له للنظر في نوع العلاقة أهي قطيعة، أم استمرار، أم تطوير لمشاريع سابقة، وهذا بدوره سيساعد على فهم المشروع فهما سليما، وعلى الإفادة منه في تطوير المعرفة البلاغية.

تتصل جذور مشروع بلاغة النص العلمي عند عبد الله بانقيب[1] بالشقين البلاغيين، التراثي والجديد. يتجلى الرافد البلاغي في شقه القائم على إعادة قراءة

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بانقيب، ناقد وباحث بلاغي سعودي، رئيس مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها سابقا، وكيل الكلية الجامعية بالقنفذة سابقا، أستاذ البلاغة والنقد بالكلية الجامعية بالقنفذة – جامعة أم القرى، صدر له:

- "مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني ٣٨٦هـ إلى عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ". (ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ).
- "المسؤولية النقدية في كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني". (ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ١٤٣٢هـ).
- "رؤى في البلاغة والنقد". (ط١، جدة: النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤٣٧هـ).
- "خطاب المقدمة بين النقد والحجاج". (ط١، الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٣هـ).
- "بلاغة النص العلمي". نحو تأسيس نظري ومقترح تطبيقي، (ط١، الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٦هـ).

التراث من خلال استلهام منهج التحليل البلاغي عند الشيخين محمد أبو موسى، ومحمود توفيق. أما الجديد ففي الإفادة من منجزات البلاغة الجديدة بمفاهيمها وأبعادها المختلفة. كما تمتد جذور المشروع إلى ببعض المقولات الفلسفية الجديدة، فيتجلى الرافد الفكري في استلهام بعض مقولات فلسفة العلم، وبين هذه الجذور يبسط بانقيب مشروعه على أرض التراث فينتقي بعض النصوص التراثية لتطبيق مشروعه البلاغي عليها. وتوضيح ذلك على النحو الآتي.

أ– استلهام منهج التحليل البلاغي عند الشيخين محمد أبي موسى، ومحمود توفيق.

على الرغم من اختلاف غايات العودة إلى التراث البلاغي واختلاف مناهج البحث فيه، يظل منهج الشيخ محمد أبي موسى[١]، ومنهج الشيخ محمود توفيق – رحمه الله–[٢]، من أهم المناهج القرائية التي تركت أثرا كبيرا في الأوساط العلمية

(١) محمد محمد أبو موسى، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة، يلقّب بشيخ البلاغيين. له مؤلفات عدة، منها: (التصوير البياني، القوس العذراء وقراءة التراث، خصائص التراكيب، دلالات التراكيب، قراءة في الأدب القديم، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، الشعر الجاهلي: دراسة في منازع الشعراء، المسكوت عنه في التراث البلاغي) وغيرها.

(٢) محمود توفيق سعد، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، أستاذ البلاغة والنقد في جامعة الأزهر، توفي عام ٢٠٢٥م. له مؤلفات عدة منها: (صورة الأمر والنهي في الذِّكر الحكيم : دراسة في البلاغة القرآنية، فقه بيان النبوَّة منهجًا وحركة: دراسة في البلاغة النبوية، شذَرات الذهب: دراسة في البلاغة القرآنية، دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين :دراسة =

والأكاديمية العربية مشرقية ومغربية، ومن بين هذه الأوساط يتجلى الوسط البلاغي في المملكة العربية السعودية. إذ كان الشيخان من أساتذة جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تتلمذ على أيديهما كثير من الباحثين السعوديين إما بالتدريس الجامعي أو بالإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراة، أو بالمحاضرات والندوات العلمية، وانعكس منهاجهما القرائي على طبيعة تفكير هؤلاء الباحثين، إلى جانب الأصداء التي تتركها مؤلفاتهما في الساحة النقدية والبلاغية. ويعدّ صاحب بلاغة النص العلمي من هؤلاء الباحثين، فقد اتصل بالشيخ أبي موسى في دراساته العليا بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، أما الشيخ توفيق –رحمه الله– فقد كان مشرفا على رسالته في الدكتوراه. لأجل ذلك نعده من الباحثين الذين تجلى لديهم أثر نزعة الشيخين القرائية، وهي نزعة تعتمد طرائق الاستقراء والاستدلال لضبط عملية التذوق، تمثلت عند الشيخ أبي موسى في مقدمات كتبه تنظيرا إذ تنطلق "من نظرة أصولية ترى التراث مليئا بالأسرار"(١)، وتطبيقا فهو "يقدم تحليلاته الدقيقة للنصوص التراثية وعلى رأسها الشعر

=

منهجية تحليلية، سُبل استنباط المعاني من القرآن والسنَّة :دراسة منهجية تأويلية ناقدة، أسرار البلاغة القرآنية في سورة "تبَّت يَدا أبي لهَب" ، الكلمة نورٌ: محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم لشيخنا محمد أبي موسى، علم البديع عند الشيخ محمد محمد أبو موسى، المعنى القرآني: معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة، رؤية منهجية ومقاربة تأويلية، معالم التكليف والتثقيف في آيات الربا من سورة البقرة) وغيرها.

(١) هاني علي سعيد، "قراءة في المشاريع البلاغية المعاصرة وجدلية القديم والجديد في البلاغة". (مصر: مجلة الدراسات الأدبية والإنسانية بجامعة كفر الشيخ، ع٢٦، ٢٠٢٢م)، ٤١٢.

إلى جانب دراساته في القرآن والحديث"[١].

ويبدو أثر هذه النزعة القرائية واضحا عند بانقيب في تركيزه على مسائل فكرية وبلاغية من قبيل اهتمامه الخاص بكتب التأسيس البلاغي وعلى رأسها كتابي عبد القاهر الجرجاني؛ منبّها إلى أن الغاية العظمى من قراءة كتب التأسيس هي معرفة طرائق صناعة العلم. وتأكيده أن معرفة طريقة العالم وهو يؤسس علمه ويبني أبوابه من أجلّ ما يمكن أن يظفر به طالب العلم[٢]؛ لأجل ذلك كان أبو موسى كلفا بتتبع القضايا البلاغية منذ أن كانت نواة حتى اكتملت ونضجت[٣]. كما كان يؤكد أن "ساعة من نهار مع طلاب العلم في علم صناعة العلم أجدى عليهم من سحابة يوم في تحصيل العلم"[٤].

ويتصل بذلك تأكيد بانقيب أنه لا يمكن الفصل بين فكر العالم ولغته، "وأن اللغة تتحدد بوعي الإنسان وشؤونه وشجونه... ودالة من دوال إنسانيته، وأصلا من أصول آدميته"[٥]. وذهب من قبله أبو موسى إلى أن "النشاط الفكري في الأمة هو ابن اللغة"[٦]. ثم جاء الاهتمام بتحليل النص العلمي بناء على ما فيه من دقة وضبط

(١) المرجع نفسه، ٤١٢.

(٢) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٣٥.

(٣) يوسف الدعدي، "خطاب التجديد في الفكر البلاغي عند الشيخ محمد أبي موسى، ملامحه وتجلياته". *مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها*، ١٥، ج٢ (بتصرف): ١٧٦.

(٤) محمد أبو موسى، "المسكوت عنه في التراث البلاغي". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٨هـ)، ١٠٠.

(٥) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٤٩.

(٦) محمد أبو موسى، "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني". (ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، =

وإحكام، نجد ذلك في إشارات من أبي موسى نبّه فيها إلى أن عبد القاهر إنما أدخل نصوص سيبويه العلمية دائرة البلاغة بناء على ما فيها من إتقان وتدقيق، وسنجد أن تدقيق العبارات العلمية وتحليلها من أولويات التحليل البلاغي للنص العلمي. ولا تتوقف الدلالة بحدود دقة العبارة؛ بل تتسع دائرة الفهم والتذوق ببعد الإشارة وحسن الدلالة في التصوير البياني(١)، فتنفتح القراءة التأويلية وتحضر المعاني الغائبة؛ وهذا بيّن في تأكيد بانقيب حضور التأويل ضمن مداخل تحليل النص العلمي.

ويتجلى استلهام الشيخ محمود توفيق –رحمه الله– في بلاغة النص العلمي البلاغي من خلال جملة من التصورات، لعل من أبرزها أن العقل البلاغي هو عقل تأويلي للبيان(٢)، وهذا بدوره يؤكد تجاور العقلين: الأصولي والبلاغي، تجاورا مهما "فالعقل الأصولي يضبط المسار بتحديد القواعد والضوابط، في حين يمنح العقل البلاغي مرونة التأويل وروح التذوق"(٣). لأجل ذلك يعدّ التأويل مدخلا ملائما لشتى أنواع النصوص العلمية، وعلى أساسه سيضع بانقيب مدخلا تحليليا يقوم على التأويل. كما يمكن أن يقوم تحليل النص العلمي على منهج الإبانة والإيضاح، سواء أكانت الإبانة حجاجية، أم

=

١٤٣١هـ)، ٥٣.

(١) يوسف طفيف الدعدي، "خطاب التجديد في الفكر البلاغي عند الشيخ محمد أبي موسى" (بتصرف)، ١٧٠.

(٢) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي" (بتصرف)، ١٢: ٤٤.

(٣) محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار، "من البلاغة القرآنية إلى مدارج التزكية". *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية*، ٤١، (٢٠٢٥م): ٢٣٠٢.

كانت إفهامية[١]. ومن هنا سيقترح بانقيب المدخل التحليلي الملائم لكل نمط من أنماط النصوص العلمية، وهذا ما سنوضحه في الفقرات القادمة.

وعلى الرغم من وضوح أثر الشيخين في المشروع، إلا أن المشروع يفرض وجوده الخاص، ويثبت ذلك اتصاله المباشر بأمهات كتب البلاغة بحثا ودرسا، وتبنّيه لكثير من مقولات البلاغيين الأوائل، ثم إرهاصاته التي توزعت على مدى فترات متباعدة بين مؤلفات بانقيب، ومقولاته التي تجعلنا نطمئن إلى القول بأنه مشروع له أصوله وأسسه الواضحة، مما يعطيه مشروعية أكاديمية وقابلية للتطبيق في سياقات بحثية متعددة.

ب– استلهام بعض مقولات فلسفة العلم

دلف بانقيب إلى فلسفة العلم باحثا عن إجابة لسؤاله: على أي نوع من العلوم تُطلق صفة العلمية؟ وهذا السؤال الذي ألح على بانقيب هو السؤال نفسه الذي تبحثه فلسفة العلم، "فإن من بين الأسئلة التي تحاول الفلسفة الإجابة عنها أسئلة تتعلق بالعلم ذاته، وفي مقدمتها ما الذي يميز المعرفة العلمية على وجه التحديد عن باقي أنماط المعرفة البشرية، ومتى يسوغ لنا أن نصف معرفة معينة بأنها تمثل علما ومتى لا يسوغ لنا ذلك"[٢]. لكن مذهب بانقيب لم يكن موافقا لما ذهبت إليه يمنى الخولي مثلا وهي أستاذ فلسفة العلم، التي تحصر العلمية في العلوم الطبيعية والرياضية وشيء من العلوم الإنسانية؛ لأنه يرى أن ذلك فيه جور على "شطر غير قليل من جهاد

(١) المرجع نفسه، ٢٤.

(٢) أليكس روزنبرج، "فلسفة العلم مقدمة معاصرة". ترجمة: أحمد عبد الله السماحي، فتح الله الشيخ، مراجعة: نصار عبد الله، (ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١١م)، ٨.

العقل الإنساني"[١]، فلم يقنع بذلك، بل انتهى به الأمر إلى مدّ مصطلح العلم "إلى كل حركة علمية بذل فيها العقل الإنساني محاولته لتأسيس ضروب من المعرفة تجعله أكثر فهما ووعيا"[٢]. وعليه، فإن بانقيب يطلق على النصوص النقدية والبلاغية التي تضمنتها المؤلفات النقدية والبلاغية صفة النصوص العلمية، مبرهنا برؤيته هذه على نجاعة القول ببلاغة النص العلمي ومشروعية البحث فيه.

وعلى الصعيد الإجرائي يفيد بانقيب من تصورات فلسفة العلم في الأمور الواجب على المحلل الإلمام بها، وذكر من ذلك أهمية إلمام المحلل بمناهج العلم الذي هو بصدد دراسة نصوصه، بمعنى أن يكون على وعي بمادة نصه، وبكل ما يؤطرها من تصورات فلسفية ومن إجراءات منهجية[٣]. ومع ذلك فلم يصرّح بانقيب برجوعه إلى نموذج فلسفي بعينه، ولعلّ السبب هو محدودية هذا الرجوع كما رأينا.

(١) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ١٤.
(٢) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ١٤.
(٣) المرجع نفسه، (بتصرف)، ٣٠.

المبحث الثاني: القراءة السياقية

تقوم القراءة السياقية على وضع المشروع داخل إطاره الثقافي والتاريخي، بمعرفة زمن ولادته، وإرهاصاته، والبحث في التيارات البلاغية والنقدية المعاصرة له؛ وذلك لأهمية معرفة القضايا الجدلية التي يردّ عليها أو التي يسهم برأيه فيها، ولقراءة مفاهيمه قراءة واعية ترتبط بروح العصر وبمعطياته الثقافية والفكرية. فمن المعلوم في مختلف المجالات المعرفية أن القيم العلمية التي تهيمن في عصر من العصور تحيل النظر إلى قضايا بغية مفاتشتها وتقليب معطياتها، فتأخذ منها وتدع، وترد وجها وتقنع بآخر. وتأتي المراجعات ومحاولات التقويم والتجديد، وتصدر ردود أفعال متنوعة تجاه هذه المحاولات. ومن ذلك صنيع الباحثين في الدراسات البلاغية والنقدية العربية في العصر الحديث، فقد عادوا إلى التراث البلاغي مستلهمين عناصره لإعادة قراءته واستخراج مضامين جديدة منه. وأحيانا لإعادة بنائه وتشكيله وفق حاجات العصر وسياقاته الفكرية. وصاحب تلك العودة الاستفادة من المنجزات الغربية الحديثة علمية وفكرية للتقدم بالعلم البلاغي وسد ثغرات معرفية إقرارا بأن المآخذ قد تعتري العلوم في كل مجال، وما دور الباحثين إلا معالجتها وتطويرها انسجاما مع تغيرات العصور والأزمنة. جاء ذلك إيمانا بأنه –على تعبير العمري– لا كتابة خارج العصر، "وكلما تغيرت المعطيات، إلا ويلزم الباحثين أن يعيدوا قراءة التراث وتأويل ما كان منه بعيدا وما التحق به، ليس لإسقاطه على الحاضر والاستغناء به، ولكن للتواصل معه وإعادة تأويله"[(١)]. إلى جانب ذلك نجد أن الهدف المحرك لكثير من هذه الاتجاهات هو رفع التهم التي وجهت إلى الدرس البلاغي في فترات متأخرة من

(١) محمد العمري، "أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة". (د.ط، المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠١٣م)، ٢٥٤.

تاريخه، فأكدّ الباحثون إمكانيّة تجديد البلاغة وتوسيع حقلها، من خلال ربط الدرس البلاغي بميادين العلوم والمعارف المختلفة، ثقة بمرونة الأدوات البلاغية ومقدرتها على استيعاب النصوص المختلفة.

وعليه، فإن مشروع بلاغة النص العلمي ما هو إلا امتداد لمشاريع التوسع والتجديد في البحث البلاغي، المبنية على الاتصال الوثيق بالمقولات البلاغية التراثية. وهو قائم على فكرة أثيرة ألحّت على صاحبها منذ وقت مبكر، بدأت في صورة ملاحظات متفرقة، يجمع بينها منطلق واحد، وهو أن النصوص النقدية والبلاغية هي نصوص علمية، وأنها ذات أولوية بالتحليل البلاغي، وشأنها شأن النصوص الأدبية الفنية. وسيأتي بيان الأساس الذي انطلق منه بانقيب في مذهبه هذا عند القراءة النسقية من هذه الدراسة.

قلنا إن المشروع بدأ في صورة ملاحظات بثها بانقيب في ثنايا دراساته، إذ ذكر في مقدمة (مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز) أن أغلب الدراسات التي عنيت بتراث عبد القاهر الجرجاني وجهت العناية نحو التصنيف للقضايا البلاغية التي تضمنها تراث عبد القاهر، "دون كبير عناية بالواقع التحليلي والمنهج الذي نتج عنه"[(١)]. وفي ظننا أنه لما نظر إلى الواقع التحليلي في تراث عبد القاهر استخلص منه منهجا في تحليل النص العلمي، على خلاف الدراسات التي دأبت على استخلاص منهج عبد القاهر في تحليل النص الفني.

ونجده في (المسؤولية النقدية في كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني) يطرح مسائل لا نبالغ إذا قلنا إنها داخلة في صلب مشروعه. إذ يرى بانقيب أن الناقد يتحمل مسؤولية أن يصدر آراءه بعد تثبّت وتيقّن في لغة ضابطة محكمة، وأن المسؤولية النّقدية تتطلب العدالة النقدية، "يتبدى ذلك في طريقة معالجة

(١) عبد الله بانقيب، "مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز"، ١١.

القضية وطرحها، وتدلل عليها اللغة المستخدمة في الكتاب. إنها لغة القضاء"[١]. وهذا داخل في مسألة الضبط والتدقيق والإحكام التي سيجعلها بانقيب من أهم مسائل بلاغة النص العلمي. وجملة (لغة القضاء) تؤكد ذلك؛ لأن اللغة التي تكتب بها قوانين ونصوص القضاء لابد أن تكون لغة دقيقة ومحكمة الضبط، وأي خلل يعتريها يؤدي إلى لبس في الحكم أو ضعف في القضية، وهذه اللغة المحكمة الدقيقة هي اللغة التي يتطلبها النص النقدي، وهي التي تعطي موثوقية للنص، ثم للحكم، وأخيرا للناقد نفسه. ومن ذلك أيضا معالجته لمنهج القاضي الجرجاني النقدي من خلال مكونات الثقافة عنده، فجعل منها اللغوي، والنقدي والبلاغي، والعام؛ لاعتقاده بأهمية درس النص ضمن إطار خلفية صاحبه، وتجربته الثقافية والعلمية. وهذا كله ينسجم مع المقترح الذي وضعه بانقيب لتحليل بلاغة النص العلمي وفحصها.

ثم نجده في (خطاب المقدمة بين النقد والحجاج) يتحدث عن غلبة الدراسات التي نشطت في قراءة وتحليل مقدمات الكتب الإبداعية، في مقابل ندرة الدراسات التي قرأت وفحصت مقدمات الكتب العلمية، مع عدم إجحاف بعض المقاربات المعاصرة حقها في الاهتمام بالنوعين، ومن ذلك ما قامت به العتبات النصية، ليتجلى "مقدار ما حظيت به مقدمة الكتاب من بحث ودراسة في النقد المعاصر سواء على مستوى الأعمال الإبداعية، أم على مستوى الأعمال العلمية التي تتقاطع معها في مهمة التلقي والفهم والتفسير"[٢]. مفترضا أن الكتب البلاغية والنقدية داخلة في إطار الكتب العلمية، وعلى هذا الأساس أخذت دراسته المذكورة على عاتقها درس

(١) عبد الله بانقيب، "المسؤولية النقدية في كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني"، ١٣.

(٢) المرجع نفسه، ٢٩.

خطاب المقدمة "في نوع من أنواع الكتاب العلمي، وهو الكتاب البلاغي والنقدي"(١).

يأتي هذا الاهتمام مع تأكيد صاحب بلاغة النص العلمي أن مشروعه ليس مبتدعا؛ بل إن من البلاغيين أوائل ومعاصرين من مدّ التحليل البلاغي إلى النص العلمي وعقد صلة بين الأدبي والعلمي، فعبد القاهر الجرجاني لم يتوانَ في تحليل نصوص علمية من كتب الجاحظ(٢)، وفي العصر الحديث أشار إلى بعض ملاحظات الشيخين محمود شاكر، ومحمد أبي موسى، عند حديثهما عن عبد القاهر وما قدمه من نظرات حول لغة سيبويه وهو يعالج قضية علمية نحوية(٣). ومنه موقف أبي موسى من لغة كتب النحو والفقه التي قامت على الضبط والتدقيق والحذر والاحتياط، وأن مقالات لطبيب رائقة اللغة، بارعة الصياغة، سهلة العبارة محكمة دقيقة حقها التحليل البلاغي(٤). وأشار أيضا إلى دراستين حديثتين لباحثين عالجا بلاغيا النص العلمي في نصوص من العلوم الطبيعية(٥).

ونشير في هذا الصدد إلى مقال نشر تحت عنوان (في بلاغة الخطاب العلمي والأكاديمي)(٦)، أشار فيه الباحث إلى أن العلوم المختلفة تقوم على مقومات

(١) المرجع نفسه، ٧.

(٢) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٦٠.

(٣) المرجع نفسه، (بتصرف)، ١٩، ٢٠

(٤) محمد أبو موسى، "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، (بتصرف)، ٢٧.

(٥) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ١٠. وهما: محمد سويسي، أدب العلماء في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس البيروني وعمر الخيام، وفرحات الدريسي، فنا التفكير والتعبير في الخطاب العلمي العربي التراثي.

(٦) باقر جاسم محمد، "في بلاغة الخطاب العلمي والأكاديمي". مقال على الانترنت استرجع بتاريخ (٨/ ١٠/ ١٤٤٦هـ).

=

موضوعية، ومن الضروري أن تنعكس هذه الموضوعية على اللغة التي تؤدى بها تلك العلوم، بدءا من شروط السلامة النحوية وانتهاء إلى الخصائص البلاغية الممثلة في مناسبة المقال لمقتضى الحال، وخلو اللغة من العبارات الانطباعية، ودقة وصفها للظواهر المدروسة، واحتكامها إلى منطق العلم نفسه، وإلى أدلته، واستثمارها للمصطلحات الدقيقة في مجاله. ثم ألقى الباحث الضوء على بؤرة الإشكال وهي أن هناك من يعتقد أن هذه الصورة من اللغة خاصة بالعلوم الصرفة (فيزياء، كيمياء، أحياء)، بينما تقل في لغة العلوم الإنسانية، وتكاد تنعدم عند الحديث عن الدراسات المتعلقة بالأدب؛ التي تقوم أصلا على المجاز، ويعلق "أن لغة الشعر والأدب، وهما موضوع الدراسة الأدبية، هي غير لغة البحث في الشعر والأدب. ذلك أن اللغة ستختلف في الحالتين باختلاف الغايات والوسائل بين الإبداع الأدبي والنقد"(١). إن هذه الإشارات تفسح الطريق أمام بلاغة النص العلمي وتؤيد مشروعية معالجة أي نوع من أنواع النصوص معالجة بلاغية.

=

https://www.iraqicp.com/index.php/sections/literature/20620-2019-05-25-18-52-37 /

(١) المرجع نفسه.

المبحث الثالث: القراءة النسقية

تنطلق القراءة النسقية من افتراض مفاده أن المشروع العلمي نسق متكامل يضم عددا من المفاهيم، والتصورات، والأدوات، والعلاقات. وتتحقق القراءة النسقية بمعرفة منطلقات المشروع النظرية ممثلة في الجهاز المفاهيمي للمشروع، وفي مقولاته الرئيسية والفرعية، العامة المستنبطة من مجال معرفي سابق، أو الخاصة وليدة المشروع. وتتحقق أيضا من خلال معرفة إجراءات المشروع التطبيقية، وكيفية تعاطيه للأدوات البلاغية القديمة والجديدة، ثم فحص علاقات البنية النسقية التكوينية التي تربط بين عناصر النسق؛ للتحقق من توازن الجانبين النظري والتطبيقي.

أولا: مقولات القراءة.

١– إن للعلم جناحين، يتصل أحدهما بالعلوم الطبيعية ويتصل الآخر بالعلوم الإنسانية

وهي مقولة معرفية عامة قام عليها المشروع، ومعلوم أن هناك فرقا بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، إن كان على مستوى الموضوع المدروس أو على مستوى المنهج. فالعلوم الطبيعية (العلمية) تقوم على "الخبرة الحسية بصفة عامة حيث يتوارى تأثير الاستدلال العقلي بجانب الدور الأساسي للمشاهدات الحسية التي كانت تلعب دورا كبيرا في الاكتشافات العلمية في ذلك الوقت"(١). أما العلوم الإنسانية فهي العلوم "التي تدرس الإنسان، أو السلوك الإنساني، من جوانبه المختلفة، قديما وحديثا"(٢). وعلى هذا الأساس ينطلق المشروع؛ فالعلوم الطبيعية التجريبية "التي تكون نتائجها

(١) محمد قاسم، "كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي". (د.ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦م)، ٨٦.

(٢) عزمي إسلام، "في فلسفة العلوم الإنسانية". *مجلة عالم الفكر*، ٣، (١٩٨٤م): ٢٤٩.

وليدة التجربة والملاحظة المعملية، فالتجربة التي تخضع للظروف المعملية نفسها ستعطي النتائج نفسها في كل مرة، وهذا ما يعزز قوة النتائج وثباتها ودقتها"[١]. أما العلوم الإنسانية، فلا يخرجها بانقيب عن إطار الدقة والمنهجية والموضوعية مع مراعاة الفارق بين الموضوع والمادة في المجالين. ومن هنا فإنه يذهب إلى إطلاق صفة العلمية على العلوم الإنسانية أيضا، ومبرر ذلك أن "حصر صفة العلم على جناح دون آخر فيه إغفال لحركة العقل الإنساني، ولطبيعة نشأة العلوم، وتوالد بعضها من رحم بعضها الآخر"[٢]. وبناء عليه، فإن للعلم جناحين: يتصل أحدهما "بالعلم الطبيعي والرياضي، وآخر يتصل بالعلم الإنساني"[٣]. وعلى هذا الأساس سينقسم النص إلى قسمين تكشف عنهما المقولة الآتية:

٢– ينقسم النص إلى قسمين: نص بياني، ونص علمي في أي ميدان من ميادين المعرفة.

وهي مقولة خاصة، حاول المشروع التأسيس لها بناء على معطيات الدرس البلاغي، وعلى معطيات فلسفة العلم. أما النوع الأول، وهو النص البياني، فهو ضربان؛ الضرب الأول: النصوص المقدسة؛ أي القرآن الكريم، والسنة النبوية، وهي نصوص بيانية معجزة. والضرب الثاني: النصوص الأدبية الفنية شعرا ونثرا[٤]، وتقوم على اللغة المجازية والصور الفنية. وأُطلق على هذا النوع البياني؛ لأنه قائم على البيان والإيضاح. ولا خلاف على بلاغة هذا النوع، إذ قامت البلاغة العربية على تحليل

(١) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ١٣.

(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٩.

النص المعجز ونقد الشعر، وأخلصت لهما إلى الدرجة التي أذهلت عن "تحليل التحليل"(١).

وأما النوع الثاني، فهو النص العلمي، وتحديده يأتي انطلاقا من مفهوم بانقيب للعلم، إذ يطلق على "كل حركة علمية بذل فيها العقل الإنساني محاولته لتأسيس ضروب من المعرفة تجعله أكثر فهما ووعيا"(٢). وعليه، فالنص العلمي هو اللغة الموظفة لنقل حركة العقل وجهده المنظم في بناء معرفة ما. لذلك يستهدف المشروع "كل أنواع المعرفة التي أنتجها العقل الإنساني، مهما كان الاختلاف حول أحقية بعضها بصفة العلم دون غيرها"(٣).

٣– المقصود ببلاغة النص العلمي هو دراسة النص العلمي دراسة أسلوبية، تكشف عن بلاغة التعبير دلالة وتركيبا وتصويرا وإيقاعا(٤).

تأسيسا على المقولتين السابقتين يتجلى المقصود ببلاغة النص العلمي في مقولة خاصة تمثّل جوهر المشروع. إن المقصود هو تحليل النص العلمي تحليلا بلاغيا، عبر استخدام التقنيات البلاغية المتعددة قديمها وجديدها؛ للكشف عن قيمة النص التعبيرية، وقوته الإقناعية، ودقة عبارته العلمية، كل ذلك يتجلى عند فحص مكونات النص ومستوياته المتعددة: الصوت، والتركيب، والدلالة، والصورة، والإيقاع. والذي يفهم من هذا، أن البلاغة المقصودة هي بلاغة الوجوه الممكنة داخل كل نص علمي. فالنصوص العلمية ليست على نمط واحد، ففي حين يبرز المكون أو الوجه الأسلوبي في نص ما، يبرز المكون التصويري في آخر، وقد يبرز المكون الحجاجي في غيرهما،

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٢) المرجع نفسه، ١٤.
(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٤) المرجع نفسه (بتصرف)، ١١.

وهذا كله حسب السياق والغرض الذي يساق لأجله كل نص علمي. إن بلاغة النص العلمي تستهدف جميع هذه الظواهر البلاغية داخل النص، كل ظاهرة تعالج حسب التقنية البلاغية التي تتناسب معها.

٤– تتضافر المباحث البلاغية لتكوين مداخل تحليل النصوص العلمية:

لا تقوم بلاغة النص العلمي على مدخل تحليلي بعينه؛ بل تتعدد وتتنوع حسب القيم المهيمنة داخل كل نص، وحسب المكون البلاغي الأبرز كما أسلفنا، ويورد بانقيب عددا من المتون العلمية مقترحا المداخل الملائمة لتحليلها نجملها في الآتي:

مدخل يقوم على طرق التحليل البلاغي المعروفة، وأدواته التي توزعت بين علوم البلاغة الثلاثة. وهذا يتناسب والكتب العلمية القائمة على أسلوب فني مجازي أقرب إلى الطبيعة الأدبية؛ لبيان الوجوه الجمالية في النص.

– مدخل يقوم على فحص الصيغ المحكمة الدقيقة وهذا يتناسب وكتب التأسيس(١)، والمتون العلمية(٢)، وكتب الفقه(٣)، ونصوص التعريفات في المتون(٤)، والشروح على المتون، والحواشي على الشروح(٥).

ويمكن أن نطلق عليه التحليل البياني إذا انطلقنا من مفهوم البيان بمعنى الإبانة؛ أي الإيضاح؛ لأن الإبانة عن مكنون نص علمي يتسم بالدقة والعمق تعتمد على فحص وتفتيش لغته للكشف عن مضامينها وحمولاتها بعيدا عن التعسف والتحريف. ويشير بانقيب إلى مقولة لمحمود توفيق في معرض حديثه عن أسلوب المتن إذ يقول الأخير "هو

(١) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ١٦.

(٢) المرجع نفسه، ٢١.

(٣) المرجع نفسه، ٢٢.

(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) المرجع نفسه، ٢٣.

باب وسيع لفعل العقل البلاغي تحليلا وإبانة عن منهاجية الإبانة: حسن دلالة وتمامها وتبرجها وإحكامها"[١]. ثم أشار إلى المنهج نفسه في مقولة أخرى لمحمود توفيق يقسم فيها منهج الإبانة إلى حجاجي، وإفهامي[٢]. وإن كان بانقيب لم يطلق مصطلح التحليل البياني؛ إلا أنه لفت الانتباه إليه وأسس له. فالمسآءلة المستمرة التي ينتجها العقل لفحص جوهر مسألة ما، سمتاها الدقة والموضوعية، تجد ضالتها في الدلالة المحكمة صياغتها، التامة دلالتها، المتبرجة الواضحة. وإنما يتم الكشف عن هذه الدلالة بواسطة النظر الحجاجي أو الإفهامي، والإفهام هو الوظيفة التي يؤديها البيان.

ويمكن أن نسجل هنا ملاحظة أخرى، وهي أن غالبية النصوص التي اقترح لها بانقيب مدخل فحص الصيغ المحكمة الدقيقة هي نصوص تتصل بالجانب الديني، أعني الكتب الفقهية، والتعريفات والشروح وغيرها، ومعلوم أن منطلق هذه النصوص هو القرآن الكريم الذي كثيرا ما حث على البيان، والتدبر، والتفقه، والتعقل[٣]؛ لأجل ذلك اقترح بانقيب المدخل الذي يفعّل كل طاقات العقل وعملياته الذهنية الممكنة.

– مدخل التحليل البلاغي الحجاجي وهذا يتناسب والنصوص القائمة على دحض فكرة سابقة أو هدمها، أو النصوص التي سيقت للرد على المطاعن والشبهات[٤]. وكثيرا ما استفاد بانقيب في مشروعه من أدوات التحليل الحجاجي نظرا لطبيعة النصوص التي قدم تحليلا لها، وهي في الغالب من النصوص البلاغية الواردة في

(١) محمود توفيق محمد سعد، "في نقد العقل البلاغي". (ط ١، الإمارات: مجلس حكماء المسلمين، ١٤٤٠هـ)، ١٤٧.

(٢) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، (بتصرف)، ٢٤.

(٣) حمادي صمود، "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس". (ط٣، المغرب: أفريقيا الشرق، ١٩٩٨م)، ١٨٠.

(٤) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٢٦.

أمهات كتب البلاغة في القرنين الخامس والسادس وسياق تأليفها معلوم. نضيف إلى ذلك أن الاتجاه الحجاجي من أكثر الاتجاهات البلاغية حضورا في الدرس البلاغي الحديث، وهو شكل من أشكال توسيع أطر البحث البلاغي ومدّها. ويؤكد ذلك قراءته لمقدمة دلائل الإعجاز قراءة حجاجية، وهي مقدمة علمية بناء على مفهومه للنص العلمي. وقد قرر ملاءمة التقنيات الحجاجية لتحليلها للأسباب التي ذكرنا، ولأنها مقدمة لقضية الإعجاز التي تعدّ "مجالا خصبا للجدل والحجاج حول الإعجاز القرآني، وهو ما كان بين المذاهب الإسلامية وأهل الديانات الأخرى"(١). ونلاحظ الطابع البلاغي الصرف الذي يمنحه بانقيب للتحليل الحجاجي، فيقسم الحجاج إلى تقنيات تتصل بالمضمون منها السببية، والنفعية، وحجة النعوت، وغيرها. وتقنيات تتصل بالشكل، منها صيغ التفضيل، والسجع، والجناس، والطباق والتكرار، والقصر، وغيرها. مؤكدا "الارتباط الوثيق بين الشكل –صيغا وعبارات وأساليب– والغايات الحجاجية، وأن للشكل دورا في التأثير الحجاجي لا ينفصل عن المضامين والأهداف المراد تقريرها والدفاع عنها"(٢).

التأويل، الذي "يمتد في فعله ومنهاجه وحركته من المكون الأصغر إلى ما يتصل ببناء النص الكلي"(٣). ويأتي هذا المدخل منطلقا من تأويلية العقل البلاغي. فالتأويل مع وجود السبب قيمة مركزية في العقل البلاغي، تتجلى في الكشف عن المقاصد، والوصول إلى المعاني المضمرة، وقد أفاضت الدراسات البلاغية في الحديث عن فاعلية التأويل وأهمية كفاءة المؤول ومقدرته على معرفة طرائقه وحدوده وضوابطه. والمهم في

(١) عبد الله بانقيب، "خطاب المقدمة بين النقد والحجاج"، ١٥٥.
(٢) المرجع نفسه، ١٦٩.
(٣) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ١٢.

إشارة بانقيب هنا أن هذه العملية ملازمة للنص بدءا من أصغر مكون فيه إلى البناء الكلي للنص، وهذا يقود إلى القول: إن التأويل آلية للتحليل لا غنى للمحلل عنها مهما تعددت مداخل تحليله وآليات وأدوات قراءته.

ومن المهم الإشارة إلى أن المشروع يؤكد تعاضد هذه المداخل التحليلية وتآزرها، وأن المحلل قد يحتاج إلى المدخلين والثلاثة في نص ما، وقد يكتفي بأحدها، حسب ما يقوم عليه مضمون ذلك النص، وحسب الوجه البلاغي الأكثر ظهورا وجلاء فيه. وقد تعرض للقارئ هنا مسألة مهمة، وهي أن المزج بين تقنيات التحليل البلاغي داخل النص الواحد قد يؤدي إلى ما يشبه التلفيق أو التداخل بين التقنيات المستخدمة، وهنا يظهر دور المحلل. إن المزج المتكامل الذي يتأسس على فهم عميق لطريقة التحليل المتبعة، وعلى تحديد مسالك الانتقال بين المداخل، وعلى تحديد الهدف من فحص النص المدروس، ثم يربط بين نتائج التحليل البياني أو الحجاجي أو السياقي وغيره، يعدّ مزية تتيح للمحلل رؤية النص من زوايا مختلفة، وهذا بدوره يعزز القراءة الشمولية للنص، ويدعم ربط البناء اللغوي بسياقه ومقاصده.

ثانيا: أدوات تحليل النص العلمي

لا تتأتى مقدرة الوصول إلى بلاغة نص علمي ما، والكشف عن أساليب بيانه وحجته، إلا بامتلاك المحلل لأداتين مهمتين، وهما:

الإلمام بالمجال العلمي الذي ينتمي إليه النص، ويتضمن ذلك الإلمام بقضاياه ومسائله الكبرى، ذلك أن "النصوص لا تبوح بما فيها إلا للقارئ الخبير الذي ألمّ بمجال هذه النصوص، وعرف مساقها وسياقها، واستحكم العلم بمظانّ دقائقها"(١). وهذ يؤكد لنا أن التحليل الذي يدعو إليه المشروع يخرج عن التحليل الشكلي إلى

(١) المرجع نفسه، ٣٠.

التحليل المضموني أو تحليل المقاصد، كما يتضمن الوعي بالمجال الذي ينتمي إليه النص، وبتطورات النظريات الفلسفية البانية للعلوم بناء على مقولات فلسفة العلم.

امتلاك أدوات تحليل النص الأدبي المعروفة، "من ذوق، ودربة، وخبرة، وثقافة، ومعرفة بطرائق التحليل البلاغي ومناهجه"(١). وهذه أدوات عامة معلومة، ينضاف إليها ما ذكرنا سابقا من مهارة فكّ دقيق العبارة، وتفعيل طاقات العقل التأويلية.

ثالثا: تجليات بلاغة النص العلمي التطبيقية

إن من يطالع بلاغة النص العلمي عند بانقيب يلحظ اهتمامه بالبعد التطبيقي بناء على مفهومه للعلم كما مرّ بنا، حيث قدم قراءات بلاغية لجملة من النصوص المنتقاة من المؤلفات البلاغية والنقدية، بعدّها نصوصا علمية، سلك في قراءتها مسالك متعددة أفصح عنها في بلاغة النص العلمي كونها مداخل لتحليل النصوص العلمية تحليلا بلاغيا.

يتجلى البعد الإجرائي بدءا من دراسته لمقدمات كتب التأسيس البلاغي ومنها: مقدمة كتاب البديع، ومقدمة كتاب دلائل الإعجاز، ومقدمة كتاب المطول، ومقدمة كتاب التحرير والتحبير. وسنلقي الضوء في الفقرات القادمة على دراسته لمقدمة كتاب البديع، ودلائل الإعجاز، وليس الغرض هنا هو تقييم الإجراء، إنما ربطه بالتصور وبيان دوره في صياغة المشروع.

يقرر بانقيب أنه لا يمكن الإحاطة بكل مجالات تحليل النص العلمي تحليلا بلاغيا. فبالإضافة إلى ما اعتاد المحللون عليه من تحليل الجانب اللغوي أسلوبا وتركيبا ودلالة، في مختلف مستويات النص، فإنه يقترح مجالات أخرى منها: سياق الباب، وبناء الباب، ومصادر العالم، وطرق استدلال العالم. وهي مجالات يمكن أن تنزّل على

(١) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٣٢.

مختلف أنواع النصوص العلمية، ولا تتناسب مع النصوص الأدبية، وهذا ملمح بارز في المشروع يكسبه شرعية تمكّن من الإفادة منه، كما يمكن تطويره حسب طبيعة النص العلمي موضع الدرس.

والملاحظ أن بانقيب قد أجرى هذا المقترح في فترات مبكرة، قبل أن يقرره نظريا في بلاغة النص العلمي. ففي تحليله لمقدمة كتاب البديع، تناول النص من خلال ربطه **بسياق الباب** أولا، وذلك عند فحص السياق الأصغر وهو السياق الذي "يعنى بموقع الباب من الأبواب المجاورة التي انبثقت جميعها من فكرة رئيسية أُمّ"(١)، فوجد أن حديث ابن المعتز عن دوافع تأليفه الكتاب "جاء معبرا عن مضمون الكتاب، ومتناسبا معه أشد التناسب، إذ إن الكتاب من بدايته إلى نهايته كان مخلصا لموضوعه، فليس فيه شيء يخرج عن فنون البديع بمصطلح ابن المعتز، وعن فنون البلاغة عموما بمصطلح المتأخرين"(٢). أما السياق الأكبر، فهو عنده ذلك السياق الذي "يعنى بموقع الباب من الكتاب كلا، ومن جملة مصنفات العالم"(٣). وتجلى في ملاحظته خلو مقدمة كتاب البديع من الدعاء وحمد الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: "نجد ابن المعتز نفسه يلتزم بأدبيات افتتاح المقدمة في مقدمة كتابه طبقات الشعراء إن صحت نسبة المقدمة إلى الكتاب"(٤). وهنا يتضح ربطه بين مصنفات ابن المعتز حتى يتمكن من القول بمسلك عام يجمعها، أو ليتأكد من موقع النص المدروس في أسلوبه بالنسبة لبقية مصنفات ابن المعتز.

أما في **بناء الباب**، وهو "من أهم ما يدل على منهج تفكير العالم في تقرير ما

(١) المرجع نفسه، ٦١.
(٢) عبد الله بانقيب، "خطاب المقدمة بين النقد والحجاج"، ٣٩.
(٣) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٦١.
(٤) عبد الله بانقيب، "خطاب المقدمة بين النقد والحجاج"، ٣٧.

يرومه من قضايا ومسائل، وهي لصيقة الدلالة بحركة عقله وهو يصوغ المعرفة، وينسج خيوطها"[١]. فتجلى عند مناقشته رأي أحد الباحثين في بناء مقدمة الكتاب وأنها توزعت عبر فضاءين من الكتاب، واعترض بانقيب بأنه لم يجد في سنن التأليف أن تأتي المقدمة موزعة في أكثر من موضع في الكتاب، "وكل ما في الأمر أن ابن المعتز كان يمهد لقسم آخر من الكتاب تمهيدا لا علاقة له بالمقدمة"[٢].

ومما يدخل في بناء الباب أيضا "الوقوف على طريقة العالم في تقرير القواعد وسوق الشواهد"[٣]، وكان قد تنبه إلى هذا الأمر في مقدمة كتاب البديع، وهي في إشارة ابن المعتز إلى "ناحية منهجية سيتخذها في كتابه تتعلق بأسلوب عرض شواهد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم... وهي إسقاط الأسانيد"[٤]، ثم يعقب بأن هذا التنبيه من لدن ابن المعتز دليل على وعيه بضرورة تهيئة القارئ لطريقة عرض المادة العلمية قبل الدخول إلى مضمونها.

وعند النظر في **مصادر العالم**، أكد أهمية فحصها لأن إغفال ذلك "قد يوقع المحلل في نسبة سمات بلاغية للعالم ليست له... ويمتد الأمر إلى من ينقل الأفكار ثم يصوغها بأسلوبه"[٥]. ومن فائدة ذلك أن البحث في مصادر العالم يقود "إلى إدراك أن العالم كان يحرث في أرض بكر لم تعمل فيها يد قبله"[٦]. وهذا ما تنبه له عند ابن المعتز، فذكر أنه "كان على دراية بأنه يشق طريقا جديدا في التصنيف، ويقوم بعمل

(١) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٣٥.
(٢) عبد الله بانقيب، "خطاب المقدمة بين النقد والحجاج"، ٤٣.
(٣) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٣٦.
(٤) عبد الله بانقيب، "خطاب المقدمة بين النقد والحجاج"، ٤١.
(٥) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٣٩.
(٦) المرجع نفسه، ٤٠.

تأسيسي قد يعتريه النقص"[١]، ولأجل ذلك جاءت المقدمة "نصا تعريفيا بمهمة الكتاب وأهدافه"[٢]، فكان يشير في نص المقدمة أنه فتح بابا ومهد طريقا متاحا لمن يسلكه ويستكمل تعبيده.

أما عن **طرق استدلال العالم** فقد أورد المشروع العديد من الطرق الاستدلالية، من قبيل الاستدلال المباشر بنوعيه؛ التقابل والتكافؤ، والاستدلال غير المباشر بأنواعه؛ الاستقراء والقياس والتمثيل، ثم ذكر الاستقراء بنوعيه التام والناقص، والقياس بنوعيه؛ الاقتراني والاستثنائي، مؤكدا ضرورة موافقة نوع الاستدلال لطبيعة الظاهرة المدروسة[٣]. كما نبه على ضرورة معرفة طرق استنباط النص؛ لارتباطها الوثيق بعقل صاحبه، وأدخل في طرق استدلال العالم طرائق الحوار المتبعة، وما يرتبط بها من إقناع وإمتاع، وكيف يمكن للعالم إفراد سبيل من هذه السبل أو المزج بين سبيلين أو أكثر، وسيتجلى هذا المجال عند تحليل بانقيب للغة عبد القاهر الجرجاني.

وكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني من أكثر المؤلفات البلاغية التي نالت اهتمام بانقيب، ولم يكن هذا الاهتمام بالجديد كما ذكرنا. حيث قرأ عبد القاهر أولا في (البلاغة والأثر النفسي دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني)[٤]، إذ تناولت هذه الدراسة تصورات عبد القاهر للأثر النفسي الذي تحدثه بعض الظواهر البلاغية من قبيل الصورة الحسية، والغموض، والعدول، والمخادعة الأسلوبية، ثم بينت دور المتلقي في تحقيق هذا الأثر النفسي من خلال بعض المقومات التي يتمايز فيها

(١) عبد الله بانقيب، "خطاب المقدمة بين النقد والحجاج"، ٤٠.

(٢) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٤٢.

(٣) المرجع نفسه، (بتصرف)، ٤٢، ٤٣.

(٤) عبد الله بانقيب، "البلاغة والأثر النفسي دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني". (جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٤٢٢هـ).

المتلقون. كما عالج منهج التحليل البلاغي عند عبد القاهر من خلال نظرية النظم، وربط ذلك بالمكونات العلمية والثقافية لعبد القاهر، وبالسياق الثقافي لعصره؛ لأنه يمد مفهوم مصادر العالم في بلاغة النص العلمي إلى البيئة الحضارية والثقافية التي نشأ فيها العالم، ويربط تأليفه بجملة القضايا التي تشغل عصره، ويقرر أن "من أكثر ما يعين على فهم طريقة تفكير العالم دراسة مكوناته العلمية والثقافية والحضارية... وأن عدم الإحاطة بذلك موقع في قصور إدراك منافذ ذلك العقل، وطريقة نظره للواقع، والحياة، والكون"(١). وهذا أيضا مما يدخله في مفهوم السياق الأكبر الذي أشارت إليه الدراسة سابقا، لأنه يشمل "موقع الباب من منظومة العلم الذي يدرج فيه، والعلوم الأخرى التي لها اتصال بهذا العلم"(٢). ومن ذلك أيضا معالجته لعناية عبد القاهر الجرجاني بمسألة فك غموض العبارة العلمية –على سبيل المثال–، وإيضاح ما تشير إليه كل مفردة من مصطلحات البحث البلاغي، ويعني بذلك معالجة عبد القاهر (للفصاحة، والبلاغة، والبيان، والبراعة) إنما هي مسألة صغرى تأتي ضمن سياق معرفي أكبر، وهي "سمة يجب أن يتصف بها منهج البحث في أي علم من العلوم؛ لأن غموض العبارة العلمية مؤدٍ لا محالة إلى تشويه الفكرة التي تحمل، والمراد منها"(٣). وهذا يدل دلالة واضحة أن بانقيب كان يؤسس لربط السياق المعرفي الأصغر الذي يحتضن النص العلمي بسياق أكبر يتعلق بالمجال العلمي نفسه. ويدل على ذلك أيضا تأكيده أن عبد القاهر راجع تراث السابقين وحاول فك غموض عباراتهم وأعاد صياغة بعضها؛ لتيسير فهمها عند المتلقين. وهذا نوع من الحوار العلمي الذي يعده

(١) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٤١.

(٢) المرجع نفسه، ٣٤.

(٣) عبد الله بانقيب، "مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز"، ٣٤٤.

بانقيب جزءا من طرق استدلال العالم لمادة علمه، فإن من أهم طرق الاستدلال "الحوار العلمي الذي يديره العالم حول آرائه، والآراء الأخرى الموافقة لرأيه، والمخالفة له، وما يتخذه من سبل إقناعية في ذلك، ومراتب حوارية"(١).

ومن الإجراءات التي أجراها بانقيب على نصوص عبد القاهر اهتمامه ببناء الباب. وأشارت الدراسة إلى أن "مما يدخل في بناء الباب الوقوف على طريقة العالم في تقرير القواعد وسوق الشواهد"(٢)، فقد ردد في جملة من السياقات أن طريقة استشهاد عبد القاهر تتميز بمزايا نجملها في ثلاث: كثرة سوقه للشواهد والأمثلة "حتى غدت مادة لمن جاء بعده من البلاغيين"(٣). ثم إن شواهده تأتي غالبا من الشعر إذا قورنت بما أورد من شواهد قرآنية، ثم إنه يترك مهمة التذوق والتأمل على عاتق القارئ في كثير من الأحيان. وينتهي بانقيب إلى أن الدافع وراء كثرة استشهادات عبد القاهر من الشعر أنه "كان على وعي بأنه لم يضع كتابا في الإعجاز، وإنما كل ما قصده أن يضع لنا كتابا يدل على طريق الإعجاز"(٤). أما الدافع إلى ترك عبد القاهر التعليق على كثير من الشواهد التي يورد، فقد تنبه إليه بانقيب في مناهج التحليل البلاغي(٥)، وأجاب عنه بعد زمن في بلاغة النص العلمي، فقال: إن عبد القاهر إنما أراد "أن يكون القارئ في مواجهة مباشرة مع الشواهد، لا يحجبه عن تلقيها تعليق ممتد، أو شرح مطول؛ بل عليه أن يواجهها بسلطان الذوق البياني الذي يستشعر ما في البيان

(١) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٤٥.
(٢) المرجع نفسه، ٣٦.
(٣) عبد الله بانقيب، "مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز"، ٤٠٥.
(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٥) المرجع نفسه، (بتصرف)، ٤٠٤.

من مزية وأسرار"[١].

ومن الإجراءات أيضا ما يتعلق بطرق الاستدلال التي أسلفنا القول فيها، فقد نحى في بحثها عند عبد القاهر منحى حجاجيا استدعته طبيعة استدلالات نصوص عبد القاهر العلمية. من ذلك إقراره أن الشواهد التي يعرضها عبد القاهر الجرجاني في باب حذف المبتدأ، إنما هي حجج على دعوى عامة قررها عبد القاهر في بداية الباب، "فجاءت الشواهد الشعرية لتدفع دوافع الإنكار، ولتقيم الحجة والدليل على صحة الدعوى"[٢]. ليخلص إلى نتيجة مؤداها أن الباب بني على ثلاثة معالم حجاجية رئيسية، هي الدعوى (فاتحة الباب)، والدليل (شواهد الباب)، وضمان إجراء الدليل على وجهه الصحيح (تعقيب عبد القاهر على شواهده)[٣].

وتستدعي بلاغة النص العلمي عند معالجة هذه المجالات كل الأدوات البلاغية الممكنة، حسب ما يتطلب النص، سواء أكانت أدوات التحليل البلاغي المعروفة المدرجة في أبواب البلاغة ومباحثها (علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع)، أم كانت من آليات التحليل الأسلوبي، أم بآليات التحليل الحجاجي كما مرّ بنا. فمن المواضع التي استدعى فيها الآليات الأسلوبية النقدية تحليله لباب حذف المبتدأ عند عبد القاهر الجرجاني في دلائله[٤]، إذ حلل فيها بعض التراكيب البارزة، على مختلف المستويات: صوتيا، ومعجميا، وصرفيا، وتركيبيا، ودلاليا، وربطها بالسياق العام للمقدمة. كل ذلك في إطار معطيات علوم البلاغة الثلاثة، مزجا بمفاهيم الدرس

(١) عبد الله بانقيب، "بلاغة النص العلمي"، ٦٩.
(٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(٣) المرجع نفسه، ٧٣.
(٤) المرجع نفسه، ٧٦ وما بعدها.

الأسلوبي الحديث، وربطا بتقنيات التحليل الحجاجي.

تأسيسا على ما سبق من قول في بلاغة النص العلمي، نجد أن محاولة بانقيب رغم حداثة عهدها إلا أنها محاولة منظمة من شأنها أن تفتح الباب لدراسات تفيد من المقترح التطبيقي لتنزيله على نصوص علمية من مجالات معرفية مختلفة طبيعية وإنسانية. ونستحضر هنا –تأكيدا لجدوى الدرس– محاولة سابقة لدراسة نص علمي دراسة بلاغية نشرت بعنوان (البلاغة والخطاب العلمي اتصال أم انفصال)[١] عالج فيها الباحث إمكانية وجود صلات بين البلاغة والعلم انطلاقا من البينية، من خلال التطبيق على بعض المقالات العلمية الفيزيائية، مستفيدا من الأدوات البلاغية المختلفة قديمة وجديدة، لينتهي إلى نتيجة مؤداها أن العلاقة بين المجالين واضحة، "ارتكازا على معيارية إقناعية وكشفية، عبر تقنيات التفكير الخارجي للخطاب التعريف والاقتباس الداعم والتمثيلية التي شكلت ملمحا رئيسا في الخطاب العلمي تصويرا ورسما، فلم يخل مقال علمي منها فيزيائيا أو بيولوجيا"[٢]. وتتفق الدراستان في الإفادة من آليات التحليل البلاغي، إقناعيا، وفنيا بيانيا، عند فحص النص العلمي.

(١) سعد عماد شعير، "البلاغة والخطاب العلمي: اتصال أم انفصال". *مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود*، ٣٢، ٣، (٢٠١٩م).

(٢) سعد عماد شعير، "البلاغة والخطاب العلمي اتصال أم انفصال"، ٣٠٧٢.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج وهي:

- قدّمت بلاغة النص العلمي إسهاما يعتدّ به للردّ على من يعدّ البلاغة العربية قاصرة على اللغة الفنية الجمالية، وأنه ليس بوسعها معالجة النصوص العلمية، وأنها تقوم على الجملة الواحدة ولا تمتد إلى النص كاملا.
- إنّ الطريقة التي عولج بها المشروع هي الطريقة الاستقرائية، حيث بدأ بانقيب في مؤلفات سابقة بتطبيقات بلاغية على نصوص علمية، ثم وضع قاعدتها النظرية أخيرا في كتاب بلاغة النص العلمي.
- يُحمد لبلاغة النص العلمي الالتفات إلى تحليل العبارات الواضحة الدقيقة محكمة، في الوقت الذي سيطر فيه تحليل اللغة المجازية على تقنيات التحليل البلاغي.
- تجلّت آلية الجمع بين السمتين الذوقية والعلمية، بالاستعانة بعمليات التأويل وطرائقها الحديثة، مزجا بالأدوات البلاغية التراثية، وهذا منح المشروع مرونة وحيوية خاصة.
- أكّد المشروع وجود العلاقة البينية بين البلاغة العربية ومختلف ميادين المعرفة الإنسانية والطبيعية، إذ تداخل البحث البلاغي مع الفلسفة والمنطق، والتفسير والحديث، واللسانيات، والتداوليات، وعلم النص، وعلم الاجتماع، والعلوم الطبيعية بمختلف منابعها.
- يمكن إضافة بعض المقترحات على مجالات تحليل النص العلمي، من قبيل درس ظاهرة الإيجاز التي تتسم بها النصوص العلمية، أو درس أثر النص

العلمي في المتلقي، سواء أكان الأثر النفسي أم الأثر العقلي الإقناعي، ودرس مقدرة النص العلمي على مطابقته لمقتضى الحال، وقدرته على التصوير والوصف الدقيق مما يجعل الموضوع المعروض ليس مجرد سرد للظاهرة العلمية؛ بل تجربة حسية مرئية تفاعلية.

والحمد لله ربّ العالمين..

المصادر والمراجع:

أبو موسى، محمد محمد.
"**مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني**"، (ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣١هـ).
"**المسكوت عنه في التراث البلاغي**"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٨هـ).
إسلام، عزمي. "**في فلسفة العلوم الإنسانية**"، (الكويت: عالم الفكر، م١٥، ع٣، ١٩٨٤م).
بانقيب، عبد الله عبد الرحمن.
"**المسؤولية النقدية في كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني**"، (ط١، الأردن: عالم الكتب الحديث، ١٤٣٢هـ).
"**رؤى في البلاغة والنقد**"، (ط١، جدة: النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٤٣٧هـ).
"**مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرماني ٣٨٦هـ إلى عبد القاهر الجرجاني ٤٧١هـ**"، (ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ).
"**خطاب المقدمة بين النقد والحجاج**"، (ط١، لأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٣هـ).
"**بلاغة النص العلمي، نحو تأسيس نظري ومقترح تطبيقي**"، (ط١، الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٦هـ).
الدعدي، يوسف طفيف. "**خطاب التجديد في الفكر البلاغي عند الشيخ محمد أبي موسى، ملامحه وتجلياته**"، (السعودية: مجلة الجامعة الإسلامية وآدابها، ع١٥/ ج٢، د.ت).
روزنبرج، أليكس. "**فلسفة العلم مقدمة معاصرة**"، ترجمة: أحمد عبد الله السماحي،

فتح الله الشيخ، مراجعة: نصار عبد الله، (ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١١م).

سعد، محمود توفيق محمد. **"في نقد العقل البلاغي"**، (ط١، الإمارات: مجلس حكماء المسلمين، ١٤٤٠هـ).

سعيد، هاني علي. **"قراءة في المشاريع البلاغية المعاصرة وجدلية القديم والجديد في البلاغة"**، *(مصر: مجلة الدراسات الأدبية والإنسانية بجامعة كفر الشيخ*، ع٢٦، ٢٠٢٢م).

شعير، سعد عماد. **"البلاغة والخطاب العلمي: اتصال أم انفصال"**، *(مصر: مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود*، ع٣٢، ج٣، ٢٠١٩م).

صمود، حمادي. **"التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس"**، (ط٣، أفريقيا الشرق، ١٩٩٨م).

العمري، محمد. **"أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة"**، (د.ط، المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠١٣م).

قاسم، محمد. **"كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي"**، (د.ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦م).

النجار، محمد عبد الفتاح إبراهيم. **"من البلاغة القرآنية إلى مدارج التزكية"**، *(الإسكندرية: مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية*، ع٤١، ٢٠٢٥م).

المواقع الالكترونية:

محمد، باقر جاسم. **"في بلاغة الخطاب العلمي والأكاديمي"**، مقال على الانترنت https://www.iraqicp.com/index.php/sections/literature/20620-2019-05-25-18-52-37

Bibliography

Abū Mūsá, Muḥammad Muḥammad.
"Madkhal ilá Kitābī ʻAbd al-Qāhir al-Jurjānī", (2nd ed., Cairo: Maktabat Wahbah, 1431 AH).
"al-Maskūt ʻanhu fī al-Turāth al-Balāghī", (1st ed., Cairo: Maktabat Wahbah, 1438 AH).
Islām, ʻAzmī. "fī Falsafat al-ʻUlūm al-Insānīyah", (Kuwait: ʻĀlam al-Fikr, 1984).
Bānaqib, ʻAbdullāh ʻAbd al-Raḥmān.
"al-Masʾūlīyah al-Naqdīyah fī Kitāb al-Wasāṭah baina al-Mutanabbī wa-Khuṣūmih lil-Qāḍī al-Jurjānī", (1st ed., Jordan: ʻĀlam al-Kutub al-Ḥadīth, 1432 AH).
"Ruʾá fī al-Balāghah wa-al-Naqd", (1st ed., Jeddah: The Jeddah Literary and Cultural Club).
"Manāhij al-Taḥlīl al-Balāghī ʻinda ʻUlamāʾ al-Iʻjāz min al-Rummānī 386 AH ilá ʻAbd al-Qāhir al-Jurjānī 471 AH", (1st ed., Riyadh: Dār Kunūz Ishbīliyā, 1430 AH).
"Khiṭāb al-Muqaddimah baina al-Naqd wa-al-Ḥijāj", (1st ed., Jordan: Dār Kunūz al-Maʻrifah, 1443 AH).
"Balāghat al-Naṣṣ al-ʻIlmī, Naḥwa Taʾsīs Naẓarī wa-Muqtaraḥ Taṭbīqī", (1st ed., Jordan: Dār Kunūz al-Maʻrifah, 1446 AH).
al-Daʻdi, Yousuf Ṭafīf. "Khiṭāb al-Tajdīd fī al-Fikr al-Balāghī ʻinda al-Shaikh Muḥammad Abī Mūsá, Malāmiḥuh wa-Tajalliyātuh", (Saudi: Islamic University Journal of Arabic Language and its Arts, issue15 / vol.2, no D).
Rosenberg, Alex. "Philosophy of Science: A Contemporary Introduction", translated by: Aḥmad ʻAbdullāh al-Samāḥī, Fatḥ Allāh al-Shaykh, revised by: Naṣṣār ʻAbdullāh, (1st ed., Cairo: National Center for Translation, 2011).
Saʻd, Maḥmūd Tawfīq Muḥammad. "fī Naqd al-ʻAql al-Balāghī", (1st ed., Emirates: Muslim Council of Elders, 1440 AH).
Saʻīd, Hānī ʻAlī. "qirāʾah fī al-Mashārīʻ al-balāghīyah al-muʻāṣirah wa-jadalīyat al-qadīm wa-al-jadīd fī al-balāghah", (Miṣr : Majallat al-Dirāsāt al-adabīyah wa-al-insānīyah bi-Jāmiʻat Kafr al-Shaykh, ʻ26, 2022m).
Shuʻayr, Saʻd ʻImād. "A reading of contemporary rhetorical projects and the dialectic of the old and the new in rhetoric," (in Arabic). (Egypt: Journal of Literary and Humanistic Studies at Kafr El-

Sheikh University, No. 26, 2022).

Ṣammūd, Ḥammādī. "al-Tafkīr al-Balāghī ʻinda al-ʻArab Ususuhu wa-Taṭawwuruh ilá al-Qarn al-Sādis", (3rd ed., East Africa, 1998).

al-ʻAmrī, Muḥammad. "Asʼilat al-Balāghah fī al-Naẓarīyah wa-al-Tārīkh wa-al-Qirāʼah", (D. Ṭ, al-Morocco: East Africa, 2013).

Qāsim, Muḥammad. "Karl Popper's Theory of Knowledge in Light of the Scientific Method", (in Arabic). (no ed., Alexandria: Dār al-Maʻrifah al-Jāmiʻīyah, 1986).

al-Najjār, Muḥammad ʻAbd al-Fattāḥ Ibrāhīm. "Min al-Balāghah al-Qurʼānīyah ilá Madārij al-Tazkiyah", (Alexandria: Journal of the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Alexandria, iss. 41, 2025).

Muḥammad, Bāqir Jāsim. "fī Balāghat al-Khiṭāb al-ʻIlmī wa-al-Akādīmī", an online article https : / / www. iraqicp. com / index. php / sections / literature / 20620-2019-05-25-18-52-37

بلاغَةُ النَّظْمِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ فِي المُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ-دراسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

The Rhetoric of Structural Cohesion in Negative Nominal Sentence Constructs within the Seven Mu'allaqat An Analytical Study

د. عواد بن ملفي بن زايد الشمري

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة حائل

البريد الإلكتروني: aw.alshammary@uoh.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
31/08/2025		15/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-007		

المُسْتَخْلَصُ

دَرَسَ البَحْثُ مَوْضُوعَ "بَلَاغَةُ النَّظْمِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ فِي المُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ" دِرَاسَةً تَحْلِيلِيَّةً. وَهَدَفَ إِلَى الكَشْفِ عَنْ بَلَاغَةِ النَّظْمِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ بـ"لَيْسَ" وَ"لَا" وَ"مَا"، وَإِلَى مُحَاوَلَةِ الإِسْهَامِ فِي تَوْسِيعِ أُفُقِ الدَّرْسِ البَلَاغِيِّ بِدِرَاسَةِ الأَسَالِيبِ اللُّغَوِيَّةِ دِرَاسَةً تَسْعَى إِلَى بَيَانِ دُورِهَا البَلَاغِيِّ فِي التَّرْكِيبِ. وَاتَّبَعَ البَحْثُ المَنْهَجَ الوَصْفِيَّ التَّحْلِيلِيَّ؛ لِأَنَّ البَحْثَ يَسْعَى إِلَى تَوْظِيفِ نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ فِي الكَشْفِ عَنِ اللَّطَائِفِ البَلَاغِيَّةِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ، وَتَوْظِيفُ النَّظْمِ يُنَاسِبُهُ اتِّبَاعُ المَنْهَجِ الوَصْفِيِّ التَّحْلِيلِيِّ. وَسَارَ البَحْثُ عَلَى خُطًا إِجْرَائِيَّةٍ تَمَثَّلَتْ فِي الآتِي: أَوَّلًا: ذِكْرُ البَيْتِ الشِّعْرِيِّ. ثَانِيًا تَحْدِيدُ مَوْضِعِ الشَّاهِدِ مِنَ البَيْتِ الشِّعْرِيِّ. ثَالِثًا: تَحْلِيلُ التَّرْكِيبِ المَنْفِيِّ تَحْلِيلًا بَلَاغِيًّا. وَتَوَصَّلَ البَحْثُ إِلَى عِدَّةِ نَتَائِجَ مِنْ أَبْرَزِهَا: شُيُوعُ اسْتِعْمَالِ "لَيْسَ" فِي شِعْرِ المُعَلَّقَاتِ بِصُورَةٍ كَبِيرَةٍ، فَوَرَدَتْ عِنْدَ جَمِيعِ شُعَرَاءِ المُعَلَّقَاتِ بِاسْتِثْنَاءِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الَّذِي لَمْ يَسْتَعْمِلْ نَفْيَ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ مُطْلَقًا، بَيْنَمَا تَقَارَبَ اسْتِعْمَالُ أَدَاتَيْ النَّفْيِ "لَا" وَ"مَا" فِي ذَلِكَ الشِّعْرِ. وَدَلَالَةُ أُسْلُوبِ النَّفْيِ عَلَى مَعَانٍ عِدَّةٍ: كَالفَخْرِ وَالسُّخْرِيَّةِ وَالتَّعَجُّبِ وَالاسْتِدْرَاكِ وَالتَّحْذِيرِ وَالحَثِّ والتَّحْضِيضِ.

الكَلِمَاتِ المِفْتَاحِيَّة: نَظْمٌ، بَلَاغَةٌ، أُسْلُوبٌ، نَفْيٌ، مُعَلَّقَاتٌ.

Abstract

This study undertakes a meticulous analytical examination of the theme: "The Rhetoric of Structural Cohesion in Negative Nominal Sentence Constructs within the Seven Mu'allaqat." Its principal objectives are to illuminate the rhetorical artistry inherent in the structural composition of negative nominal sentences formed with *laysa*, *lā*, and *mā*, and to contribute to the expansion of rhetorical scholarship through an investigation of linguistic styles that underscores their rhetorical function within syntactic formations.

Employing a descriptive-analytical methodology, the research applies the theory of structural cohesion (*nazm*) to reveal the nuanced rhetorical dimensions embedded within negative nominal constructions—an approach well-suited to the chosen methodological framework. The investigation adhered to a systematic procedure comprising: first, the citation of the poetic line; second, the pinpointing of the pertinent excerpt within the verse; and third, a detailed rhetorical analysis of the negative structure.

Among its salient conclusions, the study discerns the predominant use of *laysa* throughout the Mu'allaqat, observed in the works of all the poets save Labīd ibn Rabīʿah, who entirely abstained from employing nominal sentence negation. By contrast, the occurrences of the negative particles *lā* and *mā* proved to be relatively commensurate. Furthermore, the analysis disclosed that the rhetorical use of negation conveys a spectrum of meanings, including but not limited to: pride, sarcasm, astonishment, rectification, warning, exhortation, and instigation.

Keywords: structural cohesion, rhetoric, style, negation mu'allaqat.

المُقَدِّمَةُ

تُعدُّ نظريَّةُ النَّظمِ طريقةً فاعلةً في التَّحليل البلاغيّ؛ لأنَّها تتعامل مع التَّركيب على أنَّه نظم من الكلمات الَّتي تؤدِّي كلُّ واحدة منها وظيفةً في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فهي نظريَّةٌ تسعى إلى كشف ما انطوى عليه التَّركيب من دلالات ومعانٍ بلاغيَّة. وهذه السِّمة فيها جعلتها مناسبة لتحليل البيان العالي المتَّسم بالعمق والجزالة.

ويأتي الشِّعر الجاهليُّ في أعلى طبقات الشِّعر العربيّ؛ "فهو الأصل والرَّافد للشِّعر العربيّ في العصور الَّتي تلتْ الجاهليَّة إلى يومنا هذا، وأنَّ مَن يُحْسن فهم الشِّعر ويصبر على مراجعته لا يتردَّد في القطع بأنَّ شِعر الجاهليَّة هو أصفى شِعر العربيَّة، وأسخاه، وأَسْرَاه..."[(١)]. وهذا الشِّعر نفسه له تصنيفات من حيث الجودة والامتياز يأتي في طليعتها شِعر المعلَّقات، فهي ذروة سنام الشِّعر الجاهليّ؛ وذلك لِمَا فيها من ملامح إبداعيَّة، وخصائص بلاغيَّة، ولطائف بيانيَّة جعلتْ الأدباء والدَّارسينَ والنُّقَّاد يُقبلون عليها بالحفظ والدَّرس والشَّرح والتَّحليل.

ونصوص المعلَّقات حافلة بالأساليب اللُّغويَّة المتنوِّعة، ومن هذه الأساليب أسلوب النَّفي الَّذي له حضور بارز فيها من حيث: غزارته، وتنوُّع أدواته، ودلالاته البلاغيَّة، ودوره في تشكيل معاني الشُّعراء.

وعلى ضوء ما تقدَّم، فإنَّ لموضوع "بَلَاغَةُ النَّظْمِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ فِي المُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ" أهميَّةً في توثيق الصِّلة بشعرنا العربيّ الأصيل؛ وذلك بدراسة أحد الأساليب اللُّغويَّة في نصوص شِعريَّة بلغتْ ذروة بيان العرب الشِّعريّ، معتمدة على نظريَّة بلاغيَّة قادرة على سبر غوره، وكشف أسراره، وإبراز لطائفه.

(١) محمَّد أبو موسى، "الشِّعر الجاهليُّ: دراسة في منازع الشُّعراء". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٨م)، ٦.

أَسْبَابُ اخْتِيَارِ المَوْضُوعِ:

تعود أسباب اختيار موضوع البحث إلى الآتي:

- الرَّغبةُ في دراسة الشِّعر الجاهليّ، وتوثيق الصِّلة به، في مدوَّنة طالما وُضَعَتْ في علياء نِتَاج العرب الشِّعريّ.
- حضور أسلوب النَّفي، على اختلاف أدواته، في شِعر المعلَّقات على نحو لافت.
- خلوُّ المدوَّنة البلاغيَّة من دراسة بلاغيَّة تخصُّ أسلوب النَّفي في شِعْر المعلَّقات بالدَّرس والتَّحليل، وإظهار ما وراء التَّركيب من نُكَتٍ ولَطَائِفَ بلاغيَّةٍ.

أَهْدَافُ البَحْثِ:

للبحث أهدافٌ يسعى إلى إنجازها، وتتمثَّل في النُّقط الآتية:

- الكشف عن بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"ليس".
- الكشف عن بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"لا".
- الكشف عن بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"ما".
- الإسهام في توسيع أفق الدَّرس البلاغيّ، وذلك بدراسة الأساليب اللُّغويَّة دراسة تسعى إلى بيان دورها البلاغيّ في التَّركيب.

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةِ:

شِعر المعلَّقات وأسلوب النَّفي حظيا بدراسات كثيرة يصعب حصرها أو الوقوف عليها، إلَّا أنَّ موضوع البحث، وهو "بَلَاغَةُ النَّظْمِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ فِي المُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ"، لم يقف الباحث على مَن درسه دراسةً بلاغيَّةً تُعنى بكشف أسرار النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة فيه.

هذا، وقد استفاد البحث من دراسة نحويَّة لأسلوب النَّفي في المعلَّقات، بعنوان "أسلوب النَّفي وأدواته في المعلَّقات العشر"، للدُّكتور سعد سيِّد أحمد عبد الرَّحيم، وهي دراسة نحويَّة منشورة في مجلَّة كلِّية الآداب في جامعة الفيُّوم في عدد (يناير

٢٠١٩م)، ومناط استفادة البحث من تلك الدِّراسة يكمن في الانتفاع بالإحصاء الَّذي أجرته لأساليب النَّفي في المعلَّقات.

مَنْهَجُ البَحْثِ:

طبيعة الموضوع اقتضت اتِّباع المنهج الوصفيِّ التَّحليليِّ؛ لأنَّ البحث يسعى إلى توظيف نظريَّة النَّظم في الكشف عن اللَّطائف البلاغيَّة في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة، وتوظيف النَّظم يناسبه اتِّباع المنهج الوصفيِّ التَّحليليِّ. وسار البحث على خُطًا إجرائيَّة تمثَّلت في الآتي:

أوَّلًا: ذِكْرُ البيت الشِّعريِّ.

ثانيًا تَحْدِيدُ مَوْضِعِ الشَّاهد من البيت الشعري.

ثالثًا: تَحْلِيلُ التَّرْكِيبِ المنفيِّ تحليلًا بلاغيًّا.

حُدُودُ البَحْثِ:

سَيَعْمَدُ البحثُ إلى دراسةِ بَلَاغَةِ النَّظْمِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ فِي المُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وهي: معلَّقة امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شدَّاد، والحارث بن حِلِّزَة. فهؤلاء أصحاب المعلَّقات كما هو متواتر ومثبت "في أكثر الروايات"(١)، وهم الشُّعراء "الَّذين اختار حمَّاد الرَّاوية قصائدهم، فألَّف منها اختياراته"(٢)، وهي المثبتة في أبرز شرح لها، وهو شرح ابن الأنباريِّ المسمَّى بـ"شرح القصائد السَّبع الطِّوال". وسيعتمد البحث في دراسته لهذه التَّراكيب على رواية أبيات المعلَّقات من هذا الشَّرح بتحقيق: عبد السَّلام هارون.

(١) كارل بروكلمان، "تاريخ الأدب العربيِّ". ترجمة عبد الحليم النَّجَّار، (ط٥، القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ١: ٦٧.

(٢) جواد علي، "المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام". (د.ط، بغداد: جامعة بغداد، د.ت)، ٩: ٥١٩.

خُطَّةُ البَحْثِ:

تكوَّن هيكل البحث من العناصر الآتية:

التَّمهيد: وفيه:

أوَّلًا: أسلوب النَّفي الصَّريح.

ثانيًا: أسلوب النَّفي الضِّمنيّ.

المبحث الأوَّل: بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"ليس".

المطلب الأوَّل: تركيب "ليس" مع اسمها المحذوف وخبرها نكرة اتَّصلتْ به باء زائدة.

المطلب الثَّاني: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها نكرة اتَّصلتْ به باء زائدة.

المطلب الثَّالث: تركيب "ليس" مع خبرها (شبه الجملة) واسمها نكرة.

المطلب الرَّابع: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها معرفة اتَّصلتْ به باء زائدة.

المطلب الخامس: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها معرفة.

المطلب السَّادس: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها جملة فعليَّة.

المطلب السَّابع: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها شبه جملة.

المطلب الثَّامن: تركيب "ليس" مع خبرها شبه جملة واسمها معرفة.

المطلب التَّاسع: تركيب "ليس" مع خبرها جملة فعليَّة واسمها نكرة.

المبحث الثَّاني: بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"لا".

المطلب الأوَّل: تركيب "لا" مع اسمها نكرة مبني على الفتح المُقدَّر وخبرها شبه جملة.

المطلب الثَّاني: تركيب "لا" مع المبتدأ نكرة والخبر محذوف.

المطلب الثَّالث: تركيب "لا" مع اسمها مضافًا، وخبرها محذوف.

المطلب الرَّابع: تركيب "لا" مع اسمها وخبرها جملة فعليَّة.

المطلب الخامس: تركيب "لا" مع اسمها محذوف وخبرها اتَّصلت به باء زائدة.

المطلب السادس: تركيب "لا" مع المبتدأ ضميرًا والخبر جملة فعليَّة.

المبحث الثَّالث: بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"ما".

المطلب الأوَّل: تركيب "ما" مع اسمها وخبرها اتَّصلت به باء زائدة.

المطلب الثَّاني: تركيب "ما" مع المبتدأ مع إلَّا والخبر.

المطلب الثَّالث: تركيب "ما" مع "إنْ" الزَّائدة والخبر شبه جملة مقدَّم والمبتدأ نكرة مؤخَّر.

الخاتمة: وضُمِّنتْ نتائج البحث وتوصياته.

المصادر والمراجع: ودُوِّنَ فيها ما رجع له البحث من كُتب وأبحاث ودراسات.

التَّمْهِيدُ

أُسْلُوبُ النَّفِي:

الخبر في عُرف البلاغيّين هو كلُّ قول يصحُّ أنْ تقول لقائله صدقت فيه أو كذبت، يقول ابن فارس: "أمَّا أهل اللُّغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنَّه إعلام، تقول: أخبرته أخبره، والخبر هو العلم. وأهل النَّظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرًا في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم"(١).

وابن فارس نظر إلى الخبر من زاويتين، لكنَّ مفهوم الخبر أوسع من ذلك؛ لأنَّه يستخدم في معانٍ متعدِّدة بحسب اصطلاح أهل كلِّ علم، فالخبر –مثلًا– عند أهل متن اللُّغة بمعنى العلم، وعند أهل النَّحو قسيم المبتدأ، وعند أهل البلاغة قسيم الإنشاء.

والخبر قسيم الإنشاء يأتي مثبتًا في تراكيب، ويسمَّى الخبر المثبت. ويأتي في تراكيب أخرى منفيًّا، ويسمَّى الخبر المنفيَّ.

وعلى هذا فالنَّفي ضدُّ الإثبات حتَّى عرَّفوه بضدِّه فقالوا: "النَّفي: خلاف الإثبات، ويُسمَّى الجحد، وهو من الحالات الَّتي تلحق المعاني التَّامَّة والتَّعبيرات الكاملة، وكلُّ معنى يلحقه النَّفي يُسمَّى منفيًّا"(٢).

والَّذي يهمُّ البحث الخبر المنفيُّ، فهو يأتي كثيرًا في شِعر وقليلًا في آخر بحسب أحوال القول، قال أسامة ابن منقذ: "اعلم أنَّ النَّفي قد كَثُرَ في أشعار العرب

(١) أحمد بن فارس، "الصَّاحبي". تحقيق: السَّيِّد أحمد صقر، (د.ط، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت)، ٢٨٩.

(٢) محمَّد سمير اللبدي، "معجم المصلحات النَّحويَّة والصَّرفيَّة". (ط١، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ١٩٨٥م)، ٢٢٧.

المحدثين"[1]، وهذا حكم أكَّده ابن منقذ بالأمر و"أنَّ" و"قد" المؤكِّدتين، إلَّا أنَّ في كلامه نظرًا؛ لأنَّ الَّذي يحدِّد نوع الخبر من إثبات أو نفي أحواله، ففي حال الهجوم -مثلًا- تكثر الأخبار المثبتة، وفي حال الدِّفاع تكثر الأخبار المنفيَّة، ولذلك تجد للشَّاعر نفسه قصيدة كثُرتْ فيها الأخبار المثبتة وقلَّت في قصيدة أخرى.

وللخبر المنفيّ قسمان: فالقسم الأوَّل يسمَّى بالنَّفي الصَّريح، والقسم الثَّاني يسمَّى بالنَّفي الضِّمني.

وسيعرض البحث لهذين القسمين في عجالة موجزة في الآتي:

أوَّلًا: النَّفي الصَّريح:

ويسمَّى -أيضًا- بالنَّفي المحض، وهو أسلوب يفيد النَّفي بواسطة أدوات مخصوصة، وهي: لم، ولمَّا، وما، وإنْ، ولا، ولات، ولن، وليس، وغير. فإذا أردتَّ -مثلًا- نفي جملة: "سافر زيد"، أضفتَ في أوَّلها أداة نفي فتقول: لم يسافر زيد. وسمِّي صريحًا؛ لأنَّك صرَّحتَ بذكر الأداة فيه.

ثانيًا: النَّفي الضِّمنيُّ:

ويُسمَّى -أيضًا- بالنَّفي غير المحض، وهو أسلوب يفيد النَّفي من دون واسطة أدوات النَّفي الصَّريح، وذلك كقولك لمحاورك: "كلامك يفتقد الصِّحة"، فأنتَ نفيتَ كلامه، ولم تستعمل أداة من أدوات النَّفي الصَّريح؛ ولذلك سُمِّي ضمنيًّا، وفي هذا الأسلوب أدب ولباقة في الحوار؛ لأنَّك تجنَّبتَ التَّصريح بالنَّفي.

والنَّفي الضِّمنيُّ له طرائق كثيرة كالَّذي تقدَّم، أو كالاستثناء والإضراب والاستدراك، أو غير ذلك.

---

(١) أسامة بن منقذ، "البديع في نقد الشِّعر". تحقيق: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، (د.ط، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ت)، ١٢٣.

هذا، والبحث سيدرس النَّفي الصَّريح دون الضِّمنيّ؛ لأنَّ الموضوعين مختلفان، وسيدرس أسلوب النَّفي في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة دون الفعليَّة؛ لأنَّ دراستهما معًا سيطيل أمد البحث، وسيدرس من أدوات نفي الجملة الاسميَّة: "ليس، ولا، وما"؛ لأنَّها الأدوات الَّتي نُفيتْ فيها الجملة الاسميَّة في المعلَّقات، فجاءتْ الجملةُ الاسميَّةُ في المعلَّقات السَّبع منفيَّةً بـ"ليس" سبع عشرة مرَّة، وبـ"لا" ستَّ مرَّات، وبـ"ما" خمس مرَّات، وفي المباحث الآتية بيان لبلاغة النَّظم فيها:

المبحث الأوَّل: بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"ليس"

وَرَدَتْ الجملةُ الاسميَّةُ في المعلَّقات السَّبع منفيَّة بـ"ليس" سبع عشرة مرَّة، فوردت خمس مرَّات عند عنترة بن شدَّاد، وأربع مرَّات عند طرفة بن العبد، وثلاث مرَّات عند امرئ القيس، وثلاث مرَّات عند الحارث بن حلِّزة، ومرَّة عند زهير، ومرَّة عند عمرو بن كلثوم، ولم ترد عند لبيد بن ربيعة.

ويتَّضح ممَّا سبق أنَّ هذه الأداة تفاوتَ توزُّعها في شِعر المعلَّقات، فنجد أنَّها بلغت الذُّروة عند عنترة في حين انعدمتْ عند لبيد.

هذا، وجاءتْ التَّراكيب المنفيَّة بـ"ليس" في تسع صور، وسيعرضها البحث في المطالب التسعة الآتية:

المطلب الأوَّل: تركيب "ليس" مع اسمها المحذوف وخبرها نكرة اتَّصلتْ به باء زائدة

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع ثمانيَ مرَّاتٍ، فورد في معلَّقة امرئ القيس مرَّتينِ، فاستعمله في المرَّة الأولى في وصف عنق محبوبته، وذلك في قوله[1]:

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ

والشَّاهد قوله: "... لَيْسَ بِفَاحِشٍ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (فاحش) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف المقدَّر بـ(هو) يعود على (الجِيد)، وأصل التَّركيب: ليس الجِيد فاحشًا.

وبتأمُّل التَّركيب تجد أنَّه حذف منه المسند إليه (الجِيد)؛ لأنَّه مفهوم من قوله: "وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيْمِ"، وَذَكَرَ المسند (بفاحش)؛ لأنَّه مجهول، فكلُّ معروف يُحذف من التَّركيب بشرط ألَّا يترتب على ذكره غرض بلاغيٌّ، وكلُّ مجهول لا يُحذف من التَّركيب، وهذا ما صنعه الشَّاعر في تركيبه المنفيّ؛ فحذف المعروف (المسند إليه)،

(١) محمَّد بن القاسم الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات". تحقيق:: عبد السلام هارون، (ط٥، القاهرة: دار المعارف، د. ط)، ٦١.

وذكر المجهول (المسند). والفاحش ما جاوز حدَّ الاعتدال، فالفاحش كلُّ "شيء جاوز قدْرَهُ وحدَّهُ"[١]، وزيادة (الباء) في قوله: "بفاحش" أضفتْ على معنى النَّفي تأكيدًا وتقوية، فكلُّ زيادة في المبنى تستبع زيادة في المعنى، وتضاعفتْ معاني التَّأكيد والتَّقوية في مجيء كلمة (فاحش) على صيغة اسم الفاعل، فأفادتْ الصِّيغة ثبوت نفي الفُحش؛ لأنَّ صيغة اسم الفاعل تُفيد الثُّبوت فهي "أدوم وأثبت من الفعل"[٢] ووقعتْ الجملة المنفيَّة "لَيْسَ بِفَاحِشٍ" نعتًا لما قبلها (الجيد)، فأفاد التَّركيب المنفيُّ عناية الشَّاعر في تقصِّي أوصاف عنق محبوبته. والمعنى على ضوء تحليل التَّركيب المنفيِّ: عنقٌ اعْتَدَلَ قوامُهُ واكْتَمَلَ حُسْنُهُ على أجمل صورة وأتمّ ما يكون.

والمرَّة الثَّانية الَّتي أُستعمل فيها التَّركيب في معلَّقة امرئ القيس جاءتْ في وصف فرسه، وذلك في قوله[٣]:

ضَلِيعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

وموضع الشَّاهد جاء في قوله: "... لَيْسَ بِأَعْزَلِ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (أعزل) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف المقدَّر بـ(هو) يعود على (ذيل فرسه)، وأصل التَّركيب: ليس الذَّنَبُ أعزلَ.

وبالنَّظر في التَّركيب تجد أنَّ المسند إليه (ذيل فرسه) محذوف، والغرض من حذفه: الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر[٤]؛ لأنَّ قوله: "سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ"

(١) محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب". تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، (د.ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت)، مادة فحش، ٥: ٣٣٥٦.

(٢) فاضل صالح السَّامرائي، "معاني الأبنية في العربية". (ط٣، عمَّان: دار عمَّار، ٢٠١٢م)، ٤١.

(٣) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٩٠.

(٤) من الأغراض البلاغية لحذف المسند إليه. يُنظر: يوسف بن أبي بكر السَّكاكي، "مفتاح العلوم". تحقيق: نعيم زرزور، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٧م)، ١٧٦

قرينة لفظيَّة تدلُّ على المحذوف ولا داعٍ بلاغيٌّ لذكره، وجاء المسند (بأعزل) نكرة متَّصلة به باء زائدة، والأعزل عيب يكون في عَسِيبِ ذَنَب الفرس تجعله يميل إلى إحدى ناحيتي الفرس، "ويُكره من الفرس أن يكون أعزلَ، ذَنَبه في ناحية"(١)، فنفى الشَّاعر عن فرسه هذه الصِّفة، وزاد النَّفي تأكيدًا بإدخال حرف الجرِّ الزَّائد "الباء" على خبر "ليس"؛ ليعطي معنى النَّفي مزيد قوَّة، فقال: "ليس بأعزل". فأفادتْ الجملة المنفيَّة أنَّه فرس بلغ مرتبة تمام الخلق واستوفى درجة الكمال حتَّى في أدقِّ خصال الخيل الأصيلة.

ووردَ التَّركيب نفسه في معلَّقة طرفة بن العبد مرَّة واحدة، وذلك في سياق وصف سيفه وتنزيهه من المثالب، فقال(٢):

حُسَامٍ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ

والشَّاهد جاء في قوله: "... لَيْسَ بِمِعْضَدِ". والمعنى هو: إنَّ حكمَ المسندِ (معضد) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف والمقدَّر بـ(هو) يعود على (السَّيف)، وأصل التَّركيب: ليس الحسام معضدًا.

وتجد أنَّ التَّركيب تضمَّن حذفًا للمسند إليه (السَّيف)، فهو مفهوم من السِّياق، ولا داعٍ بلاغيٌّ لذكره فحذفه. واشتمل المسند على مزيد تأكيد بدخول الباء الزائدة عليه، فقال (بمعضد)، وهو يريد بهذا التَّأكيد إبراز قيمة سيفه، فرفعه عن أدنى ما يمكن أنْ تُمتهن به السُّيوف؛ لأنَّ المِعْضَدَ وَالمِعْضَادَ مِنَ السُّيُوفِ: "المُمْتَهَنُ فِي قَطْعِ الشَّجَرِ ... وَالمِعْضَادُ سَيفٌ يَكُونُ مَعَ القَصَّابِينَ تُقْطَعُ بِهِ العِظَامُ"(٣)، فنفى هذه الصِّفة عن سيفه؛ وذلك لأنَّ كونه سيفًا حسامًا حادًّا قاطعًا إذا انتصر صاحبه به لا يمنع من استعماله في غير قتال، فاحتاط الشَّاعر لهذا المعنى بأسلوب النَّفي، فكشفت

(١) الأنباريُ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٩٠.
(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢١٤.
(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة عضد، ٤: ٢٩٨٤.

الجملة المنفيَّة عن منزلة السَّيف عنده، وأبانت عن قيمته، فهو سيف عزيز لم يمتهنه صاحبه باستعماله في مواضع تُدني منزلته وتحطُّ من قيمته. ولهذا المعنى نظير وهو شطر بيت رواه ابن منظور عن ثعلب: "سَيْفًا بِرِنْدًا لَمْ يَكُنْ مِعْضَادَا"(١)، فكأنَّ ذلك مَهْيع عند القوم في حفظ قيمة سيوفهم وتنزيهها عن الامتهان.

وورِدَ التَّركيب –أيضًا– في معلَّقة زهير بن أبي سلمى مرَّة واحدة، وذلك في سياق تغنِّيه بهرم بن سنَّان والحارث بن عوف اللَّذين تحمَّلا ديات القتلى من عبس وذبيان إبَّان حرب داحس والغبراء، فقال(٢):

تُعَفَّى الكُلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ

والشَّاهد قوله: "لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ". والمعنى: إنَّ حكم المسند (مجرم) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف المقدَّر بـ(هو) يعود على الاسم الموصول (مَنْ)، وأصل التَّركيب: ليس هو مجرمًا فيها.

وبالنَّظر في التَّركيب تجد أنَّ المسند إليه محذوف؛ لأنَّه مفهوم ممَّا قبله. وجاء المسند (بمجرم) مؤكَّدًا بحرف الجرِّ الزَّائد؛ وذلك لتأكيد نفي مشاركة الممدوحَينِ في الحرب بين عبس وذبيان، والإجرام بمعنى: التَّعدي والذَّنْب(٣)، ومجيء المسند بصيغة اسم الفاعل أكَّد تحقُّق نفي المشاركة، وهذا مفهوم من دلالة صيغة اسم الفاعل على تحقُّق الثُّبوت، وفي تقديم الجارِّ والمجرور (فيها) على خبر (ليس) مزيد تأكيد في نفي مشاركة السَّيدين في هذه الحرب، فممَّا يفيده تقديم شبه الجملة التَّأكيد. فأبرز التَّركيب المنفيُّ جميل خصال هذين السَّيدين، فهما على الرَّغم من عدم مشاركتهم في

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة عضد، ٤: ٢٩٨٤.
(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٦٤.
(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة جرم، ١: ٦٠٤.

تلك الحرب إلَّا أنَّهما دَفَعَا دية القتلى، وهذا أدعى في تأكيد رسوخ صفات السَّخاء والسَّماحة فيهما.

وورِدَ التَّركيب –أيضًا– في معلَّقة عنترة بن شدَّاد أربع مرَّات، فالأولى جاءتْ في سياق حديثه عن تعلُّقه بفتاة أثناء محاربة قومها، فقال يُصِّور ذلك[١]:

عُلِّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمًا لَعَمْرُ أَبِيكِ لَيْسَ بِمَزْعَمِ

والشَّاهد قوله: "لَيْسَ بِمَزْعَمِ". والمعنى: إنَّ حكم المسند (مزعم) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف المقدَّر بـ(هذا)، وأصل التَّركيب: ليس هذا الزَّعمُ مزعمًا.

وعند تأمل التركيب تجد أنَّ المسند إليه محذوف؛ لضيق المقام، فهو يتعجَّب ممَّا اعترضه وعلق به من حبِّ تلك الفتاة الَّتي قتل قومها فحبُّها عَرَضٌ من الأعراض اعترضه دون طلب منه، وهذا أمر عجيب يدعو إلى الحيرة؛ لأنَّ الحبَّ مستبعدٌ في مثل هذه الأحوال، ولذلك استدرك على نفسه فقال: ليس هذا من أفعالي وليس هو من مطامعي؛ وهذا مُفاد من أنَّ الزَّعَمَ في بيت عنترة بمعنى الطَّمع[٢]. وجاء المسند (بمزعم) مؤكَّدًا بالباء الزَّائدة لتأكيد نفي الطَّمع بنيل حبِّ تلك الفتاة، فكيف يكون له ذلك وهو في الوقت عينه يقتل قومها، فهذان أمران لا يستقيمان، وصاغ الشَّاعر المسند (مَزْعَم) على صيغة (مَفْعَل) للدَّلالة على اسم المكان، فكأنَّه قال: ليس في هذا الحبِّ مكانًا للطَّمع، فأبان التَّركيب المنفيُّ عن بطلان هذا الطَّمع في حبِّ تلك الفتاة.

والمرَّة الثَّانية الَّتي ورد فيها التَّركيب عند عنترة جاءتْ في سياق وصفه لروضة غنَّاء، فقال في ذلك[٣]:

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٣٠٠.

(٢) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة زعم، ٣: ١٨٣٦.

(٣) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٣١١.

أَوْ رَوْضَةً أُنُفًا تَضَمَّنَ نَبْتَهَا غَيْثٌ قَلِيلُ الدِّمْنِ لَيْسَ بِمَعْلَمِ

والشَّاهد قوله: "لَيْسَ بِمَعْلَمِ". والمعنى: إنَّ حكم المسند (معلم) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف المقدَّر بـ(هو) يعود على مكان الرَّوضة، وأصل التَّركيب: ليس المكان معلمًا؛ أي: مشهورًا.

وبتأمل التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ المسند إليه محذوف؛ لظهوره بدلالة القرينة، فالحديث الَّذي سبق التَّركيب المنفيَّ كان عن مكان الرَّوضة، وعلى هذا قُدِّر المحذوف بـ(هو)؛ لأنَّه عائد على مكان الرَّوضة لا الرَّوضة، ولو كان المحذوف عائد على الرَّوضة لقال: (ليستْ). وجاء المسند (بمعلم) متَّصلًا بالباء الزَّائدة للتَّأكيد على أنَّها أرض بِكْرٌ لم تُوطأ، فهي روضة "في مكان ناء ليس بمعروف ولا مشهور"(١)، فلم تختلف عليها الأقدام فتتحطَّم الأزهار ويتلاشى أريجها المعطار، وهذا أدعى في قوَّة انتشار عبق الرَّوضة العطرة في محيطها. فكشف التَّركيب المنفيُّ عن أنَّ الرَّوضة في مكان بِكْرٍ لم تَطَأْهُ قدم، فأبان بذلك عن طراوة أزهارها وانتشار عبيرها الفوَّاح في أنحائها.

والمرَّة الثَّالثة الَّتي ورد فيها التَّركيب عند عنترة جاءتْ خلال وصفه للذُّباب وهو يمرح في تلك الروضة الغنَّاء(٢):

وَخَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ غَرِدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

وموضع الشَّاهد جاء في قوله: "... فَلَيْسَ بِبَارِحٍ". والمعنى: إنَّ حكم المسند (بارح) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف والمقدَّر بـ(هو) يعود على الذُّباب، وأصل التَّركيب: ليس الذُّباب بارحًا.

(١) عبد العزيز محمَّد الفيصل، "المعلَّقات العشر". (ط٢، الرِّياض: طبعة خاصة للمؤلف، ٢٠٢٢م)، ٢: ٤٠٣.

(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٣١٤.

وبالنَّظر في التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ المسند إليه محذوف، وتقديره (هو) يعود على الذُّباب. وجاء المسند (ببارح) مؤكَّدًا بحرف الجرّ الزَّائد لتأكيد تمسُّك الذُّباب بهذه الرَّوضة فلا يغادرها إلى غيرها، فبَرِحَ الأرض: فارقها[1]، ونفي البراح نفي للفراق، ومجيء صيغة المسند على زنة (فاعل) أضفت على التَّركيب المنفيّ ثبوت نفي مغادرة الرَّوضة؛ لكون صيغة اسم الفاعل تفيد الدَّوام والثَّبات بعكس صيغة الفعل الَّتي تفيد التَّجدُّد والحدوث. فأظهر التَّركيب المنفيُّ تشبُّث الذُّباب بالرَّوضة فلا يغادرها لفضلها على غيرها؛ لكونها خلت من الإنسان والحيوان فبقيت جدَّتها على وضعها الأوَّل.

والمرَّة الرَّابعة الَّتي ورد فيها التَّركيب عند عنترة جاءتْ في سياق وصف خصمه الَّذي أجهز عليه، يقول مصوِّرًا قوَّة بنيته الجسديَّة[2]:

بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

والشَّاهد قوله: "لَيْسَ بِتَوْأَمِ". والمعنى: إنَّ حكم المسند (بتوأم) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف المقدَّر بـ(هو) يعود على البطل، وأصل التَّركيب: ليس البطل بتوأم.

والتَّركيب المنفيُّ (لَيْسَ بِتَوْأَمِ) حُذِفَ منه المسند إليه؛ لدلالة ما قبله عليه. وذُكِرَ المسند (بِتَوْأَمِ)؛ لأنَّ فهم الجملة يستلزم ذكره، فلا قرينة تدلُّ عليه حتَّى يُحذف، وعلى هذا صار ذكره واجبًا. والشَّاعر يريد إبراز سمات القوَّة في خصمه؛ لكي يبيّن أنَّه لم يقضِ على خصم سهل، بل قضى على خصم شديد البأس مكتمل القوَّة، فالشَّاعر –قبل التَّركيب المنفيّ– كان في سياق استعراض قوَّة خصمه، فلمَّا وصل إلى نهاية البيت ذكر دليلًا من دلائل قوَّة خصمه البدنيَّة مستعملًا أسلوب النَّفي، فقال: (لَيْسَ بِتَوْأَمِ)، ويريد بهذا أنَّ خصمه كان وحيدًا في رَحِمِ أُمِّه، فلم يشاركه آخر في الرَّحِمِ

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة جرم، ١: ٢٤٥.

(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٣١٤.

فيقاسمه الغذاء، وأدخل الباء على المسند لتأكيد هذه الصِّفة في خصمه، فأبان التَّركيب المنفيُّ عن كناية أفادت تمام البنية الجسديَّة في خصمه واكتمالها، وهو يريد بهذا بيان شجاعته وإبراز بسالته والاعتداد بجسارته، وهذا كلُّه من باب الزَّهْو والفخر الَّذي يحمد في مثل هذه المواضع، فالحديث وإنْ كان عن قوَّة خصمه وشجاعته إلَّا أنَّه في الحقيقة حديث عن قوَّته هو وشجاعته وبسالته وجسارته؛ لأنَّ القضاء على خصم تلك صفاته يستلزم أنَّ الَّذي قضى عليه أقوى وأشجع وأبسل.

وفي ختام هذا المطلب تجدر الإشارة إلى أنَّ هذا التَّركيب لم يرد في معلَّقة عمرو بن كلثوم، ولا الحارث بن حلِّزة، ولا لبيد بن ربيعة.

المطلب الثَّاني: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها نكرة اتَّصلتْ به باء زائدة.

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّتين، فورد في معلَّقة امرئ القيس مرَّة، وورد مرَّة عند عنترة بن شدَّاد، ولم يرد عند بقيَّة أصحاب المعلَّقات السَّبع. فأمَّا امرؤ القيس فاستعمله في معْرض حديثه عن فتاته بَيْضَةِ الخِدْرِ الَّتي لا يُرامُ خِبَاؤُهَا، فقال(١):

تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِي

وموضع الشَّاهد جاء في قوله: "وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِي". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (بِمُنْسَلِي) منفيٌّ عن المسند إليه (فُؤَادِي)، وأصل التَّركيب: وَلَيْسَ فُؤَادِي بِمُنْسَلٍ عَنْ هَوَاكِ.

وبالنَّظر في التَّركيب المنفيِّ تجد أنَّ الشَّاعر عرَّف المسند إليه (فُؤَادِي) بالإضافة؛ لأنَّه يستدُّر الاستعطاف والإشفاق على حاله، فالتَّعريف بالإضافة له مقاصد عدَّة

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٧٣.

منها: "الاستعطاف والحثُّ على الشَّفقة"(١)، وهذا المعنى مستشفٌّ من قوله: "تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا"، فكلُّ(٢) الرِّجال سلت عن صباها ولم يبقَ إلَّا فؤاده حبيس ذلك الصِّبا، وتجد في التَّعبير عن القلب بالفؤاد دلالة على توقُّدِ الحبِّ وتأجُّجه في داخله، وهذا مفاد من أنَّ القلب سُمِّي فؤادًا "لِتَفَؤُّدِهِ وتَوَقُّدِهِ"(٣). ونكَّر المسند (بِمُنْسَلِي)؛ لأنَّه لا يريد الحصر أو العهد، فهو يريد مجرَّد الإخبار بأنَّ فؤاده لم ينسَ ذكر عشقه القديم ولم يذهل عنه، قال أبو زيد: "معنى سَلَوْتُ إذا نَسِيَ ذِكْرَهُ وذَهِلَ عنه"(٤)، والشَّاعر حريص على نفي هذا المعنى؛ ولذلك تجده أكَّد النَّفي بإدخال الباء الزَّائدة على المسند، وكذلك بتقديم شبه الجملة (عَنْ هَوَاكِ) عليه، وهذا كلُّه ممَّا يفيد التَّوكيد. وعلى ضوء ما تقدَّم تجد أنَّ التَّركيب المنفيَّ أبرز وفاء الشَّاعر لعشقه القديم، ففي السَّاعة الَّتي سلا غيره عن الأحباب بقي هو وفيًّا فلم يسلُ عنهم.

وأمَّا عنترة بن شدَّاد فاستعمل التَّركيب في سياق تصويره لقتل خصمه الَّذي "كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ"، فقال(٥):

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ

وموضع الشَّاهد جاء في قوله: "... لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (بِمُحَرَّمِ) منفيٌّ عن المسند إليه (الكَرِيمُ)، وأصل التَّركيب هو: لَيْسَ الكَرِيمُ

(١) بسيوني عبد الفتَّاح فيود، "علم المعاني: دراسة بلاغيَّة ونقديَّة لمسائل المعاني". (ط٣، القاهرة: مؤسَّسة المختار، ٢٠٠٤م)، ١٠٧.

(٢) كلمة (كلّ) مقصودة؛ لأنَّ الشَّاعر عرَّف (الرِّجال) بـ"أل" الجنسية الَّتي تفيد الاستغراق، وهذا يعني دخول كلِّ الرِّجال في هذا الحكم.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة جرم، ٥: ٣٣٣٤.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة جرم، ٣: ٢٠٨٥.

(٥) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٣٤٧.

بِمُحَرَّمٍ عَلَى القَنَا.

وعندما تتأمَّلُ التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ الشَّاعر عرَّف المسند إليه (الكَرِيمُ) بـ"أل" العهديَّة الذِّكريَّة الكنائيَّة، وهي الَّتي تقدَّم لذكرها ذكر كنائيٌّ[١]، فالمراد بالكريم –هنا– هو ما أخبر عنه عنترة من أنَّه شَكَّ الرُّمحَ الأصمَّ في ثيابه، وهو يريد جسده، فاستعار الثَّوب للجسد وحذف المشبَّه وذكر المشبَّه به على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة. وجاء المسند (بِمُحَرَّمٍ) نكرة، فأفاد التَّنكير غرابة هذا الحكم؛ ولهذه الغرابة فيه أكَّده بإدخال الباء الزَّائدة على المسند، وبتقديم شبه الجملة (عَلَى القَنَا) عليه، فلا مانع –في عُرف الشَّاعر– من قتل هذا الكريم ما دامه في ساحة المعركة، فالكرم لا يُعفي صاحبه من القتل في ذلك الموضع. وعلى ضوء ما سبق تجد أنَّ التَّركيب المنفيَّ قدَّم تبريرًا للإقدام على قتل ذلك الكريم، فكأنَّ الشَّاعر أحسَّ بعدم أخلاقيَّة قتله، فرفع عن نفسه هذا العبء الأخلاقيَّ مستعينًا بأسلوب النَّفي في الدِّفاع عن فعله، فأخرج التَّركيب المنفيَّ مخرج المَثَل "لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمٍ"؛ ليكون تدعيمًا وحجَّة على صواب ما فعله من شكِّ الرُّمح الأصمِّ في جسد ذلك الكريم.

المطلب الثَّالث: تركيب "ليس" مع خبرها (شبه الجملة) واسمها نكرة.

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فوردت في معلَّقة الحارث بن حلِّزة في سياق تعجُّبه وسخريَّته من بني تغلب، فقال متعجِّبًا من حال بني تغلب من أنَّهم يحمِّلون قوم الشَّاعر ما حلَّ بهم من قضاعة[٢]:

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَمْ لَيْـ ـسَ عَلَيْنَا بِمَّا جَنَوْا أَنْدَاءُ

وموضع الشَّاهد جاء في قوله: "... أَمْ لَيْسَ عَلَيْنَا بِمَّا جَنَوْا أَنْدَاءُ". والمعنى: إنَّ

(١) يُنظر: فيود، "علم المعاني"، ١٠٣.

(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٤٨٢.

حكمَ المسندِ (عَلَيْنَا) منفيٌّ عن المسند إليه (أَنْدَاءُ)، وأصل التَّركيب هو: ... أَمْ لَيْسَ عَلَيْنَا أَنْدَاءٌ مِمَّا جَنَوْا.

وعند النَّظر في التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ المسند إليه (أَنْدَاءُ) جاء نكرة على صيغة الجمع لقصد تكثير الشُّرور الَّتي حلَّت على بني تغلب، فالأنداء جمع ندًى والنَّدى يأتي على وجوه، فيقال: "ندى الماء، وندى الخير، وندى الشَّرِّ، وندى الصَّوت، وندى الحُضْر، وندى الدُّخْنة"(١)، والشَّاعر يُريد -هنا- بالأنداء "ما يلحق الإنسان من الشَّرِّ"(٢)، والمعنى أنَّه لا يلحق قومَ الشَّاعرِ شرٌّ من الَّذي جنته قضاعة على بني تغلب. والمسند في الحقيقة ليس هو شبه الجملة (عَلَيْنَا)، فالمسند (خبر ليس) كون عامٌّ تقديره (مستقرَّة)، لكنَّه حُذف؛ لأنَّه كون عام، فإذا كان الخبر كونًا عامًّا وجب حذفه، وأصل التَّركيب (ليس أنداء مستقرة علينا). وعلى ضوء ما تقدَّم تجد أنَّ الجملة المنفيَّة أفادت التَّعجُّب الممتزج بالسُّخريَّة ممَّا حلَّ ببني تغلب، فكأنَّ الشَّاعر يتعجَّب من حالهم ويسخر، ولسان حاله يقول: قضاعة هي الَّتي اعتدت عليكم فما ذنب قومي بما جرى عليكم!

المطلب الرَّابع: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها معرفة اتَّصلتْ به باء زائدة

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة(٣)، فورد في معلَّقة طرفة بن

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، مادة ندى، ٦: ٤٣٨٧.

(٢) الفيصل، "المعلَّقات العشر"، ٢: ٦٢٠.

(٣) وضع الدكتور سعد عبد الرحيم هذا الشَّاهد في تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها نكرة اتصلت به باء زائدة، والخبر -هنا- معرفة وليس نكرة، فكان حقُّه أن يكون له تركيب خاص يُسمَّى: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها نكرة اتصلت به باء زائدة، وهو ما أثبت في هذا البحث.

سعد سيِّد أحمد عبد الرحيم، "أسلوب النَّفي وأدواته في المعلَّقات العشر". *مجلَّة كلِّية الآداب* =

العبد في سياق تغنّيه بكرمه وشجاعته، فقال[١]:

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أَرْفِدِ

وموضع الشَّاهد جاء في قوله: "وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (بِحَلَّالِ التِّلَاعِ) منفيٌّ عن المسند إليه تاء الفاعل في (لَسْتُ)، والتَّركيب جاء على أصله من غير تصرُّف فيه.

وبتأمُّل التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ المسند إليه في (لَسْتُ) جاء معرَّفًا بضمير التَّكلُّم، وأفاد التَّعبير بضمير التَّكلُّم الاعتداد بكرمه وشجاعته، فكأنَّه قال: أنا لا أنزل تلك المواضع "مخافة حلول الأضياف بي، أو غزو الأعداء إياي"[٢]. وجاء المسند (بِحَلَّالِ التِّلَاعِ) معرَّفًا بالإضافة؛ لتعذُّر تفصيل تلك التِّلاع، فهو نَزَلَ في تلاع كثيرة يصعب استقصاء أسمائها، وجاء المضاف (بِحَلَّالِ) على صيغة (فعَّال) للمبالغة في حلوله تلك المواضع المنعزلة والمنزوية عن أعين النَّاس، ثُمَّ قَيَّدَ النَّفي بقوله (مخافة)، وسبب هذا التَّقييد يعود إلى أنَّ من شأن النُّزول في تلك المواضع المستترة عن أعين النَّاس قد يرجع إلى الخوف من قدوم ضيف أو نزول عدوٍّ، فقوله (مخافة) قيد في النَّفي أفاد أنَّه ينفي عن نفسه أنَّ كثرة نزوله في تلك التِّلاع مرجعه إلى خوف من نزول ضيف أو عدوٍّ، بل يحلُّ في تلك المواضع ولكنْ متى ما استرفد القوم يسترفد، فالنَّفيُ نفيٌ للقيد (مخافة)، وليس نفيًا للنُّزول في التِّلاع. وعلى ضوء ما تقدَّم تجد أنَّ التَّركيب المنفيَّ أبان عن ثقة

=

جامعة الفيوم ١١، (٢٠١٩م): ٧ و٨.

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ١٨٦.

(٢) عبد الله بن حسن الزوزني، "شرح المعلَّقات السَّبع". تحقيق: محمَّد الفاضلي، (د.ط، بيروت: المكتبة العصريَّة، ٢٠٠٣م)، ٨٢.

الشَّاعر واعتداده بنفسه وفخره بها.

المطلب الخامس: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها معرفة

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة عمرو بن كلثوم في سياق إشادته بنساء قومه اللَّائي يحثنَّ فرسان القبيلة على حمايتهنَّ، فقال[1]:

يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا

والشَّاهد قوله: "لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (بُعُولَتَنَا) منفيٌّ عن المسند إليه تاء الفاعل في (لَسْتُمْ)، والتَّركيب جاء على الأصل دون تصرف فيه.

وبالنَّظر في التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ المسند إليه في (لَسْتُمْ) جاء معرَّفًا بضمير الخطاب؛ لأنَّ النِّسوة يخاطبن الفرسان أمامهنَّ، وفي التَّعريف بضمير الخطاب -هنا- حثٌّ وحضٌّ للفرسان، فنفي البعولة مسلَّط عليهم لا على غيرهم، وفي ذلك من التَّكليف والإلزام ما فيه. وجاء المسند (بُعُولَتَنَا) معرَّفًا بالإضافة إلى ضمير المتكلِّمين (نا) ليؤكِّد ذلك التَّكليف والإلزام. وقوله: (إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا) تقييد للنَّفي بأسلوب الشَّرط، فنفي البعولة لهم مقيَّد بعدم حمايتهنَّ من السَّبي، فهنَّ لسنا نساءهم في حال ترك الفرسان لهنَّ وعدم حمايتهنَّ من السَّبي، وأبرز استعمال الشَّاعر لـ(إذا) عن ثقة تلك النِّسوة ببعولتهن من تحقُّق وقوع الحماية لهنَّ، ولو استعمل (إنْ) مكان (إذا) لما أفادت تلك الثِّقة في تحقُّق الحماية لهنَّ، وهذ مفهوم من كون "أصل "إنْ" عدم الجزم بوقوع الشَّرط في اعتقاد المتكلِّم ... وأصل "إذا" الجزم بوقوعه في اعتقاده"[2]. ويظهر

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٤٢٤.

(٢) سعد الدِّين مسعود التَّفْتَازَاني، "المطوَّل". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار =

بناء على ما تقدَّم أنَّ التَّركيب المنفيَّ كشف عن حضِّ وحثِّ الفرسان لصون نساء القبيلة من السَّبي وحماية الحيِّ من استباحة الأعداء له.

المطلب السَّادس: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها جملة فعليَّة

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة طرفة بن العبد في سياق حديثه عن عقره ناقة أبيه لندمائه، فقال(١):

تَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الوَظِيفُ وَسَاقُهَا أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤْيِدِ

والشَّاهد قوله: "أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤْيِدِ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (تَرَى) منفيٌّ عن حكم المسند إليه تاء الفاعل في (لَسْتَ)، والتَّركيب جاء على أصله فلا تأخير فيه ولا تقديم.

والتَّركيب المنفيُّ بدخول همزة الاستفهام عليه صار إثباتًا؛ لأنَّ نفي النَّفي إثبات، والاستفهام خرج إلى معنى التَّقرير الممتزج بالعتاب واللَّوم. وجاء المسند إليه تاء الفاعل في (لَسْتَ) معرفة؛ لأنَّ هذا الشَّيخ الَّذي يقرِّر طرفة يلوم ويعاتب على نحر "كرائم مال أبيه لندمائه"(٢)، والتَّعريف بضمير الخطاب يكثر "في مقام العتاب واللَّوم، إذ يحلو للمتكلِّم أنْ يُخاطب مَن يعاتبه، وأنْ يردِّد ضميره مُسندًا إليه ما يريد من لوم وعتاب"(٣). وأمَّا المسند (تَرَى) جاء جملة فعليَّة بصيغة المضارع لا الماضي؛ لأنَّ

=

الكتب العلميَّة، ٢٠٠١م)، ٣١٧.

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٢٠.

(٢) الزوزني، "شرح المعلَّقات السَّبع"، ٩٦.

(٣) فيود، "علم المعاني"، ٩٠.

المضارع في "التَّراكيب الفعليَّة أكثر حركة من الماضي؛ لكونه يرتبط بالأحداث تصويرًا"(١). وعلى ضوء ما تقدَّم تجد أنَّ الجملة المنفيَّة أبانت عن أنَّ كرم طرفة تجاوز حدَّ المعقول حتى إنَّ أباه لامه موبِّخًا له قائلًا: "ألم ترَ أنَّك أتيت بداهية شديدة بعقرك مثل هذه النَّاقة الكريمة النَّجيبة؟"(٢).

المطلب السَّابع: تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها شبه جملة

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة طرفة بن العبد في سياق وصيَّته لابنة أخيه، قائلًا لها(٣):

وَلَا تَجْعَلِينِي كَامْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ كَهَمِّي وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي

والشَّاهد قوله: "لَيْسَ هَمُّهُ كَهَمِّي". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (كَهَمِّي) منفيٌّ عن حكم المسند إليه (هَمُّهُ)، والتَّركيب جاء على أصله.

وعند النَّظر في التَّركيب تجد أنَّ المسند إليه (هَمُّهُ) جاء معرَّفًا بالإضافة؛ لأنَّه أراد تحقير "همّ" المضاف، فأضافه إلى الضَّمير العائد إلى ذلك الرَّجل الَّذي عبَّر عنه بقوله: "وَلَا تَجْعَلِينِي كَامْرِئٍ". وبالمقابل أضاف "الهمَّ" إلى نفسه في المسند، فقال (كَهَمِّي)، وهو -هنا- يفيد تعظيم شأن المضاف، فأضافه إلى نفسه. فالشَّاعر يوصي ابنة أخيه بعدم ظلمه بجعل هموم مَن لا تكون المعالي مطلبًا له كهمومه الَّتي لا تكون إلَا في طلب المعالي، فهو يطلب منها ألَّا تسوِّي "بينه وبين مَن لا يرقى إلى مرتبته، ولا تكون

(١) رابح بن خوية، "البنية التَّركيبيَّة للقصيدة الحديثة". (ط١، إربد: عالم الكتاب الحديث، ٢٠١٣م)، ١٠٣.

(٢) الزوزني، "شرح المعلَّقات السَّبع"، ٩٦.

(٣) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٢٤.

هِمَّتَهُ مثل هِمَّتِهِ، ولا يكون كفؤًا له في حضور الوقائع ومجالس القوم"[١]. والتَّركيب المنفيُّ كشف عن سمَّو هموم طرفة عن صغائر الأمور وارتقائها إلى معالي الأشياء.

المطلب الثَّامن: تركيب "ليس" مع خبرها شبه جملة واسمها معرفة

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة الحارث بن حلِّزة في سياق سخريَّته وتعريضه ببني تغلب، فقال[٢]:

لَيْسَ مِنَّا المُضَرَّبُونَ وَلَا قَيْـ ـسٌ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الحَدَّاءُ

والشَّاهد قوله: "لَيْسَ مِنَّا المُضَرَّبُونَ ...". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (مِنَّا) منفيٌّ عن المسند إليه (المُضَرَّبُونَ)، وأصل التَّركيب: لَيْسَ المُضَرَّبُونَ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الحَدَّاءُ مِنَّا.

وبالنظر في التَّركيب المنفيِّ تجد أنَّ المسند إليه (المُضَرَّبُونَ) جاء معرفة بصيغة الجمع، فـ"أل" الَّتي أكسبت (مضرَّبون) التَّعريف عهديَّة ذهنيَّة، أي: المضرَّبون الحاضرون في أذهاننا وأذهانكم فلا يخفون علينا ولا عليكم فهي واقعة يعرفها الجميع، وهو يعني بالمضرَّبين قوم من بني تغلب ضُربوا بالسُّيوف، وتجد أنَّ الشَّاعر آثر صيغة الجمع في التَّعبير عن هؤلاء ليُدلِّل على كثرتهم فليسوا قلَّة، وعلى ذلك يكون التَّهكم ألذع والسُّخريَّة أوجع، ثُمَّ عطف المسند إليه (المُضَرَّبُونَ) على (قَيْسٌ وجَنْدَلٌ والحَدَّاءُ)، وهو يريد بهذا العطف الإشارة إلى كثرة القبائل الَّتي أوغلت في دماء بني تغلب، فالقبائل على اختلاف أنسابها ضربوا رقابهم وسفكوا دماءهم، وفي هذا تلميح إلى أنَّ قومه –بني يشكر– لا يُضربون بالسُّيوف بل يَضربون، فلا يُعقل أنْ يتهكَّم بما

(١) الفيصل، "المعلَّقات العشر"، ١: ٢١٠.

(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٤٨٢.

جرى على بني تغلب وقومه –بني يشكر– حصل لهم ما حصل ببني تغلب، فهذا أمر مستبعد. وأمَّا المسند (مِنَّا) شبه الجملة جاء مقدَّمًا، وإذا تقدَّم المسند وهو شبه جملة على المسند إليه وهو معرفة أفاد القصر، فيكون التَّقديم –هنا– مفيدًا للقصر، والمعنى: نفي كون المضربون مقصورًا علينا، أي على بني يشكر قوم الشَّاعر، وهو مثبت لغيرهم، أي على بني تغلب. واستنادًا على ما تقدَّم فإنَّ التَّركيب المنفيَّ كشف عن سخريَّة لاذعة وقعت على بني تغلب.

المطلب التَّاسع: تركيب "ليس" مع خبرها جملة فعليَّة واسمها نكرة

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة الحارث بن حلِّزة في سياق تغنيّه بانتصارات قومه وتباهيه بهم، فلا شيء ينجي الأعداء منهم وإنْ تحصَّنوا برأس جبل وحرَّة شديدة الصَّلابة، فقال(١):

لَيْسَ يُنْجِي مُوَائِلًا مِنْ حِذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ

والشَّاهد قوله: "لَيْسَ يُنْجِي مُوَائِلًا مِنْ حِذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (يُنْجِي) منفيٌّ عن المسند إليه (رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ)، وأصل التَّركيب: لَيْسَ رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ تُنْجِي مُوَائِلًا مِنْ حِذَارٍ.

وبالنَّظر في التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ المسند إليه (رَأْسُ طَوْدٍ) وما عُطف عليه (حَرَّةٌ رَجْلَاءُ) جاءا نكرة، فكأنَّه أراد بهذا التَّنكير: إنَّ أيَّ رأس جبل وأيَّ حرَّة رجلاء لا تحمي الهارب من بطشهم، وهو يشير بذلك إلى شدَّة البأس وقوَّة العزم عند قومه، وفي انتقاء الشَّاعر للمفردات الَّتي تركَّب منها المسند إليه وما عُطف عليه جودة نظم

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٤٧٣.

وحسن صنعة؛ ذلك أنَّه لم يذكر الجبل وإنَّما ذكر أعلاه وهو رأسه، فمن شأن هذا الموضع أنْ يكون حصينًا منيعًا لا يُوصل إليه إلا بمخاطرة ومجازفة، وعندما ذكر الحرَّة نعتها بأنَّها رجلاء، أيْ: شديدة الصَّلابة، حتى إنَّ النَّاس عند السَّير عليها يرتجلون لشدَّتها، فلا يُوصل إلى هذا الموضع إلَّا بتكبَّد المشقَّة وتجشَّم العناء. وجاء المسند (يُنْجِي) بصيغة المضارع، والمضارع يفيد التَّجدَّد الاستمراريَّ، فكأنَّ التَّحصن برأس الطَّود والحرَّة الرَّجلاء من الهاربين عنهم لم يحدث مرَّة بل حدث مرَّات متجدِّدة كثيرة، وكأنَّ هذا دأب قومه، وفي ذلك إشارة إلى جبروت قومه وأنَّهم أُولو بأس شديد. وبناء على ما تقدَّم تجد أنَّ التَّركيب المنفيَّ أبان عن شراسة قوم الشَّاعر، فهم لا يكتفون بالانتصار على الأعداء في ساحات الوغى، بل يطاردون الهارب عنهم حتَّى يصلوا إليه، ولو كان المهرب رأس الجبل والحرَّة الرَّجلاء.

المبحث الثاني: بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"لا"

وَرَدَتْ الجملةُ الاسميَّةُ في المعلَّقات السَّبع منفيَّة بـ"لا" ستَّ مرَّات، فوردت أربع مرَّات عند زهير بن أبي سُلْمى، ومرَّة عند امرئ القيس، ومرَّة عند الحارث بن حلِّزة. ولم ترد عند طرفة بن العبد، ولا عمرو بن كلثوم، ولا عنترة بن شدَّاد، ولا لبيد بن ربيعة.

ويتَّضح ممَّا سبق أنَّ استعمال حرف النَّفي "لا" أقلُّ من استعمال "ليس"، وأنَّ استعمالها كثُر عند زهير بن أبي سُلمى، وقلَّ عند امرئ القيس والحارث بن حلِّزة، وانعدم عند طرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شدَّاد ولبيد بن ربيعة.

وجاءتْ التَّراكيب المنفيَّة بـ"لا" في ستِّ صور، وسيعرضها البحث في المطالب السِّتَّة الآتية:

المطلب الأول: تركيب "لا" مع اسمها نكرة مبني على الفتح المُقدَّر وخبرها شبه جملة

جاء هذا التَّركيب المنفيُّ في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة زهير بن أبي سُلمى في سياق الحِكَمِ الَّتي ساقها في معلَّقته، وهو في هذا البيت يتبرَّم من الحياة وعمره الَّذي وصل إلى الثمانين، يقول(١):

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ عَامًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

وموضع الشَّاهد جاء في الجملة الاعتراضية، وهي قوله: "لَا أَبَا لَكَ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (لَكَ) منفيٌّ عن المسند إليه (أَبَا)، والتَّركيب المنفيُّ جاء على الأصل من غير تصرف فيه.

وبتأمل التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ مجيء المسند إليه (أبَا) نكرة؛ لكونه لا يقصد فردًا معيّنًا من أفراد حقيقته، بل يريد التَّعميم، فالشَّاعر لا يُخاطب معيَّنًا، بل كان خطابه

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٨٧.

في هذه الجملة المنفيَّة الاعتراضيَّة عامًّا، وهو يقصد فيها التَّنبيه والنُّصح ولفت الانتباه بصفة عامَّة إلى هذه الحقيقة. وجاء المسند (لَكَ) شبه جملة متعلِّقة بمحذوف تقديره (موجود)، فيكون التَّركيب المنفيُّ على ضوء ذلك: لا أبا موجود لك. وكشفت الجملة المنفيَّة عن تنبيهٍ إلى حقيقة واقعة، وهي أنَّ الجميع إلى زوال وفناء، فكأنَّه قال: أيُّها الغافل انتبه "أن لا بقاء، فأبوك قد رحل قبلك"(١)، ورحيله يستلزم رحيلك أنت، وهذا شبيه بالقياس المنطقيّ، فكأنَّ رحيل الأب مقدِّمة ورحيل المخاطَب نتيجة لهذه المقدِّمة، والإقرار بالمقدِّمة –كما في علم المنطق– يستلزم الإقرار بالنَّتيجة.

المطلب الثَّاني: تركيب "لا" مع المبتدأ نكرة والخبر محذوف.

لم يرد هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع إلَّا مرَّة واحدة وردت في معلَّقة الحارث بن حلِّزة، وجاء هذا الشَّاهد في سياق تذكير الحارث بن حلِّزة لعمرو بن كلثوم بانتصار بني يربوع من تميم على قوم عمرو بن كلثوم، وهم بنو تغلب، وجاء ذلك التَّذكير بلغة ساخرة، فقال يصوِّر ذلك(٢):

ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الـ ـغَلَّاقِ لَا رَأْفَةٌ وَلَا إِبْقَاءُ

والشَّاهد قوله: "لَا رَأْفَةٌ وَلَا إِبْقَاءُ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ المحذوف المقدَّر بـ(لا رأفة بكم، ولا إبقاء عليكم) منفيٌّ عن المسند إليه (رَأْفَةٌ) و(إِبْقَاءُ)، وأصل التَّركيب: لَا رَأْفَةٌ من الغلَّاق ببني تغلب وَلَا إِبْقَاءُ منه عليهم.

وبالنَّظر في التَّركيب المنفيّ تجد أنَّ المسند إليه (رَأْفَةٌ) والمعطوف عليه (إِبْقَاءُ) جاءا نكرة، وأفاد التَّنكير في هذا السِّياق إلى أنَّ الغلَّاق، وهو رجل من بني يربوع

(١) الفيصل، "المعلَّقات العشر"، ١: ٢٧٤.

(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٤٨٦.

من تميم، لم تأخذه أيُّ رأفة ببني تغلب، ولم يُبْقِ منهم أيَّ أحد، وكأنَّه أبادهم عن بكرة أبيهم فلم يرأف بهم ولم يبقِ منهم أحدًا، وهذه مبالغة من الشَّاعر إمعانًا بالسُّخريَّة والاستهزاء من بني تغلب. وَحَذَفَ المسند وهو العائد على بني تغلب؛ لظهوره من السِّياق ظهورًا بيِّنًا لا لبس فيه، وتجد شيئًا آخر وراء الحذف وهو الإشارة إلى أنَّ (الرَّأفة) و(الإبقاء) لم يكونا ولم يحدثا من الغلَّاق البتَّة على بني تغلب، فعدم حدوثهما دعا الشَّاعر إلى إسقاط ما يعود على بني تغلب من الجملة، فكأنَّه بهذا الحذف أشار إلى أنَّه لم يحصل لبني تغلب شيء من الرَّأفة ولا الإبقاء. وعلى ضوء ما تقدَّم يظهر أنَّ التَّركيب المنفيَّ كشف عن سخريَّة لاذعة من الشَّاعر بالمأساة الَّتي حلَّت على بني تغلب.

المطلب الثَّالث: تركيب "لا" مع اسمها مضافًا، وخبرها محذوف.

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة امرئ القيس في سياق استذكاره إحدى مغامراته النِّسائيَّة، فقال[1]:

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

وموضع الشَّاهد جاء في قوله: "وَلَا سِيَّمَا يَوْمٍ...". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ المحذوف المقدَّر بـ(موجود) منفيٌّ عن المسند إليه (سِيَّ)، وأصل التَّركيب: لا سِيَّ يومٍ موجود مثل يوم كان في دارة جُلْجُلِ.

وبتأمل التَّركيب المنفيّ نجد أنَّ المسند إليه (سيٌّ) أُضيف إلى (يوم)؛ لكي يخصَّ يوم دارة جلجل بهذا اليوم الصالح. والمسند محذوف مقدَّر بـ(موجود)، أي: لا سِيَّ يومٍ موجود... والمعنى: لا مثل يوم موجود مثل اليوم الَّذي كان في دارة جلجل، فلهذا

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٣٢.

اليوم عند امرئ القيس ذكرى خاصَّة. وباعتبار أنَّ (لا) نافية للجنس في هذا التَّركيب فإنَّها أفادت استغراق النَّفي، وهذا "أقوى وأوكد في النَّفي من أدوات النَّفي الأخرى"(١). وبناء على ما تقدَّم يظهر أنَّ التَّركيب المنفيَّ كشف عن تعجُّب الشَّاعر من حسن وفضل ذلك اليوم، فلا يوم يضاهيه في الحُسن والفضل.

المطلب الرَّابع: تركيب "لا" مع اسمها وخبرها جملة فعليَّة.

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة زهير بن أبي سُلمى في سياق إشادته بقوم هرم بن سنان والحارث بن عوف، فقال عنهم(٢):

كِرَامٍ فَلَا ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلَا الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ

والشَّاهد قوله: "فَلَا ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (يُدْرِكُ تَبْلَهُ) منفيٌّ عن المسند إليه (ذُو الضِّغْنِ)، والتَّركيب جاء على الأصل من غير تصرف فيه.

وبالنَّظر في التَّركيب المنفيِّ تجد أنَّ اسم "لا" وهو المسند إليه (ذُو الضِّغْنِ)، جاء معرفة على خلاف الأصل، وهذا "شاذ أو قليل؛ لأنَّه يُشترط [في "لا" لتعمل عمل "ليس"] أن يكون اسمها وخبرها نكرتين"(٣)، والتَّعريف بالإضافة أفاد إرادة الإيجاز؛ لأنَّ قوله: "ذُو الضِّغْنِ" أوجز من لو قال: "الَّذي عنده ضغن"، والمقام

(١) سعد سيِّد أحمد عبد الرحيم، "أسلوب النَّفي وأدواته في المعلَّقات العشر". *مجلَّة كلِّية الآداب جامعة الفيوم* ١١، (٢٠١٩م): ١٣.

(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٧٢.

(٣) محمَّد علي طه الدرة، "فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال". (ط٢، جدة: مكتبة السوادي، ١٩٨٩م)، ٢: ٣٢٣.

اقتضى الإيجاز؛ لأنَّ الشَّاعر في مقام الإشادة بصلح حصل بين طرفين متحاربين، ومن شأن هذا المقام الإيجاز بِطَيِّ الكلام واختصاره. وجاء المسند (يُدْرِكُ تَبْلَهُ) جملة فعليَّة مضارعيَّة، وهي تفيد في هذا المقام تجدُّد الحدث مرَّة بعد مرَّة، فكأنَّ نفي إدراك الثَّأر عن صاحب الحقد حصل مرَّات عديدة منه فلم يستطع نيل ثأره وشفاء ضغينته من هؤلاء الكرام. وعلى ضوء ما تقدَّم نجد أنَّ التَّركيب المنفيَّ كشف عن شدَّة بأس القوم وقوَّة بطشهم، فصاحب الثَّأر الَّذي ملأه حقده حاول جاهدًا مرارًا وتكرارًا التَّمكُّن من هؤلاء الكرام ليشفي أضغانه وأحقاده، لكنَّه لم يستطع إدراك أيِّ شيء من ذلك كلِّه.

المطلب الخامس: تركيب "لا" مع اسمها محذوف وخبرها اتَّصلت به باء زائدة.

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلَّقة زهير بن أبي سُلمى، وذلك في قوله[1]:

كِرَامٍ فَلَا ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلَا الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ

والشَّاهد قوله: "وَلَا الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (بِمُسْلَمِ) منفيٌّ عن المسند إليه المحذوف والمقدر بـ(الرجل)، وأصل التَّركيب "ولا الرجل الجارم الجاني...".

وبتأمل التَّركيب نجد أنَّ المسند إليه محذوف، وتقديره (الرَّجل)، ودلَّ عليه نعته بالجارم والجاني، وبهذا النَّعت حصل للمسند إليه المحذوف ظهور لا لبس فيه، ويمكن

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٧٢.

أنْ نستشفَّ نكتة بلاغيَّة من وراء الحذف وهي إفادة التَّعميم، فكأنَّهم يمنعون تسليم الجارم في غيرهم الجاني عليهم سواء أكان منهم أم من أحلافهم، فهم يحمون جميع ما انتمى إليهم، والغرض من نعت المسند إليه بيان حالته، فهم لا يحمون المظلوم منهم بل تمتدُّ حمايتهم إلى الظالم منهم، وفي هذا إشارة إلى سطوة القوم وهيمنتهم. وجاء المسند (بِمُسْلَمٍ) مؤكدًّا بالباء الزَّائدة، وذلك لتأكيد عدم تسليم الجارم الجاني، فهم يذودون دونه ويمنعون تسليمه، لكونه واحدًا منهم أو من أحلافهم، ولله درُّهم ما أوفى بعضهم لبعض! وتأسيسًا على ما تقدَّم يظهر من التَّركيب المنفيِّ أنَّ هؤلاء القوم ذوو بأس شديد وقوَّة عاتية وسطوة واسعة وجبروت مُهاب ممَّا مكَّنهم من حماية الظَّالم منهم والمظلوم.

المطلب السادس: تركيب "لا" مع المبتدأ ضميرًا والخبر جملة فعليَّة.

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة فقط، فورد في معلَّقة زهير بن أبي سُلمى في سياق إخباره عن نيَّة حصين بن ضمضم وعزمه على الأخذ بثأر أخيه، فقال يصوِّر ذلك العزم(١):

وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ

والشَّاهد قوله: "فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (أَبْدَاهَا) منفيٌّ عن المسند إليه (هُوَ)، والتَّركيب جاء على الأصل من غير تصرف فيه.

وعند تأمُّل التَّركيب المنفيِّ تجد أنَّ المسند إليه (هُوَ) جاء معرَّفًا بالإضمار، ومن

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٧٥.

شأن التَّعبير بهذا الضَّمير أنْ يكون للغائب، ويكمن وراء التَّعبير به في هذا المقام إبراز شدَّة بأس وشجاعة الَّذي "كَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ"، وكان يمكن حذف المسند إليه؛ لكونه معلومًا، لكنَّ الشَّاعر آثر ذكره على حذفه بغرض زيادة التَّقرير والإيضاح؛ لأنَّ في ذكره إبراز لشجاعته الَّتي تأبى الظُّلم؛ لأنَّ حصينًا بن ضمضم المقصود بهذا البيت قد عزم على أخذ ثأر أخيه ولكنَّه أخفى هذا العزم وسرَّه في نفسه. وجاء المسند (أَبْدَاهَا) جملة فعليَّة ماضية، وتحقَّق له بهذه الجملة الفعليَّة زيادة تأكيد عدم إظهار نيَّته بأخذ الثَّأر، ومرجع التَّأكيد في الجملة يعود إلى تكرار المسند إليه، فقد جاء مبتدأ وفاعلًا. وعلى ضوء ما تقدَّم أظهر التَّركيب المنفيُّ زيادة تأكيد نفي إظهار ما أكنَّه حصين بن ضمضم في نفسه من عزم على الأخذ بثأر أخيه.

المبحث الثَّالث: بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة بـ"ما"

وَرَدَتْ الجملةُ الاسميَّةُ في المعلَّقات السَّبع منفيَّة بـ"ما" خمس مرَّات، فوردت مرَّة عند امرئ القيس، ومرَّة عند طرفة بن العبد، ومرتين عند زهير بن أبي سُلمى، ومرَّة عند الحارث بن حلِّزة. ولم ترد عند عنترة بن شدَّاد، ولا عمرو بن كلثوم، ولا لبيد بن ربيعة.

ويتَّضح ممَّا سبق أنَّ حرف النَّفي "ما" أُستعمل في المعلَّقات بصورة أقل من استعمال "ليس" و"لا"، وأنَّ استعمالها انحصر في شِعر أربعة منهم، في حين لم يستعملها ثلاثة منهم مطلقًا.

هذا، وجاءتْ التَّراكيب المنفيَّة بـ"ما" في ثلاث صور، وسيعرضها البحث في المطالب الثَّلاثة الآتية:

المطلب الأوَّل: تركيب "ما" مع اسمها وخبرها اتَّصلتْ به باء زائدة

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع ثلاث مرَّاتٍ؛ فورد في معلَّقة امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سُلْمى، ولم يرد عند بقيَّة شُعراء المعلَّقات السَّبع. فجاء التَّركيب في معلَّقة امرئ القيس في سياق تبرُّمه من طويل ليله، فقال مخاطبًا اللَّيل[١]:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا اِنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيْكَ بِأَمْثَلِ

والشَّاهد قوله: "وَمَا الإِصْبَاحُ فِيْكَ بِأَمْثَلِ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (بِأَمْثَلِ) منفيٌّ عن المسند إليه (الإِصْبَاحُ)، وأصل التَّركيب وَمَا الإِصْبَاحُ بِأَمْثَل فِيْكَ.

والمسند إليه (الإِصْبَاحُ) جاء معرَّفًا بـ(أل) العهديَّة الذِّكريَّة، فهو يشير إلى صباح معهود بين المتكلِّم والمخاطب. والمسند (بِأَمْثَلِ) جاء نكرة على صيغة أفعل التَّفضيل،

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٧٧.

فالشَّاعر ينفي عن الإصباح مثاليَّته، وأكَّد نفي المثاليَّة عنه بإدخال حرف الجرّ الزَّائد عليه. والتَّركيب المنفيُّ أفاد استواء اللَّيل والنَّهار عنده، فهو عندما طلب من اللَّيل الانجلاء في قوله: "أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا اِنْجَلِي بِصُبْحٍ" أراد انجلاء الهمّ، ثُمَّ استدرك بقوله: "وَمَا الإِصْبَاحُ فِيْكَ بِأَمْثَلِ" فأفاد الاستدراك المنفيُّ أنَّ الزَّمن لا علاقة له بهمومه، فالهمُّ يلازمه نهارًا كملازمته له ليلًا، فكأنَّ زمانه بجميع فتراته وساعاته هموم لا تنجلي عنه ولا تنقضي.

والمرَّة الثَّانية الَّتي أُستعمل فيها التَّركيب جاءت في معلَّقة طرفة بن العبد في سياق اعتداده بنفسه، وذلك في قوله[1]:

لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ نَهَارِي وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ

والشَّاهد قوله: "مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (بِغُمَّةٍ) منفيٌّ عن المسند إليه (أَمْرِي)، وأصل التَّركيب مَا أَمْرِي بِغُمَّةٍ عَلَيَّ.

جاء المسند إليه (أَمْرِي) معرَّفًا بالإضافة لإرادة الإيجاز؛ لأنَّ الإضافة –هنا– أوجز من لو قال: "الأمر الَّذي اتَّخذه..."، ثُمَّ إنَّ في التَّعبير عن القرار والعزيمة بالأمر وإضافة الأمر إلى نفسه إشارة إلى تمكُّنه منهما؛ لأنَّهما صارا بمنزلة الأمر الواجب تنفيذه. وإذا جاء المسند إليه معرفة فإنَّ المسند (بِغُمَّةٍ) جاء نكرة، وأفاد تنكيره الإشارة إلى أنَّه نوع خاص من الغمّ، فأصل الغمّ التَّغطية، ومنه سُمِّي السَّحاب غمامًا؛ لأنَّه يغطِّي السَّماء، فالشَّاعر لا يريد بالغمّ –هنا– التَّغطية، بل يريد الشَّيء المبهم الَّذي يلتبس على صاحبه، وفي ذلك استعارة؛ لأنّه شبَّه الشَّيء المبهم بالغمّ بجامع التَّغطية

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٢٨.

في كلٍّ، فكما أنَّ الغمَّة تغطي وتحجب الرُّؤية فإنَّ الشَّيء المبهم يحجب عن العقل إدراك كُنه الشَّيء فيلتبس عليه الأمر، وحذف الشَّاعر المشبَّه وأبقى على المشبَّه به على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة، ثُمَّ أدخل حرف الجرّ الزَّائد على المسند لتأكيد هذا المعنى المنفيّ. واستنادًا على ما تقدَّم فإنَّ التركيب المنفيَّ كشف عن صريمة ماضية عند الشَّاعر وعزم صُلب جعلته لا يكترث لنوائب الدَّهر، فهو لذلك لا تدوم عليه الهموم فنهاره لا يُظْلِم وليله لا يطول.

والمرَّة الثَّالثة الَّتي أُستعمل فيها التَّركيب جاءت في معلَّقة زهير بن أبي سُلمى في سياق تحذيره من الحرب والتَّنفير منها، وذلك في قوله[١]:

وَمَا الحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

والشَّاهد قوله: "وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ) منفيٌّ عن المسند إليه (هُوَ)، وأصل التَّركيب وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ عَنْهَا، والضَّمير في "عنها" يعود إلى الحرب.

وتجد أنَّ المسند إليه (هُوَ) جاء ضميرَ غيبةٍ يعود على كناية مستشفَّة من قوله: "وَمَا الحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ"، وهو يقصد المعاناة الَّتي لا تخفى عليكم من تبعات الحرب من: قتل للرِّجال، وسبي للنِّساء، ونزوح من الدِّيار، ثُمَّ عبَّر عن هذه التَّبعات بضمير الغيبة (هُوَ)، فأجمل هذا الضَّمير تلك التَّبعات وطوى ذكرها بصورة لطيفة، وكأنَّه قال: هي أشياء معلومة لكم من التَّجارب الَّتي مرَّت بكم. وجاء المسند (بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ) معرَّفًا بـ(أل) العهديَّة الذِّهنيَّة، وأفاد هذا التَّعريف أنَّ هذا (الحديث) أمر ثابت

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٦٧.

مقرَّر لا يشكِّك فيه أحد؛ لأنَّ "هذا ما شهدت عليه الشَّواهد الصَّادقة من التَّجارب وليس من أحكام الظَّنون"(١)، ولو قال: "بحديث مرجَّم" لما جعل (الحَدِيثِ المُرَجَّمِ) حديث متعارف عليه عند الجميع وظاهر عندهم تمام الظهور، ثُمَّ نعت المسند المنفيَّ بقوله: "الحَدِيثِ المُرَجَّمِ"؛ ليكشف عن معنى الموصوف ويفسره، فجاءت الصِّفة لتوضيح أنَّ هذا الحديث موصوف بأنَّ الظَّنون والشَّكُوك لا تدخله، بمعنى: إنَّ الحديث عن الحرب وما فيها من معاناة لا يمكن رجمه بالظَّنون والشَّكوك، وأكَّد هذا المعنى المنفيَّ بإدخال حرف الجرِّ الزَّائد على المسند. وعلى ضوء ما تقدَّم من تحليل للتَّركيب المنفيِّ يتَّضح أنَّ النَّفي أدَّى دورًا في نصح القوم وإرشادهم إلى أنَّ المعاناة من الحرب شديد وقعها على الطَّرفين المتحربين وأثارها تدمُّر الجميع، فما الحرب –كما في وصف الشَّاعر– إلَّا ما علمتم وذقتم في سابق تحاربكم.

والمرَّة الرَّابعة الَّتي أُستعمل فيها التَّركيب جاءتْ في معلَّقة عمرو بن كلثوم في قوله(٢):

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذي لَا تَصْبَحِينَا

ولكنَّ الشَّاهد لم يرد في كتاب "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات" للأنباريِّ، ولهذا سيتجاوز البحث دراسته وتحليله؛ لأنَّه خارج عن حدود الدِّراسة، فهي اعتمدتْ على رواية ابن الأنباريِّ، كما تقدَّم ذُكر ذلك في مقدِّمة البحث.

(١) الزوزني، "شرح المعلَّقات السَّبع"، ١١٧.
(٢) الزوزني، "شرح المعلَّقات السَّبع"، ١٧٢.

المطلب الثَّاني: تركيب "ما" مع المبتدأ ومع إلَّا والخبر.

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فورد في معلقة زهير بن أبي سلمى، وذلك في قوله[١]:

وَمَا الحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

وقد سبق تحليل هذا البيت في المبحث السَّابق.

وجاء هذا التركيب –أيضًا– في معلَّقة طرفة بن العبد، وذلك في قوله[٢]:

لَعَمْرُكَ مَا الأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا اِسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

إلَّا أنَّ هذا الشَّاهد لم يرد في كتاب "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات" للأنباريّ، فهو خارج عن حدود الدِّراسة كما جاءتْ في مقدِّمة البحث.

المطلب الثَّالث: تركيب "ما" مع "إنْ" الزَّائدة والخبر شبه جملة مقدَّم والمبتدأ نكرة مؤخَّر.

جاء هذا التَّركيب في المعلَّقات السَّبع مرَّة واحدة، فوردت في معلَّقة الحارث بن حلِّزة في سياق تحذير العائل من أنَّ مصيره القتل الحتمي، وأنَّ دمه سيضيع هدرًا، فقال يصوِّر هذا المعنى[٣]:

وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّـ ـهُ وَمَا إِنْ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٢٦٧.

(٢) يحيى بن علي التبريزي، "شرح المعلَّقات العشر". تحقيق: محمّد شحاته، (ط١، مكَّة المكرَّمة: المكتبة الفيصلية، ٢٠٠٥م)، ١١٥.

(٣) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٤٩٥.

والشَّاهد قوله: "وَمَا إِنْ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ". والمعنى: إنَّ حكمَ المسندِ (لِلْحَائِنِينَ) منفيٌّ عن المسند إليه (دِمَاءُ)، وأصل التَّركيب وَمَا إِنْ دِمَاءٌ لِلْحَائِنِينَ، إلَّا أنَّ الخبر تقدَّم وجوبًا؛ لأنَّه شبه جملة، والمبتدأ نكرة ولا مسوّغ للابتداء بالنَّكرة في هذا المقام.

وجاء المسند إليه (دِمَاءُ) في التَّركيب المنفيّ نكرة لإفادة التَّحقير؛ لأنَّ هذه الدِّماء تذهب هدرًا فلا أحد يطالب بها ويأخذ بثأرها، فهي دماء حقيرة لا قيمة لها، والمراد بالدِّماء –هنا– الثَّأر، فهي كناية عن موصوف، فأطلق الدِّماء وأراد لازم معناه وهو الثَّأر. وجاء المسند (لِلْحَائِنِينَ) شبه جملة للمحافظة على الجانب الموسيقي في البحر الشِّعري، و(الحائنين) جمع حائن، وهو الَّذي حان هلاكه ووجب، فيكون المعنى: "مَن عصى فقد حان أجله؛ وذلك أنَّه يجيء يُغِير فيُخاطر بنفسه، وإذا قُتيل فليس له مَن يطلب بدمه"[(١)]، و"إنْ" الزَّائدة بعد "ما" النَّافية "معناها الجحد، وهي مؤَكِّدة لما"[(٢)] النَّافية. وعلى ضوء ما تقدَّم تجد أنَّ التركيب المنفيَّ أفاد التَّأكيد على أنَّ العائل المخاطر بنفسه المغير على الآمنين سيقتل وتستأصل شوكته، فهو بفعلته هذه يُدرك أنَّ أجله حان حينه، وليس له بعد كلِّ ذلك طالب يطالب بدمه حريص كل الحرص على الأخذ بثأره، وبالتَّالي فإنَّ دمه ضائع سيذهب هدرًا.

(١) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٤٩٥.
(٢) الأنباريُّ، "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات"، ٤٩٦.

الخاتمة

تناول البحث موضوع "بَلَاغَةُ النَّظْمِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ فِي المُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ"، فدرسه دراسة تحليلية، وَهَدَفَ إِلَى الكَشْفِ عَنْ بَلَاغَةِ النَّظْمِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ بـ"لَيْسَ" وَ"لَا" وَ"مَا"، وَإِلَى مُحَاوَلَةِ الإِسْهَامِ فِي تَوْسِيعِ أُفُقِ الدَّرْسِ البَلَاغِيِّ بِدِرَاسَةِ الأَسَالِيبِ اللُّغَوِيَّةِ دِرَاسَةً تَسْعَى إِلَى بَيَانِ دُورِهَا البَلَاغِيِّ فِي التَّرْكِيبِ. وَاتَّبَعَ البَحْثُ المَنْهَجَ الوَصْفِيَّ التَّحْلِيلِيَّ؛ لِأَنَّ البَحْثَ يَسْعَى إِلَى تَوْظِيفِ نَظَرِيَّةِ النَّظْمِ فِي الكَشْفِ عَنِ اللَّطَائِفِ البَلَاغِيَّةِ فِي تَرَاكِيبِ الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ المَنْفِيَّةِ، وَتَوْظِيفُ النَّظْمِ يُنَاسِبُهُ اتِّبَاعُ المَنْهَجِ الوَصْفِيِّ التَّحْلِيلِيِّ. وَسَارَ البَحْثُ عَلَى خُطًا إِجَرَائِيَّةٍ تَمَثَّلَتْ فِي الآتِي: أَوَّلًا: ذِكْرُ البَيْتِ الشِّعْرِيِّ. ثَانِيًا تَحْدِيدُ مَوْضِعِ الشَّاهِدِ مِنِ البَيْتِ الشِّعْرِيِّ. ثَالِثًا: تَحْلِيلُ التَّرْكِيبِ المَنْفِيِّ تَحْلِيلًا بَلَاغِيًّا. وَتَوَصَّلَ البَحْثُ إِلَى عِدَّةِ نَتَائِجَ تَلْخِيصها فِي الآتِي:

- أُسْتُعْمِلَتْ أداة النَّفي "ليس" في المعلَّقات السَّبع سبع عشرة مرَّة بمعدل (٦٠,٧٢٪)، وأُسْتُعْمِلَتْ "لا" ستَّ مرَّات بمعدل (٢١,٤٣٪)، وأُسْتُعْمِلَتْ "ما" خمس مرَّات بمعدل (١٧,٨٥). وتُظهر هذه الإحصائيَّة شيوع استعمال "ليس" في شِعر المعلَّقات بصورة كبيرة، فوردت عند جميع شُعراء المعلَّقات باستثناء لبيد بن ربيعة، بينما تقارب استعمال أداتي النَّفي "لا" و"ما" في ذلك الشِّعر.
- جاءت أداة النَّفي "ليس" في نفي الجملة الاسميَّة في المعلَّقات السَّبع في تسعة تراكيب، وجاء (تركيب "ليس" مع اسمها المحذوف وخبرها نكرة اتَّصلتْ به باء زائدة) ثمانِ مرَّات من أصل سبعة عشر شاهدًا بمعدل (٤٧,٠٥٪)، وجاء (تركيب "ليس" مع اسمها معرفة وخبرها نكرة اتَّصلتْ به باء زائدة) مرَّتين من أصل سبعة عشر شاهدًا بمعدل (١١,٧٩٪)، بينما جاءت بقيَّة التَّراكيب السَّبع مرَّة واحدة من أصل سبعة عشر شاهدًا بمعدل (٥,٨٨٪) لكلِّ تركيب. ويظهر

من الإحصائيَّة شيوع استعمال (تركيب "ليس" مع اسمها المحذوف وخبرها نكرة اتَّصلتْ به باء زائدة)، وظهر من دراسة هذا التَّركيب اتِّفاق الشُّعراء في وضع موقعه من النسيج الشِّعري، فهو يقع في نهاية صدر البيت أو في نهاية عجزه، فوقع في نهاية عجز البيت ستَّ مرَّات ووقع في نهاية صدر البيت مرَّتين.

- جاءت أداة النَّفي "لا" في نفي الجملة الاسميَّة في المعلَّقات السَّبع في ستَّة تراكيب، وجاء كلُّ تركيب منها مرَّة واحدة من أصل ستَّة شواهد لكلِّ تركيب بمعدل (١٦,٦٦٪)، وظهر من دراسة تلك التَّراكيب الستِّ سياحة موقعها في النسيج الشِّعريِّ، فهي وقعت في جميع أجزاء البيت الشِّعريِّ.
- جاءت أداة النَّفي "ما" في نفي الجملة الاسميَّة في المعلَّقات السَّبع في ثلاثة تراكيب، وجاء (تركيب "ما" مع اسمها وخبرها اتَّصلت به باء زائدة) ثلاث مرَّات من أصل خمسة شواهد بمعدل (٦٠٪)، بينما جاء التَّركيبان الآخران مرَّة واحدة من أصل خمسة شواهد بمعدل (٢٠٪) لكلِّ تركيب، ويظهر من الإحصائيَّة أنَّ استعمال (تركيب "ما" مع اسمها وخبرها اتَّصلت به باء زائدة) أكثر من التَّركيبين الآخرين، وظهر من دراسة هذا التَّركيب اتِّفاق الشُّعراء في وضع موقعه من النسيج الشِّعري، فهو يقع في نهاية صدر البيت أو في نهاية عجزه، فوقع في نهاية عجز البيت مرتين ووقع في نهاية صدر مرَّة واحدة، وهو بهذه الصورة يتَّفق في موقعه من نسيج البيت الشِّعري مع صورة (تركيب "ليس" مع اسمها المحذوف وخبرها نكرة اتَّصلتْ به باء زائدة)، وكما اتَّفقوا في موقع تركيب (تركيب "ما" مع اسمها وخبرها اتَّصلت به باء زائدة) من النَّسيج الشِّعريِّ اتَّفقوا في بنائه، فهو يتكوَّن من (ما + اسمها + شبه جملة جار ومجرور + خبر "ما" متَّصل بها باء زائدة) وهذا يكشف عن مهيع عندهم في بناء هذا التَّركيب.
- تفاوت انتشار استعمال أسلوب النَّفي عند شُعراء المعلَّقات في نفي الجملة

الاسميَّة، فنجد أنَّ زهير بن أبي سُلْمى استعمله سبع مرَّات من أصل ثماني وعشرين مرَّة بمعدل (٢٥٪)، بينما نجد أنَّ امرأ القيس وطرفة بن العبد وعنترة بن شدَّاد والحارث بن حلِّزة استعملوه خمس مرَّات من أصل ثماني وعشرين مرَّة بمعدل (١٧,٨٥٪)، واستعمله عمرو بن كلثوم مرَّة واحدة من أصل ثماني وعشرين مرَّة بمعدل (٣,٥٧٪)، في حين نجد أنَّ لبيد بن ربيعة لم يستعمله مطلقًا. ويمكن تفسير تفاوت هذه النِّسب بموضوعات القصائد وأصحابها، فزهير نصَّب نفسه داعية سلام بين عبس وذبيان، فحذَّر من أن استمرار الحرب بينهما ليس فيه سوى العناء والمشقَّة، فهو خطيب منفعل، وامرؤ القيس صاحب الملك الضَّائع تكتنفه الأحلام ويسيطر عليه الحنين للماضي، فهو منفعل في خضم تلك الذِّكريات، والحارث بن حلِّزة يملؤه الغضب في الدِّفاع عن قبيلته، فهو في مقام منفعل، وطرفة بن العبد يكاد يجنُّ من ظلم ذوي القربى له، فهو في حالة انفعال، وعنترة بن شداد يشعر بالظلم والأسى فهو فارس القبيلة المقدَّم عندهم في الحرب المؤخَّر في السِّلم، وهو المحروم من ابنة عمِّه الَّتي طالما حلم ومنَّى النَّفس بها لا لشيء سوى أنَّه أسود البشرة، فهو في مقام الانفعال، وعمرو بن كلثوم ينافح عن قبيلته ويفخر بها فهو منفعل كل الانفعال في خضمّ الدِّفاع عنهم والفخر بهم، فالقاسم المشترك بين شعراء تلك المعلَّقات هو الانفعال والغضب، وفي هذه المقامات تكثر أساليب النَّفي في التَّعبير عن هذه العواطف الَّتي تملؤها مشاعر الغضب. أما لبيد بن ربيعة فلم تسيطر عليه مشاعر الغضب والانفعال، فمعلَّقته تسيح في موضوعات متفرِّقة بين وصف الأطلال والطبيعة والناقة والخمر والكرم والفخر، فهو هادئ كهدوء موضوعاته مجانبٌ للغضب والانفعال، فغاب أسلوب النفي في معلَّقته.

- أبان أسلوب النَّفي في شِعر المعلَّقات عن معانٍ بلاغيَّة عدَّة، وتفصيل هذه

المعاني عند كلِّ شاعر من شُعرائها في الآتي:

- فمعاني تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة عند امرئ القيس عبّرت عن اكتمال الحسن في محبوبته، واكتمال صفة خلق فرسه، وبيان وفائه لمحبوبته، والتَّعجُّب من فضل يوم دارة جلجل، والاستدراك الَّذي أفاد بأنَّ الفترات الزَّمنية من ليل وصباح لا علاقة لها في همومه.
- وجاءت معاني تراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة عند طرفة بن العبد لتعبِّر عن تنزيه سيفه عن المثالب، والفخر بكرمه وشجاعته وعلِّو همَّته ومضاء رأيه.
- وتراكيب الجملة الاسميَّة المنفيَّة عند زهير بن أبي سُلمى غلب عليها التَّغني بمدح هرم بن سنَّان والحارث بن عوف ووصل المدح إلى قبيلتهما، وعبَّرت التَّراكيب المنفيَّة الأخرى عن التَّحذير لعبس وذبيان من استمرار الحرب بينهما، وعن التنبيه إلى أنَّ مصير الجميع موت وفناء، وعن الثناء على قوَّة العزم ومضائه.
- وجاءت معاني النَّفي عند عنترة بن شدَّاد لتتغنَّى بشجاعته وفروسيَّته في جانب منها، وفي جانب آخر عبَّرت عن التَّغني بجمال تلك الرَّوضة المعشبة.
- وأسلوب النَّفي عند الحارث بن حلِّزة أفاد التَّعبير عن معاني السُّخريَّة في ثلاثة تراكيب من معلَّقته، والفخر بقبيلته في تركيب، وفي تركيب آخر حذَّر العائل على الآمنين من هدر دمه وضياعه.
- وخرج أسلوب النَّفي في معلَّقة عمرو بن كلثوم إلى معاني الحثِّ والحضِّ على القتال.

ويُوصي البحث بتوصيتين:

- دراسة بلاغة النَّظم في تراكيب الجملة الفعلية في المعلَّقات السَّبع.
- دراسة بلاغة النَّظم في أساليب النَّفي الضِّمنيِّ في المعلَّقات السَّبع.

هذا، والحمد لله في أوَّل الأمر وآخره.

المصادروالمراجع

الأنباريُّ، محمَّد بن القاسم. "شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط٥، القاهرة: دار المعارف، د. ط).

أبو موسى، محمَّد بن محمَّد. "الشِّعر الجاهليُّ: دراسة في منازع الشُّعراء". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٨م).

بروكلمان، كارل. "تاريخ الأدب العربيّ". ترجمة: عبد الحليم النَّجَّار، (ط٥، القاهرة: دار المعارف، د.ت).

التَّفْتَازَاني، سعد الدِّين مسعود. "المطوَّل". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠١م).

التبريزي، يحيى بن علي. "شرح المعلَّقات العشر". تحقيق: محمّد شحاته، (ط١، مكَّة المكرَّمة: المكتبة الفيصلية، ٢٠٠٥م).

بن خوية، رابح. "البنية التَّركيبيَّة للقصيدة الحديثة". (ط١، إربد: عالم الكتاب الحديث، ٢٠١٣م).

الدرة، محمَّد علي طه. "فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال". (ط٢، جدة: مكتبة السوادي، ١٩٨٩م).

الزوزني، عبد الله بن حسن. "شرح المعلَّقات السَّبع". تحقيق: محمَّد الفاضلي، (د.ط، بيروت: المكتبة العصريَّة، ٢٠٠٣م).

السَّامَّرائي، فاضل صالح. "معاني النَّحو". (ط٥، عمَّان: دار الفكر، ٢٠١١م).

السَّامرائي، فاضل صالح. "معاني الأبنية في العربية". (ط٣، عمَّان: دار عمَّار، ٢٠١٢م).

السَّكاكي، يوسف بن أبي بكر. "مفتاح العلوم". تحقيق: نعيم زرزور، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٧م).

علي، جواد. "المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام". (د.ط، بغداد: جامعة بغداد، د.ت).

عبد الرحيم، سعد سيِّد أحمد. "أسلوب النَّفي وأدواته في المعلَّقات العشر". *مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم* ١١، (٢٠١٩م): ١ – ٥٥.

ابن فارس، أحمد. "الصَّاحبي". تحقيق: السَّيِّد أحمد صقر، (د.ط، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت).

فيود، بسيوني عبد الفتَّاح. "علم المعاني: دراسة بلاغيَّة ونقديَّة لمسائل المعاني". (ط٣، القاهرة: مؤسَّسة المختار، ٢٠٠٤م).

الفيصل، عبد العزيز محمَّد. "المعلَّقات العشر". (ط٢، الرِّياض: طبعة خاصة للمؤلف، ٢٠٢٢م).

اللبدي، محمَّد سمير. "معجم المصلحات النَّحويَّة والصَّرفيَّة". (ط١، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ١٩٨٥م).

ابن منقذ، أسامة. "البديع في نقد الشِّعر". تحقيق: أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، (د.ط، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ت).

ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين. (د.ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت).

Bibliography

ʿAbd Al-Raḥīm, Saʿd Sayyid Aḥmad. "Uslūb Al-Nafyi wa-Adawātihi fī al-Muʿallaqāt Al-ʿAsharr". Faculty of Arts, Fayoum University 11, (2019): 1–55.

Abū Mūsā, Muḥammad bin Muḥammad. "al-Shiʿr al-Jāhilī: Dirāsa fī Manāziʿ Al-Shuʿarāʾ". (1st ed., Cairo: Wahba Bookstore, 2008).

Al-Anbārī, Muḥammad bin Al-Qāsim. Sharḥ Al-qaṣāʾid al-sabʿ Al-ṭiwāl al-jāhilīyāt. Investigated by ʿAbd al-Salām Hārūn, (5th ed., Cairo: Dār al-Maʿārif).

Al-Durra, Muḥammad ʿAlī Ṭaha. "Fatḥ Al-Kabīr Al-Mutaʿāl Iʿrāb Al-Muʿallaqāt Al-ʿAsharr Al-Ṭiwāl. (2nd ed., Jiddah: Al-Sawādī Bookstore, 1989).

Al-Faiṣal, ʿAbd Al-ʿAzīz Muḥammad. "Al-Muʿallaqāt Al-ʿAsharr". (2nd ed., Riyadh: Author's special edition, 2022).

ʿAlī, Jawād. "Al-Mufaṣṣal fī Tārīkh Al-ʿArab Qabla Al-Islām". (n.ed., Baghdad: University of Baghdad, n.d.).

Al-Lubbadī, Muḥammad Samīr. "Muʿjam Al-Muṣṭalaḥāt Al-Naḥwīya wa-al-Ṣarfīya". (1st ed., Beirut: Al-Risāla Foundation, 1985).

Al-Sakkākī, Yūsuf bin Abī Bakr. "Miftāḥ Al-ʿUlūm". Investigated by Naʿīm Zarzūr, (3rd ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmīya, 1987).

Al-Sāmurraʾī, Fāḍil Ṣāleḥ. "Maʿānī Al-Abniya fī Al-ʿArabīya". (3rd ed., Oman: Dār ʿAmmār, 2012).

Al-Sāmurraʾī, Fāḍil Ṣāleḥ. "Maʿānī Al-Naḥw". (5th ed., Oman: Dār al-Fikr, 2011).

Al-Tibrīzī, Yaḥyā bin ʿAlī. "Sharḥ Al-Muʿallaqāt Al-ʿAsharr". Investigated by Muḥammad Shaḥāta, (1st ed., Mecca: Al-Maktaba Al-Faiṣalīya, 2005).

Al-Taftāzānī, Saʿd Al-Dīn Masʿūd. "Al-Muṭawwal". Investigated by ʿAbd Al-Ḥamīd Hindāwī, (1st ed., Beirut: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmīya, 2001).

Al-Zawzanī, ʿAbdullāh bin Ḥasan. "Sharḥ Al-Muʿallaqāt Al-Sabʿ". Investigated by Muḥammad Al-Fāḍilī, (n.ed., Beirut: Al-Maktaba Al-ʿAṣrīya, 2003).

Bin Khūya, Rābiḥ. "Al-Binya Al-Tarkībīya lil-Qaṣīda Al-Ḥadītha". (1st ed., Irbid: ʿĀlam Al-Kitāb al-Ḥadīth, 2013).

Brockelmann, Karl. "Tārīkh Al-Adab Al-ʿArabī". Trans. ʿAbd Al-Ḥalīm Al-Najjār, (5th ed., Cairo: Dār al-Maʿārif, n.d.)

Fayūd, Basyūnī ʿAbd al-Fattāḥ. "ʿIlm Al-Maʿānī: Dirāsa Balāghīya

wa-Naqdīya li-Masāʾil Al-Maʿānī". (3rd ed., Cairo: al-Mukhtār Foundation, 2004).

Ibn Fāris, Aḥmad. "Al-Ṣāḥibī". Investigated by Al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr, (n.ed., Cairo: ʿĪsā al-Bābī al-Ḥalabī Press, n.d.).

Ibn Manẓūr, Muḥammad bin Mukarram. "Lisān Al-ʿArab". Investigated by ʿAbdullāh ʿAlī al-Kabīr et al., (n.ed., Cairo: Dār al-Maʿārif, n.d.).

Ibn Munqidh, Usāma. "al-Badīʿ fī Naqd Al-Shiʿr". Investigated by Aḥmad Badawī and Ḥāmid ʿAbd Al-Majīd, (n.ed., Cairo: Muṣṭafā Al-Bābī al-Ḥalabī Press, n.d.).

القيم الحجاجية في كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي
دراسة تطبيقية في باب العلم

Argumentative Values in Imam al-Shafi'i's "Al-Risālah" An Applied Study of the Chapter on Knowledge

د. أمينة بنت سعود بن خيشان القرشي

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية، تخصص البلاغة والنقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الباحة

البريد الإلكتروني: aalqurashy@bu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
18/09/2025		15/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-008		

الملخص

القيم الحجاجية في كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي، دراسة تطبيقية في باب العلم، موضوع يرتكز على جانبين: الجانب اللغوي والفكري عند الشافعي، وهذا يتطلب النظر في تكوينه العلمي، وعلى الأخص في كتابه (الرسالة)، فهو كتاب فريد في التنظير الأصولي، والمنطق الحجاجي، موسوم بالجزالة والإيجاز، يخاطب العقل والوجدان. والجانب التطبيقي في باب العلم؛ حيث حجاجية السؤال، وبلاغة الجواب في التحاور والتجاوب بآليات أصولية تحقق الوظيفة الدلالية، وأدوات بلاغية تحقق الوظيفة التأثيرية، وتتمثل أهداف الموضوع في إيضاح الوظائف التواصلية والقيم الحجاجية لآلية التحاور، ودورها في بناء المعنى، وفي الكشف عن القيم العقلية (المنطقية)، والبلاغية (التأثيرية)، ودورها في تكوين القاعدة الأصولية، وتوجيه العقل، وتحقيق الإقناع، وفي ربط القيم الفنية (الجمالية) بالوظائف الإقناعية، فالشافعي مؤسس للمعرفة يهتم بتوعية المتلقي وتثقيفه إقناعًا وإمتاعًا، وقام على المنهج البلاغي في استقراء المسائل والحجج، وتحليلها، وتوجيهها، واستنباط الأدوات البلاغية، والقيم الحجاجية، وكشف دورها في السياق، وأثرها في المتلقي، ومن أهم نتائجه: يُعد الشافعي لبنة أولى في تأسيس علم أصول الفقه الإسلامي وفق منهج حجاجي محكم، دقيق، منظم ومتماسك، يجمع بين النص والعقل، فهو بإجماع العلماء أول من دوّن في علم الأصول تدوينًا مستقلًّا في كتابه الرسالة، الذي أصبح مرجعًا في معرفة آليات الاستنباط، والاستدلال، والقياس، ويُشكل كتاب (الرسالة) أنموذجًا حجاجيًّا متناميًا، يجمع بين: (التحليل المنطقي، والتصوير البلاغي)، ويقود المتلقي نحو: الإصغاء والإلزام، والمشاركة في تكوين الحجة بالبرهان، وإشباع العقل بفرض مبدأ التحاور والتجاوب، وجذب النفس نحو التسليم المطلق والإذعان التام.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الشافعي، الرسالة، باب العلم، دراسة تطبيقية.

Abstract

Argumentative Values in Imam al-Shafi'i's "Al-Risālah": An Applied Study of the Chapter on Knowledge.

The current research focuses on two dimensions: the linguistic and intellectual aspects of al-Shafi'i's work, requiring an examination of his scholarly formation, particularly in his book "Al-Risala"-a unique work in legal theoretical framework and argumentative logic, characterized by eloquence and conciseness. It addresses the intellect, conscience, and the applied dimension in the Chapter on Knowledge, where the argumentative nature of questioning and the rhetoric of answering manifest through dialogue and response.

Objectives: clarifying the communicative functions and argumentative values of the dialogical mechanism and its role in constructing meaning; revealing the rational-logical and rhetorical-persuasive values and their role in forming legal principles, directing the intellect, and connecting artistic-aesthetic values with persuasive functions. Al-Shafi'i, as a founder of knowledge, is concerned with educating and enlightening the recipient through persuasion and engagement.

The study adopted methodology in examining and analyzing issues and arguments, and uncovering their contextual role and impact on the recipient.

Key findings indicate that al-Shafi'i established the foundation of Islamic legal theory according to a rigorous, precise, organized, and coherent argumentative methodology. By scholarly consensus, he was the first to independently codify the science of legal principles in his book "Al-Risala", inference, and analogy. "Al-Risala" represents a progressive argumentative model combines logical analysis with rhetorical representation, participation in constructing arguments through proof.

Keywords: Argumentative, Al-Shafi'i, Al-Risālah, Chapter on Knowledge, applied study.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لقد وظف الإمام الشافعي اللغة العربية وطرائقها في خطابه الأصولي توظيفًا دقيقًا، فهي أداة تعبير عن المعاني والأفكار، وضبط للمسائل والأحكام، ووسيلة للتأثير والإقناع، ورمز للكفاية التواصلية، والوظائف التفاعلية، والأساليب الحجاجية: كآلية السؤال، والجواب، والبرهان، والاستدلال، والإيجاز، والتقابل، فكان لزامًا على الناظر المتأمل في بيان معاني القرآن، وكشف مقاصده، واستخلاص غاياته، أن يُدرك كنّه اللسان العربي، فهو أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا ... ومن جماع علم كتاب الله فقه اللسان العربي(١)، فتقرر لزوم علمها في حسن الإبانة عن معاني الهدى في بيان الوحي قرآنًا وسنة، وكتاب (الرسالة)(٢) أوثق دليلٍ، وأصدق برهانٍ؛ لكشف سُبُل الفهم والاستنباط لمقاصد الخطاب في بيان الوحي(٣)، فلا تكاد تخلو صفحاته من الحجاج ومسالكه في معالجة الفقه الأصولي؛ حيث الاستدلال العقلي، والتدرج المنطقي في تأصيل المسائل على نحو ما ورد في الكتاب والسنة، فاعتمد الشافعي

(١) ينظر: محمد بن إدريس الشافعي، "الرسالة". تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٠٩هـ)، ٢٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١١.

يقال: إن عبد الرحمن بن مهدي قد طلب من الشافعي أن يكتب له كتابًا يُبين فيه معاني القرآن، وبيان الناسخ والمنسوخ منه ... فألف الشافعي الرسالة، وسميت بهذا؛ لإرسالها إلى عبد الرحمن بن مهدي.

(٣) ينظر: محمود توفيق محمد سعد، "سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة، دراسة منهجية تأويلية ناقدة". (ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٤٢هـ)، ٤.

المسلك الحجاجي؛ لاستخلاص ما هو مكنون معرفي، وتهذيبي، وتوجيهي[١]؛ سعيًا لضمان تصديق الحكم، وحصول الإقناع العقلي والتأثير النفسي، فالحجاج لا ينفصل عن البعد الوجداني، فهو يمسّ جوهر الإنسان عقلًا وروحًا[٢].

فالعقل البلاغي آلة من آلات العقل الأصولي يشتركان في (العقل، والبيان، والمقاصد)، ففهم المسائل وتحرير القول فيها يستلزم **منطقًا عقليًّا قاطعًا**: يؤسس الحجج والبراهين، **ودرايةً لغويةً محكمةً**: تضمن الدقة والسلامة والوضوح، **وبيانًا بلاغيًّا دقيقًا**: يجمع بين التأثير والإقناع، **وقدرةً تحاورية، وقوةً تأثيرية**: بمنهج أخلاقي في إثبات صحة الاستدلال، ودقة الاستنباط[٣].

ويتمركز محور البحث على أمرين، هما:

الأول: في بيان طرائق الإمام الشافعي ومسالكه الحجاجية في توجيه المتلقي؛ لمعرفة القواعد الأصولية من خلال دراسة تطبيقية في (باب العلم)؛ حيث إثبات (الفرض العيني)، وبيان مصدره، ووصف طبيعته في أنه علم قطعي، معلوم بالدليل، لا يخضع للتأويل، ولا يقبل النزاع عقلًا ونقلًا، ومعالجة (الفرض الكفائي) في مقام تواصلي يقدّم المعرفة بخطاب حجاجي، يؤسس قواعد العلم الاجتهادي بأنه علم يُطلب عبر الأدوات الأصولية من: (القياس، والاستنباط، والتأويل، والنظر)، والتدليل بالحجة من: (القرآن، والسنة، والإجماع)، وفق تدرج منطقي من: (السؤال إلى

(١) ينظر: سعد، "سبل استنباط المعاني من القرآن السنة، دراسة منهجية تأويلية ناقدة"، ٨٨؛ محمد الصغير ميسه، "ملامح التداولية في كتاب الرسالة للإمام الشافعي". *مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية*، الجزائر، رقم ٤، جوان (٢٠٢٠م): ١١٩.

(٢) ينظر: طه عبد الرحمن، "أصول الحوار وتحديد علم الكلام". (ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م)، ٢٠.

(٣) ينظر: الشافعي، "الرسالة"، ١١.

الجواب)، ومن: (الإبهام إلى البيان)، ومن: (الإجمال إلى التفصيل)؛ من أجل توثيق المعرفة، وتقريب الفكرة لذهن المتلقي.

الثاني: في بيان أهمية (التحاور) ودوره في تأسيس المعرفة، فهو ليس مجرد مناظرة بين شخصين سائل ومجيب، بل هو أداة منهجية ذات طابع حجاجي تربوي، قدّم الشافعي من خلالها معرفة متكاملة متغازرة في بيان علم العامة –العلم القطعي–، وما يتعلق به من تكليف وإلزام، وفعل وترك، وفحص علم الخاصة –العلم الاجتهادي– وإثباته بضرب من التمثيل والتقريب، فالتحاور والتجاوب آلة بناء وتعليم، عبر أسئلة وأجوبة شرعية منطقية، بهما تتولد المعرفة وتتنامى، وينشط المتلقي للمشاركة الذهنية، وتتأصل المعرفة بالحجة القاطعة وفق المقاصد والغايات، فهذه أسباب دفعت لدراسة: **(القيم الحجاجية في كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي، دراسة تطبيقية في باب العلم)**، وبيان الشافعي بيان بكر تتجدد فيه المزايا والسمات، وباب العلم لم يُطرق بالنظر والتحليل، فلا توجد –فيما اطلعت– دراسات لبيان بلاغة الشافعي، وما يحويه خطابه في (الرسالة) من قيم حجاجية، ووظائف تواصلية.

أهداف البحث، ويمكن إيجازها في الآتي:

١. إيضاح الوظائف التواصلية والقيم الحجاجية لآلية التحاور، ودورها في بناء المعنى.
٢. الكشف عن القيم العقلية (المنطقية)، والبلاغية (التأثيرية)، ودورها في تكوين القاعدة الأصولية، وتوجيه العقل، وتحقيق الإقناع.
٣. بيان القيم التربوية التي تضّمنها النص الحجاجي في باب العلم.
٤. ربط القيم الفنية (الجمالية) بالوظائف الإقناعية، فالشافعي مؤسس للمعرفة يهتم بتوعية المتلقي وتثقيفه إقناعًا وإمتاعًا.

مشكلة البحث، وتتمثل في بيان الآتي:

- إلى أي مدى اعتمد الشافعي آلية (التحاور والتجاوب) كأداة بناء في تأسيس المعرفة وتوليدها وفق مقاصد فهم العلم الشرعي.

ويتفرع عنها أسئلة عدّة، جاءت على النحو الآتي:

س١: هل يُعد التكوين اللغوي والفكري لدى الشافعي رافدًا من روافد نمو الفكر وخصوصيته؟

س٢: هل يمكن اعتبار الحوار أداة تعليمية وشكلًا حجاجيًّا في الكشف عن الحقيقة، عن طريق التواصل والتفاعل بين السائل والمجيب والمتلقي، وما أثر ذلك في تحقيق الفائدة إقناعًا وتأثيرًا؟

س٣: هل يُحقق الاستفهام بُعدًا حجاجيًّا يُساهم في بناء النص، ويقود المتلقي نحو الإقناع؟

س٤: إلى أيّ مدى استعان الشافعي بالحجة المنطقية في بناء المعرفة، وإنتاج المعنى؟

منهج البحث:

راعت الدراسة في الجانب النظري المنهج الوصفي القائم على التتبع والاستقراء؛ للكشف عن خصائص التكوين اللغوي والفكري وأثرها في نمو العلم وبناء المعرفة، وراعت في الجانب التطبيقي منهج النظر البلاغي القائم على استقراء الحجج، وتحليلها، وتوجيهها، واستنباط الأدوات البلاغية والقيم الحجاجية، وكشف دورها في السياق، وأثرها في المتلقي.

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات التي تناولت بلاغة الحجاج عند الشافعي دراسة بعنوان: "**التداولية والحجاج في الخطاب الأصولي، رسالة الإمام الشافعي أنموذجًا**"، وتهدف

الدراسة إلى تحليل البنية الحجاجية في (الرسالة) باستخدام مقولات التداولية؛ من أجل الكشف عن الكيفية التي يُبنى بها للإقناع في الخطاب الأصولي، واتبعت المنهج الوصفي التحليلي؛ لرصد المقولات التداولية في خطاب الشافعي، وشرحها داخل السياق، والمنهج الاستقرائي؛ لاستخلاص الأنماط التداولية، وتناولت الدراسة: مفهوم الحجاج، ومفهوم التداولية، وتحليل أربعة نصوص من كتاب الرسالة نحو مقاربة حجاجية تداولية موسعة(١).

ودراسة بعنوان: "**ملامح التداولية في كتاب الرسالة للإمام الشافعي**"، وتهدف إلى إبراز ملامح الفكر التداولي في كتاب الرسالة، فتناولت: مفهوم التداولية، والاقتضاء، والقصدية، والسياق، ثم مفهوم الحجاج(٢). إلى جانب العديد من الأبحاث والدراسات التي تناولت الجانب الفقهي واللغوي للشافعي(٣)، وما يخص الجانب البلاغي من العنوان فهو في بيان القيم الحجاجية لبلاغة (التحاور)، وحوله العديد من الأبحاث والدراسات(٤) التي كانت دافعًا أساسيًّا لإقامة هذا البحث.

---

(١) بلقاسم عريبي، رضا زلاقي، "التداولية والحجاج في الخطاب الأصولي، رسالة الإمام الشافعي أنموذجًا". *مجلة العلوم الإسلامية والحضارة*، مجلد ١٠، عدد ٢، (٢٠٢٥م): ٤٨٨.

(٢) ينظر: ميسه، "ملامح التداولية في كتاب الرسالة للإمام الشافعي"، ١٠٧ وما بعدها.

(٣) من أهم الدراسات التي تناولت مؤلفات الشافعي من الجانب اللغوي، دراسة بعنوان: **منهجية الإمام محمد بن إدريس الشافعي، في الفقه وأصوله، تأصيل وتحليل**، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ؛ ودراسة بعنوان: **الفكر اللغوي عند الإمام الشافعي كتاب الرسالة أنموذجًا**، حميد عبده أحمد سلام النهاري، جامعة اليمن، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد ٢٢، ١٤٤١هـ؛ ودراسة بعنوان: **لغة الإمام الشافعي في مؤلفاته**، نافع سلمان الزوبعي، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد؛ وغيرها.

(٤) ومنها: دراسة بعنوان: **حجاجية الاستفهام الانكاري في القرآن، مناظرة سيدنا إبراهيم** =

خطة البحث:

اقتضى أن يكون البحث في: مقدمةٍ، وتمهيدٍ، ومبحثين، وخاتمة، متبوعة بقائمة المصادر والمراجع، ويمكن تفصيل ذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتتناول أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، بعنوان: الحجاج في الدرس البلاغي، وفيه:

أولًا: المفهوم والوظيفة الحجاجية.

ثانيًا: مفهوم القيم الحجاجية، وأنواعها.

ثالثًا: مقومات البناء الحجاجي في الفكر البلاغي.

رابعًا: الضوابط الأخلاقية للممارسة الحجاجية في الفكر البلاغي.

المبحث الأول، بعنوان: الإمام الشافعي بين: التنظير الأصولي، وحجاجية المنطق الفقهي، وفيه:

المطلب الأول: التكوين اللغوي والفكري للإمام الشافعي وأثره في توجيه المعنى.

المطلب الثاني: الأسس المنهجية للأسلوب البلاغي في كتاب (الرسالة).

المبحث الثاني، بعنوان: القيم الحجاجية في نصوص باب العلم، وأثرها في بناء الخطاب الإقناعي، وفيه:

=

أنموذجًا، محمد كمال الدين الزماني، مجلة الباحث، جامعة ابن خلدون، الجزائر، العدد ٩، ٢٠١٤م؛ ودراسة بعنوان: **حجاجية الحوار عند أبي حيان التوحيدي**، ريحان عبده عبيدات، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلد ٢٠، عدد ١، ٢٠٢٣م؛ ودراسة بعنوان: **حجاجية الاستفهام التقريري في مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج**، كمال الزماني، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، عدد ١١٩، ٢٠١٩م؛ وغيرها.

المطلب الأول: القيم العقلية المنطقية.

المطلب الثاني: القيم البلاغية التأثيرية.

والخاتمة.

وفهرس المصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين.

التمهيد، بعنوان:

الحجاج في الدرس البلاغي

يُعد الحجاج نظرية مثلى تجمع بين (العقل، واللغة، والتأثير) في إطارٍ منهجي، قابل للتفكير، والتحاور، والنقاش، يتخذ أنماطًا معرفية عديدة، منها: الجدل؛ حيث إدراك المقدمات البرهانية(١)، والخطابة؛ حيث مشافهة الجمهور واستمالته(٢)، والمناظرة؛ حيث الحوار العقلي المنظم(٣)، والحجاج: الدخول في علاقة مع الغير، بمعنى: أن الذي يُحدد ماهية الكلام إنما هو العلاقة التخاطبية الحوارية، إمّا بطريق التحليل والاستدلال على كلام ما، وإمّا بالجدل العلمي حيال مسألة اختلافًا، وردًّا، ورفضًا، ودحضًا مقابل اتفاق، وأخذ، وقبول، ودعم(٤).

أولا: المفهوم والوظيفة الحجاجية:

إن الجذر اللغوي لمادة (حجّ) ينحصر في المعاجم العربية(٥) في معنى إقامة الحجة

(١) ينظر: علي بن محمد الشريف الجرجاني، "التعريفات". (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، ٧٤.

(٢) ينظر: أحمد محمد الحوفي، "فن الخطابة". (ط٤، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٢م)، ٥.

(٣) ينظر: حسان الباهي، "الحوار ومنهجية التفكير النقدي". (المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م)، ٢٣.

(٤) ينظر: طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي، ١٩٨٨م)، ٢١٥؛ جميل عبد الحميد، "البلاغة والاتصال". (دار غريب، ٢٠٠٠م)، ١٠٧.

(٥) ينظر: أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت، لبنان: دار الفكر، ١٣٩٩م)، ٢: ٢٩.

وإثباتها، يُقال: حاججته، أحاجه، حجاجًا، ومحاجة حتى حججته، بمعنى: غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجة: البرهان، والحجة: ما دفع به الخصم ...، والحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ... والتحاج بمعنى: التخاصم[١]، وعليه؛ فالحجة يراد بها: (البرهان، والدليل، والغلبة، والتخاصم)، وهي معانٍ تتجسد في خاصية: الإقناع، والتفاعل، والتحاور، والمواجهة، ودحض الخصم.

وفي الاصطلاح البلاغي[٢] أصبح الحجاج فنًّا خاصًّا بالإقناع، ووسيلة لإثبات رأي أو دحضه؛ إذ إن الغاية التي يسعى إليها القائل والسامع إنما هي الفهم والإفهام[٣]، فالحجة: "الاستقامة في النظر، والمضي فيه على سنن مستقيم من ردّ الفرع إلى الأصل"[٤]، والحجاج فن بلاغي من تقنيات علم الكلام، وهو: "كل منطوق به موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"[٥]، وهو أيضًا: نظرية تدرس "تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[٦]، وتهتم نظرية

(١) ينظر: جمال الدين بن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٢: ٢٢٨.

(٢) أمثال: الجاحظ (٢٥٥هـ)، "البيان والتبيين"، وابن وهب (٣٣٥هـ)، "البرهان في وجوه البيان"، وأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ)، "الصناعتين"، والجرجاني (٤٧١هـ)، "أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز"، وغيرهم.

(٣) ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، "البيان والتبيين". تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل)، ١١؛ محمد العمري، "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها". (ط١، الدار البيضاء، المغرب: أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م)، ١٩٨.

(٤) أبو هلال العسكري، "الفروق اللغوية". تحقيق: محمد إبراهيم، (مصر: دار العلم والثقافة)، ٧٠.

(٥) عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، ٢٢٦.

(٦) عبد الله صوله، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات". (ط١، تونس: مسكياياني للنشر، =

الحجاج بالكشف عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية المؤدية إلى نتائج معينة[١]، وقد كثر الحديث حول هذه النظرية في دراسات المحدثين[٢].

إن الوظيفة الإقناعية للخطاب تجعل من التواصل معركة تستوجب لكسبها حيازة الإمكانات الفكرية للمتكلم؛ حيث: الدليل، والقياس، والاستدلال، والإمكانات العاطفية؛ حيث: التحريك، والانفعال، والتأثير، والإمكانات اللغوية؛ حيث: الوضوح، والدقة، والأساليب ... والغرض التداولي وراء كل حجاج هو تحصيل الإقناع[٣]، و"غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب"[٤]، وهذا ما أشار إليه الجاحظ بقوله: "وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة، وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة

=

٢٠١١م)، ٧٦.

(١) ينظر: عبد الله صوله، "الحجاج في القرآن من خلال خصائصة الأسلوبية". (ط٢، بيروت، لبنان: دار الفارابي، ٢٠٠٧م)، ١٦.

(٢) أمثال: عبد الله صوله، "في نظرية الجحاج دراسات وتطبيقات"، ومحمد العمري، "في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية"، ومحمد مشبال، في "البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ"، وحمادي صمود، في "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطور إلى القرن السادس"، وغيرهم.

(٣) ينظر: محمد العمري، "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول". (المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٥م)، ١٦؛ عبد الهادي بن ظاهر الشهري، "استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية"، (دار الكتاب الجديد المتحدة)، ٤٥٦.

(٤) صوله، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، ٧٦.

الوزن، وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وإن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب، وتثنى به الأعناق، وتزين به المعاني"[١].

وعليه؛ فالخطاب الحجاجي عملية تواصلية ذات وظائف تفاعلية تتطلب في سياقها أدوات لغوية تساهم في إذعان العقول، وإحداث الانفعال، وتحريك العواطف، بمجموعة من الصيغ التوجيهية في قيادة المتلقي نحو الإلزام، حتى يبلغ في الإقناع والتسليم مرتبة عالية، ومن بين الصيغ[٢]:

- **التوجيه الإثباتي** الذي يتمثل في سلطة البرهان، وقوة الدليل، وبيان حدود المعنى، وقطع الشك والاعتراض.
- **التوجيه الإلزامي** الذي يجعل الحجة تتخذ صفة الإلزام بدفع المتلقي إلى تجنب كل نقيض بطريقة منطقية محكمة.
- **التوجيه الاستفهامي** الذي يقوم على استثارة العقل، وتوجيه النظر للوصول إلى دائرة اليقين.
- **التوجيه بالتمني** الذي يُحوّل الحجة إلى إقناع وجداني يُثير تعاطف المتلقي ويدعوه إلى التفكير.

فتلك مفاتيح المتكلم الجمالية في بيان مقاصده بنسيج بلاغي يقنع المتلقي ويستميل عاطفته.

ولقد برز الجانب الحجاجي في مؤلفات البلاغيين؛ إذ جعلوا البلاغة تعني الحجاج؛ لأن التعريفات والحدود التي تكشف عن جوهر البلاغة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالآليات التواصلية، والتقنيات الحجاجية، التي تجعل من المتكلم أداة بارعة في نمو

(١) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ٣٦.

(٢) ينظر: صوله، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، ٣٨ وما بعدها.

العملية التواصلية –في (الإفهام)–، والإقناعية –في (الإقناع)– لدى المتلقي[١]، والبيان أصلٌ عليٌّ يرتكز على نقل المعنى الكامن في النفس وإيصاله حتى يتلقاه الآخر بالقبول والإدراك، فإن كل من أفهمك حاجته من غير إعادة فهو بليغ مبين[٢].

ومن التعريفات الكاشفة لمقدار الترابط بين البلاغة والحجاج قولهم: "جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة"[٣]، والبلاغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام ... ووضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة ... والتماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول[٤].

ومن الأبواب الجامعة بين البلاغة والحجاج قولهم: باب الاستدلال[٥]، وباب الاستدراج[٦]، وباب الاحتجاج[٧]، وباب الجدل والمجادلة[١]، وباب القياس

(١) ينظر: العمري، "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، ١٩٣.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١١٣.

(٣) المصدر السابق، ٩٢.

(٤) ينظر: االمصدر السابق، ٩١.

(٥) ينظر: أبو يعقوب السكاكي، "مفتاح العلوم". ضبطه: نعيم زرزور، (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ)، ص٤٣٨.

(٦) ينظر: ضياء الدين بن الأثير، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر)، ٢: ٢٠٥؛ حازم بن محمد القرطاجني، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، (تونس: ١٩٦٦م)، ١٠٢؛ يحيى بن حمزة العلوي، "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز". (ط١، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٣هـ)، ٢: ١٤٨.

(٧) ينظر: الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١١٤؛ الحسن بن رشيق القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٥، دار الجبل، ١٤٠١هـ)، ٢٤٣؛ ابن وهب، "البرهان في وجوه البيان". تحقيق: جفني محمد شرف، (مصر: مطبعة =

والتمثيل[٢]، وتلك روابط تتمثل في اشتراكهما في التأثير والإقناع معًا، وتكاملهما في بناء الخطاب البليغ.

ثانيًا: مفهوم القيم الحجاجية، وأنواعها:

يقوم الخطاب الحجاجي على منظومة من القيم التي تمنحه طابعًا إقناعيًّا، وقوة تأثيرية، تجعل منه حجة مقبولة لدى المتلقي، ومؤثرة في سلوكه وفكره، فالقيم "مجموعة من الضوابط الفردية والجماعية التي يتحدد على أساسها السلوك، والنشاط، والحركة في مجتمع ما"[٣]، وهي أيضًا: "صورة للمرغوب تتشكل في كل حال من الأحوال هرمية للمفضل، بناء عليها نقوّم الآراء والسلوكيات"[٤].

ومن التعريف نستخلص مجموعة من المقومات الضابطة لمسار القيم الحجاجية في بناء الخطاب الإقناعي، وهي: **العقل**؛ حيث تصاغ الحجج بمنطق برهاني استدلالي، **والانفعال**؛ حيث إثارة الوجدان؛ لتقوى الحجج، **والأخلاق**؛ حيث تُمنح الحجج مصداقيتها، **والمجتمع** (الاجتماع)؛ حيث تنسجم الحجج مع القيم السائدة، وتمثل القيم "كيانًا مشتركًا يكون أساس الثقافة، ويحدد الطرق التي تجعل أعضاء جماعة معينة

=

الرسالة)، ٥٠.

(١) ينظر: ابن وهب، "البرهان في وجوه البيان"، ١٧٦.

(٢) ينظر: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، "الصناعتين". تحقيق: على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ)، ٢٧١؛ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، "أسرار البلاغة". قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني)، ٨٨.

(٣) أبو بكر الغزاوي، "اللغة والحجاج". (ط١، الدار البيضاء، المغرب: ١٤٢٦هـ)، ٣١.

(٤) فليب بروطون، "الحجاج في التواصل". ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي، (ط١، المركز القومي للترجمة، العدد ٢٣٣٨، ٢٠١٣م)، ٩١.

تسكن عالمًا واحدًا"[١]، فتمتاز: **بالشمول**؛ حيث تمتد لتشمل السلوك الفردي والجماعي معًا، **والإجراء**؛ حيث الأثر الناتج من تفعيلها في المواقف والظروف، **والتقويم**؛ حيث القبول أو الرفض، **والإقناع**؛ حيث مزج العقل والوجدان والأخلاق في تحقيق التأثير.

والقيم الحجاجية وسيلة نافعة، فهي توجه الخطاب نحو غاية تواصلية: إقناعًا، وتحذيرًا، وحثًّا، وردعًا، واستمالة، ومن أهم خصائصها: **الضبط والتوجيه**؛ فتعمل كمعايير تضبط السلوك والخطاب معًا، **والطابع الهرمي**؛ فتترتب القيم بحسب أولويتها وأهميتها، **والفاعلية الحجاجية**؛ فتحقق القوة الإقناعية من خلال توافقها مع عقل المتلقي ووجدانه.

والقيم على نوعين، **قيم مجردة**، وهي قيم كلية تُقبل من عامة الناس بمختلف أعرافهم، وأزمانهم، فلا ترتبط بمكان، أو حدث، أو شخص بعينه، وإنما هي قيم عليا متفق عليها بمنطق العقل، كالأخلاق، والخلال، والسلوكيات السليمة، من: الكرم، والشجاعة، والعدل، وتمتاز بالشمولية في مخاطبة العامة، والإلزامية في عدم رفضها مطلقًا، وهذا النوع من القيم يمنح الخطاب قوة تأسيسية، وقبولًا سريعًا، فلا تحتاج إلى مزيد دليل، وللقيم دور مهم في تحقيق "أهداف تداولية، واستدعاء القيم في حد ذاته حجة، فهو يؤطر الواقع بقوة؛ إذ تمتلك القيم حمولة واسعة كما تمتلك قوة حث نافذة"[٢].

والنوع الثاني: **قيم مجسدة**، فتكون في حقائق محسوسة تُجسَّد في وقائع، وأحداث، وأشخاص، من: ذكر الديار، والحنين والشوق للأوطان، وتمتاز بأنها أقل

(١) المرجع السابق.

(٢) صولة، "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، ٣١٠.

شمولية من القيم المجردة؛ حيث تجعل القيم أكثر تصديقًا وقبولًا، وأشد تأثرًا وإقناعًا.

توظيف المعايير النصية في ترسيخ القيم الحجاجية:

إن المعايير النصية من (الاتساق، والانسجام، والقصد، والمقام) ليست عناصر شكلية معيارية فحسب، بل هي أدوات بلاغية تُستثمر لتحقق قيم حجاجية، إقناعية، تأثيرية، ومن هذه المعايير ما يأتي:

- **الاتساق والتماسك**، أي: "التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما"(١)، ويكون الترابط على المستوي المعجمي، والتركيبي، والدلالي(٢)، ويتحقق عبر أدوات لغوية كالتكرار، والإحالة، والحذف(٣).
- **الانسجام والالتحام**، أي: "الترابط المفهومي، ويقصد به: العلاقات المنطقية التصورية التي تجعل النص مترابطًا ... يعتمد على علاقات داخلية، وعناصر مقامية متعالقة يتم بواسطتها فهم النص"(٤)، ويتحقق من خلال آليات متعددة، منها: السياق، وموضوع الخطاب، والتأويل، وأزمنة النص، والعلاقات الدلالية(٥).
- **القصد والقبول**، أي: "الدلالة، والفهم، فالدلالة تعني: ضرورة التواصل من قبل المرسل، والفهم يعني: الاعتراف من قبل المتلقي بقصد تواصل

(١) محمد خطابي، "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب". (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م)، ٥.

(٢) دي بوجراند، روبرت، "النص والخطاب والإجراء"، ترجمة: تمام حسان، (ط٢، القاهرة: دار عالم الكتب، ٢٠٠٧م)، ٣٠١.

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) خطابي، "لسانيات النص"، ٥٢.

(٥) ينظر: المصدر السابق.

المتلقي"[١]، ويتحقق عن طريق التفاعل بين طرفي الخطاب، وتوجيهه نحو غاية واضحة.

- **رعاية الموقف، والمقامية**، أي: "العلاقات بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر، ويؤدي الفصل بين هذه العناصر الداخلية، أو إسقاط أي منها ... إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية، أو التماسك والانسجام الدلاليين للنص"[٢]، ويتحقق عن طريق حسن الاختيار للأساليب المناسبة للمقام، فحين تُختار الحجج والألفاظ بما يوافق المقام، يكون الخطاب أكثر تأثيرًا ومصداقية لدى المتلقي.

ثالثًا: مقومات البناء الحجاجي في الفكر البلاغي:

إن دراسة الخطاب الحجاجي تخضع لعدة مقومات محورية فاعلة في تكوينه، وضبطه، وإبراز مكانته (القصدية، والتأثيرية، والتفاعلية)، ومن تلك المقومات ما يأتي:

١- **قوة الحجج والبراهين**: حيث تحقق صرامة الحجج ومصداقيتها في كونها محكمة، صادقة، قوية، مقبولة في العرف والعادة، سواءً كانت حججًا عقليةً: منطقيةً تُلزِم العقل بمعيار القياس والاستنباط، أو حججًا نقليةً شرعيةً: تُخاطب العقل بما لا يمكن إنكاره بمقياس القرآن والسنة، أو حججًا وجدانيةً عاطفيةً: تستميل القلب بطريق الترغيب والترهيب. ومن شروط قوة الحجة: الصدق، والقبول، والوضوح، والملائمة للمقام، والإلزام، والتدرج في إثباتها، وهذا يُكسب الخطاب مصداقية، ويزيده تماسكًا؛ فيحصل الإقناع العقلي،

(١) سعيد حسن بحيري، "دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة". (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٩م)، ٧٨.

(٢) المصدر السابق، ٩١.

والتأثير الوجداني[١].

٢- **ترتيب الحجج، وتنظيمها:** إن تقديم الدليل الأقوى والأنسب وفق السياق والمقام، في تدرج محكم مدروس يخدم الغاية الإقناعية، والوظيفة التأثيرية في نفس المتلقي، فهذا النهج يجعل الخطاب أشد تماسكًا، وأكثر إقناعًا، فيشعر المتلقي بأن الدليل حجة متينة قائمة على معيار منطقي عقلي.

٣- **مراعاة المقام، وتوجيه المتلقي**[٢]: حيث تُصاغ الحجج وفق مقام مناسب يضبط المتلقي، ويوجهه إمّا باليسر واللين إذا كان المتلقي عاميًّا، وإمّا بالتفصيل والدليل إذا كان المتلقي عالمًا، وإمّا بالجدل والإلزام إذا كان المتلقي معاندًا، ومن لوازم مراعاة الخطاب وتوجيه المتلقي: (نجاعة الحجة، وحسن الاستقبال، وقوة الإلزام)، فنحن نتكلم عامةً بقصد التأثير[٣]، وهذا يجعل الحجة أكثر ملائمة للغرض المقصود، فتزيد قوتها في الإقناع والتأثير، ويوجه المتلقي نحو التفاعل، وسدِّ منافذ الخصم؛ إذ يكفي "من حظّ البلاغة ألّا يؤتى السامع من سوء إفهام النّاطق، ولا يؤتى النّاطق من سوء فهم السامع"[٤].

٤- **وضوح الأفكار والمعاني**[٥]: حيث تكون الحجة محرّرة في عبارة دقيقة بعيدة عن اللبس والغموض والتعقيد، فالمعنى إذا كان قريبًا من الفهم جانب التأويل الخاطئ. ومن شروط وضوح المعاني: دقة الاختيار، وإحكام ترتيب الأفكار،

(١) ينظر: العمري، "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، ١٩١.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١٤٤.

(٣) ينظر: الباهي، "الحوار ومنهجية التفكير النقدي"، ١٠٧.

(٤) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ٨٧.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٦٥ وما بعدها.

وتجنب الغرابة اللفظية والتعقيد المعنوي، وهذا يرفع من قيمة الحجج، ويجعلها مؤثرة مقبولة، ويُلزِم الخصم بالتصديق، ويضمن للخطاب قوته وتماسكه، فإن مدار الشرف على الصواب، وتحقيق المنفعة(١).

٥- **اختيار الألفاظ والتراكيب**(٢): إن انتقاء الكلمات والصيغ ذات القيمة الدلالية يُضفي على الحجج قوة، ووضوحًا، وجمالًا، ومن ضوابط الاختيار البلاغي: مراعاة الملائمة، والوضوح والبيان، والإيجاز، فهذا النهج يمنح الخطاب قوة تأثيرية جمالية تساهم في تحريك العاطفة واستمالة الوجدان، فإن المعاني إذا تجلّت في ألفاظ كريمة، وتزينت بأوصاف بديعة، تحولت في العيون عن مقادير صورها، وفاقت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت(٣).

رابعًا: الضوابط الأخلاقية للممارسة الحجاجية في الفكر البلاغي:

لقد وضع العلماء جملة من المعايير لضبط مقامات الخطاب الحجاجي، التي تجعل منه سلوكًا ذا قيم تحفظ نزاهة الخطاب، فيكون موجهًا نحو الحق دون هيمنة وتسلط(٤)، والحجاج المحكم هو الذي يكون فيه بمقدور مختلف الأطراف المتحاجة الدفاع عن تصوراتها وفق الشروط المتواضع عليها بدون إفراط أو تفريط، فـ"لا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز"(٥).

(١) ينظر: المصدر السابق، ١٣٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٧٥ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق، ٢٥٤.

(٤) ينظر: عبد الرحمن، "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، ٢٠؛ عبد الحميد، "البلاغة والاتصال"، ١١٧، الباهي، "الحوار ومنهجية التفكير النقدي"، ١٢.

(٥) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ٢٥٥.

وأساس الجانب الأخلاقي يقوم على ثلاثة محاور[1]، الأول: العقل، وهو برهان قوي صارم لتمييز الصواب من الخطأ، والصحيح من السقيم. والثاني: التدبر، وهو معيار تأملي لإعادة النظر في الأقوال والحجج. والثالث: النظر، وهو طريق استدلالي لإقامة الترجيح بين الحجج، وفي القرآن: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، (النحل: ١٢٥)، وعلى حدّ قول المفسرين[2]: (الحكمة) تساوي العقل، و(الموعظة) عمادها التدبر، و(المجادلة) تقوم على النظر العقلي، والبراهين العقلية تقوم على ثلاثة أسس، وهي: **المقدمات**: أدلة، وبراهين، وشواهد، **والاستنتاجات**: نتائج، وأحكام، **والترجيحات**: اختيار عقلي.

(١) ينظر: صوله، "الحجاج في القرآن من خلال خصائصة الأسلوبية"، ٣٢.

(٢) ينظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، ١١: ٢٧٩ وما بعدها.

المبحث الأول:

الإمام الشافعي بين: التنظير الأصولي، وحجاجية المنطق الفقهي

يُعدّ الشافعي[١] إطارًا مرجعيًّا في إثبات العلم الأصولي؛ إذ أسس معالمه، وأرسى قواعده، وضبط مسائله بمنهج استنباطي مدعم بآليات شرعية: كالكتاب، والسنة، وأدوات اجتهادية: كالقياس، والإجماع، فلم يكن مجرد فقيه من فقهاء المسلمين، بل هو مؤسسٌ لعلم أصول الفقه في كتابه (الرسالة)[٢]، ومجددٌ في منهجية إثبات الحجج والبراهين، وفي طريقة الجمع بين العقل والنقل، ومسلكه في العلم لا يقتصر على الجانب التنظيري –رغم أهميته–، بل يتسم بانتظامٍ وخطابٍ إقناعي، يجمع بين: دقة المنهج الأصولي؛ حيث: تحرير القول، وضبط القواعد، وعرض القضايا وتمحيصها، وفق مبدأ يعكس القوة والصرامة، وبين: بلاغة الإقناع التأثيري؛ حيث: إحكام السبك، ومخاطبة الوجدان، في تماسك واتساق، وفق مبدأ يعكس حسن الأداء، وفاعلية التأثير.

(١) هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن الشافع بن السائب بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، يلتقي نسبه مع الرسول الكريم في عبد مناف، فمولد الشافعي في (غزَّة) سنة ١٥٠هـ، تعلم القرآن على سفيان بن عيينة، وقرأ على الإمام مالك (الموطأ) وحفظه، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وصاحب المذهب الشافعي، ومؤسس علم أصول الفقه، توفي سنة ٢٠٤هـ. ينظر: أحمد بن حجر العسقلاني، "تهذيب التهذيب". (ط١، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ)، ١: ٢٥؛ خير الدين محمود بن محمد الزركلي، "الأعلام". (ط٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٥: ٢٦.

(٢) ينظر: الشافعي، "الرسالة"، ٣.

المطلب الأول: التكوين اللغوي والفكري، وأثره في توجيه المعنى

لقد أوتي الإمام الشافعي حظًّا كبيرًا من علم العربية، وعلم الكتاب، وفقه الحديث، وفقه الرأي، ومعرفة القياس، وطرائق الحساب، فكان يقول: "من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه"(١)، فظهرت شخصيته في نضجه الفكري، ومنهجه العلمي، ومذهبه الأصولي، فعمد إلى وضع مقاييس ثابتة، ومعايير صحيحة، يُعرف بها الحق من الباطل، فدرس الكتاب الكريم –ليتعرف على دلالاته وأحكامه– والسنة النبوية –ليعرف الصحيح من السقيم، وطرائق الاستدلال، وكيف تكون ضوابط العلم الاجتهادي في فقه الأحكام إذا لم يكن البرهان كتابًا وسنة – دراسة موضوعية تستند على حجج بينة، وبراهين قاطعة، ومحاولة تأويلية منضبطة بالفهم، معتمدة على الاجتهاد في تأويل فقه البيان العليّ المعجز، فلزامًا على العقل البلاغي أن يكون آلة العقل الأصولي؛ ليبلغ غايته في التأثير والإفهام؛ لكشف واستنباط معانٍ حُكمية، تشريعية، إلهية، وتبيينها وتأصيلها في الذات المتأملة؛ لتبلغ درجة اليقين فتنفعل بها قولًا وعملًا واعتقادًا، وتتطلع بها نحو مدارج القرب في مقام الطاعة والعبودية والإخلاص(٢).

ومن أهم الروافد التي أسهمت في تكوين الشافعي الفكرية والعلمية ما يأتي:

الرافد الأول: أسرته؛ إذ أسهمت كثيرًا في تحقيق الرعاية، والعناية،

(١) المصدر السابق، ١٧.

(٢) ينظر: سعد، "سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة، دراسة منهجية تأويلية ناقدة"، ١٩ وما بعدها.

والاهتمام، وتوجيهه للعلم، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وقرأ موطأ الإمام مالك وحفظه وهو في العاشرة، وتنقل بين الأمصار طلبًا للعلم، وتعلم فصاحة اللسان، وأتقن العربية، وأحاط بأشعار هذيل[١]؛ مما جعل له مزيد علم ودراية باللسان العربي، ومعرفة طرائق ضبطه، ووجوه استعماله، وحسن بيانه، وجزالة ألفاظه، فاتخذه أداة منهجية في بيانه.

الرافد الثاني: شيوخه؛ إذ تفقه على يد (مسلم بن خالد الزنجي)، فأجازه بالإفتاء وهو في سن مبكرة، وأخذ فقه الحجاز عن (مالك بن أنس) إمام دار الهجرة، فمنحه عمقًا في فقه الحديث وحفظه، وأخذ فقه العراق عن (محمد بن الحسن الشيباني) تلميذ أبي حنيفة إمام أهل الرأي، فتعلم منه فقه الرأي، والقياس، ومنهجية الاستدلال، والمناظرة، وسمع بمذهب (الليث بن سعد)، فدرس كتبه حتى أتقنها[٢]، فتلك روافد تساهم في ترسيخ العلم، وتقوية اللسان، وإتقان منهج النظر، وضبط قواعد الاستدلال، نتاج ذلك: تأسيس قواعد علم الأصول بمنطق عقلي، لغوي، حجاجي.

الرافد الثالث: المكانة العلمية؛ حيث نقل الأقوال التي تجعل من الشافعي أنموذجًا فريدًا، وإمامًا عظيمًا، فهو عالمٌ، ذو نظرٍ نافذ، واستنباطٍ دقيق، ولسانٍ

(١) ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، "آداب الشافعي ومناقبه". تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ٣٠.

(٢) ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء". تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط٣، موسسة الرسالة)، ٨٧.

فصيح، وبيانٍ ناصع، وأسلوبٍ بليغ[١]، يقول أحد تلاميذه بمصر: "لولا الشافعي ما عرفت كيف أرد على أحد، وبه عرفت ما عرفت، وهو الذي علمني القياس، فكان صاحب سنة وأثر، وفضل وخير، مع لسان فصيح بليغ، وعقل صحيح رصين"[٢]، ويقول الأصمعي: "صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش يقال له: محمد بن إدريس"[٣]، ويقول أحمد بن حنبل: "كلام الشافعي في اللغة حجة، والشافعي فيلسوف في أربعة: في اللغة، واختلاف الناس، والمعاني، والفقه"[٤]، ويقول الجاحظ: "نظرت في كتب الذين نبغوا في العلم، فلم أرَ أحسن تأليفًا من المطلبي، كأن لسانه ينظم الدر"[٥]، وهذه الأقوال وغيرها[٦] تكشف عن مكانة الشافعي علميًّا، وفكريًّا، وبلاغيًّا، فقد جمع بين قوائم العلوم: الأصول، والفقه، واللغة، والبيان، والمنطق، فهو – بلا شك– مرجعية كبرى، وأداة علمية وحجاجية مفسرة للمعرفة، موضحة لها.

الرافد الرابع: تكوين المعرفة وإنتاجها؛ حيث صناعة المؤلفات التي من أهمها: كتاب (الأم) في الفقه، وكتاب (الرسالة) في أصول الفقه، وغيرها[٧] من

(١) ينظر: القطان، "تاريخ التشريع الإسلامي"، ٣٦٢.
(٢) السابق.
(٣) المصدر السابق، ص١٤.
(٤) السابق.
(٥) السابق.
(٦) ينظر: السابق.
(٧) ذكر النوري أن من كتبه: الحجة، والأمالي، ومجمع الكافي، وعيون المسائل. ينظر: يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني الشافعي، "البيان في مذهب الإمام الشافعي". اعتنى به: قاسم محمد النوري، (بيروت، لبنان: دار المنهاج، ١٤٢١هـ)، ٥.

النتاج العلمي القيم الرصين، الذي أرسى قواعده على خاصية الجمع بين النقل والعقل، وبين النص والقياس، حتى حظي باهتمام علماء السلف في الدراسات الأصولية، والفقهية، واللغوية.

ولقد أسهمت تلك الروافد بدور فاعل في نتاج الشافعي من عدة جوانب، أهمها:

أولًا: تزويده بالأدوات الفقهية كـ(حفظ القرآن، والفقه، والحديث)، وبمنهجية المناظرة كـ(حسن الجدل، والقياس، والترجيح)، وبسلامة الخطاب، وحسن البيان كـ(تعلم العربية، وفصاحة اللسان).

ثانيًا: تزويده بالأسلوب العلمي في معالجة المسائل، وفق منهج يرتكز على الآليات المنهجية، منها:

١- **آلية التحليل اللغوي والدلالي**؛ بتفكيك النص الشرعي إلى معانيه المحتملة؛ لضمان حصول الفهم الصحيح قبل إفهام المتلقي، وإذعانه للقبول والتصديق.

٢- **آلية التصنيف والترتيب**؛ بتصنيف البراهين والأدلة بحسب مقاماتها؛ لضمان تحقق الإقناع أثناء معالجة المسائل، وإصدار الأحكام، وتعميم النتائج.

٣- **آلية الاستدلال والقياس العقلي**؛ حيث الاستنباط الدقيق، والاستقراء التام.

٤- **آلية المقابلة والموازنة والمقارنة**؛ حيث الدقة في اعتماد الحجج الأكثر تلاؤمًا، وكشف مقدار التلازم والترابط بينهما.

٥- **آلية النقد والاعتراض**؛ بإبطال حجج الخصوم، والإقناع بعدم صحتها، والعمل على إبطالها.

ثالثًا: فقه العربية، والإلمام بأصول وقواعد اللسان العربي، وفق مبدأ التواصل والاتصال، كتمكين:

١- **الكفاية اللغوية**؛ حيث الفهم التام، والمعرفة بمراتب الألفاظ، ودلالاتها.

٢- **دقة الأداء اللغوي**؛ حيث الاهتمام بالنظم، والترتيب، والتأليف، والتركيب(١).

٣- **توظيف اللغة كأداة توصيل وتأثير**؛ حيث تحقق الوظيفة الدلالية في الإفادة، والوظيفة الجمالية في حسن الصياغة، والتصوير، والنسج، والتحبير(٢).

(١) ينظر: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٣١هـ)، ٤٣.

(٢) ينظر: السابق.

المطلب الثاني: الأسس المنهجية للأسلوب البلاغي في كتاب (الرسالة)

يُمثل كتاب (الرسالة) خطابًا إقناعيًّا صِيغ بأساليب من البرهنة والاستدلال؛ لوضع المصطلحات وتحريرها، وبيان الأحكام وتحليلها، ودحض الاختلافات وتمحيصها، ومن النصوص الحجاجية التي تكشف عن تمام آلة البيان في بناء الخطاب:

أولًا: ما جاء في باب: **كيف البيان؟**، وقد اعتمد فيه الشافعي على عدة أمور:

١- تأسيس المعرفة وتأصيلها في خطاب حجاجي متماسك يجمع بين: (التحليل المنطقي، والتنظيم العقلي، والتصوير البياني)، يقول: "البيان: اسم جامع لمعاني مجتمعةِ الأصول، متشعبةِ الفروع ..."(١)، وهذا نص محكم دقيق، أسلوبه منهجي، يعكس أصول النظر البلاغي في تحرير المصطلحات وضبط ماهيتها؛ إذ بيّن حدّ البيان بأداة كاشفة عن حقيقته، وموضوعه، ومجاله، بلغة تتسم بالدقة، والإبانة؛ لرفع اللبس، وإظهار المراد، وجعله قريبًا من الأذهان، فالبيان شرط لفهم العلم في كافة مجالاته، ومختلف فروعه.

٢- وظف الشافعي آليات النظر الحجاجي لإلزام المتلقي بضرورة فهم اللسان العربي، فقوله: "مختلفة عند من يجهل لسان العرب"(٢)، برهان قاطع، ودليل عقلي على مركزية اللغة، وإلزام حجاجي يُوجب على المتلقي ضرورة تعلم لسان العرب.

٣- عمد الشافعي إلى جملة من الأساليب البيانية؛ حيث الإيجاز والشمول في انتقاء الألفاظ الدلالية، كقوله: اسم جامع ... معاني مجتمعة الأصول...

(١) ينظر: الشافعي، "الرسالة"، ٢١.

(٢) ينظر: السابق.

متشعبة الفروع ... متقاربة الاستواء[1]، وكذا إيثار الصيغ التقابلية بين الجمل؛ فإنه يضفي على النظم مزيدًا من الثراء الدلالي، والتوازن التركيبي.

٤– حرص الشافعي على مراعاة أحوال المتلقين في حصول نسبية فهم البيان.

٥– راعى الشافعي منهج التحليل والتفصيل؛ حيث التدرج في الانتقال من تعريف عام، وتفريع خاص، وبيان للمراتب، وتفريق بين الأصول الجامعة والفروع المتشعبة، وتوضيح لاختلاف أقدار المتلقين.

ثانيًا: ما جاء في باب: **"بيان ما نزل من الكتاب عامًّا يراد به العام ويدخله الخصوص"**، عدة أمور:

١– يُعد حديث الشافعي في هذا الباب أُنموذجًا بالغ الأهمية في تأسيس فقه البيان القرآني ومعالم بلاغته، بَيَّنَ فيه الفروق المهمة بين العام الذي يبقى على عمومه، والعام الذي يراد به الخصوص، فوضّح بالدليل، وعلّل بالنظر الفقهي دقة البيان الشرعي، وأكّد بالعقل على أن أمر (الخلق، والرزق) شامل بلا استثناء مرجعه إلى الله.

٢– وظف الشافعي منهج التدبر والتأمل في فقه النص القرآني، وجعله مناطًا للتفكير الحجاجي، ومحلًّا للتأثير النفسي، فالشافعي لم يكتفِ بالنقل، بل عمد إلى تأويل دلالة الألفاظ وفق سياقاتها؛ إذ يقول: "فكل شيء، من سماء، وأرض، وذي روح، وشجر، وغير ذلك: فالله خَلَقَه، وكل دابة فعلى الله رزقُها، ويعلم مستقرها ومستودعها"[2].

٣– لجأ الشافعي إلى آلية التحليل والتفصيل؛ حيث قارن بين جملة من الأدلة

(١) ينظر: السابق.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٥٣.

العقلية؛ سعيًا لإثبات قاعدة فقهية تنص على أن بعض العموم يراد به الخصوص، وبعضه يبقى على إطلاقه[١]، فجعل من النص القرآني حجة لتقوية الدليل، وإقناع العقل وتوجيهه.

٤- اعتمد الشافعي مبدأ التدرج المنطقي المنظم؛ حيث عرض جملة من النصوص القرآنية، ثم عمد إلى تحليلها، وتفصيلها، واستنباط ما تتضمنه النصوص من قواعد أصولية بلغة ذات بيان، وبألفاظ جزلة تزيد النص إقناعًا[٢].

وكتاب (الرسالة) في مجمله يتسم بمنهج تحليلي تفصيلي، وطرق حجاجية بلاغية تجعل من النص القرآني حجة أولى، ويستند إلى مزيد من الحجج والبراهين من (الكتاب، والسنة، الإجماع)، ويُبرز شمولية النص التشريعي، ويجعل الاتباع نتيجة عقلية حتمية يَقرّها العقل، ويهتم بمبدأ التنظيم والتدرج المنطقي إلزامًا بالنتائج، ويحفل بالألفاظ في انتقائها واختيارها وفق نسيج متماسك يُثير الوجدان.

(١) ينظر: المصدر السابق، ٥٤.

(٢) ينظر: السابق.

المبحث الثاني:

القيم الحجاجية في نصوص باب العلم، وأثرها في بناء الخطاب الإقناعي

أقام الشافعي باب العلم على آلية حجاجية بلاغية، جعلت من الخطاب نصًّا متكاملًا متماسكًا، تتعاضد فيه مجموعة من الأسئلة والأجوبة، ومجموعة من الأدلة والبراهين، تتدرج من تقرير المقدمات إلى الإقناع بالنتائج؛ مما يحقق في النص أبعادًا حجاجية، كتأصيل دور المتلقي وإشراكه في عمليتي التفكير في (إعمال العقل)، والحوار في (النقاش المنهجي)، واستمالته ذهنًا، وقلبًا، عقلًا، ووجدانًا، فإن حضور المتلقي يُحرك العقل، وينمّي ملكة الاستدلال، ويُحدِث في النص تفاعلًا، ويُوقع في النفس استيعابًا، ويجعل الحجج البرهانية أكثر رسوخًا، ويُثري الجانب العقلي والنفسي والبلاغي؛ مما يجعل المعنى أكثر بيانًا، وأشد إقناعًا.

المطلب الأول: القيم العقلية المنطقية

تهتم القيم العقلية بدراسة الأسلوب الحجاجي من منظور عقلي علمي، يعتمد في نقل الحجة على العقل والبرهان، ويتطلب "تأدية المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه، وأتم له، وأحرى بأن يُكسبه نبلًا، ويُظهر فيه مزيه"(١)، وبهذا؛ فالإبانة عن المقاصد أمرٌ مرتبط بتحقق الدقة والوضوح، كي يمنح الحجة نفاذًا وقبولًا.

أولًا: ثنائية السؤال والجواب في تحرير ماهية العلم القطعي وبيان خصائصه:

يقول الشافعي في مفتتح باب العلم: "فقال لي قائل: ما العلم؟، وما يجب على الناس في العلم؟. فقلت له: العلم علمان: علم عامة، لا يسع بالغًا غير مغلوب على

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٤٣.

عقله جهله. قال: ومثل ماذا؟ ..."[١].

يُشكلّ النص أنموذجًا حجاجيًّا متناميًا، يقود المتلقي نحو الإصغاء، والإلزام، والمشاركة في تكوين الحجة بآلية السؤال والجواب، ما العلم؟، ... ما يجب على الناس في العلم؟، ... مثل ماذا؟، سؤال تعليمي مهد به الشافعي بقصد إحداث التفاعل والحيوية داخل الخطاب؛ مما يُلائم مقام تأصيل العلم الشرعي وإثباته، والغاية ليس الجهل المطلق بالحقيقة، بل ترسيخ الحجج واستدعاؤها؛ مما جعل الحوار في النص حورًا حجاجيًّا متناميًا، (فقال لي ... فقلت له ... قال ... قلت ...)، فالعقل بحاجة ماسة إلى ضبط المفهوم، وتحرير المصطلح، وتظهر قيمة السؤال الحجاجية في: التفسير، والكشف، والتوضيح، أسئلة تؤسس لمعرفة ما بعدها في باب العلم، وأساس ينطلق منه الحوار في ترابط وتلاحم، وتدرج منطقي من: تحرير المفهوم في الجانب النظري، إلى بيان الوظيفة العملية في الجانب التكليفي، إلى تقرير النتيجة الإلزامية؛ بقصد توجيه الذهن نحو المعرفة، وتحفيزه على التأمل، واستقبال الحجة بعقل وقّاد يدفع الغموض، ويعمل بالتكليف، ويُطبّق مبدأ الإلزام.

فالشافعي يؤسس الإقناع لدى المتلقي ويبنيه على قاعدة صلبة، وهذا أنسب في مقام تأسيس العلم الأصولي في تحديد مقاماته بالحجة القاطعة، والبيان المتزن، فصاغ الجواب بلغة بلاغية حجاجية تقود العقل نحو الصواب، "فقلت له: العلم علمان: علم عامة، لا يسع بالغًا غير مغلوب على عقله جهله. قال: ومثل ماذا؟. قلت: مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنى، والقتل، والسرقة، والخمر"[٢].

(١) الشافعي، "الرسالة"، ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق، ٣٥٨.

فالجانب النظري من الجواب انحصر في بيان العلم القطعي، الذي تجب معرفته ولا يتسنى لأحد من الخلق جهله، إلا لأحد عاجز، أو مغلوب على عقله، فـ(علم العامة): علم قطعي، ومعرفته واجبة، والبرهان عليه قاطع لكل لبس واختلاف، كما هو في الأوامر والنواهي التكليفية الإلزامية، كأركان الإسلام، والمحرمات القطعية.

ومما زاد في البيان والتأصيل أنه ذكر العلة قائلًا: "وما كان في معنى هذا مما كُلف العباد أن يعقلوه، ويعملوه، ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عنه ما حرم عليهم منه"(١)، فأثبت خاصية القطع والثبوت، ونفى المعارضة بأدلة حجاجية تُبين أن علم العامة متحقق موجود نصًّا في القرآن، عامة المسلمين يتناقلونه ويحكونه، ولا يتنازعون في حكايته، ولا يختلفون في حكمه، فانتفى عنه الغلط، والتأويل، والجدال. ومن طرائق الشافعي الحجاجية أنه أبان أهمية التكاليف الشرعية اللازمة على العباد بمنهج استدلالي برهاني قرآني ملموس من واقع العباد(٢)، كل هذا حماية للأصول الثوابث -أركان الإسلام، والمحرمات الكبرى- فهي -بلا شك- محل يقين، لا اجتهاد ونقاش.

فالقيم الحجاجية العقلية في هذا السياق تكمن في: **الدقة والوضوح**؛ مما يجعل الحجة واضحة لكل متلقٍّ، وفي: **الإلزام القاطع**؛ إذ لا مجال لغير الإلزام، والانقياد، والاتباع، وفي: **الإحاطة والشمول**؛ حيث عمّم الحكم (علم عامة)، فلا مجال للتخصيص والاستثناء، وفي: **الصرامة العقلية، والترابط المنطقي**؛ حيث جعل الإقناع من الجانبين: العقلي، والعملي، فلا يُكتفى بالمعرفة الذهنية فقط، بل إلزام بالأركان، وكفّ عن الحرام.

ثانيًا: حجاجية السؤال والجواب في إيضاح العلم الاجتهادي، وبيان

(١) السابق.

(٢) السابق.

خصائصه:

إن العلم الاجتهادي علم يحتمل التأويل، ويستند إلى القياس، والاستنباط؛ لتعذر النص القرآني مطلقًا، والنص النبوي على جهة الخصوص، فهو من الفرض الكفائي الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين، كفريضة الجهاد، وفريضة الصلاة على الجنائز ودفنها، وفريضة ردِّ السلام، فرائض تُطلب من العباد على وجه العموم، ولا يُلزم بها عبد بعينه، فذلك هو العلم الاجتهادي الذي حَرِصَ الإمام الشافعي على تحديد مجاله، وبيان طبيعته، ومرتبته، وحكمه، فلجأ إلى عدة احتمالات بطريقة (التحاور والتجاوب)، أيُعدّ علمًا واجبًا كعلم العامة، أم علمًا خاصًّا موضوعًا عن الناس علمه، مَن ترك علمه غير آثم، أم عامًّا له منزلة ثالثة؟، وقد اتضح أنه درجة من العلم لا تصل إليها العامة، وليس كل الخاص مكلفين به على وجه الإلزام، والفضل لمن قام به[١]، فالمنهج الذي سلكه الشافعي هو منهج حجاجي، يُوجِب التصديق، ويُحقق الإقناع، ويزيد من مقدار التفاعل بين السائل والمجيب؛ ليصل بالمتلقي إلى إثبات النتيجة، والاستدلال عليها بالقياس.

والقيم العقلية في هذا السياق ارتكزت في: **دقة التقسيم العقلي المنطقي؛** حيث إيثاره مجموعة من الاحتمالات، وفي: **دقة الترابط؛** حيث بدأ ببيان ماهية العلم الاجتهادي، وإثبات مرتبته، ووصفه، وذكر الحجة فيه، وما يلزم منه، ومَن يلزم، وعمن يسقط، وفي: **قوة اللغة المعبرة؛** حيث توظيفه صيغ القطع والثبوت؛ إغلاقًا لباب الشك والظن، وترسيخًا لتقوية ثقة المتلقي، وزيادة يقينه للأخذ والاتباع، ومن بين تلك الصيغ: صيغة القطع الحاسم لمنع النقاش والاختلاف (بل هو من وجه ثالث)، وصيغ التقرير القطعي والاستدلال البرهاني (فرض الله الجهاد في كتابه وعلى لسان

(١) ينظر: المصدر السابق، ٣٦٠.

نبيه). وكذلك توظيف صيغ التفاعل والتشارك والتحاور المنطقي، كقوله: (فما الوجه الثاني)، (أذكر الحجة فيه)، (فأوجدني هذا)[١].

ثالثًا: حجاجية الاستدلال والتمثيل، ودورها في بيان ماهية الفرض الكفائي:

التمثيل الأول: بفريضة الجهاد؛ حيث أكثر من إيراد البراهين والاستدلالات العقلية من القرآن والسنة المدعمة لإثبات أصل الفريضة، إلى جانب إيراد الاحتمالات المتضمنة لبيانها: هل هي فرض عين، أم فرض كفاية؟؛ فيتسع باب التأويل والاجتهاد، ويزداد المتلقي نشاطًا للنقاش والتحاور بطريق السؤال، حتى تتقرر بالحجة البينة، والتحليل المنطقي، والاستدلال العقلي، والنتيجة الحجاجية، والفضل لمن قام بها على مَن عطّلها ...[٢]. ومن أبرز القيم العقلية في حجاجية الاستدلال والتمثيل: دقة البيان والتحليل والتفصيل، والاستناد إلى نصوص شرعية قطعية الثبوت، والتمثيل، والتقريب، والقياس بين الجهاد وبين الصلوات الخمس.

التمثيل الثاني: بفريضة الصلاة على الجنائز ودفنها؛ حيث بدأ بسؤال تعليمي غايته البيان والتوضيح: ومثل ماذا سوى الجهاد؟[٣]، في سياق التفريق بين فرض العين وفرض الكفاية، فإن حضور صلاة الجنازة لا يلزم العامة، ومن قام بكفايتها فقد أخرج من الإثم من تخلّف عنها. ومن أبرز القيم العقلية: التدرج في التحليل المنطقي، ودقة الاستدلال العقلي، وإثبات النتيجة المنطقية.

التمثيل الثالث: بفريضة ردِّ السلام؛ حيث جعل الأدلة والبراهين العقلية منطلقًا لترسيخ القاعدة والحكم الأصولي، إلى جانب مراعاة الدقة والبيان في تحديد معنى (فرض الردِّ، والكفاية فيه)، فاتخذ من الواقع العملي لمذهب عموم المسلمين

(١) ينظر: السابق.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٣٥٩.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٣٦٧.

حجة ثانية تُؤكد صحة الحكم واستمراريته، وتُقنع المتلقي؛ لتحصيل الاستجابة المطلقة، "يتفقه أقلهم، ويشهد الجنائز بعضهم، ويرد السلام بعضهم، ويتخلف غيرهم، فيعرفون الفضل لمن قام بالفقه، والجهاد، وحضور الجنائز، ورد السلام، ولا يؤثمون من قصَّر عن ذلك إذا كان بهذا قائمون بكفايته"(١). ومن أبرز القيم العقلية: دقة التحليل المنطقي؛ حيث تفصيل القول في بيان الفريضة، وصحة القياس؛ حيث تقريب الحكم بتطبيق سلوك مذهب المسلمين منذ مبعث الرسول الكريم إلى واقعنا اليوم، والتدرج المنطقي من إثبات الدليل، إلى دقة التحليل، إلى الممارسة التطبيقية، وصولًا إلى النتيجة الحتمية.

المطلب الثاني: القيم البلاغية التأثيرية

تتمثل القيم البلاغية التأثيرية والجمالية في عدة أمور، من أهمها:

أولًا: حسن توظيف أسلوب الحوار في بناء السؤال والجواب؛ إذ جعل من الحوار أداة تعليمية حجاجية، (قال لي ... فقلت له)، (قال: مثل ماذا ... قلت: مثل ..)، (قال ... قلت ...، قال ... قلت)، وعلى هذه الصيغة نُسِج باب العلم؛ من أجل تقريب المعنى الأصولي، وترسيخه في الأذهان؛ ليكون أجدر في الاستجابة، فإنه كلما كان المتلقي حاضرًا في النقاش والمساءلة كان التقريب والتفصيل والبيان والتوضيح في نسق منظم متدرج متوالٍ، يمنح الجواب الدقة والإحاطة، ويأخذ بالمتلقي نحو الإقناع التام.

ومن القيم الجمالية: دقة التفاعل بين الأطراف المتحاورة: فأسلوب الحوار المباشر الذي وظفه الشافعي في بناء السؤال والجواب ذو نسق بديع، يخلق حركة لغوية تفاعلية، ويعمق الإقناع، ويمنح النص حيوية، ويولد تشويقًا وانتباهًا لدى المتلقي.

(١) المصدر السابق، ٣٦٨.

و**حسن التدرج في البيان:** فاتسم الحوار بتسلسل منطقي متدرج، قائم على (التوضيح، والتفصيل، والبيان، والإقناع)، وهذا التدرج يُمثل جمال البناء الدلالي للنص، والذي يُساهم في تيسير الفهم، وتقريب المعنى في ذهن المتلقي. **وبراعة التناسب والانسجام:** فإن تكرار الصيغ الحوارية في نسق متوازن يضفي على النص نغمًا إيقاعيًّا يُعزز المتعة السمعية والجمالية في الخطاب، ويشعر المتلقي بانسجام لغوي دلالي متماسك؛ مما يحفز المتلقي للمشاركة في إنتاج المعنى، ويزيد مقدار التفاعل والانفعال بالحجج. **وحصول الغاية التعليمية:** فالحوار وسيلة تعليم وترسيخ للمعنى الأصولي في ذهن المتلقي، وليس زخرفًا لفظيًّا فحسب، بل تربية فكرية معرفية في المقام الأول، يمس الذوق والوجدان، ويُحقق الإقناع، وبهذا؛ فالتكرار: منظومة بلاغية تربط بين التعليم والإقناع والتأثير، ومنهج تربوي يحدث توازنًا وتكاملًا بين العقل والوجدان، فأصبحت البلاغة عند الشافعي أداة بيان، وحجة، وبرهان، غايتها: ترسيخ ماهية العلم، وبيان حقيقته، وتربية العقل، وإثارة المتلقي للقبول والتسليم.

ثانيًا: التقسيم طريق من طرائق البلاغيين في معالجة النص وتقريبه، لجأ إليه الشافعي من أجل توضيح المراتب، وبيانها للسائل، (العلم علمان: علم عامة، وعلم خاصة)، و(واجبًا، أو موضوعًا، ووجه ثالث)، وكذا وظف التقسيم في خاصية الاستدلال البرهاني، فبدأ بالصلاة، ثم الصوم، والحج، والزكاة، وفق تدرج منطقي يعكس عقلًا منهجيًّا في التصنيف والترتيب، ومثل: المحرمات القطعية، فبدأ بالزنى، ثم القتل، والسرقة، والخمر، فالزنى مفسد يمس (العرض)، والقتل زهق للأرواح يمس (النفس)، والسرقة اعتداء يمس (المال)، والخمر خبيث يفسد (العقل)، فتلك قواعد أصولية عقلية، تنظم المعرفة بمنطق إلزامي يفرض وجوبه على الجميع، وكذلك في بيان فريضة الجهاد؛ حيث عرض الوجوه المحتملة للفريضة، ثم جاء ترجيح الوجه الأصح بالدليل، فاستند إلى الواقع العملي التطبيقي من سيرة الرسول الكريم وأصحابه؛ لدفع الاختلاف، وتعميم الحكم، وتقرير

النتيجة، هذا وغيره؛ مما يجعل الخطاب أكثر تماسكًا.

ومن القيم الجمالية: **التماثل الصوتي والتركيبي**: فالتقسيم يُحدث لونًا من التوازن الإيقاعي، فيجعل المعنى إلى الذهن أقرب، وإلى السمع أوقع. **والانسجام البنائي، والالتحام الدلالي**: فالمعنى ينساب في نسق منطقي مترابط الأجزاء، في وحدة معنوية تامة، تجعل المتلقي يشعر بجمال البناء ودقة البيان، وبهذا؛ فالتقسيم وسيلة تعليم وإقناع، تقوم على عرض القضايا بترتيب منطقي يوضح مراتب العلم، ويكشف الوجوه الممكنة، والاحتمالات المتوقعة؛ مما يعكس إدراكًا تربويًّا لمستويات المتلقين، فيرجح الأصح بدليل قاطع الوجوب، محققًا إقناعًا عقليًّا، وأثرًا تربويًّا يقود المتلقي نحو التفكير العلمي المنهجي، والفهم الجيد للقضايا والاحتمالات.

ثالثًا: التفسير والتعليل؛ حيث حسن الانتقال من الإجمال والإبهام إلى التفصيل والبيان، ثم إلى التدليل بالأمثلة والشواهد القرآنية، ومن أمثله ذلك: التوشيع في التقسيم الثنائي (العلم علمان)، ثم البيان والتفصيل بعده، وكذلك الحال في ذكر العلل والأسباب (ما الحجة فيه، وما يلزم منه، ومَن يلزم، وعمن يسقط)، وهذا مما يُساعد على ترتيب المعنى، وزيادة الإيضاح، ودفع الغموض، ويحقق لذهن المتلقي إقناعًا تدريجيًّا يُثير الانتباه، ويحقّق التشويق للمتابعة.

ومن القيم الجمالية: **الانتقال والترتيب**: من الإبهام والإجمال، إلى التفصيل والبيان، ثم إلى التدليل بالأمثلة والشواهد؛ مما يعطي النص انسجامًا وتلاحمًا في بنائه، مع دفع الغموض واللبس، و**التوشيع في التقسيم**: في إيراد المثنى المبهم (العلم علمان)؛ لإيقاظ الذهن لتلقي المعرفة، وهذا مما يجعلها أكثر حضورًا وفهمًا واستيعابًا، و**إيراد العلل والأسباب**: في بيان أهمية الحجج، وتوضح ما يلزم منها، وما يسقط؛ ليحصل الإقناع المتدرج في بيان المعرفة، وبهذا؛ فالتفسير والتعليل آليات حجاجية للتعليم، والإقناع، والتحفيز، والتوجيه لاتخاذ الرأي الصائب.

رابعًا: التكرار، ومن ذلك: تكرار (ما)، وأثره في إضفاء إيقاع صوتي مترابط، يجعل كل سؤال قائمًا بذاته، مستقلًّا عن الآخر، وكذا تكرار لفظ (العلم)، فإعادة اللفظة بعينها في الجواب توكيد يُرسخ القسمة الثنائية في ذهن المتلقي، ويقوي وحدة السياق، وكذا تكرار الصيغ الحوارية (قال) في السؤال، و(قلت) في الجواب؛ يزيد من قيمة النغم الحواري المتدرج في البيان والتوضيح وفق نسق منهجي حجاجي، يثبت أن العلم لا ينال كنهه إلا بالسؤال والحوار والمراجعة، وكذا التكرار في صيغة النفي (لا الغلط، لا التأويل، لا التنازع)؛ لزيادة التأكيد في إثبات الحجج المانعة لكل ما من شأنه أن يوقع اللبس والغموض.

ومن القيم الجمالية: **الانسجام في الإيقاع الصوتي**: فالتكرار يمنح الأسئلة والعبارات إيقاعًا موسيقيًّا مترابطًا، يدفع بالمتلقي نحو المتابعة والانتباه، و**ترسيخ المعاني وتأكيدها**: فالتكرار يساعد على الحفظ، وتثبيت المفاهيم الأساسية لدى المتلقي، وبهذا؛ فالتكرار في باب العلم يعزز الإقناع، والحث، والتوجيه؛ من خلال ترسيخ المعاني، وإشراك المتلقي.

خامسًا: التقابل بين الجمل والأساليب، ومن صور التقابل: التقابل بين (علم العامة، وعلم الخاصة)، وبين الصيغ الدالة على الإقبال والعمل بالمأمور كـ(أن يعقلوه ويعملوه)، والدالة على الامتناع وترك المنهي كـ(أن يكفوا عنه)، وبين الصيغ الدالة على التفاضل والتمايز كـ(الفضل لمن قام بها على من عطلها)، ومن القيم الجمالية: صور التقابل وما يُحدثه من إبراز المعاني، وتوضيح الفروق الدقيقة بين المفاهيم؛ مما يكسب الخطاب توازنًا صوتيًّا معنويًّا يشد الانتباه، وبهذا؛ فالتقابل وسيلة إقناعية تربوية تظهر المعنى، وتقوي الحجج، وتوجه المتلقي.

سادسًا: الإيجاز؛ حيث تكثيف المعاني الدلالية في عبارات قصيرة محكمة في بنائها ونسجها على نهج موجز دقيق، كـ(العلم علمان)، (ما **ينوب** العباد من فروع

الفرائض... وما كان منه **يحتمل** التأويل، و**يستدرك** قياسًا)، ومن القيم الجمالية: الإيجاز البليغ وما يحدثه في نفس المتلقي، فيوقظ ذهنه، ويستفز تفكيره، فيتأمل المعنى، ويدركه بوضوح.

سابعًا: الطباق؛ حيث الجمع بين الضدين، كقوله: (أخبار الخاصة، لا أخبار العامة)، فبين لفظي (أخبار ... لا أخبار) طباق سلب: أحدهما مثبت، والآخر منفي، وبين (العامة والخاصة) طباق إيجاب، وبين (يعملوه ... يكفوا عنه) طباق إيجاب، ومن القيم الجمالية: ما يحدثه التضاد من تناغم لفظي، وتقابل معنوي، يثير الذهن، ويعمق الفهم.

ثامنًا: مراعاة النظير؛ حيث الجمع بين الألفاظ ذات التقارب الدلالي، كالجمع بين أركان الإسلام، ك(الصلوات، الصوم، الحج، الزكاة)، وكالجمع بين المحرمات الكبرى ك(الزنى، القتل، السرقة، الخمر)، وكالجمع بين الضرورات الواجبة ك(أنفسهم، أموالهم)، وكالجمع بين الألفاظ الدالة على التكليف والإلزام ك(يعقلوه، يعملوه، يعطوه، يكفوا)، ومن القيم الجمالية: الانسجام المعنوي وما يُحققه في النص من إيقاع معنوي يعمق الفهم.

تاسعًا: الجناس بين (عوامُّهم) و(عوامِهم) جناس ناقص، نوعه محرف؛ لاختلاف هيئات الحروف في الحركات، وبين (يعقلوه) و(يعملوه) جناس ناقص، نوعه لاحق؛ لبعد مخارج الحروف المتجانسة، ومن القيم الجمالية: التماثل الصوتي في اتفاق الحروف، واختلاف المعنى؛ مما أضفى على الخطاب نغمًا موسيقيًّا يزيد من جمال العبارة، ويرسخ الفكرة، ويجعل الخطاب أكثر تأثيرًا وإقناعًا.

الخاتمة

- يُعد الشافعي لبنة أولى في تأسيس علم أصول الفقه الإسلامي وفق منهج حجاجي محكم، دقيق، منظم ومتماسك، يجمع بين النص والعقل، فهو بالإجماع أول من دوّن في علم الأصول تدوينًا مستقلًّا في كتابه (الرسالة)، الذي أصبح مرجعًا في معرفة آليات الاستنباط، والاستدلال، والقياس.
- اعتمد الشافعي آلية التحليل اللغوي والدلالي، وآلية التصنيف والترتيب، وآلية الاستدلال والقياس، وآلية المقابلة والموازنة والمقاربة العلمية في إثبات الأحكام والمسائل الأصولية؛ مما أتاح بناء علم أصولي وفق منهج حجاجي عقلي.
- يُشكّل كتاب (الرسالة) أنموذجًا حجاجيًّا متناميًا، يجمع بين: (التحليل المنطقي، والتصوير البلاغي)، ويقود المتلقي نحو: الإصغاء، والإلزام، والمشاركة في تكوين الحجة بالبرهان، وإشباع العقل بفرض مبدأ التحاور والتجاوب، وجذب النفس نحو التسليم المطلق، والإذعان التام.
- سلك الإمام الشافعي مسلكًا حجاجيًّا في معالجة باب العلم؛ حيث تدرج في الحديث من: تحرير المفهوم وبيان ماهيته في الجانب النظري، ثم بيان الوظيفة في الجانب الدلالي، ثم تقرير النتيجة الإلزامية، مدعمًا بإيراد الاستدلالات العقلية، والأوجه الممكنة، وفتح باب التأويل والاجتهاد والمناقشة؛ ليصل بالمتلقي إلى التسليم بالنتيجة المتقررة.
- الاهتمام بصناعة المعنى في قالب حجاجي يُحقق التفاعل والتشارك بين سائل ومجيب، ويخلق لونًا من التواصل والتماسك في بناء الخطاب، عن طريق توظيف الأساليب البلاغية التأثيرية، كأسلوب الحوار في إقامة السؤال، وبناء الجواب، وأسلوب التقسيم والتدرج المنطقي، وأسلوب التفسير والتعليل؛ إيضاحًا للمبهم، وتفصيلًا للمجمل، وأسلوب التكرار، وأسلوب التقابل بين الجمل والأساليب،

وأسلوب الطباق، وأسلوب الجناس، وغيرها من الأساليب البلاغية التي تُساهم في تحقيق فاعلية الخطاب الأصولي.

التوصيات:

ضرورة النظر في بيان الإمام الشافعي، فهو بيان يكشف عن آفاق واسعة للبحث البلاغي؛ من حيث دراسة (البنية التداولية، والوظيفة الإقناعية، وكيفية توظيف الآليات اللغوية والبيانية، وكشف دور البلاغة وأثرها في السياق الأصولي).

المصادر والمراجع

أ– الكتب:

ابن الأثير، ضياء الدين. "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة. (القاهرة: دار نهضة مصر).

الباهي، حسان. "الحوار ومنهجية التفكير النقدي". (المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٤م).

بحيري، سعيد حسن. "دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة". (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٩م).

بروطون، فليب. "الحجاج في التواصل". ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي. (ط١، المركز القومي للترجمة، العدد ٢٣٣٨، ٢٠١٣م).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).

الجاحظ، عمرو بن بحر. "البيان والتبيين". تحقيق: عبد السلام هارون. (بيروت: دار الجيل).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "أسرار البلاغة". قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر. (القاهرة: مطبعة المدني).

الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٣١هـ).

الحوفي، أحمد محمد. "فن الخطابة". (ط٤، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٢م).

خطابي، محمد. "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب". (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م).

دي بوجراند، روبرت. "النص والخطاب والإجراء". ترجمة: تمام حسان. (ط٢،

القاهرة: دار عالم الكتب، ٢٠٠٧م).

الذهبي، محمد بن أحمد. "سير أعلام النبلاء". تحقيق: شعيب الأرناؤوط. (ط٣، موسسة الرسالة).

الرازي، ابن أبي حاتم. "آداب الشافعي ومناقبه". تحقيق: عبد الغني عبد الخالق. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ).

ابن رشيق، الحسن القيرواني. "العمدة في محاسن الشعر وآدابه". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (ط٥، دار الجبل، ١٤٠١هـ).

الزركلي، خير الدين محمود بن محمد. "الأعلام". (ط٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

سعد، محمود توفيق محمد. "سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة، دراسة منهجية تأويلية ناقدة". (ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٤٢هـ).

السكاكي، أبو يعقوب. "مفتاح العلوم". ضبطه: نعيم زرزور. (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).

الشافعي، محمد بن إدريس. "الرسالة". تحقيق: أحمد شاكر. (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٠٩هـ).

الشريف الجرجاني، علي بن محمد. "التعريفات". (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. "استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية". (دار الكتاب الجديد المتحدة).

صوله، عبد الله. "الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية". (ط٢، بيروت، لبنان: دار الفارابي، ٢٠٠٧م).

صوله، عبد الله. "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات". (ط١، تونس: مسكيايايني

للنشر، ٢٠١١م).
عبد الحميد، جميل. "البلاغة والاتصال". (دار غريب، ٢٠٠٠م).
عبد الرحمن، طه. "أصول الحوار وتحديد علم الكلام". (ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م).
عبد الرحمن، طه. "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي، ١٩٨٨م).
العسقلاني، أحمد بن حجر. "تهذيب التهذيب". (ط١، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ).
العسكري، أبو هلال. "الفروق اللغوية". تحقيق: محمد إبراهيم. (مصر: دار العلم والثقافة).
العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل. "الصناعتين". تحقيق: على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ).
العلوي، يحيى بن حمزة. "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز". (ط١، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٣هـ).
العمراني، يحيى بن أبي الخير بن سالم الشافعي. "البيان في مذهب الإمام الشافعي". اعتنى به: قاسم محمد النوري. (بيروت، لبنان: دار المنهاج، ١٤٢١هـ).
العمري، محمد. "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول". (المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٥م).
العمري، محمد. "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، (ط١، الدار البيضاء، المغرب: أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م).
الغزاوي، أبو بكر. "اللغة والحجاج". (ط١، الدار البيضاء، المغرب: ١٤٢٦هـ).
ابن فارس، أحمد. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون. (بيروت، لبنان: دار

الفكر، ١٣٩٩هـ).
القرطاجني، حازم بن محمد. "منهاج البلغاء وسراج الأدباء". تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة. (تونس: ١٩٦٦م).
ابن منظور، جمال الدين. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
ابن وهب. "البرهان في وجوه البيان". تحقيق: جفني محمد شرف. (مصر: مطبعة الرسالة).

ب– الدوريات:

عريبي، بلقاسم؛ زلاقي، رضا. "التداولية والحجاج في الخطاب الأصولي، رسالة الإمام الشافعي أنموذجًا". مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مجلد ١٠، عدد ٢، (٢٠٢٥م).
ميسه، محمد الصغير. "ملامح التداولية في كتاب الرسالة للإمام الشافعي". مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، الجزائر، (٢٠٢٠م).

Bibliography

Books

Ibn al-Athīr, Ḍiyāʾ al-Dīn. "Al-Mathal al-Sāʾir fī Adab al-Kātib wa-al-Shāʿir". Investigated by: Aḥmad al-Ḥūfī and Badawī Ṭabāna. (Cairo: Dār Nahḍat Miṣr).

al-Bāhī, Ḥassān. "Al-Ḥiwār wa-Manhajiyyat al-Tafkīr al-Naqdī". (Morocco: East Africa, 2004).

Biḥayrī, Saʿīd Ḥasan. "Dirāsāt Lughawiyyah Taṭbīqiyyah fī al-ʿAlāqah baina al-Binyah wa-al-Dilālah". (Cairo: Maktabat Zahraʾ al-Sharq, 1999).

Brouton, Philippe. "Al-Ḥijāj fī al-Tawāṣul". Translated by: Muḥammad Mishbāl and ʿAbd al-Wāḥid al-Tahāmī. (Cairo: National Center for Translation, Issue, 2338, 2013).

al-Biqāʿī, Ibrāhīm ibn ʿUmar. "Naẓm al-Durarr fī Tanāsub al-Āyāt wa-al-Suwar". (Cairo: Dār al-Kitāb al-Islāmī).

al-Jāḥiẓ, ʿAmr ibn Baḥr. "Al-Bayān wa-al-Tabyīn". Investigated by: ʿAbd al-Salām Hārūn. (Beirut: Dār al-Jīl).

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir ibn ʿAbd al-Raḥmān. "Asrār al-Balāghah". Revised and annotated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir. (Cairo: Maṭbaʿat al-Madanī).

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir ibn ʿAbd al-Raḥmān. "Dalāʾil al-Iʿjāz". Investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir. (3rd ed., Cairo: Maṭbaʿat al-Madanī, 1431 AH).

al-Ḥūfī, Aḥmad Muḥammad. "Fann al-Khiṭābah". (4th ed., Cairo: Dār Nahḍat Miṣr, 1962).

Khaṭṭābī, Muḥammad. "Lisāniyyāt al-Naṣṣ: Madkhal ilā Insijām al-Khiṭāb". (Casablanca: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1991).

de Beaugrande, Robert. "al-Naṣṣ wa-al-Khiṭāb wa-al-Ijrāʾ". Translated by: Tammām Ḥassān. (2nd ed., Cairo: Dār ʿĀlam al-Kutub, 2007).

al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad. "Siyar Aʿlām al-Nubalāʾ". Investigated by: Shuʿaib al-Arnāʾūṭ. (3rd ed., Beirut: Muʾassasat al-Risālah).

al-Rāzī, Ibn Abī Ḥātim. "Ādāb al-Shāfiʿī wa-Manāqibuh". Investigated by: ʿAbd al-Ghanī ʿAbd al-Khāliq. (1st ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1424 AH).

Ibn Rashīq, al-Ḥasan al-Qayrawānī. "al-ʿUmdah fī Maḥāsin al-Shiʿr wa-Ādābih". Investigated by: Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd. (5th ed., Dār al-Jabal, 1401 AH).

al-Ziriklī, Khayr al-Dīn Maḥmūd ibn Muḥammad. "al-Aʿlām". (5th ed., Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, 2002).
Saʿd, Maḥmūd Tawfīq Muḥammad. "Subul Istinbāṭ al-Maʿānī min al-Qurʾān wa-al-Sunnah: Dirāsah Manhajiyyah Taʾwīliyyah Nāqidah". (2nd ed., Cairo: Maktabat Wahbah, 1442 AH).
al-Sakkākī, Abū Yaʿqūb. "Miftāḥ al-ʿUlūm". Investigated by: Naʿīm Zarzūr. (2nd ed., Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1407 AH).
al-Shāfiʿī, Muḥammad ibn Idrīs. "al-Risālah". Investigated by: Aḥmad Shākir. (Beirut: al-Maktabah al-ʿIlmiyyah, 1309 AH).
al-Sharīf al-Jurjānī, ʿAlī ibn Muḥammad. "al-Taʿrīfāt". (Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1403 AH).
al-Shahri, ʿAbd al-Hādī ibn Ẓāfir. "Istrātījiyyāt al-Khiṭāb: Muqārabah Luġawiyyah Tadāwuliyyah". (Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah).
Ṣūlah, ʿAbd Allāh. "al-Ḥijājj fī al-Qurʾān min Khilāl Khaṣāʾiṣih al-Aslūbiyyah". (2nd ed., Beirut, Lebanon: Dār al-Fārābī, 2007).
Ṣūlah, ʿAbdullāh. "fī Naẓariyyat al-Ḥijājj: Dirāsāt wa-Taṭbīqāt". (1st ed., Tunis: Maskiyāyānī for publication, 2011).
ʿAbd al-Ḥamīd, Jamīl. "al-Balāghah wa-al-Ittiṣāl". (Dār Gharīb, 2000).
ʿAbd al-Raḥmān, Ṭāhā. "Uṣūl al-Ḥiwār wa-Taḥdīd ʿIlm al-Kalām". (2nd ed., Casablanca: The Cultural Center, 2000).
ʿAbd al-Raḥmān, Ṭāhā. "al-Lisān wa-al-Mīzān aw al-Takawthur al-ʿAqlī". (1st ed., Casablanca: Arab Cultural Center, 1988).
al-ʿAsqalānī, Aḥmad ibn Ḥajar. "Tahdhīb al-Tahdhīb". (1st ed., India: The Printing Press of the Encyclopedic System, 1326 AH).
al-ʿAskarī, Abū Hilāl. "al-Furūq al-Lughawiyyah". Investigated by: Muḥammad Ibrāhīm. (Egypt: Dār al-ʿIlm wa-al-Thaqāfah).
al-ʿAskarī, al-Ḥasan ibn ʿAbdillāh ibn Sahl. "al-Ṣināʿatayn". Investigated by: ʿAlī Muḥammad al-Bajjāwī and Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (Beirut: al-Maktabah al-ʿAṣriyyah, 1419 AH).
al-ʿAlawī, Yaḥyā ibn Ḥamzah. "al-Ṭirāz li-Asrār al-Balāghah wa-ʿUlūm Ḥaqāʾiq al-Iʿjāz". (1st ed., Beirut: al-Maktabah al-ʿAṣriyyah, 1423 AH).
al-ʿUmrānī, Yaḥyā ibn Abī al-Khayr ibn Sālim al-Shāfiʿī. "al-Bayān fī Madhhab al-Imām al-Shāfiʿī". Investigated by: Qāsim Muḥammad al-Nūrī. (Beirut, Lebanon: Dār al-Minhāj, 1421 AH).
al-ʿUmarī, Muḥammad. "al-Balāghah al-Jadīdah bayna al-Takhyīl wa-al-Tadāwul". (Morocco: East Africa, 2005).

al-ʿUmarī, Muḥammad. "al-Balāghah al-ʿArabiyyah: Uṣūluhā wa-Imtidadātuhā". (1st ed., Casablanca, Morocco: East Africa, 1999).
al-Ghazzāwī, Abū Bakr. "al-Lughah wa-al-Ḥijājj". (1st ed., Casablanca, Morocco: 1426 AH).
Ibn Fāris, Aḥmad. "Maqāyīs al-Lughah". Investigated by: ʿAbd al-Salām Hārūn. (Beirut, Lebanon: Dār al-Fikr, 1399 AH).
al-Qarṭājannī, Ḥāzim ibn Muḥammad. "Minhāj al-Bulaghaʾ wa-Sirāj al-Udabāʾ". Investigated by: Muḥammad al-Ḥabīb ibn Khūjah. (Tunisia: 1966).
Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn. "Lisān al-ʿArab". (3rd ed., Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH).
Ibn Wahb. "al-Burhān fī Wujūh al-Bayān". Investigated by: Jafnī Muḥammad Sharaf. (Egypt: Maṭbaʿat al-Risālah).

B- Journals:

‘Arībī, Belqāsim; Zalāqī, Riḍā. "Pragmatics and Argumentation in the Principles of Islamic Jurisprudence Discourse: Al-Shāfi‘ī’s Al-Risālah as a Case Study" (in Arabic). *Journal of Islamic Sciences and Civilization*, vol. 10, no. 2 (2025).
Maysah, Muḥammad al-Ṣaghīr. "Aspects of Pragmatics in *Al-Risālah* by Imām al-Shāfi‘ī". (in Arabic) *Al-Qāriʾ Journal for Literary, Critical, and Linguistic Studies*, Algeria (2020).

الإشاريَّات التداوليَّة في مرويَّات أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها -بدء الوحي ومبشِّرات النبوَّة (أنموذجًا) (دراسة وصفيَّة تحليليَّة)

Deictic Pragmatics in the Narratives of Mother of the Believers ʿĀʾishah (may Allah be pleased with her): The Beginning of Revelation and the Glad Tidings of Prophethood as a Case Study (A Descriptive and Analytical Study)

د. فوزيَّة بنت سعد القرني

أستاذ الأدب المشارك بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الحدود الشمالية

البريد الإلكتروني: fs.algrnai@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
05/09/2025		15/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-009		

ملخَّص البحث

سَلّط هذا البحثُ الضوءَ على حديث أمِّ المؤمنين عائشة– رضي الله عنها– حول بدء نزول الوحي وبشارات النبوَّة، من خلال تحليل الظواهر التداوليَّة للملفوظات القوليَّة داخل الخطاب؛ لتحديد أهميَّة الإشاريات؛ مما يعطي الباحث سعةً في مجال البحث؛ وذلك لتنوُّع الإشاريات المتوافرة فيه، خاصةً وأنَّه يتكلَّم عن المقدمات الأُوَل للمرحلة الفاصلة بين الحقِّ والباطل، مرحلة المبشِّرات ونزول الوحي على رسولنا ﷺ ليكون أنموذجًا حيًّا يتضمَّن أثرًا من الآثار المرجعيَّة للعربيَّة في منابعها الأولى، باعتباره كلامًا من كلام صحابة الرسول الأوائل ممَّن تربوا على يديه وشُهِد لهم بالفصاحة القرشيَّة، والفصاحة المستقاة من فصاحته عليه السلام. ومما شجَّعني على البحث فيه تنوّع الإشاريات نوعا ما في سياقاته؛ والتي أعطتنا مادة لغويَّة متنوعة، من دلالة وتركيب، وتلمس للمنهج الوصفيّ التحليلي المتبع في الإحاطة بالإشاريات المتنوِّعة التي احتواها، وكان من ضمن نتائج البحث الإكثار من توظيف بعض الإشاريّات، ولا سيَّما الشخصيَّة منها، والأمر كما يبدو طبيعيًّا في مثل هذه الأحاديث المرويَّة التي يتم بها التواصل المباشر عبر اللغة مع جموع المتلقين للنصِّ.

الكلمات المفتاحيَّة: (الإشاريّات والأثر التداوليُّ – الإشاريّات في ضوء أحاديث الوحي – العناصر الإشاريَّة ومبشِّرات النبوَّة).

Abstract

This study sheds light on the ḥadīth of Mother of the Believers ʿĀʾishah (may Allah be pleased with her) regarding the beginning of revelation and the glad tidings of prophethood, by analyzing the pragmatic phenomena of utterances within the discourse. It aims to determine the significance of deixis, providing the researcher with broader scope for exploration in this field.

This is due to the variety of deictic expressions it contains—particularly as it discusses the initial stages marking the decisive transition between truth and falsehood: the phase of the glad tidings and the descent of revelation upon our Prophet (peace be upon him). The ḥadīth thus serves as a living model reflecting traces of the earliest linguistic foundations of Arabic, being speech from one of the Prophet's earliest Companions who were nurtured by him and renowned for their Qurayshi eloquence, derived from his own matchless eloquence.

One of the reasons that encouraged me to pursue this research was the relative variety of deictic expressions within its contexts, which provided a diverse linguistic corpus in terms of meaning and structure. This allowed for the application of the descriptive-analytical method to examine the different types of deixis it contained. Among the study's findings was the frequent use of certain deictic forms—particularly personal deixis—which appears natural in such transmitted ḥadīths, where direct communication with the audience occurs through language.

Keywords: Deixis and Pragmatic Effect – Deixis in the Light of the Ḥadīths of Revelation – Deictic Elements and the Glad Tidings of Prophethood.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى تطبيق النظريَّة التداوليَّة بمعاييرها المختلفة على حديث السيدة عائشة – رضي الله عنها – بوصفه واحدًا من أبرز الأحاديث التي يتشوَّق كلّ مسلمٍ لمعرفة ما فيه من مجالات تبليغيَّة، ومبشرات تضمَّنها حول أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ وذلك كواحدٍ من نصوص اللغة العربيَّة، التي من خلاله نستطيع وصف خصائصها وتفاصليها الدقيقة، ورصدها العديد من الألفاظ التي اهتمَّ رواة الحديث بإيضاحها، وتفسير الظواهر الخطابيَّة التواصليَّة، وما اشتمل عليه من استعمال العناصر الإشاريَّة بكلِّ أنواعها، بحيث يتضح لنا أهميَّة هذه العناصر الإشاريَّة في التواصل المباشر بين الناس عبر اللغة، وبالأحرى بين منتج النصِّ عائشة –رضي الله عنها– وجموع متلقي النصِّ من المسلمين في كلّ وقتٍ وحين.

وقد وقع اختياري على دراسة العناصر الإشاريَّة في هذا الحديث؛ لما له من حضور قويٍّ داخل قلب كلّ مسلم، ولما فيه من بيان لقسم من أقسام مجيء الوحي للنبي ﷺ، وهو الرؤيا الصادقة، تلك المرحلة الفاصلة بين الظلام السادر، والفجر الساطع، حين صدح الحق بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، ولِمَا اشتمل عليه من مُثلٍ أخلاقيَّة ظهرت واضحةً في كلِّ الشخصيات التي تضمَّنها الحديث، والحري بكلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أنْ يتمثلها ويعمل بها، إضافةً إلى ما فيه من عناصر إشاريَّة شكّلت بكلِّ أنواعها ملمحًا أسلوبيًّا ظهر جليًّا فيه، وسهل طريقة إيصاله للمتلقين.

والحقيقة أنَّ التداوليَّة واحدةٌ من الدِّراسَات الألسنيَّة الحديثة التي تهتمّ بالسياق داخل النصّ، والإشاريّات فرعٌ من فروعها المهتمَّة بالمعنى المراد بين المرسِل والمتلقِّي، وهذا بلا شكٍ يجمع كلَّ العناصر اللغويَّة التي تحيل مباشرة على المقام، من حيثُ وجود الذات المتكلمة، أو الزمان، أو المكان، حيثُ يُنجَز الملفوظ والذي يرتبط به

معناه[١]. أيْ: أَنّها دراسةَ اللغة من منظور تداولها بين مستعمليها، فالتّداوليَّة "تتطرَّق إلى دراسة اللّغة كظاهرة خطابيَّة وتواصليَّة واجتماعيَّة معًا"[٢].

تناولت في هذا البحث الإشاريات التداوليَّة في الحديث الذي روته أم المؤمنين الفقيهة والراوية المهتمة بمعرفة تفاصيل حياة الرسول قبل البعثة، وما بعدها، بدءًا من نزول الوحي؛ وذلك لما رأيت أنَّ معظم الدِّراسَات البحثيَّة المهتمة بدراسة الإشاريّات التداوليَّة قد ركّزت في اختيار نماذجها التطبيقيَّة على النصوص الشعريَّة، والقليل منها انصب تركيزه على أساسيات الخطاب الدينيّ في القرآن الكريم، وقد بدأتُ الدِّراسَة بتوضيح مصطلح الإشاريات دلالةً واصطلاحًا، ثم كشفتُ عن الإشاريات الواردة فيه، والتي تراوحت بين الإشاريات (الشخصيَّة، والاجتماعيَّة، والزمانيَّة، والمكانيَّة)، ووضَّحتُ أهميَّة هذه الإشاريات في الكشف عن المعنى النصِّي.

وتتجلَّى أهميَّة هذه الدِّراسَة في تحليل حديث عائشة من وجهة نظر الدِّراسَات الألسنيَّة الحديثة، تلك الدِّراسَات التي تهتمُّ بالمعنى المراد داخل السياق، وما وسعه من تحمُّل دلالات إبلاغيَّة متعدِّدة، سعيت من خلالها الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالإشاريات التداوليَّة؟ وما أبرز أنواع الإشاريات التي ظهرت في الحديث المروي؟
- ما أهمُّ خصائص الإشاريات، كيف أثّرت هذه الإشاريات في دلالات الحديث؟

(١) ينظر: د. محمود أحمد نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١١م)، ص١٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: أرمينكو فرانسواز، "المقاربة التداوليَّة". ترجمة: سعيد علوش، (ط١، الدار البيضاء: المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ١٣.

- كيف يمكن أن نوظّف المناهج التداوليَّة في قراءة النصوص وتحليلها أيًّا كانت؛ لنولّد دلالات تأويليَّة جديدة للنص المرويّ؟

ونظرًا لطبيعة البحث؛ فقد اقتضت الدِّراسَة تقسيمه إلى مبحثين: مبحثٍ نظريٍّ وآخر تطبيقيّ، وخاتمة ذكرت فيها أهمَّ النتائج، وضمَّنتها بعض التوصيات للمهتمِّين من طلاب العلم في مثل هذه الدِّراسَة.

واشتمل الجزء النظريّ على:

١- تمهيدٍ تضمن ذكر نصِّ الحديث.

٢- تعريف مختصر براويته أمِّ المؤمنين (عائشة) -رضي الله عنها- فعلى الرغم من شهرتها الواسعة؛ فإني رأيت أنّه لا بدَّ من ذكر ترجمة بسيطة عنها، وعن الشخصيات التي ورد ذكرها في الحديث.

٣- بعض **المطالب، وكانت على النحو التالي:**

أولًا: التداوليَّة ومجالاتها.

ثانيًا: تعريف الإشاريّات لغةً، واصطلاحًا، وأهمّ خصائصها

ثالثًا: أنواع الإشاريّات.

رابعًا: الدِّراسَات السابقة.

أمَّا المبحث الثاني: فقد خصَّصته للجانب التطبيقيّ؛ لبيان وتحليل أهمِّ الإشاريات التداوليَّة الواردة في نصِّ الحديث، فضلًا عن إشارات الخطاب، كواحدٍ من أهمِّ مجالات النظريَّة التداوليَّة.

المبحث الأول: التمهيد: (والنصُّ المروي)

تمثِّل قصة نزول القرآن على الرسول الكريم ﷺ وتلقِّي الوحي، واحدةً من القصص التي لا نملُّ من روايتها وسماعها؛ كيف لا وهي: ليلة النور والبرهان، وبدء تحوُّل العالم أجمع من الظلمات إلى النور، بنزول القرآن الكريم على نبينا محمد بن عبدالله ﷺ. قال عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١-٥] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدخان: ٣-٦] وخير مَن روى قصة نزول وحي السماء جبريل عليه السلام على النبي ﷺ هي أُمُّ المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها- وذلك فيما يرويه البخاريُّ عن عروة بن الزبير أنَّ عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) قالت: "كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ- (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ - قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ" قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ

مِنِّي الْجَهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ – ٥] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: "أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي" وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ. أَبْشِرْ. فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدا. وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى – وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ، أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ. وَكَانَ شَيْخا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ – فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَآهُ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا. يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرا مُؤَزَّرا". وفي رواية للبخاريّ: "ثم لم يَنشَبْ ورقةُ أنْ تُوفِيَ وَفَتَر الوحْي فترةً حتى حَزِن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم"(١).

(١) الراوي: عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري برقم: ٦٩٨٢ | وخلاصة حكم المحدث: [صحيح]

راوي النصِّ:

أمُّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما– تزوَّجها النبيُّ ﷺ في مكَّة، ولمس فيها ذكاءً حادًّا وكانت أحبَّ نسائه إليه، ففي الصحيحين:

"فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على باقي الطعام"(١)، وعند البخاريِّ قال فيها لأمِّ سلمة: "والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكنَّ غيرها"(٢)، وتُوفِّي النبي ﷺ في يومها، وفي بيتها، كانت على جانب كبير من العقل والفهم والعلم، ونشرت للأمة علمًا كثيرًا بروايتها للكثير من الأحاديث، روى عنها جمع من الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم– منهم: عمر بن الخطاب وابنه عبد الله، وأبو هريرة، وأبو موسى، وزيد بن خالد، وغيرهم كثير، وكانت وفاتها في المدينة في رمضان سنة ثمان وخمسين، وأمرتْ أن تُدفن بالبقيع، فدُفنت، وصلى عليها أبو هريرة ﷺ وعنها وأرضاها(٣).

الشخصيات التي ورد ذكرها في الحديث:

١– السيدة خديجة: أم المؤمنين –رضي الله عنها– خديجة بنت خويلد بن أسد

(١) صحيح البخاري، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٦٩)، ومسلم بـ (٢٤٣١).

(٢) المصدر السابق برقم (٣٧٧٥) وعند النسائي برقم:(٣٩٤٤) والترمذي برقم: (٣٨٧٩).

(٣) انظر: أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، "أسد الغابة في معرفة الصحابة". (القاهرة: شركة مصر للطباعة، ٢٠١٧م)، ٧: ١٨٨، وأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، "الإصابة في تمييز الصحابة. (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٥م)، ٨: ٢٣١، وأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، "فتح الباري بشرح صحيح البخاري". (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٤م)، ٧: ١٠٧.

القرشيَّة، أولى زوجات الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأم أولاده: القاسم، وعبد الله، وبناته: زينب، ورقيَّة، وأم كلثوم، وفاطمة، عاشت مع الرسول خمسة عشر عامًا قبل البعثة، فكانت نعم الزوجة التي تعتني بزوجها وأبنائها وبيتها، تُسيِّر القوافل التجاريَّة، وتُوفِّر له مؤنة الاعتكاف في غار حراء، وكانت أول من آمن به وصدَّقه بعد نزول الوحي، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة الذي بشَّره بأنَّه سيكون نبي الأمة، كما كانت تستشعر ذاك من قبل، فمن يوم أنْ حبب له الخلاء، وقفت معه وقوف المؤمنة الصابرة، تعينه وتصبِّره على تكذيب قريش له، دخلت مع الرسول شعب بني عامر بعد أنْ حوصر الرسول، وعموم آل هاشم فيه، تحمَّلت الحصار قريش طيلة ثلاث سنوات، وخرجت من الشعب لتبدأ رحلة معاناة أخرى مع المرض، وما لبثت أنْ ماتت قبل الهجرة، عن خمس وستين سنة، قضت خمسًا وعشرين منها برفقة أعظم زوج عرفته البشريَّة، ودُفنت في الحجون بمكَّة(١).

٢- ورقة بن نوفل، ابن عمِّ أمِّ المؤمنين خديجة -رضي الله عنها-، وأبوه أسد بن عبد العزى بن قُصي، قُرشي، من حُكماء الجاهليَّة الذين اعتزلوا عبادة الأوثان، يقال: إنَّه تنصَّر وقرأ في الكتب السماويَّة، وكتب منها ما كتب بالعربيَّة، أدرك أوائل نزول الوحي على النبي ﷺ، كما ورد في النص المروي -موضوع الدِّراسَة- ولم يدرك الدعوة(٢).

(١) انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، "سير أعلام النبلاء". (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م)، ٢: ١١٠-١١٧.

(٢) انظر: ابن جرير الطبري، "تاريخ الرسل والملوك". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢، =

٣- عروة بن الزبير: هو عروة بن الزبير بن العوَّام الأسديُّ، أبو عبد الله، تابعيٌّ، وفقيه المدينة في زمانه، وأحد المكثرين في الرواية عن خالته أمِّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن أختها أسماء أمِّه؛ فقد لازمها وتفقه بداية على يديها، يعدُّ من الأوائل الذين حرصوا على تدوين الحديث، ومقتطفات من بدايات التاريخ الإسلاميِّ، وعُرِف عنه براعته في رواية الشعر أيضًا(١).

٤- الزهريّ: أبو بكر المدنيّ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ القرشيّ، سكن الشام، من علماء الطبقة الرابعة، ومن أبرز رُواة الحديث، وأكثرهم حفظًا له، وقد أسهم في تدوينه بأمر من عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل: ١٢٤هـ(٢).

=

القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)، ٢: ٣٠٢.

(١) انظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، أحمد أمين، "ضحى الإسلام". (ط٧، القاهرة: مكتبة النهضة المصريَّة)، ٤: ٤٢٢ وما بعدها، عبد العزيز الدوري، "نشأة علم التاريخ عند العرب". (أبوظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ٨٤-٨٥.

(٢) انظر: الذهبي، "سير أعلام النبلاء"، ٥: ٣٢٦، أبو الفداء اسماعيل ابن كثير، "البدايَّة والنهايَّة". (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، ٩: ٣٤١-٣٤٤.

مطالب المبحث الأول

أولًا: التداوليَّة ومجالاتها

التداوليَّة: عِلمٌ من اللسانيات يهتمُّ بتفسير الفرق بين معاني كلمات الكلام الإنسانيّ ومعاني مقصود المتكلِّم، بدراسة مختلف المحدِّدات التي تتعلق بالتداول اللغويّ بالنسبة للسياق والمقام، باعتبارهما شرطين أساسيين في الكيفيَّة التي يحصل بها التواصل وإنتاج الدلالة بين مستعملي اللغة في علاقاتهم التخاطبيَّة تدليلًا وتوجيهًا، والمجال التداولي هو: الذي يهتمُّ بدراسة أفعال الكلام والاقتضاء والاستلزام التخاطبي، وذلك بالاشتراك مع مجالات فلسفة اللغة ومنطق الحجاج وتحليل الخطاب(١).

وهي باختصار: دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل؛ لأنَّها تشير إلى أنَّ المعنى ليس شيئًا متصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا المتلقي وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد (ماديٍّ، واجتماعيٍّ، ولغويٍّ)، وصولًا إلى المعنى الكامن في كلامٍ ما(٢).

وقد عنيت التداوليَّة بأكثر من جانبٍ من جوانب الخطاب، وقد أرجع بعضهم هذه الجوانب إلى مساراتٍ عدة، منها:

الإشاريّات، والاستلزام الحواريّ، والأفعال الكلاميَّة، والمعلومات الإخباريَّة التي يحتوي عليها الكلام ... وغيرها(٣).

---

(١) انظر: جواد ختام، "التداوليَّة: أصولها واتجاهاتها". (ط١، عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع)، ٧٦.

(٢) د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ١٤

(٣) ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب". (ط١، بيروت: دار الكتب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م)، ١: ٢٤.

إنَّ العناصر الإشاريَّة والسياق مرتبطان ببعضهما ارتباطًا شديدًا، وهذا ما أكَّده جملة العلماء المهتمين بتلك العناصر، أذكر منهم: أ. حمادي مصطفى عندما رأى أنَّ العناصر الإشاريَّة ما هي إلا "علامات لغويَّة لا يتحدَّد مرجعها إلا في السياق الخطابيّ التداوليّ؛ لأنَّها خالية من أي معنى في ذاتها"(١).

وإن ما يهمني –نظريّا– في مجال بحثي: تعريفها، وذكر أنواعها وخصائصها، وبعضٍ من الدِّراسَات السابقة التي خصَّصها الباحثون لدراستها، وتطبيقها على الأنموذج الذي وقع الاختيار عليه. من النصِّ المروي عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– بشارات النبوَّة وبدء نزول الوحي.

ثانيًا: الإشاريّات لغةً، واصطلاحًا

لغة: من الإشارة ومن مصدر الفعل أشار من مادة (شور) جاء في لسان العرب: (أشار الرجل يُشِيرُ إشارةً: إذا أَوْمَأَ بيدَيه. ويقال: أشَرتُ إليهِ بيدَي وأشرتُ إليهِ، أيْ: لوّحتُ إليه وألَحْتُ أيضًا. وأشار إليه باليد: أوْمَأَ، وأشَارَ إليه بالسبابة، وفي القرآن الكريم: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم: ٢٩] وأشار عليهِ بالرأي. وأشار يُشيرِ إذا ما وَجَّهَ الرأيَ (٢) وتقترن الإشاريّات بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق على مجموعة من الوحدات التركيبيَّة والعوامل الدلاليَّة غير المنفصلة عن سياقات إنتاج الملفوظ.

(١) أ. حمادي مصطفى، "تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني... مقاربة تحليليَّة لكشف المقاصد والأبعاد". *مجلة الأثر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس* ٢٦ (٢٠١٦م): ٦٤.

(٢) جمال الدين ابن منظور المصري، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٤: ٤٣٦، وأحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربيَّة المعاصرة". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ٢: ١٢٦.

واصطلاحًا في مسرد التداوليَّة: الصيغة اللغويَّة التي يتمُّ بها التأشير باللغة، ويشير القاموس الموسوعي للتداوليَّة إلى أنَّ الإشاريات هي: ما يُمكننا إسناد دلالة لها على أساس الإرشادات اللغويَّة المتصلة بها إنْ نحن عرفنا مقام القول، فالإشاريات مجموعة من العلامات التي تدخل ضمن التلفظ والسياق، ولا تكون مستقلة بذاتها ومعناها، بلْ هي مرتبطة بالسياق، وبأبعد من ذلك، وهو الخلفيَّة الشاملة للمرجع المقصود؛ لأنَّه إنْ لم يُفهم ذلك المرجع بشكلٍ كافٍ لتحصيل الرسالة التي يُراد إيصالها، فلا داعي إذًا لاستعمال الإشاريّات؛ لأنَّ الغرض منها يكْمن في المعادلة التاليَّة (إشارة = دلالة كاملة بخلفيَّة كاملة عن المرجع الذي نُريد الإشارة إليه)، فإن لم يتحقَّق طرفا هذه المعادلة، فإنَّ الإشارة لا معنى لها؛ فلذلك هي تنسب إلى حقل التداوليات؛ لأنَّها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق التي تستخدم فيه(١).

والحقيقة أنَّ المصطلحات المعبِّرة عن الإشاريات لدى العلماء المحدثين عديدة؛ فقد أشار (روبرت دي بو جراند) إلى أنَّها الألفاظ الكنائيَّة(٢)، بينما أطلق عليها (بيرس) الإشارة أو العلامة الإشاريَّة، وأرجع ذلك إلى الإشارة من خلال اللغة، والتي قد تكون بأداة وتشمل إشارات حسيَّة، وتتمثل بأسماء الإشارة التي تدلُّ على مسمَّاها... (٣).

في حين أطلق عليها (الأزهر الزنَّاد) العناصر الإحاليَّة في اللغة، وعدها من قبيل المعوِّضات، وأشار إلى أنَّها تأتي تعويضًا عن وحدات معجميَّة (أسماء مفردة وما

(١) انظر: د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص ١٥ وما بعدها.

(٢) روبرت دي بور جراند، "النص والخطاب والإجراء". ترجمة: تمام حسان، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م)، ٣٢٠.

(٣) ينظر: محمد عبد السلام، "آفاق تداوليَّة في النصوص النثريَّة الكاملة أعمال علي الجارم نموذجًا". (ط١، القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م)، ١٢٥.

يضارعها من المركبات)، وقصده في ذلك المشار إليه أو المحيل إليه[١]، أمَّا (لنفنسون) فقد رأى أنَّ الإشاريات هي: "تذكير دائم للباحثين النظريين، بأنَّ اللغات الطبيعيَّة وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه، كما تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنَّا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم"[٢]، فالخطاب اللغويّ وصناعة المعنى محصور في إنتاجه على الإشاريات التي تُحدِّد المرجع بين التخاطب (متكلِّم، سامع)، في سياق محدد ماديٍّ واجتماعيٍّ ولغويٍّ، وصولًا إلى المعنى الكامن في كلام ما[٣].

ومما يجب ذكره في هذا المقام أنَّ عالم اللسانيات وأحد أهم الشخصيات– كما قيل– في التطور المبكر لعلم اللغويات (إدوار سأبير) ت١٩٣٩م عرّف اللغة بأنَّها: "وسيلة إنسانيَّة محضة، غير غريزيَّة لإيصال الأفكار والعواطف، والرغبات عن طريق نظام من الإشارات المقصودة"[٤]، فيا ترى هل أراد بقوله: "نظام من الإشارات المقصودة "ما تعنيه الإشاريات عند العلماء المحدثين الذين ظهروا في بدايات هذا القرن، واهتموا بالتداوليَّة والإشاريات كظاهرة من الظواهر التي لا تظهر إلاَّ في سياق الكلام، وجانب من جوانب الخطاب.

الحقيقة أنَّ مراده كان محصورًا في إخراج أصوات الحيوانات، والأصوات غير

(١) الأزهر الزنّاد، "نسيج النص: بحث فيما يكون الملفوظ نصًا". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م)، ١١٥–١١٦.

(٢) د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ص ١٦.

(٣) ينظر: حبيب مؤنسي، "مقاربة مقارنة بين علم المقاصد العربي وأفعال الكلام، التداوليَّة ومقاصد الخطاب الأدبي البراغماتي"، المدونة الإلكترونيَّة: اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل مع المجتمع، ١٤.

(4) john Lyons, "Language and Linguistics". (Cambridge University press), p.3.

الكلاميَّة التي يصدرها الإنسان، كالبكاء، والضحك، والسعال، وما شاكل ذلك من اللغة؛ لأنَّها غير معبِّرة أو غير مقصودة، لا ما أراده المحْدَثون من التركيز على دورها في سياق الكلام، وصولًا إلى المعنى المراد.

كما يجب علينا أيضًا معرفة أنَّ علماء العرب –قديمًا– اهتموا بها من بين أدوات الربط بين أجزاء الجملة، وبين مجموعة الجمل، وكانوا يُطلقون على الإشاريات اسم المبهمات؛ على اعتبار أنَّها من العلامات اللغويَّة التي لا يتحدَّد مرجعها إلاَّ في سياق الخطاب؛ لأنَّها خالية من أي معنى في ذاتها، وأنَّ كلًا من أسماء الإشارة والموصول والضمائر وبعض الظروف، كنحو: (قبل وبعد) أسماء مبهمة عند النحويين، فهي معارف غير محدَّدة المعنى بذاتها[1] المهم "أنَّ كل التّعريفات اللّغويَّة للإشاريات تلتقي في مفهوم الإشارة والتّعيين لذاتٍ، أو شيءٍ، أو زمانٍ، أو مكانٍ ... وغيرها، أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه؛ قصد التّواصل وتوصيل فكرة مُعَيَّنَةٍ في ذهن المتَكَلِّم"[2]، وتنحصر أهمّ خصائص الإشاريات في أنَّها:

علامات لسانيَّة تخضع للتّواضع والاصطلاح بين المتَخَاطِبين، وأنَّها لا تؤُدِّي منفردةً وظيفةً دلاليَّة في أيّ موضوع، سواءً كان واقعيًّا أم خياليًّا، بل تقترن دائمًا بالموضوع الذّي لها صلة به، والسِّياق الذي أُنْتِجَتْ فيه، وأنَّها تقوم بدورٍ حيويّ في

(١) ينظر: أبو سعيد السيرافي، "شرح الكتاب". تحقيق: أحمد حسن مهدلي، د. علي سيد علي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٨م)، ٢: ٣١٠، وابن هشام الأنصاري، "شرح شذور الذهب". تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة المعاهد الأزهريَّة)، ٣٢٦.

(٢) لعباديَّة ريمة، "أصناف الإشاريات ومقاصدها في الأدب الكبير لابن المقفع، قراءة تداوليَّة". *مجلة إشكالات في اللغة والأدب ١١(٢)*، (٢٠٢٢م): ١٥.

تحقيق فاعليَّة التّواصل مِنْ حيث كونها مُحِيلَةً على موضوعات ذات مرجعيَّة معلومة لأطراف التّواصل[١].

ثالثًا: أنواع الإشاريات

توصلت من خلال ما سبق ذكره من أقوال العديد من العلماء، إلى أنَّ الإشاريات تتوخَّى التعيين والتحديد المتعلِّق بالأشخاص والأشياء والأحداث والأنشطة التي نتحدَّث عنها، والتي نُحيل إليها في علاقتها بالسياق الزمانيّ والمكانيّ المتولد عن فعل التلفّظ[٢]، ويخلُص أغلب الباحثين إلى أنَّ الإشاريات خمسة أنواع: إشاريات شخصيَّة، وإشاريات زمانيَّة، وإشاريات مكانيَّة، وإشاريات اجتماعيَّة، وإشاريات خطابيَّة أو نصّيَّة، وقد اقتصر بعضهم على كونها ثلاثة أنواع: شخصيَّة، وزمانيَّة ومكانيَّة، التي تمثِّل (الأنا، والآن، والهُنا)[٣]، ليتفرَّع بعد ذلك من الإشاريّات الشخصيَّة (الإشاريّات الخطابيَّة) عند من عدَّوها أربعة أنواع، ويتفرع من الإشاريات المكانيَّة (الإشاريات الاجتماعيَّة) عند من عدوها خمسة أنواع، إضافة إلى (الإشاريّات الموصولة) عند من أضافوا لها نوعًا سادسًا.

والذي يهمني في هذه الدِّراسَة هو الأنواع الثلاثة الأولى، فهي التي تمثل لبَّ الإشاريات من حيث إنَّها تعالج الجانب الشخصيَّ، الذي يقوم عليه الخطابُ، فالخطاب مكوَّن من متكلِّم (أنا، نحن)، سواء أتت صريحة بضمير منفصل، أو أتت

(١) ينظر: ختام، "التداوليَّة: أصولها واتجاهاتها"، ٧٧-٧٨، و*مجلة إشكالات* ١١، ٢: ١٧.
(٢) ختام، "التداوليَّة: أصولها واتجاهاتها"، ٧٨.
(٣) الزنّاد، "نسيج النّص بحث فيما يكون به الملفوظ نصًّا"، ١١٦.

بضمير متصل (تاء الفاعل، ونا الدالة على الفاعلين)، أو أتت بضمير مُستتر مقدَّر، ومُخاطب (أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتنّ، أنتم)، وسواءً أتت صريحةً بضمير منفصل، أو أتت بضمير متَّصل (تاء الفاعل المخاطب المذكر والمؤنث بمفردها، أو ملحقًا بها ألف الاثنين، أو ميم الجمع المذكر، أو نون النسوة)، أو أتت بضمير مستتر مقدَّر، وهناك جانب آخر للخطاب قد لا يكون مشاركًا بشكلٍ مباشرٍ، إلاَّ أنَّ له أثرًا في مجريات الخطاب، وهو ضمير الغائب المتمثل في: (هو، هي، هما، هنّ، هم)، سواء أتى ظاهرًا، أو متصلا أو مقدّرًا، وكذلك يدخل أسلوب النداء في هذا الجانب(١).

والحقيقة أنَّ مدار الإشاريات الشخصيَّة ينتج عنه الخطاب؛ لذلك فدراسة الإشاريات الشخصيَّة يندرج فيه -بشكل عارض وأكيد- دراسة الإشاريّات الخطابيَّة، ولأجل ذلك لم يعدّها بعضهم نوعًا مستقلًّا، وعلى هذا تُقاس بقيَّة الأنواع الأخرى غير الأنواع الثلاثة الأخرى، والتي سيكون التركيز عليها في دراستي للجانب التطبيقيّ من الحديث.

رابعًا: الدِّراسَات السَّابقة

وعن الدِّراسَات السابقة فقد عثُرت على جملةٍ من الأبحاث المنشورة، التي تناول الباحثون فيها الإشاريّات التداوليَّة في عددٍ من النصوص الشعريَّة والنثريَّة، منها:

- الإشاريات التداوليَّة في نماذج مختارة من مرويات الثعالبي أ. عبير عبده حزام الفودعيّ، مجلة ضياء الفكر للبحوث والدِّراسَات، مجلد١، العدد٣، ٢٠٢٤م، وقامت الدِّراسَة على توضيح المقصود بالإشاريات وأنواعها، معتمدةً في الجانب

(١) ينظر: د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر"، ١٦-١٧.

التطبيقي على نماذج تراثيَّة من مرويات الثعالبي في كتابه (الكناية والتعريض) تحقيق: أسامة البحيريّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة: مصر، ط ١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

- البُعد التداوليُّ للإشاريات في الخطاب النثريّ، مقامة أبي الخصال الأندلسيّ أنموذجًا، الكاتب: خولة جلالة، زرقين فريدة، بحث منشور في مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد١١، عدد٢، ٢٠٢٢م، الناشر: المركز الجامعيّ، أمين العقال الحاج موسى.

وفيه أبرزت الباحثة أهميَّة الإشاريات بأنواعها المختلفة، واختارت مقامة الخصال التي عرض فيها إحدى مقامات الحريري في محاولة لتعيين مرجعيَّة العناصر الإشاريَّة ضمن ظروف استعمالها.

- الإشاريّات الشخصيَّة ومقاصدها التداوليَّة في شعر البردوني، لـ (ريمة يحي، جودي مرداسي) قسم اللغة والأدب العربي والفنون –جامعة باتنة (الجزائر)– مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد١٠عدد٤، السنة: ٢٠٢١م، وفيه اقتصر الباحثان الحديث عن الإشاريات الشخصيَّة؛ لأنَّها كانت المهيمنة في شعر البردوني.
- تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليليَّة؛ لكشف المقاصد والأبعاد لـ أ. حمادي مصطفى، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس (الجزائر) مجلة الأثر العدد ٢٦، ٢٠١٦م، وفيه استعرض الباحث، أهميَّة الإشاريات في تحليل الظواهر التداوليَّة للملفوظات القوليَّة داخل الخطاب، واختار النص الدينيّ كأنموذج لما يحمله من خصائص ينفرد بها عن غيره من الخطابات الأخرى في

المرجعيَّة باعتباره كلام الله، ولما يحمله من دلالات لا يمكن كشف معانيها إلَّا من خلال تحديد السياق القوليّ له.

والحقيقة أنَّ هذه الأبحاث غيض من فيض الدِّراسَات الأخرى التي تناولت موضوع الإشاريات، والتي تقفنا على مدى اهتمام الباحثين بالإشاريات التداوليَّة، والأمر راجعٌ –في رأيي– إلى حداثتها، وتبقى لدراستي هذه جدتها وأهميتها، فقد تناولت جانبًا تطبيقيًّا ربُّما لم يسبقني أحدٌ في تناوله للإشاريات وأنواعها في نصٍّ من نصوص الأحاديث المرويَّة عن صحابة رسول الله الكرام ﷺ، فاخترت الحديث المتعلق بفجر النبوَّة، والذي روته لنا أمُّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– لأستنبط وأكشف عن الإشاريات التي أتت على ذكرها، وجعلت المتلقين يستشعرونها، وهي ترسم من خلالها مشاهد نزول الوحي والنور الذي سطعَ من غارِ حِرَاء.

المبحث الثاني:

وقد قسَّمته إلى جانبين:

١– الجانب النظري وفيه: التمهيد، وما تخلَّله من ذكر لقصة بشارات النبوَّة لرصد الجوِّ العام للحديث والظلال التي أحاطت به.

٢– **الجانب التطبيقي** ويشمل الإشاريات التي وردت في نصِّ الحديث ضمن المطالب التالية:

أولًا: الإشاريات الشخصيَّة.

ثانيًا: الإشاريات الزمانيَّة.

ثالثًا: الإشاريات المكانيَّة.

رابعًا: الإشاريات الاجتماعيَّة.

التمهيد:

إنَّ البحث في الإشاريات لا يقتصر على تشخيصها داخل الخطاب، وإبرازها على سبيل الإحصاء، وإنَّما إظهار المعاني التي تؤدِّيها، أو المرجعيات التي تحيل إليها، ومن دون الوقوف على هذه المعاني نفرّغ التداوليَّة من محتواها؛ لأنَّه من اليسير جدًّا على أيِّ باحثٍ التدليل على هذه الإشاريات، وإظهارها، وتعدادها؛ ولكن القيمة الحقيقيَّة تكمُن في إظهار المعنى الذي يريده المتكلم منها، والغرض الذي من أجله استعملها، فكلام السيدة عائشة فيما روته من الحديث عن أوائل نزول الوحي –رضي الله عنها– جمع العناصر الإشاريَّة (الضمير، والمكان، والزمان، والتي يعبر عنها بمصطلح: (الأنا، والهُنا، والآن)[١]، وقد رأيت أنَّه من المفيد قبل البدء في الحديث عن

(١) ريمة، "أصناف الإشاريات ومقاصدها في الأدب الكبير لابن المقفع، قراءة تداوليَّة"، ص ١٥ وما بعدها.

أنواع الإشاريات الواردة في الحديث بشكلٍ مفصّل مُفعَم بالشواهد من نص الحديث، أنَّ ألقي الضوء على الظلال التي أحاطت به، والجوّ العام الذي اكتنفه، والجوّ النفسيّ الذي ساد فيه، وجعلنا نتعايش مع كلّ دقَّة قلبٍ، ونبرة صوت، وزفرة حنان، ولمسة اطمئنان، صدرت من الحبيب المصطفى ﷺ روتها ورسمتها لنا أم المؤمنين –رضى الله عنها– في تلك اللحظات المصيريَّة التي فجئته وهو يتحنَّث في غار حراء، وموقف من أحاطوا به وعايشوه تلك اللحظات بعد أنْ رجع إلى بيته.

بدأت القصة بدخول جبريل –عليه السلام– على النبي ﷺ في هيئة رجل، ودخول رجلٍ على رجلٍ ليس مفزعًا؛ إذ لم يكن غريبًا، حتى وإن كان العهد به أول مرةٍ، ومن دون مُقدِّماتٍ، والسؤال في هذا المقام، لماذا فزعَ النبي ﷺ لمَّا رأى جبريل عليه السلام؟

تروي السيدة عائشة –رضي الله عنها– فتقول: "دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكُ قَائلًا له: اقْرَأْ. دون مقدماتٍ ودون سلام، يخاطبه وكأنه يعرفه من زمن، والرسول لا يدري أيّ شيءٍ يقرأ؛ فالرسول أُمّيّ؛ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وهو يقول له اقرأ؛ فقال ﷺ "مَا أَنَا بِقَارِئٍ". لم يسأله الرسول ﷺ مَن أنت؟ وماذا تريد؟ فقد بُهت بدخوله عليه فجأة، وبردة الفعل الذي أفزع الرسول ﷺ حينما اقترب منه، ثم احتضنه بشدة. حَتَّى بَلَغَ منه الْجَهْدَ" ثم أفلته، ثم رجع إليه مرةً أخرى "ثمَ قَالَ: اقْرَأْ للمرة الثانيَّة، وكذلك فعل في المرة الثالثة، وهو يقول: مَا أَنَا بِقَارِئٍ...

شدة وقوة أظهرها الوحي في التبليغ، وكأنه يقول له: انتبه، لست تحلُم يا محمد؛ هذه حقيقة. ثم قَالَ له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥].

وفي تلك اللحظات التي مرَّت مرور البرق، تبدأ الأسئلة تتوارد بشكلٍ متسارع على نبي البشريَّة يا ترى مَن هذا الرجل؟ كيف ظهر؟ وكيف اختفى بعدما قال هذه

الكلمات؟ الرسول حقيقة لا يعلم ماذا حصل، ولكنْ وبكل تأكيدٍ عرف منذ اللحظة الأولى، أنَّ هذا الكلام ليس من كلام البشر، بلْ كلام إعجاز، وأنَّ هذا الرجل جاءه يتحدّث عن الإله الذي يبحث عنه منذ زمنٍ؛ فهو طالما اعتكف، وفكّر؛ ليعرف مَن خالق هذا الكون، وها هو هذا الرجل يتحدَّث عن الإله الذي خلق، الذي يتكرَّم، الذي يعلم... ولكن تركه وذهب، ولم يخبره عن أيّ شيءٍ، وكان في كلّ مرةٍ يغطّه حتى يبلغ منه الجهد ما يبلغ. بدليل قوله ﷺ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. خشية جعلته يذهب ويجري خائفًا إلى بيته قاطعًا تعبُّده، باحثًا عن الأمان. رَجَعَ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ هلعًا وخوفًا شديدًا، أظهر بشريَّة الرسول ﷺ، وكذلك أعده وشوقّه وهيأه لما سيأتي بعد ذلك.

ويصل الرسول ﷺ إلى الملاذ الآمن إلى بيته، ليروي الموقف الغريب الذي حدث له، وما قيل له من كلماتٍ لأقرب إنسان إلى قلبه، للسيدة خديجة –رضي الله عنها– وبعد أنْ استجمع نوعًا ما قِواه، قال لها: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي"، فيا ترى كيف استقبلت الخبر؟ وماذا كان موقفها؟

استقبلته بثقة المرأة الموقنة بصدق زوجها، فقالت له في يقين غريبٍ كلمات سطّرها التاريخ: كَلا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، لقد أدركت السيدة خديجة بحدسها وتقديرها أنَّ هذا الرجل صاحب الأخلاق الحميدة لن يخزيه الله أبدًا، مُشيرةً بأوصافه تلك من خلال معاملاته للناس، وخدماته التي طالما قدّمها لهم دون فتورٍ، أو كللٍ، ولم تشر من قريبٍ، أو بعيدٍ إلى تحنّثه وتعبّده، وكذلك لم تشأ تلك الزوجة المرأة العاقلة المخلصة أن تترك زوجها للأوهام والضلالات، وفضَّلت أن تذهب به إلى أهل العلم والدراية؛ تبحث له عن جواب شافٍ لما حصل له، فاختارت ابن عمها "ورقة"، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ. تَنَصَّرَ فِي

الْجَاهليَّة، وَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ وعلم أن نبيًّا سيخرج في آخر الزمان، وكان ينتظره؛ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ (وكان يعرف أخلاق النبي ﷺ وصفاته الحميدة): يَا بْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الذِي نَزَّلَ عَلَى مُوسَى.

ولنتخيل في تلك اللحظة كَمّ الأحاسيس والمشاعر التي جاشت في صدر النبي ﷺ وهو يسمع هذا الكلام، أن يكون الله -سبحانه وتعالى- قد اختاره من بين كل الخلق؛ ليكون نبي آخر الزمان.

وتابع ورقة كلامه، ليسوق للنبي خبرًا آخر قائلًا: "يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا (شابًّا)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ". فَقَالَ ﷺ "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟". فلم يكن النبي ﷺ يعرف خبر الأنبياء ولا تكذيب أقوامهم لهم، فقال: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟"، فقَالَ له ورقة بيقين وثبات: "نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إلا تعرّض للأذى والعداوة". ثم يقول ورقة: "وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"، ثُمَّ لَمْ يَلبث وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وشاء الله أن يفتر الوحي، وكان انقطاع الوحي بمنزلة صدمة للنبي ﷺ، فهو لم يتيقن بعد، والشك شعور قاتل، ولكنَّ هذا الفتور والتأخير زاد النبي ﷺ اشتياقًا لرؤيته مرة أخرى؛ لتبدأ من هنا رحلة النبوة والتبليغ والتبشير والإنذار، وانطلاق الرسالة بالشوق، ثم الصوت، ثم الرؤية الحقَّة لجبريل، وهو جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرض، وبالفزع مرةً أخرى، ومن ثمَّ الرجوع للسكن الآمن، طالبًا من خَدِيجَةَ -رضي الله عنها- أن تزمّله وتدثّره ... فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ - ٥].

هكذا بدا الجوُّ العامُّ للحديث، وسياقاته الدلاليَّة، والذي أرى أنَّه سيكتمل بعد ذكر الإشاريات التي وردت فيه، من خلال ربطها بالسياق التي وردت خلاله، فالتداوليات حقل لسانيٌّ يهتمُّ بالبعد الاستعمالي، أو الإنجازيّ للكلام، ويأخذ بعين

الاعتبار المتكلم والمتلقي. والإشارة عمليَّة يستخدم بها المتكلم، أو الكاتب صيغًا لغويَّة؛ ليمكِّن المستمع أو القارئ من تحديد شيء ما[١].

– **الجانب التطبيقي ويشمل الإشاريات التي وردت في نصِّ الحديث ضمن المطالب التالية:**

أولًا: الإشاريات الشخصيَّة.

ثانيًا: الإشاريات الزمانيَّة.

ثالثًا: الإشاريات المكانيَّة.

رابعًا: الإشاريات الاجتماعيَّة.

عرفنا أنَّ الإشاريات (Deictics) ما هي إلاَّ العلامات اللغويَّة التي لا يتحدَّد مرجعها إلاَّ في سياق الخطاب؛ لأنَّها خاليَّة من أيّ معنى في ذاتها، مثل: الضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان[٢]... وإذا كان للمتكلِّم غرضٌ ينبغي بموجبه أنْ يشاكل المخاطب هذه المعرفة، فالمتكلم يشاكل المركز الذي من خلاله يمكن أنْ نحدد مسألة القرب والبعد الماديّ والاجتماعيّ بالنسبة لأطراف الخطاب؛ ولتوضيح هذا الكلام سأعمد إلى ذكر أصناف الإشاريات بداية، وسأوضِّح من خلالها المفاهيم التداوليَّة التي تكتنف كلًّا منها، سواء كان الكلام المروي من كلام أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– برواية ابن أختها عروة بن الزبير عنها، أو شرح لبعض الألفاظ التي أتت موصولة بالحديث، أو من كلام

(١) مجيد الماشطة، وأمجد الركابي، "مسرد التداوليَّة". (ط١، الأردن: الرضوان للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م)، ٥٧.

(٢) ينظر: بلبع عيد، "التداوليَّة البعد الثالث في سميو طيقيا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة". *مجلة فصول* ٦٦ ، (٢٠٠٥م): ٤١.

الزهريّ كما قيل.

أولًا: الإشاريّات الشخصيَّة

كان لهذه الإشاريات حضور قويٌّ داخل الحديث المروي، بحيث شملت عددًا من الحروف وبعضًا من الأدوات والأسماء، ومنها: (ما النافية، أي لنداء القريب، يا النداء البعيد، وليت للتمنّي، وكَلَّا أداة ردع وزجر، ومن حروف العطف (ثمَّ والفاء) وحرف الغاية حتى ... ومن الأسماء الضمائر بأنواعها المختلفة (المتكلِّم والمخاطب والغائب) المتصلة منها والمنفصلة، وكانت على اختلافها هي الأكثر والأظهر عن باقي أنواع الإشاريات الشخصيَّة الأخرى، بحيث شكلت ملمحًا أسلوبيًّا بدا واضحًا في سياق الحديث، وهذا أمر بدهيٌّ؛ فالنصُّ حديثٌ مروي شخصته ورسمت مشاهده أم المؤمنين بالحروف والكلمات والجمل عن واقعة حصلت حدّثها عنها المصطفى عليه السلام، ومن ثمَّ جرت على لسان فلانٍ عن فلانٍ عن النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام؛ ولكي يستطيع القارئ من معايشة جماليات الأسلوب الذي وردت به، والتي أسهمت تلك الإشاريات في بلورتها بأقل العبارات وأدق التعبيرات، حرصت على ذكرها تباعًا حسب ورودها في النصِّ؛ وكان ضمير الغائب المتصل المجرور بالباء في قولها: (به) **أولها**، وهو عائد للكلام عن بدايات الوحي، و(مِنَ) في قوله –(الْوَحْي) تبعيضيَّة أيْ: من أقسام الوحي الرؤيا الصادقة، ويحتمل أن تكون بيانيَّة، أيْ: هي الرؤيا الصالحة.

تلاه الضمير الغائب المستتر، وتقديره: (هو) في كلٍّ من الأفعال: (كان، يرى، يأتي، يتحنَّث)، وكله عائد على الرسول عليه الصلاة والسلام، أمَّا ضمير الغائب في (جاءت) فتقديره: هي وعائدة على الرؤيا، أمَّا قول أم المؤمنين: (ثُمَّ حُبِّبَ إليه الخلاء) ففيه الضمير المتصل بـ إلى، والأصل ثم حبب الخلاء إليه. أيْ: إلى الرسول، والمراد بالخلاء: الخلوة وهو أن يجلس الإنسان مع نفسه يتفكّر في شأن هذا الكون، وهذا

شأن الصالحين، وعباد الله العارفين المتفكرين في هذا الكون وعجائب صنعه، فهم يختارون المكان الأبعد عن الناس غالبًا والمكان الوعر المسلك والصعب في الصعود، وهذا ما اختاره رسولنا الكريم، لقد اختار غار حراء، واختياره له في رأيي ترتيب وإلهام ربانيّ، وهو آية بحد ذاته. ومجيء (ثم) في سياق الكلام إشارة إلى أن تحبيب الخلوة جاء متأخِّرًا عن الرؤيا الصادقة، وجيء بـ (ثم) لترتيب الأخبار.

وفي قولها: (يَتَحَنَّثُ فِيهِ) ضميران، الأول: المستتر في يتحنَّث، والمتَّصل الغائب في: فيه، أيْ: في الغار، وأمَّا الشرح الموصول بالحديث وضمير الغائب البارز في قول الشارح: (وَهُوَ: التَّعَبُّدُ) والذي فسر فيه: معنى التحنُّث بالتعبُّد، فهو تفسير الزهري –رحمه الله– لئلا يظن ظانٍ أنَّه من الحنث فينقلب المعنى، وفي قول عائشة (حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ): جاء ضمير الغائب المتصل بالفعل في فجئه، مشيرًا إلى دخول جبريل عليه دون سابق إنذار، والمراد بالحقِّ، الحقُّ الذي جاء به جبريل عليه السلام للرسول مكلّفًا به من عند الله، قال النوويّ[١] –رحمه الله– أيْ: جاءه الوحي بغتةً، فإنَّه ﷺ لم يكن متوقّعًا للوحي[٢]. ولا إلى مجيئه في ذاك الغار النائي، مشيرًا إليه بقوله: وهو بالضمير الغائب البارز المنفصل؛ ليؤكِّد وجوده في الغار؛ وليزداد تأكيد مجيئه بضمير الغائب المتصل في قوله: (فجاءه)، والغائب المستتر في (قال) مستعجلًا القول، وسائلًا قبل أن يُسْأل، فقبل أن يبادره الرسول عليه السلام السؤال بالتعريف عن نفسه، وسبب حضوره، استخدم أسلوب المفاجأة مرَّة أخرى بقوله: اقرأ وبالضمير

(١) محي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، نسبة إلى مدينة نوى في جنوب سوريا الآن ٦٣١-٦٧٦هـ، محدث وفقيه ولغوي، من مؤلفاته: الأربعين النوويَّة، رياض الصالحين وغيرهما...ينظر: شمس الدين السخاوي، "المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء الإمام النوويّ". (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٥م)، ٣.

(٢) شرح النوويّ على مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث: ١٦٠، ٢: ٣٤٩.

المستتر فيها (أنت) أيْ: أنت المعني بالقراءة، ليأتي الجواب قال، مشارًا إليه بضمير الغائب المستتر (هو) ثم بالمتكلِّم أنا متبوعًا، ومؤكدًا بالباء في قارئ (اسم الفاعل) الدالِّ على التجدُّد والحدوث، (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) و(مَا) نافية، والمعنى لا أحسن القراءة، وأمَّا من جعل (مَا) استفهاميَّة على معنى: ماذا أقرأ؟ -فرأي لا أميل إليه- ويضعِّفه دخول الباء على الخبر قارئ.

وتتابع بعد ذلك جملة من الإشاريات المعبَّر عنها بضمائر الرفع المستترة كما في: الفعل قال، مكررة مع السياق ثلاث مراتٍ، وضمير النصب المتصل (الياء) في: فأخذني، فغطني، أرسلني، مُكررًا الفعل نفسه تباعا كذلك ثلاث مرات، فعلٌ أتعبه (فغَطَّنِي) بفتح الغين وتشديد الطاء، أيْ: ضمني وعصرني، وأصل الغط: حبس النفس، والغط: العصر الشديد والكبس[1] (الْجَهْدَ) بفتح الجيم وضمها لغتان الغاية والمشقة، فبالفتح بلغ الغاية في الغط، وبالضم بلغ مني الجهد مبلغه. بدليل قوله: حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، وبإشارة ضمير الغائب المستتر المرفوع هو في بلغ، والمجرور المتصل بحرف الجر في مني، ليقرر له بعد تلك المعاناة، وما فيها من ضغوط نفسيَّة وجسديَّة، ويُخبره ماذا يقرأ؟ تاليًا عليه الآيات الخمس الأوائل من سورة العلق، والتي تجسَّدت فيها الإشاريات الشخصيَّة بضمائر المخاطب المستترة، والمقدرة بأنت في (اقرأ)، وضمائر الغائب المستترة المقدرة بـ (هو) في: خلق، علّم، يعلم، وبالكاف المجرورة المضافة، المتصلة في(ربّك)؛ لتنساب بعد ذلك فيما روته أم المؤمنين جملة من الإشاريات الشخصيَّة السابقة وغيرها، لتدلَّ على براعة رسم المشهد في سياقاته، معبرة بكلِّ دقةٍ وشفافيَّةٍ عن الحدث والموقف بجميع جوانبه، والمتمثلة في ضمير الغائب المستتر، هو في (رجع) من قولها: فرجع بها، أيْ: رجع بالآيات الخمس، أو بالقصة

(١) انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، مادة: (غطَّ)، ٧: ٣٦٢.

كاملة، والتي فسَّرها ضمير الغائب المتصل في (بها)، لتستكمل الصورة في الضمير المتصل في (بوادره)، تلك التي جسدها الفعل ترجف. والبوادر: جمع بادرة وهي اللحمة بين المنكب والعنق[١]، جرت العادة أنَّها تضطرب عند الفزع، ودخوله المتسارع على خديجة، على غير عادته، وقوله: زملوني، أيْ: غطوني بالثياب ولفوني بها... مكررًا إيَّاها، وكأنَّ ياء المتكلم الضمير المتصل المنصوب شاهد على ما أصابه واعتراه من خوف ووجل، جعلهم يستجيبون لطلبه بسرعة خاطفة، وقد أظهرته واو الجماعة، التي وقعت موقع الفاعل، وهاء الضمير التي وقعت في موقع المفعول به، لتشير واو الجماعة على أنَّ مَن قام بعمليَّة تدفئته أكثر من شخص، ربَّما كان المعنى أنه دخل على خديجة دخول الخائف المذعور، ليرمي نفسه في الحضن الدافئ الذي كان نِعمَ الملجأ والسند العاطفيّ قبل الماديّ له، لتقوم بتدفئته مع من شاركها من أهل البيت، إلى أن ذهب عنه الخوف والفزع، ومن ثَمَّ ليخبرها بعد ذلك بالذي حصل معه، وسبَّب له ذاك الخوف الملاحظ، ولا شكَّ في الضمير المتصل بـ (عن) من قولها: (ذهب عنه) إشارة سياقيَّة دلاليَّة على تملُّك الخوف الذي أصاب كيانه عمومًا، حتى رجفت منه بوادره، وكيف سرى وذهب عنه، بعد شعوره بالطمأنينة في أحضان بيته وبين أهله، هذا الشعور الذي استغرق فترة من الزمن، والذي أبانت عنه أداة العطف التي تُفيد الترتيب والتراخي (ثم)، والضمير الغائب المستتر فيما روته أم المؤمنين والعائد على الرسول (ثم قال ...)، قاله مناديًا لأقرب المقربين إلى قلبه ومنبع سرِّه (خديجة) بأداة النداء للقريب (أيْ) قرب الروح والمنزلة، وبقوله: مالي، استفهام بـ ما، ومعها الضمير المتصل باللام والمعنى: ما الذي حصل لي؟ والحقيقة أن سياق الكلام يقتضي أن تُبادره هي في السؤال والاستفهام، ولكنَّ هذا له دلالته في أنَّ الخائف لا ينبغي له

(١) انظر: ابن منظور، "لسان العرب"، (ب د ر)، ٤: ٥٠.

أن يُسأل، ودلالته في تأدُّبها مع زوجها الخائف؛ ولتترك له المجال في التحدُّث عما جرى له بنفسه، والدليل قوله: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) مما حصل، دون ذكر لنوع هذه الخشية، وقد أدَّاها الضميران المتَّصلان، تاء الفاعل في خشيت، وياء المتكلم في نفسي، لتردَّ عليه خديجة كما روت أم المؤمنين عائشة بقولها: قالت (هي) والردُّ (له) للرسول، مستنكرة ومثبتة بأداة الردع والزجر (كلا) ولتحول الأمر وما حصل له من السلبيَّة إلى الإيجابيَّة بالفعل ودلالته (أبشر)، وضمير المخاطب المستتر به (أنت)، ولتأتي معه جملة من الإشاريات الشخصيَّة المتمثلة بالقسم في (فوالله) (والله)، وبضمائر المخاطب الكاف المتصلة في الفعل (لا يخزيك)، وبإنَّ المؤكدة في: (إنَّك) و(بأنت) المستترة بالأفعال: (تصل، تصدق، تحمل، تكسب، تقري، تعين) إشاريّات شخصيَّة، كانت بمثابة مبشرات أوليَّة آتت أكلها في تثبيت عزيمة من سيكون خيرًا للبشريَّة؛ ولتؤكد له أنَّ مكارم الأخلاق حرز لصاحبها يحفظه من المكاره، وسبب من أسباب السلامة للإنسان الفاعل لها بصدق نيَّة؛ ولتؤكِّد له صحَّة ما تبيَّن لها انطلقت به، وبالنظر إلى السياق في الضمير المستتر في انطلقت (هي) المتصل في (به) فلم تقل له: اذهب إلى فلان واسأله، بل رافقته الخُطى ليتأكد له الأمر ممن هو أعلم منها بذلك، إلى ابن عمِّها (ورقة بن نوفل)، وهو ممن تعرفه وتثق به، وأمَّا قولها: (أتت، به) فالإشاريَّة واقعة في الضمير المستتر (أتت) والضمير المتصل بالباء (به)، وكلاهما دليل على مؤازرة خديجة للرسول منذ اللحظات الأولى للرسالة وعلى صدق حدسها، وللترك المجال للرسول في الإخبار عمَّا جرى لزوجها بنفسه، بعد أنْ قامت بتقديمه إلى ابن عمها خير تقديم، فقالت له خديجة (قالت: هي) والضمير المتصل في (له) عائد على ورقة، كما هو واضح من سياق الكلام، وقولها: أيْ: عمِّ... أيْ: أداة نداء للقريب، وقد أكسبت النصَّ دلالة ومكانة اجتماعيَّة سآتي على ذكرها، وكذلك قولها: (ابن أخيك) وقوله: (يا ابن أخي).

وأمَّا الإشاريات الشخصيَّة فقد أتت في (اسمع) بالضمير المستتر للمخاطب

(اسمع: أنت) وكذلك (ترى)، وفي (أنزل وتقديره: هو، كنائب فاعل)، ورآه: (هو)، وأكون، وأنصرك: أنا، وقال: هو، وجذعًا: أنا، وحيًّا: أنا، و(جئت: أنت)، والمتصل بكاف الخاطب المجرور في: (أخيك، قومك) وبهاء الغيبة المنصوب في (أخبره، رآه) والمتصل بياء المتكلم المنصوب في (ليتني، يدركني)، وكاف الخطاب في (يخرجك، أنصرك).

وأمّا الإشاريَّة الشخصيَّة بالضمير البارز المرفوع (هُم) في قول الرسول أثناء حواره مع ورقة وما سبقه من استفهام، وهو: استفهام كان مُوجعًا بأشدِّ عوامل الوجع النفسيّ المؤلم، فالنبي ﷺ لم يكن متصورًا، ولو للحظة، أنَّ قومه وأقاربه وأعمامه سيأتي يوم عليه وعليهم يطردونه فيه، ويخرجونه من مكة، وها هو يُخْبَر بذلك مُسبقًا، فقال: أوَمخرجيَّ هم، والأصل: أهُم مخرجيَّ، ولكن مرارة الألم وعقله الذي قد أشغل بموضوع الإخراج جعله يقدّم مخرجيّ على هم، فالتأخير للإشاريَّة الشخصيَّة (هم) الضمير المنفصل البارز، والواقع مبتدأً مؤخرًا، له غرضه الخاص، المفهوم من السياق، فاستفهام النبي الإنكاريّ على إخراجه؛ لعدم وجود سبب لذلك، وخصوصًا مع ما كان عليه من مكارم الأخلاق التي وصفته بها أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– وهو المعروف عندهم بالأمين.

وأمَّا الإشاريَّة في قول ورقة (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا): فتتمثل في النداء المصحوب بالتمني، وفي الضمير في: (فيها) يعود إلى أيام النبوة ومدتها، و(جَذَعا) بفتح الجيم والذال أيْ: شابًا قويًّا حتى أبالغ في نصرتك، وتمنى أن يكون شابًا؛ لأنَّه أمكن في النصرة وأنشط لها.

هكذا انسالت، وبدت تلك الإشاريات الشخصيَّة التداوليَّة في الحديث، مساهمةً إلى حدٍّ كبيرٍ في تشكّل وتحقيق الإطار التداولي للخطاب، وفي تحقيق التواصل بين منتج النصِّ والمتلقي، وكيف أبانت عن المعاني السياقيَّة التداوليَّة المرادة في

الحديث، وكيف تحوَّلت بعض الأدوات الإشاريَّة في السياق الاجتماعي، خاصة الضمائر، من وظيفتها الدلاليَّة إلى وظيفتها التداوليَّة، بانعكاسها على قصد المتكلم.

ثانيًا: الإشاريات الزمانيَّة.

وهي كلمات: وصيغ لفظيَّة تُشير إلى زمن معيَّن يُحدِّده السياق، قياسًا على زمن التكلم الذي يشكّل مركز الإشارة الزمانيَّة في الكلام، فإن لم يعرف هذا الزمن التبس الأمر على المتلقي، وتعسَّر الفهم والتواصل ومن هنا تنبع أهميتها.

إنَّ من هذه الصيغ الاشاريَّة هي: (الآنَ، أمسِ، غدًا، يوم، شهر، سنة)، و(قبل وبعد) المقترنان بالفعل، وهي تعمل على تأطير عمليَّة التواصل داخل نطاقها الزمنيّ وتعبر عن اندماج المتكلم، والمخاطب معًا داخل الزمن النصيّ والتلفظيّ والتواصليّ[(١)].

والحقيقة أنَّ الإشاريات الزمانيَّة في الحديث تعدُّ قليلة، وقليلة جدًّا بالمقارنة مع الإشاريات الشخصيَّة، ولا غرو في ذلك؛ فالزمن للحديث المروي محدود بفترة معيَّنة، والمتمثلة في زمن تحنُّثه ودخول الوحي عليه لأول مرة.

وفي مقدمة هذه الإشاريات الواردة في نصِّ الحديث، والتي تستشف من سياقه، قولها:

(مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ): قال النوويّ رحمه الله: "قال أهل اللغة: فلق الصبح وفرق الصبح، بفتح الفاء واللام والراء، هو ضياؤه، وإنَّما يقال هذا في الشيء الواضح البيّن"[(٢)]، والإشاريَّة في لفظ (الصبح) أيْ: وقت الصباح وانتشار الضوء والنور، وهذا مما ينبئ عن سطوع فجر الحق والهداية واندحار الظلم.

وأمَّا كلمة الليالي الواردة في قوله: وهو: التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، والتي

(١) ينظر: يوسف المطلبي، "مالك: الزمن واللغة". (القاهرة: الهيئة المصريَّة للكتاب، ١٩٨٦م)، ٢٦.
(٢) أبو زكريا محيي الدين النوويّ، "شرح صحيح مسلم". ٢: ٣٧٤.

قيل: إنَّها من إضافات الزهريّ، وفي رواية: أولات، وهي بالمعنى نفسه صفة لليالي، ومعنى أولات العدد أيْ: الليالي الكثيرة، ومجيئها في سياق النصِّ أزال الغموض الذي ربّما يسأله أحدهم، عن عدد الأيام التي كان يقضيها في التعبُّد، هل كانت قليلة؟ أم كثيرة؟

وأمّا كلمة الجاهليَّة التي ذكرها الزهري في كلامه عن ورقه: وأنَّه ممن تنصَّر في الجاهليَّة، ففيه إشارة إلى ذاك الزمان الذي سبق دين الإسلام.

وأنَّ ورقة اعتنق النصرانيَّة من خلال رحلة الصيف إلى بلاد الشام، وفيه إشاريَّة إلى أنَّ سؤال أهل العلم والخبرة، هو الأجدر والأحق في السؤال والمشورة، والدليل على ذلك، ما أخبره به من أمر الرسالة وبوادر بشارات النبوة، ثم إخباره عن إخراج قومه له، واستنكار الرسول لذلك بقوله: (أومخرجيَّ هم)، بغضِّ النظر عن معرفة زمن الخروج ومكانه، فإشاريَّة الزمان مستترة، وتفهم من السياق، والتقدير: سيأتي زمن بعد بعثتك، وستدعو الناس لدينك، وعندئذٍ سيتمُّ إخراجك من مكَّة.

وأما قول ورقة للرسول عليه الصلاة والسلام: يا ليتني فيها جذعًا حين يخرجك قومك، وفي رواية إذ يخرجك، فحين، وإذْ ظرفان، وقول ورقة هذا يقفُنا على فراسته واستدلاله بالماضي على المستقبل.

وأما قوله الآخر: (وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ) أيْ: يوم بعثك ودعوتك، فيوم إشاريَّة زمانيَّة، وقد حمل مع قوله: أنصرك نصرًا مؤزَّرًا، وليتني بها جذعًا معاني سامية، انحصرت دلالتها في تأكد ورقة من صدق الرسول من خلال روايته، ومعرفته بأحوال الأمم السابقة، وبعض من أنبيائها، وتطلّع ورقة نحو عمل أخروي، لا عمل دنيوي آني يحمل بمفهومنا اليوم دبلوماسيَّة يريد بها مسايرة ابنة عمه خديجة.

وفي نهاية الحديث أرى أنَّ قول الزهري أيضًا (وفتر الوحي فترة) إشاريَّة زمانيَّة في (فترة) كدلالة على أنَّ الوحي بعدما أبلغ الرسول بالآيات الخمس من سورة العلق،

وما حصل له بعد ذلك، انقطع عنه مدَّة من الزمن، فالفترة: قطعة من الزمن طالت أو قصرُت في عرف اللغة[١]، وقد ورد في اختلاف تقديرها أقوال عدة.

ويبقى أنَّ هذه الإشاريات على الرغم من قلتها تحمل سياقات تجعل القارئ يستحضر دلالتها عبر العصور، وكأنَّه يعيش معها في يومها الذي حصلت فيه.

ثالثًا: الإشاريّات المكانيَّة.

وهي التي تُحيل على أماكن يكون استعمالها وتفسيرها معتمدًا على معرفة المتكلم وقت التلفُّظ، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو المتلقي، ولتحديده يستلزم معرفة العنصر الإشاري من جملة القرب أو الوجهة، ثم الوقوف على ما تُشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة بالمكان، وكلمات الإشارة نحو: هذا وذاك للإشارة إلى قريب، أو بعيد من مركز الإشارة المكانيَّة، وكذلك هنا وهناك وهنالك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب، أو بعيد من المتكلِّم، قال ابن هشام: ويُشار إلى المكان القريب بهُنا أو هـهُنا قال تعالى: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة:٢٤] وللبعيد بـ هناك، أو هنالك أو ههنالك[٢]. بالإضافة إلى سائر ظروف المكان، مثل: فوق، وتحت، وأمام، وخلف، وهذه العناصر الإشاريَّة إلى الأماكن تعتمد في استعمالها

(١) الفترة: ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور، "تفسير التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسيَّة للنشر، ١٩٨٤م)، ٣٠: ٣٩٦، وفي لسان العرب نقلا عن الصحاح: ما بين كل رسولين من رسل الله عز وجلَّ، من الزمان الذي انقطعت به الرسالة (فتر) ٥: ٤٤.

(٢) ينظر: ابن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك"، (ط٦، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤هـ –١٩٧٤م)، ١: ١٣٧، وبهاء الدين ابن عقيل، "المساعد على تسهيل الفوائد شرح التسهيل"، تحقيق د. محمد كامل بركات. (مكَّة المكرَّمة، مركز البحث العلمي، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م).١: ١٩٢، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". (ط٨، بيروت: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م)، ١٧٤٨.

وتفسيرها على معرفة مكان المتكلِّم، ووقت التكلُّم، أو على مكان آخر معروف للمخاطَب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تُشير إليه، ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشاريَّة، إلَّا إذا وقفنا على ما تُشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه[١].

والناظر في الحديث الشريف لا يرى ذِكرًا للكلمات الإشاريَّة المكانيَّة، وكلُّ ما ذكر في نصِّ الحديث كلمات استطاعت أن تُحدِّد الأماكن التي دار محور النصِّ حولها، وما يتطلَّبه من حوار بين الراوي والمخاطب المتلقِّي لها، والتي منها:

كان يأتي حِراء، وأظن أنَّها أرادت جبل حراء بشكلٍ عامٍّ، بدليل قولها فيما بعد (فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ)[٢]، والمراد تلك النقب والفجوة في أعلى جبل حراء، واختياره ﷺ ذاك المكان، والذي هو أبعد ما يكون عن الناس، وأصعب ما يكون في الصعود إليه، وعلى قمة جبل، ومسلكه صعب، له بعده ودلالته، في أنَّه اختيار ربَّاني أولًا ألهمه الله إياه؛ ليؤيد رسوله ﷺ وليمهده للوحي بالقوة البدنيَّة والشجاعة القلبيَّة، وإلَّا فمن هو ذاك الرجل الذي ينام في رؤوس هذه الجبال الوعرة الموحشة، وفي الليالي المظلمة لولا أنَّ الله أيده بما أيده به.

ولنتأمَّل أيضًا في قولها: (ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ) وأرى أنَّ الذي يفهم من سياق الحديث، أنَّه المكان خالٍ من الناس، وكيف كان ﷺ يذهب بعيدًا إلى ذاك المكان؛ ليكون أبعد عن الناس، وأضمن في حصول التفرُّغ والخلوة، والخلاء ممدود، وهو:

(١) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب". ص٨٥.

(٢) قال النووي – رحمه الله –:" وأمّا الغار فهو: الكهف والنقب في الجبل... وحراء جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى" [شرح مسلم (ج٢، ص ص ٣٧٤-٣٧٥)] وأمّا اليوم فوصله البنيان بمكة.

الخلوة، وهي: حال شأن الصالحين وعباد الله العارفين، في كل آونة وحين.

وفي قوله ﷺ أومخرجيَّ هم: أرى أنَّ فيه إشارة مكانيَّة مبهمة، إضافة إلى ما سبق ذكره عن الإشاريَّة الزمانيَّة فيه، أيْ: من مكة وإن لم يصرّح به؛ لأنه معروف، ولكنْ إلى أين؟؛ إنّه في علم الغيب، فهذا مما لم يعلموه، ولو علموه ما أخرجوه أصلًا.

المهم أنَّ فراسة ورقة في موضوع الإخراج حصلت، حيث أخرجه قومه وهم المعروفون أنَّ شيمهم لا تسمح لهم بإخراجه، ولكن خرج إلى يثرب، المدينة التي شكَّلت نواة دولة إسلاميَّة كان فيها عزَّ الإسلام والمسلمين عبر العصور.

وختام القول: فإنَّ ما أتيت على ذكره من هذه الإشاريات النذيرة اجتهاد شخصيٌ مني، فالنصُّ كما قلت: بدا خاليًّا من الإشاريات المكانيَّة في إصلاح اللسانيين ممن اهتمُّوا بالإشاريّات وأنواعها، وذكروا أنَّ أكثر الإشاريات المكانيَّة وضوحًا هي كلمات الإشارة نحو: (هذا وذاك) للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانيَّة وهو المتكلِّم، وكذلك (هنا وهناك) وهمَا من ظروف المكان التي تحمل معنى التكلِّم، وسائر ظروف المكان مثل (فوق، تحت، أمام، خلف ... إلخ)، وكلُّها يُشار بها إلى مكان لا يتحَدَّدُ إلَّا بمعرفة موقع المتكلم، وفلاسفة اللّغة يميلون إلى تمييز كلمات الإشارة إلى المكان عن ظروف المكان، واعتبارها نوعين من أنواع الإشارة، أمّا اللّغويون فيميلون إلى دمجهما معًا، وجعلهما صِنْفًا واحدًا يُشار به إلى المكان(١).

رابعًا: الإشاريات الاجتماعيَّة

الإشاريات الاجتماعيَّة عند اللسانين، وممن اهتموا بالإشاريات وأنواعها، هي:

مجموعة من الألفاظ والتراكيب التي تُشير إلى نوع العلاقة القائمة بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسميَّة، أو غير رسميَّة؛ إذْ إنَّ الرسميَّة منها يدخل فيها

(١) ينظر: د. نحلة، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"، ٢٢، و*مجلة إشكالات* ص٢٣-٢٤.

صيغ التبجيل والاحترام والمودَّة والألفة أثناء الحديث، وفي مخاطبة من هم أكبر مكانةً وسِنًّا، ومقامًا من المتكلِّم، مراعاة القيم والمسافات الاجتماعيَّة بين المتكلمين والمخاطبيّن لهم، وأمَّا غير الرسميَّة فتكون بمناداة المخاطبين بالاسم المجرَّد خاليًا من أيّ صيغةٍ تأتي معه(١).

ومن الإشاريات الاجتماعيَّة التي وردت في نصِّ الحديث قول الرسول عليه السلام لخديجة: (أيْ خديجة! مالي؟)، وفي رواية أخرى: (يا خديجة! مالي)، وفي الروايتين هو نادى على خديجة زوجه وأم أولاده، ولكن في استخدامه مناديًا عليها: (أي خديجة) استخدم أداة نداء عادة ما تستخدم للقريب، استخدامٌ فيه تقرب وألفة ومحبَّة، ولكن في رواية: (يا خديجة) نداءٌ مباشر لها وباسمها، من حيث إنَّه لا علاقة رسميَّة غالبًا بين الأزواج.

وهذه العلاقة الاجتماعيَّة الرسميَّة قد بدت واضحةً في قول خديجة عندما قدّمت الرسول ليروي لابن عمها ورقة بلسانه عمَّا حصل له في غار حراء، قائلة: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. وفي هذا القول نجد التبجيل والتوقير للشيخ الجليل ابن عمها ورقة في قولها: أيْ منادية إياه نداء القريب الذي له حظوة ومكانة، وقولها: من ابن أخيك؛ إذ لم تقل له يا بن عمي اسمع من زوجي، وفي هذا إشارة إلى حسن أدبها ورُقِيّها وفصاحتها، وحرصها على اختيار ألفاظ أبانت عما يدور في خلدها ونفسها، وتحفظ للمخاطب مكانته الاجتماعيَّة الرسميَّة، فالرسول لم يكن ابن أخيه بالفعل، إلَّا أنَّ والد النبي عبد الله بن عبد المطلب، وورقة يلتقيان في النسب بـ (ابن كلاب)، فهو من حيث هذه الحيثيَّة في درجة أخوته، وربما يكون قد قالته على سبيل التوقير

(١) انظر: د. عمر، "علم الدلالة". ٧١.

لسنه[1]، ولم يكن ردُّ ورقة بأقلَّ حفظًا لتلك المكانة؛ إذ قال له: (يَا ابْنَ أَخِي ماذا ترى؟) فلم ينادِ عليه باسمه المباشر والمعروف، (يا محمد) ولكن حفظ له المكانة التي قدَّمته به أكمل النساء عقلًا ورجاحة، ونعم الزَّوج (خديجة) عندما قالت له بدايةً: اسمع من ابن أخيك.

تلك هي مجموعة الألفاظ والتراكيب التي أشارت إلى نوع العلاقة الاجتماعيَّة القائمة بين المتكلمين والمخاطبين، في نصِّ الحديث، وكانت في عمومها علاقات رسميَّة دخلت فيها صيغ التبجيل والاحترام والمودة والألفة أثناء الحديث، مع من هم أكبر مكانةَ وسنًّا ومقامًا من المتكلم، وهذه الإشاريات على الرغم من قلتها وتمركزها في آخر الحديث، وانحصارها، وخصوصًا في الحوار الذي دار بين خديجة والرسول وورقة، فقد أضفت على النصِّ المرويِّ شيئًا من الظلال جعلت المخاطب يتعايش معها بمشاعره وقلبه قبل عقله، ولا سيما في الدور الذي قدّمته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها للرسالة المحمديَّة، وكيف استطاعت أن تنقل الرسول من التثبيت القوليِّ، إلى التثبيت الفعليِّ بذهابها إلى ورقة ليسمع من فيه الطاهر الصادق مباشرة، وما حصل معه في الغار.

(١) انظر: أبو زكريا محيي الدين النوويّ، "شرح صحيح مسلم"، ٢: ٣٧٨.

الخـــاتمـــة

يتضّح لنا مما سبق أن الإشاريات من أهمِّ العناصر التي تُحقِّق انسجام النصِّ واتساقه، ووضوحه في ذهن المتلقّي، وهذا ما حقَّقته بالفعل داخل النصِّ المرويِّ، وجوانب الخطاب النثري فيه، خصوصًا وقد تعدَّدت الأساليب في إدراج الإشاريات الشخصيَّة، والتي كانت أكثر ظهورًا فيه من باقي الإشاريات الأخرى؛ معبّرةً بذلك عن كلِّ الأفكار والخلجات والهواجس التي اعترت الحبيب المصطفى ﷺ ساعةَ دخول جبريل عليه في الغار، ووصولًا إلى بيته، وحديثه مع نِعْم الزوج خديجة، ومن ثمَّ الذهاب إلى بيت ورقة، وعودته منه، مما زاد من تفاعل المتلقي مع نصّه.

ولم يخلُ الحديث كذلك –مع ما يتطلبه المشهد– من التنوُّع نوعًا ما كذلك في الإشاريات الزمانيَّة والمكانيَّة والاجتماعيَّة– رغم قلتها– إذا ما قيست بالإشارات الشخصيَّة، ولا سيما الضمائر منها، فقد كان لها النصيب الأكبر في ذلك الحديث، وكيف لا والحديث مبنيٌّ على الرواية والوصف، وقد استطاعت الراوية أم المؤمنين – رضي الله عنها– أن تُوظِّفها في زوايا عباراته وألفاظه خير توظيف، وبدقةٍ متناهية وفق وصف الحدث، وكلّ ما أحاط به من تداعياتٍ.

وبهذا تتأكّد أهميَّة الإشاريّات في الكشف عن مقاصد المتكلِّم، ودورها في وضع المتلقّي في قلب الحدث، وإشراكه في بنية النصِّ؛ ليصبح الخطاب أكثر قبولًا عنده، وتتحقَّق التداوليَّة فيه، في كنف تلك الإشاريّات المتعددة، وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج والتوصيات، والتي ظهر لي منها:

- التداوليّات علم جديد، وهو حقل لساني للتواصل الإنسانيِّ، يهتمُّ بالبعد الاستعماليِّ للظواهر اللغويَّة، أو الإنجازيِّ للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار

المتكلم، وسياق الإشاريات التي وردت فيه، ويمثّل الجانب الخفيُّ للغة الذي يحمل الكثير من الدلالات والمعاني؛ لأنها تُحيل على مراجع خارجيَّة غير محدودة، وإنْ كانت تلك الإشاريات تحتاج إلى السياق لتكون نافعة، إلاَّ أنَّها تظلُّ في حيّز الإيجاز والاختصار.

- الإشاريات عامل مهمٌّ في تأدية المقاصد التبليغيَّة، وإنجاح العمليَّة التواصليَّة، وكشفت الإشاريات الشخصيَّة البُعد التبليغي بارتباط الضمائر فيه مع السياق الكلاميّ، ومن ثمَّ تحقَّقت العلامة الوجوديَّة بين العلامة الإشاريَّة وما دلَّت عليه، والإشاريات الزمانيَّة رغم قلتها إلَّا أنَّ الزمن النحويَّ في الحديث كان متنوعًا بين (الماضي والحاضر والمستقبل)، وظهر بشكل غير متناقض مع سياق الخطاب المرتبط بأعراف وتقاليد اجتماعيَّة متداولة بين الناس، ومحكومة بأوقات محدَّدة.
- ورغم محدوديَّة الإشاريات الاجتماعيَّة التي وردت في الحديث، فإنَّها أسهمت إلى حدٍّ ما في تحقيق إقامة التواصل في الخطاب، وتعزيز الثقة بين المتخاطبين.
- من خلال سياق الإشاريات التي وردت في نصِّ الحديث، والحوار بين شخصياته؛ ننفذ إلى قاعدة عظيمة في مقام الدعوة، تتمثَّل في أنَّ الداعية يُبتلى بالطَّرد من بلده ويتعرَّض للإيذاء بشتَّى أنواع العداء، وعلى أهل الداعية التآزر معه والوقوف إلى جانبه في أداء رسالته، والتحلّي بالحكمة والثبات ومشاركته في رحلته الشاقَّة في الدعوة والتبليغ، وهذا ما فعلته سيدة الإسلام الأولى أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– من خلال سياق الإشاريات التي وردت في نصِّ الحديث، ومداخلاتها التي أبانت عن المراد بكل وضوحٍ.

وفي النهاية، لا يسعني إلَّا أنْ أقول: أنّه لا بدَّ من إرشاد طلاب العلم

لنصوص الأحاديث النبويَّة المطولة؛ لتكون ميداناً لبحوثهم المتعلقة بالتداوليَّة وجوانبها المختلفة، ولا سيَّما الإشاريات منها، فهي مرتعٌ خصيبٌ يجدون فيه ضالتهم، خصوصًا وأنَّ أمثال تلك الأبحاث ما زالت نَذْرة وقليلة، وتحتاج إلى جهودهم، واستخدام التقنيات الحديثة في جمع المادة العلميَّة التطبيقيَّة المتعلقة بأنواعها؛ لإثراء مكتبتنا العربيَّة بمثل تلك البحوث التطبيقيَّة التي تستمدُّ مادتها من ينابيع لغتنا العربيَّة الصافية، لغة من لا ينطق عن الهوى وصحابته الميامين ممَّن تربُّوا في مدرسته عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

المصـــادر والمـــراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزريّ، "أسد الغابة في معرفة الصحابة". (القاهرة: شركة مصر للطباعة، ٢٠١٧م).

ابن عاشور، محمد الطاهر، "تفسير التحرير والتنوير"، (تونس: الدار التونسيَّة للنشر، ١٩٨٤م).

ابن عقيل، بهاء الدين، "المساعد على تسهيل الفوائد شرح التسهيل"، تحقيق: د. محمد كامل بركات. (مكَّة المكرَّمة، مركز البحث العلمي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل، "البداية والنهاية". (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٦م).

ابن منظور، جمال الدين المصري، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

أحمد، أمين، "ضحى الإسلام". (ط٧، القاهرة: مكتبة النهضة المصريَّة).

أرمينكو، فرانسواز، "المقاربة التداوليَّة"، ترجمة: سعيد علوش. (ط١، الدار البيضاء: المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ١٩٨٧).

الأنصاري، ابن هشام، "أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك". (ط٦، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).

الأنصاري، ابن هشام، "شرح شذور الذهب"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة المعاهد الأزهريَّة).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري". (ط١، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ).

بور جراند، روبرت دي، "النص والخطاب والإجراء". ترجمة: تمام حسان. (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م).

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، "سنن الترمذي". تحقيق: بشار عواد معروف. (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م).

ختام، جواد، "التداوليَّة أصولها واتجاهاتها". (ط١، عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع).

الدوريّ، عبد العزيز، "نشأة علم التاريخ عند العرب". (أبوظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م).

الذهبيُّ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، "سِيَر أعلام النبلاء"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م).

الزنَّاد، الأزهر، "نسيج النصِّ: بحث فيما يكون الملفوظ نصًّا". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م).

السخاويّ، شمس الدين، "المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء الإمام النووي". (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م).

السيرافيّ، أبو سعيد، "شرح الكتاب"، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، د. علي سيد علي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٨م).

الشهريّ عبد الهادي ظافر، "إستراتيجيات الخطاب". (ط١، بيروت: دار الكتب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

الطبريّ، ابن جرير، "تاريخ الرسل والملوك". تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م).

عبد السلام، محمد، "آفاق تداوليَّة في النصوص النثريَّة الكاملة أعمال علي الجارم نموذجًا". (ط١، القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م).

العسقلانيُّ، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، "الإصابة في تمييز الصحابة". (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٥م).

العسقلانيُّ، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، "فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ". (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٤م).

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، "القاموس المحيط". (ط٨، بيروت: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م).

الماشطة، مجيد؛ والركابي، أمجد، "مسرد التداوليَّة". (ط١، الأردن: الرضوان للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م).

مختار، عمر أحمد. "معجم اللغة العربيَّة المعاصرة". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

مسلم، أبو الحسين الحجاج القشيري النيسابوري، "صحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ).

مؤنسي، حبيب، "مقاربة مقارنة بين علم المقاصد العربي وأفعال الكلام". التداوليَّة ومقاصد الخطاب الأدبيّ البراغماتي، المدونة الإلكترونيَّة: اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل مع المجتمع.

نحلة، محمود أحمد، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر". (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١١م).

النسائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، "السنن الكبرى"، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

النوويّ، أبو زكريا محيي الدين، "شرح صحيح مسلم". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

المجلات والدوريات:

عيد، بلبع، "التداوليَّة البعد الثالث في سميوطيقيا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة". مجلة فصول، العدد ٦٦، مارس ٢٠٠٥م.

مصطفى، حمادي، "تداوليات الإشاريات في الخطاب القرآنيّ ... مقاربة تحليليَّة لكشف المقاصد والأبعاد". بحث منشور بمجلة الأثر، العدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٦م.

ريمة، لعباديَّة، "أصناف الإشاريات ومقاصدها في الأدب الكبير لابن المقفع، قراءة تداوليَّة". مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد ١١، عدد٢، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م.

المراجع الأجنبيَّة:

Lyons, john, Language and Linguistics, Cambridge University press.

Bibliography

al-Qur'ān al-Karīm

Ibn al-Athīr, 'Izz al-Dīn Abū al-Ḥasan 'Alī ibn Muḥammad al-Jazarī, "Asad al-Ghābah fī Ma'rifat al-Ṣaḥābah". (Cairo: Egypt Printing Company).

Ibn 'Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir, "Tafsīr al-Taḥrīr wa-al-Tanwīr", (Tunisia: al-Dār al-Tunisia, 1984).

Ibn 'Aqīl, Bahā' al-Dīn, "al-Musā'id 'alá Tashīl al-Fawā'id Sharḥ al-Tashīl", investigation: Dr. Muḥammad Kāmil Barakāt. (Mecca: Scientific Research Center, 1400 AH-1980).

Ibn Kathīr, Abū al-Fidā' Ismā'īl, "al-Bidāyah wa-al-Nihāyah". (Beirut: Dār al-Fikr, 1407 AH – 1986).

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn al-Miṣrī, "Lisān al-'Arab". (3rd edition, Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH).

Aḥmad, Amīn, "Ḍuḥá al-Islām". (7th edition, Cairo: Maktabat al-Nahḍah al-Miṣriyyah).

Arminko, Françoise, "al-Muqārabah al-Tadāwuliyyah", translated by: Sa'īd 'Allūsh. (1st edition, Casablanca: al-Mu'assasah al-Ḥadīthah, 1987).

al-Anṣārī, Ibn Hishām, "Awḍaḥ al-Masālik ilá Alfiyyah Ibn Mālik". (6th edition, Beirut: Dār al-Fikr, 1394 AH-1974).

al-Anṣārī, Ibn Hishām, "Sharḥ Shudhūr al-Dhahab", investigation: Muḥammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd, (Cairo: Al-Azhar Institutes Press).

al-Bukhārī, Abū 'Abdillāh Muḥammad ibn Ismā'īl, "Ṣaḥīḥ al-Bukhārī". (1st edition, Riyadh: Dār al-Salām, 1433 AH).

Bur Grand, Robert De, "al-Naṣṣ wa-al-Khiṭāb wa-al-Ijrā'". Translated by: Tammām Ḥassān. (Cairo: 'Ālam al-Kutub, 1998).

al-Tirmidhī, Abū 'Īsá Muḥammad ibn 'Īsá, "Sunan al-Tirmidhī". investigation: Bashshār 'Awwād Ma'rūf. (1st edition, Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1996).

Khitām, Jawād, "al-Tadāwuliyyah Uṣūluhā wa-Ittijāhātuhā". (1st edition, Oman: Dār Kunūz al-Ma'rifah).

Al-Dawrī, 'Abd al-'Azīz, "Nash'at 'Ilm al-Tārīkh 'inda al-'Arab". (Abu Dhabi: Zayed Centre for Heritage and History, 1420 AH-2000).

Al-Dhahabi, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Uthmān, "Siyarr A'lām al-Nubalā'", Investigated by: Shu'ayb al-Arna'ūṭ. (2nd edition, Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 1402 AH-1982).

Alznnād, al-Azhar, "Textual Fabric: A Study on What Makes an Utterance a Text". (1st edition, Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, 1993).

Al-Sakhāwī, Shams al-Dīn, "al-Manhal al-ʻAdhb al-Rawī fī Tarjamat Quṭb al-Awliyāʾ al-Imām al-Nawawī". (Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2005).

Al-Sīrāfī, Abū Saʻīd, "Sharḥ al-Kitāb", investigation: Aḥmad Ḥasan Mahdalī, Dr. ʻAlī Sayyid ʻAlī. (1st edition, Beirut: Dār al-Kutub alʻlmyyah, 2008).

Al-Shihrī ʻAbd al-Hādī Ẓāfir, "Istirātījīyāt al-Khiṭāb". (1st edition, Beirut: Dār al-Kutub al-Jadīd al-Muttaḥidah, 2004).

Alṭbrī, Ibn Jarīr, "Tārīkh al-Rusul wa-al-Mulūk". Investigation: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. (2nd edition, Cairo: Dār al-Maʻārif, 1970).

ʻAbd al-Salām, Muḥammad, "Pragmatic Horizons in Complete Prose Texts: Ali Al-Jarim's Works as a Case Study". (1st deition, Cairo: Dār al-Nābighah, 2015).

Al-ʻAsqalāni, Aḥmad ibn ʻAlī ibn Muḥammad ibn Aḥmad Ibn Ḥajar, "al-Iṣābah fī Tamyīz al-Ṣaḥābah". (Beirut: Dār al-Kutub alʻlmyyah, 1995).

Al-ʻAsqalāni, Aḥmad ibn ʻAlī ibn Muḥammad ibn Aḥmad Ibn Ḥajar, "Fatḥ al-Bārī be-Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī". (Cairo: Dār al-ḥadīth, 2004).

al-Fairūzābādī, Majd al-Dīn Abū Ṭāhir, "al-Qāmūs al-Muḥīṭ". (8th edition, Beirut: Heritage Research Office at Al-Risala Foundation, 1426 AH – 2005).

Al-Māshṭah, Majīd; and Rikābi, Amjad, "Pragmatics Glossary", (in Arabic). (1st edition, Jordan: al-Riḍwān for publication and distribution, 1439 AH-2018).

Mukhtār, ʻUmar Aḥmad. "Muʻjam al-Lughah al-ʻArabiyyah al-Muʻāṣirah". (1st edition, Cairo: ʻĀlam al-Kutub, 2008).

Muslim, Abū al-Ḥusain al-Ḥajjāj al-Qushairī al-Naisābūrī, "Ṣaḥīḥ Muslim", investigated by: Muḥammad Fuʾād ʻAbd al-Bāqī. (Cairo: Maṭbaʻat ʻĪsá al-Bābī al-Ḥalabī, Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʻArabī, 1374 AH).

Naḥlah, Maḥmūd Aḥmad, "Āfāqun Jadīdah fī al-Baḥth al-Lughawī al-Muʻāṣir". (1st edition, Cairo: Maktabat al-Ādāb, 2011).

Al-Nasāʾī, Abū ʻAbd al-Raḥmān Aḥmad ibn Shuʻayb, "al-Sunan al-Kubrá", investigated by: Ḥasan ʻAbd al-Munʻim Shalabī. (1st

edition, Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1421 AH-2001).
Al-Nawawī, Abū Zakarīyā Muḥyī al-Dīn, "Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim". (2nd edition, Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, 1392 AH).

Journals and periodicals:

‘Īd, Balba‘, " Pragmatics: The Third Dimension in Morris's Semiotics, From Linguistics to Literary Criticism and Rhetoric" (in Arabic). Fusul Journal, issue no. 66, March, 2005.
Muṣṭafá, Ḥammādī, "The Pragmatics of Indicatives in Qur'anic Discourse... An Analytical Approach to Uncovering Purposes and Dimensions", (in Arabic). A paper published in Al-Athar Magazine, Issue 26, September 2016.
Rimah, La‘bādiyyah, "Types of Indicative Expressions and Their Purposes in Ibn al-Muqaffa's Great Literature: A Pragmatic Reading", (in Arabic). Journal of Problems in Language and Literature, Volume 11, Issue 2, 1443 AH – 2022.

تأثير إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

The Impact of the Word Map Strategy on Developing Vocabulary among Learners of Arabic as a Foreign Language

د. وائل مطر حسن الحربي

أستاذ اللغويات التطبيقية المساعد في وحدة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز في الخرج

البريد الإلكتروني: wae.alharbi@psau.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
31/08/2025		15/10/2025
نشر البحث A Research Publication		
جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ = December 2025		
DOI:10.36046/2356-000-018-010		

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى قياس أثر إستراتيجية "خريطة الكلمة" في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الأول ببرنامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز، كما يسعى البحث إلى تعزيز القدرة على الاستخدام الوظيفي للمفردات في سياقات تواصلية حقيقية، تكوَّن مجتمع البحث من جميع طلاب المستوى الأول البالغ عددهم (٨٦) طالبًا، فيما اختيرت عينة عشوائية مكونة من (٤٣) طالبًا، وُزِّعوا إلى مجموعتين: تجريبية (٢٢) وضابطة (٢١)، واعتمد الباحث المنهج شبه التجريبي ذي التصميم القبلي—البعدي، مستخدمًا اختبارًا تحصيليًا في المفردات اللغوية أُعدَّ لهذا الغرض، وتم تحكيمه من قبل خمسة من المتخصصين للتأكد من صدقه وثباته، ودرست المجموعة التجريبية باستخدام إستراتيجية خريطة الكلمة التي تقوم على التمثيل البصري للكلمة وربطها بعناصرها الدلالية (المعنى، المرادف، المتضاد، الجملة السياقية)، بينما درست المجموعة الضابطة بالطريقة التقليدية، وأظهرت نتائج التحليل الإحصائي باستخدام اختبار (T-test) لعينتين مستقلتين ومرتبطتين وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) لصالح المجموعة التجريبية في الاختبار البعدي، مما يؤكد فاعلية الإستراتيجية في تنمية المفردات اللغوية، كما أشار حجم الأثر إلى تأثير متوسط إلى كبير، خصوصًا في المهام التي تتطلب استخدامًا عمليًا للغة، وفي ضوء هذه النتائج، أوصت الدراسة بضرورة تعميم هذه الإستراتيجية في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتنظيم برامج تدريبية لمعلميها، وتطوير مواد تعليمية تفاعلية، مع الدعوة إلى إجراء مزيد من الدراسات المستقبلية لاختبار فاعليتها في مهارات لغوية أخرى.

الكلمات المفتاحية :إستراتيجية خريطة الكلمة، المفردات اللغوية، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

Abstract

This study aimed to measure the effect of the "Word Map" strategy on developing the Arabic vocabulary of non-native speakers at the beginner level in the Arabic Language Teaching Program for Non-Native Speakers at Prince Sattam bin Abdulaziz University. It also sought to examine the impact of the strategy on receptive vocabulary and to enhance learners' ability to use vocabulary functionally in authentic communicative contexts. The population of the study consisted of all first-level students, totaling (86), while the sample included (43) students who were randomly selected and divided into two groups: experimental (22) and control (21). The researcher adopted a quasi-experimental design with pre-test and post-test measures, using a specially designed vocabulary achievement test, which was validated by a panel of five specialists to ensure its reliability and appropriateness. The experimental group was taught using the Word Map strategy, which relies on visual representation of the target word and linking it to its semantic elements (meaning, synonym, antonym, contextual sentence), while the control group was taught using traditional methods. Statistical analysis using the (T-test) for both independent and paired samples revealed statistically significant differences at the level of ($\alpha \leq 0.05$) in favor of the experimental group in the post-test, indicating the effectiveness of the Word Map strategy in developing receptive, productive, and functional vocabulary. The effect size indicated a medium to large impact, particularly in tasks requiring functional language use. In light of these findings, the study recommends adopting this strategy in Arabic language curricula for non-native speakers, organizing training programs for teachers, and developing interactive instructional materials, as well as conducting further research to explore the effectiveness of the strategy in other language skills.

Keywords: Word Map Strategy, Vocabulary, Teaching Arabic as a Foreign Language.

المقدمة

من المسلمات البديهية أن اللغة وحدة متكاملة، وكل عنصر من عناصرها (الأصوات، والمفردات، والتراكيب)، ومن مهاراتها (الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة) مرتبط بالآخر، والعلاقة بين هذه العناصر والمهارات علاقة تكاملية، وتشكل المفردات اللبنة الأساسية للمهارات اللغوية الأساسية الأربع، إذ تتكون المفردات من عدة مستويات لغويّة مختلفة؛ صوتيّة، تركيبيّة، دلاليّة، ثقافيّة، كما أنها مرتبطة أيضاً بعمليّات ذهنيّة؛ وتختلف باختلاف اللغات البشريّة في طريقة التّراكيب والتّرتيب اللغوي، وليس ثمة نظام لغوي ثابت أو معياري ينطبق على جميع اللغات أو معظمها؛ فالجملة في اللغة العربية مثلا حرة الترتيب؛ لوجود علامات الإعراب، لكنها غالبا ما تسير وفق نظام الفعل فالفاعل فالمفعول خاصة مع غياب علامة الإعراب الأصلية(١)، إضافةً إلى نطق أصواتها نطقا صحيحا، وإدراك معنى الكلمة حينما يسمعها، وكذلك إدراك المعنى الحقيقي والمجازي، وبالنظر في المعايير الدولية لتقييم الأداء اللغوي والكفاءة اللغوية لمتعلمي اللغة الثانية، نجد أن للمفردات أهمية وقيمة في برامج تعلم اللغة ؛ فهي أساس كفاية المتعلم اللغوية والتواصلية، وتشير أكسفورد (١٩٩٦م) إلى أن متعلمي اللغة يجدون مشكلات بالغة عند تذكر كم كبير من المفردات، وعند استخدامها؛ وذلك وفقاً لقوانين اللغة الهدف(٢)، كما يؤكد (أبو حيمد، ١٩٨٦م) على وجوب معرفة الظلال الدلالية للكلمة، وإدراك مناسبتها للموقف اللغوي المناسب دون بعض،

(١) عبد العزيز العصيلي. "طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى". (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠مم٢٠م): ٨٤.

(٢) ربيكا إكسفورد "استراتيجيات تعلم اللغة". ترجمة: السيد محمد دعدور. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٦م): ١١.

بما في ذلك إدراك مناسبتها للأشخاص، ومعرفة تراكيب وترتيب اللغة الهدف(١)، ويشير (سكر،٢٠١٦م) إلى أن كثرة المفردات العربية قد تكون أحد الصعوبات التي يعاني منها دارس العربية كلغة ثانية(٢)، وأكد العسيري (٢٠١٠م) وبكير (٢٠١٦م) إلى ضعف الحصيلة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وضعف مهارات اكتسابها(٣).

ولأهمية المفردات في بناء الكفاءة التواصلية للمتعلمين، فقد حظيت عملية تدريسها باهتمام متزايد من الباحثين والممارسين التربويين، إذ لم يعد مقبولًا الاقتصار على الأساليب التقليدية التي تكتفي بتقديم قوائم من الكلمات ليتلقاها الطالب حفظًا ومعنىً وترجمة: إلى لغته الأم، بل أصبح من الضروري تجاوز هذا النمط إلى إستراتيجيات حديثة توظف المفردة في سياقات لغوية متنوعة، وتربطها بالاستخدامات

(١) إبراهيم بن عبد العزيز أبو حيمد، "المفردات وتعليمها لغير الناطقين باللغة العربية". بحث تكميلي متمم لمتطلبات الماجستير–غير منشور، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد تعليم اللغة العربية، الرياض، ١٩٨٦م: ٩٩.

(٢) شادي سكر، "تنمية المفردات في المناهج التعليمية للغة العربية لغير الناطقين بها". مكتبة شبكة الألوكة الإلكترونية، ٢٠مم١٦م: ٥. http://cutt.us/jbsUC.

(٣) جابر العسيري. "إستراتيجيات تعلم المفردات وعلاقتها بالتحصيل اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد تعليم اللغة العربية، الرياض، ٢٠مم١٠م؛ سعيد بكير. *"تعليم مفردات العربية للناطقين بغيرها: قراءة في معايير الانتقاء لدى محمود الشافعي"*. في أبحاث المؤتمر السنوي العاشر: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعات والمعاهد العالمية، المجلد ٢ (٢٠١٦): ١٢٥–١٥٥. الرياض: معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية.

الواقعية والوظيفية التي يحتاجها المتعلم في حياته اليومية، ومن خلال هذا التحول تنتقل المفردة من كونها عنصرًا معزولًا إلى أداة فاعلة في التواصل، بما يسهم في تنمية الثروة اللغوية لدى المتعلم ويعزز قدرته على توظيف اللغة في مواقف حياتية حقيقية، وبذلك يتحقق الهدف الأسمى في تطوير كفاءته اللغوية الشاملة (١).

وقد ظهرت العديد من الدراسات التي أولت عناية خاصة للبحث في المفردات اللغوية، ومنها دراسة (السلمي، ٢٠٢٢م) والتي أشارت إلى أهمية تعليم المفردات اللغوية في سياقات ثرية بالمعاني، واستخدام إستراتيجيات نشطة في تنمية المفردات، كما أوصت بضرورة تدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها على رأس العمل، وبناء برامج تدريبية متخصصة لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها في تعليم عناصر اللغة ومهاراتها(٢)، كما أكدت دراسة (التنقاري، ٢٠١١م) على ضرورة إلمام المعلم بإستراتيجيات متنوعة عن تعليم المفردات حتى يستطيع أن يمد بها المتعلمين(٣)، وأكدت دراسة (الحمد، ٢٠١٢م) دور المعلم في تفعيل إستراتيجيات تعليم المفردات العربية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى(٤).

---

(١) رشدي أحمد طعيمة، ومحمد علاء الدين الشعيبي. "تعليم القراءة والأدب: إستراتيجيات مختلفة لجمهور متنوع". (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٦): ٢٩٣؛ محمود إسماعيل صيني، وإسحاق الأمين. "التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء". (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٨٢): ٥٧.

(٢) ميمون أحمد السلمي. "أثر برنامج تدريبي مقترح في تنمية تصورات معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها عن تعليم المفردات". *مجلة كلية التربية ٣٨، ع ٦* (٢٠٢٢م): ١٢٩–١٥٨.

(٣) صالح محجوب التنقاري، وعمر زكريا. "استراتيجيات تعلم المفردات اللغوية لدى دارسي العربية بوصفها لغة ثانية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا". *مجلة معهد اللغة العربية بجامعة إفريقيا العالمية، ع ١٢* (٢٠١١م).

(٤) هالة فايز الحمد، "دور المعلم في تفعيل إستراتيجيات تعليم مفردات العربية لدى الناطقين =

وقد أشار الإطار المرجعي الأوروبي للغات إلى ضرورة توسيع نطاق الحصيلة اللغوية للمتعلمين من خلال الحقول اللفظية، والشرح، والتدريب على التراكيب الجديدة، والتعرف على الدلالات المختلفة، وتمشيا مع هذا التوجه الحديث، وهذا الاهتمام بالمتعلم، وبطرق تعليمه؛ سعى الباحثون في مجال تعليم اللغات إلى تطوير إستراتيجيات حديثة تُسهم في اكتساب المفردات، ومنها الخرائط الدلالية، والمفردة المفتاحية، وشبكة الكلمات، وخريطة الكلمة. وقد أثبتت العديد من الدراسات فاعلية هذه الاستراتيجيات في تعزيز الثروة اللغوية للمتعلمين؛ إذ أشارت دراسة ماست (٢٠١١م) ودراسة نيلفوروشان (٢٠١٢م) إلى أن الخرائط الدلالية تُمَكِّن المتعلمين من بناء شبكات معرفية تساعدهم على التمييز بين المعاني الدقيقة للكلمات. كما أظهرت دراسة السلمي (٢٠٢٢م) ودراسة القرني (٢٠٢٣م) أن توظيف استراتيجيات بصرية وتفاعلية في تعليم المفردات يسهم في رفع مستوى التحصيل اللغوي للدارسين العرب وغير العرب على حد سواء. وفي هذا السياق تبرز إستراتيجية "خريطة الكلمة" باعتبارها إحدى أكثر الاستراتيجيات شمولية، لأنها تجمع بين التمثيل البصري والتحليل الدلالي والاستخدام الوظيفي للمفردة، وهو ما يجعلها مناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى(١).

=

بغيرها". *سلسلة دراسات عربية وإسلامية*، ع ٣٩ (٢٠١٢م): ١٣٥–١٧٠. القاهرة: مركز اللغات الأجنبية والترجمة: جامعة القاهرة.

(١) تم الرجوع في ذلك:

- Mast, K. (20م11). *The effect of using semantic mapping strategy on vocabulary learning of EFL learners*. Journal of Language Teaching and Research, 2(1), 123–130.
- Nilforoushan, S. (20م12). *The effect of semantic mapping technique on vocabulary learning of intermediate EFL students*. English Language Teaching, 5(8), 92–102.

=

ثم جاءت فكرة هذا البحث بالاستعانة بالإستراتيجيات الحديثة النشطة، ومنها إستراتيجية خريطة الكلمة وقياس تأثيرها في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

الإحساس بمشكلة البحث:

بالرغم من أهمية اكتساب المفردات اللغوية في اكتساب اللغة الثانية فإن الباحث لمس وجود مشكلة لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها في اكتسابها؛ وذلك بسبب استخدام بعض المعلمين إستراتيجيات وطرق تدريسية تقليدية في تعليم وتنمية المفردات اللغوية؛ مما أدى إلى ضعف اكتساب وتنمية المتعلمين لهذه المفردات، أو عدم بقائها في الذاكرة البعيدة المدى حال تعلمها واكتسابها، ويؤكد ذلك كلا من (الشهري، ٢٠١٩م، نور زين الدين ومحمد، ٢٠١٧م، ناهد، ٢٠١٣م) (١).

=

- السلمي، خالد بن عبد الله. "أثر إستراتيجية الخرائط الدلالية في تنمية الحصيلة اللغوية لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها" .*مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للعلوم التربوية والاجتماعية*، (٢٠٢٢م). ٣٤(٢)،٥٥ -٨٤
- القرني، محمد بن سعيد. (٢٠٢٣م). فاعلية استخدام إستراتيجيات الذاكرة البصرية في تنمية المفردات لدى دارسي العربية لغة ثانية .*مجلة التربية المعاصرة*، ٤١(١) ،٢١١-٢٤٠

(١) صالحة علي الشهري. "اكتساب المفردات اللغوية في ضوء التعلم التعاوني في تعليم اللغة الثانية: دراسة تطبيقية". *مجلة كلية التربية ١٩، ع٤* (٢٠١٩م): ٢٩٩—٣٤٦؛ نور زين الدين، ومحمد صبري شهرير. "بناء برنامج تعليمي قائم على الوسائط المتعددة في تعلم مفردات اللغة العربية وتعليمها عبر برنامج (موودل) في ضوء احتياجات الطلبة في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا". *مجلة جامعة القدس المفتوحة*، ع ٤١ (٢٠١٧م)؛ سالم ناهد، "فاعلية إستراتيجية تدريسية مقترحة قائمة على استخدام الصور في تنمية المفردات لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها". *رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث* =

وقد تعددت مصادر الإحساس بالمشكلة وهي:

- **خبرة الباحث** :من خلال خبرته التدريسية لمس الباحث وجود عدد من الصعوبات لدى المتعلمين في اكتساب المفردات اللغوية، من أبرزها: الاقتصار على حفظ الكلمات دون القدرة على توظيفها في سياق وظيفي، وصعوبة التمييز بين المعاني المتقاربة أو المتضادة، وضعف القدرة على استدعاء المفردات عند الحاجة في مواقف التواصل، بالإضافة إلى اعتماد بعض المتعلمين على الترجمة: الحرفية إلى لغتهم الأم مما يحد من قدرتهم على الفهم الدلالي العميق واستخدام المفردة استخدامًا صحيحًا.
- **الدراسة الاستطلاعية:**

أجرى الباحث دراسة استطلاعية أولية بهدف الوقوف على أبرز الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في اكتساب المفردات، والوقوف على مدى تنوع الاستراتيجيات المستخدمة في التدريس. وقد تضمنت الدراسة ثلاثة محاور رئيسة:

- **ملاحظة المتعلمين** :قام الباحث بملاحظة (١٥) طالبًا من المستوى الأول، مستخدمًا بطاقة ملاحظة تضمنت بنودًا مثل: القدرة على استيعاب المفردات الجديدة، سرعة استدعائها، مدى توظيفها في الجملة، واعتماد الطالب على الترجمة: للغته الأم.
- **مقابلة المعلمين** :أُجريت مقابلات شبه منظمة مع (٥) معلمين من وحدة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتركزت الأسئلة على: الإستراتيجيات

=

التربوية، جامعة القاهرة، ٢٠١٣م.

التدريسية الأكثر استخدامًا، مدى اعتمادهم على الطرق التقليدية مقابل الحديثة، وأبرز التحديات التي يواجهونها في تعليم المفردات.

- **استبانة مصغرة للمتعلمين** :وُزعت استبانة استطلاعية على (٢٠) طالبًا تضمنت (١٠) بنود، مثل: سهولة تعلم الكلمات الجديدة، تفضيل أسلوب الحفظ مقابل التوظيف، درجة الاستفادة من الوسائل البصرية، ومدى شعورهم بالحاجة إلى إستراتيجيات حديثة لتيسير اكتساب المفردات.

نتائج الدراسة الاستطلاعية:

- أظهرت الملاحظات الميدانية وجود ضعف واضح في القدرة على استخدام المفردات في سياقات وظيفية.
- كشفت مقابلات المعلمين عن شيوع الاعتماد على الطرق التقليدية (الشرح المباشر، التكرار، الترجمة:)، مع قلة توظيف الإستراتيجيات الحديثة مثل الخرائط الدلالية أو خريطة الكلمة.
- بيّنت نتائج الاستبانة أن معظم الطلاب يواجهون صعوبة في استدعاء الكلمات عند التحدث، ويرغبون في استخدام أنشطة بصرية وتفاعلية تسهّل الحفظ والفهم.
- وبذلك أسهمت الدراسة الاستطلاعية في تحديد المشكلة البحثية بدقة، وصياغة أدوات البحث الرئيسة، واختيار إستراتيجية خريطة الكلمة بوصفها مدخلًا مناسبًا لتنمية المفردات.

- **ندرة استخدام إستراتيجيات حديثة في تدريس المفردات:**

من خلال الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة والمؤتمرات منها: (المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ٢٠٠٩م، ومؤتمر أبو ظبي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تجارب وطموحات، ومؤتمر اتجاهات حديثة في تعلم اللغة العربية

وتعليمها، جامعة الشارقة، ٢٠١٦م)، تبين للباحث مدى أهمية تنمية المفردات اللغوية، وأن هناك قصورا في استخدام المعلمين والباحثين لإستراتيجيات حديثة في تدريس عناصر اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى بشكل عام والمفردات بشكل خاص.

مشكلة البحث:

بناء على ما تم عرضه فإن مشكلة البحث تتحدد في وجود صعوبات لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المفردات اللغوية وتنميتها واكتسابها، ويسعى الباحث لحل هذه المشكلة من خلال إستراتيجية (خريطة الكلمة) وقياس تأثيرها في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

أسئلة البحث:

وللتصدي لهذه المشكلة حاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١-ما مكونات إستراتيجية خريطة الكلمة لتنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

٢-ما أثر إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

٣-ما أثر إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية القدرة على الاستخدام الوظيفي للمفردات في سياقات لغوية متنوعة؟

فروض البحث:

وجود أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لإستراتيجية (خريطة الكلمة) في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

١- التعرف على طريقة تطبيق إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
٢- قياس فاعلية إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
٣- التعرف على أثر إستراتيجية خريطة الكلمة في تطوير الاستخدام الوظيفي للمفردات داخل سياقات لغوية وتواصلية متنوعة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

أهمية البحث:

يفيد البحث فيما يلي:

١- يسهم في تطوير تدريس المفردات اللغوية في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، وذلك من خلال تغيير الطرق التقليدية، واستخدام الإستراتيجيات الحديثة لتنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها.
٢- يفيد القائمين على برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى من خلال الإفادة من الإستراتيجيات والطرق الحديثة في تنمية المفردات اللغوية في إعداد المواد التعليمية وبناء أدلة للمعلمين تيسر عليهم العملية التعليمية.
٣- يفتح البحث الآفاق للباحثين في اقتراح دراسات وأبحاث تتعلق بتوظيف هذه الإستراتيجية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، وتنمية مهارات وعناصر اللغة العربية لدى المتعلمين.

حدود البحث:

اقتصر البحث على الحدود الآتية:

الحد الموضوعي: يقتصر هذا البحث على تنمية المفردات اللغوية الجديدة لدى

متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الأول بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، وذلك من خلال استخدام إستراتيجية خريطة الكلمة.

الحد البشري: متعلمو اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الأول.

الحد المكاني: وحدة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز.

الحد الزماني: طبق البحث في الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ١٤٤٦هـ

مصطلحات البحث:

إستراتيجية: عرفت ربيكا أكسفورد الإستراتيجية بأنها: مجموعة العمليات التي يوظفها المعلم لتساعده على تحقيق الأهداف التعليمية(١).

ويعرفها الباحث إجرائياً: بأنها مجموعة من الإجراءات والعمليات التي يتبعها المعلم داخل حجرة الدراسة من أجل تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، ويلتزم بها التزامًا دقيقًا.

إستراتيجية خريطة الكلمة: تُعَرَّف خريطة الكلمة بأنها أداة بصرية تُستخدم لتنظيم المفردات الجديدة وتصنيفها وفق علاقاتها المختلفة، مثل المعاني، والمترادفات، والمتضادات، والأمثلة السياقية، وتساعد هذه الخرائط المتعلمين على بناء روابط ذهنية بين الكلمات، مما يسهل تخزينها واسترجاعها لاحقًا(٢).

ويعرفها الباحث إجرائيًا: بأنها إستراتيجية تعليمية تقوم على تمثيل الكلمة بصريًا في خريطة تتضمن عناصرها المختلفة: المعنى، الكلمة المرادفة، الكلمة

(١) إكسفورد، "استراتيجيات تعلم اللغة": ٢٩.

(2) Nation, Paul. "Learning Vocabulary in Another Language".) Cambridge: Cambridge University Press) , 20مم01.

المضادة، الاستخدام في جملة، بما يساعد المتعلم على بناء شبكة معرفية حول المفردة الجديدة.

المفردات اللغوية: صيغة ذات وظيفة معينة في تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد، أو تُحذف، أو تحشى، أو يغير موضعها، أو يستبدل بها غيرها في السياق، وترجع مادتها – غالباً– إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد(١).

الدراسات السابقة: قدم الأدب التربوي جملة من الدراسات ذات الصلة في البحث، وسيعرض الباحث عدداً منها، وفقا للتاريخ الأقدم فالأحدث وهي كالآتي:

– **دراسة (Mast) ماست (٢٠١١م)** حيث هدفت الدراسة إلى الوقوف على فاعلية استخدام خرائط المفاهيم، ومصفوفات الكلمات في المستويات الأولى من فصول تعليم الإنجليزية كلغة أجنبية بالمرحلة المتوسطة، واعتمدت الدراسة المنهج شبه التجريبي، وتألفت عينة الدراسة من (٥٦) طالبا من طلاب الصف الدراسي الرابع من التعليم الملتحقين بإحدى مدارس ولاية فيلادلفيا الأمريكية خلال العام الدراسي (٢٠١٠م-٢٠١١م)، وقد قُسمت عينة الدراسة إلى مجموعتين: إحداهما تجريبية تدرس باستخدام خرائط المفاهيم ومصفوفات الكلمات، والأخرى ضابطة وتدرس بالطريقة التقليدية، وتم جمع البيانات اللازمة للدراسة من خلال التطبيق القبلي والبعدي لأحد الاختبارات التحصيلية في المفردات اللغوية، وبعد تحليل البيانات إحصائيًا كشفت نتائج الدراسة عن فاعلية استخدام خرائط المفاهيم، ومصفوفات الكلمات في تنمية قدرة الطلاب في تعلم المفردات اللغوية خلال المراحل

(١) تمام حسان. "مناهج البحث في اللغة". (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٠م): ٢٦٦.

الأولى لدراستهم للغة الأجنبية.

- **دراسة (Nilforoushan) ، (٢٠١٢م)** حيث هدفت إلى تقييم أثر استخدام الخرائط الدلالية في تدريس المفردات الإنجليزية كلغة أجنبية على تنمية المفردات وتعزيز الوعي حول أهمية العمق المعرفي لهذه المفردات، واستخدم الباحث المنهج شبه التجريبي، وكانت الدراسة مكونة من (٦٠) طالبة من المرحلة المتوسطة، وتضمنت الأدوات البحثية على اختبار تحصيلي للمفردات، واختبارا لتقييم الوعي بأهمية العمق المعرفي للمفردات، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام الخرائط الدلالية في تدريس المفردات لها تأثير إيجابي في تنمية تعلم المفردات، وزيادة الوعي بأهمية العمق المعرفي لتلك المفردات.
- **دراسة إسماعيل (٢٠١٨م)** حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن فاعلية الدمج بين إستراتيجيتي شبكة المفردات والصفة المضافة في تنمية مهارات بناء المتلازمات اللفظية لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها وإثراء حصيلتهم اللغوية، واستخدم الباحث المنهج التجريبي، وتمثلت أدوات الدراسة في المحتوى التعليمي المقترح، ودليل المعلم، وقاموس الطالب الشخصي، واختبار مهارات بناء المتلازمات اللفظية، واختبار الثروة اللغوية، وطبقت أدوات الدراسة على الطلاب الناطقين باللغة الروسية (المستوى المتوسط) الدارسين للغة العربية في جامعة أسيوط، وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوي (٠,٠١) بين متوسطي رتب درجات الطلاب مجموعة الدراسة في الدرجة الكلية لاختباري المتلازمات اللفظية، والثروة اللغوية لصالح التطبيق البعدي، وأوصى الباحث بتدريب معلمي ومتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على توظيف إستراتيجيات تعليم وتعلم المفردات لزيادة الثروة اللغوية.

- **دراسة الشهري (٢٠٢٠م)** هدفت الدراسة إلى بحث كيفية تنمية اكتساب المفردات اللغوية لدى متعلمات اللغة العربية الناطقات بغيرها باستخدام إستراتيجية التعلم التعاوني، واشتملت عينة الدراسة على (٤٨) من متعلمات اللغة العربية الناطقات بغيرها (٢٤) طالبة في المجموعة التجريبية، و(٢٤) طالبة في المجموعة الضابطة التي تعلمت المفردات اللغوية بالطريقة التقليدية، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي، والمنهج شبه التجريبي، وتمثلت أدوات الدراسة في اختبار المفردات اللغوية، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاختبار القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية لصالح الاختبار البعدي مما يدل على الأثر الإيجابي لإستراتيجية التعلم التعاوني في اكتساب المتعلمات للمفردات اللغوية، وأوصت الدراسة بضرورة تدريب المعلمين على إستراتيجيات حديثة في اكتساب المفردات اللغوية.
- **دراسة القرني (٢٠٢٣م)** حيث هدفت الدراسة إلى تقصي التدريب على استعمال إستراتيجيات الذاكرة العشر التي وردت عند أكسفورد (١٩٩٠م) في تعلم المفردات وهي: التصنيف في مجموعات، التداعي والربط، وضع الكلمات في جملة، استخدام الصورة، الخرائط الدلالية، الكلمات المفتاحية، الكلمات المتشابهة، المراجعة المنتظمة، تمثيل المعنى، استخدام بطاقات، على المدى القريب والبعيد، لمتعلمات اللغة العربية لغة ثانية في معهد تعليم اللغة العربية للناطقات بغيرها بجامعة الأميرة نورة، واستخدمت الباحثة المنهج شبه التجريبي، وقد تكونت عينة الدراسة من (١٦) مبحوثة من متعلمات المستوى الرابع، قسمت إلى مجموعتين: مجموعة تجريبية طبقت عليها إستراتيجيات الذاكرة، ومجموعة ضابطة درست بالطريقة التقليدية، وكانت أداة الدراسة هي الاختبار التحصيلي (القبلي – البعدي المباشر – البعدي المؤجل)، وتوصلت

الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تعلم المفردات بين المجموعتين في درجات الاختبار البعدي المباشر والبعدي المؤجل مما يعني احتفاظ كلتا المجموعتين على المدى القريب والبعيد بما تعلمته خلال فترة تنفيذ الدراسة، وهذه النتائج تدل على أن طريقة استعمال إستراتيجيات الذاكرة تتساوى في النتيجة مع الطريقة التقليدية.

التعقيب على الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسة مع الدراسات السابقة في استخدام إستراتيجيات تعليمية نشطة، مثل خرائط المفاهيم، والخرائط الدلالية، وشبكة المفردات، في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغات، كما اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في استخدام المنهج شبه التجريبي، واستفاد الباحث منها في بناء اختبار المفردات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

واختلفت عنها في طريقة تنمية المفردات اللغوية، والعينة التي طبقت عليها متغيرات الدراسة، حيث هدفت **دراسة القرني (٢٠٢٣م)** إلى تقصي التدريب على استعمال إستراتيجيات الذاكرة العشر التي وردت عند أكسفورد (١٩٩٠م) في تعلم المفردات، و**دراسة الشهري(٢٠٢٠م)** باستخدام إستراتيجية التعلم التعاوني لتنمية المفردات اللغوية لدى متعلمات اللغة العربية الناطقات بغيرها، أما **دراسة إسماعيل (٢٠١٨م)** حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن فاعلية الدمج بين إستراتيجيتي شبكة المفردات والصفة المضافة في تنمية مهارات بناء المتلازمات اللفظية، أما دراسة (Nilforoushan) ،(٢٠١٢م) حيث هدفت إلى تقييم أثر استخدام الخرائط الدلالية في تدريس المفردات الإنجليزية كلغة أجنبية على تنمية المفردات، **وفي دراسة (Mast) ماست (٢٠١١م)** استخدام الباحث خرائط المفاهيم، في تنمية المفردات من فصول تعليم الإنجليزية كلغة أجنبية بالمرحلة المتوسطة، ومما يميز الدراسة الحالية الإضافة

للمكتبة العربية من خلال تقديم إستراتيجية (خريطة الكلمة) **وفقا لنظرية النموذج المبدئي لإلينور روش**، وتطبيقها على متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى الأول بهدف تنمية المفردات اللغوية.

الإطار النظري:

مفهوم المفردات:

لا يوجد معيار معين متفق عليه بين الباحثين في تحديد هذا المفهوم ويرى الطلحي أن مفهوم المفردات تتداخل فيه مجموعة من المفاهيم الأخرى وتتقاطع فهو كيان لغوي؛ له مكونات صوتية، وكيان صرفي (مورفولوجي)، وهيئة دلاليّة معجمية، إضافة إلى اختلاف اللغات في تحديد هذا المفهوم فإن مفردات أي لغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمورفيم[١] فتعرف باي المفردات بأنها "مجموع رصيد المورفيمات وتجمعاتها " غير أن علماء النحو قد اتخذوا أساسين ومعيارين لتحديد حدود المفردة؛ هما اللفظ والمعنى[٢]؛ إذ يقول ابن عقيل هي اللفظ الموضوع لمعنى مفرد[٣]، ويقول ابن مالك لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا، وهو اسم، وفعل، وحرف، فالمفردة هي مجموعة من الأصوات أو الحروف، والصيغ المقيدة، ألفت وفق نظام معين في مجموعات أو وحدات؛ حتى أصبحت صيغة حرة مستقلة ذات معنى ووظيفة[٤]، وهذا

(١) ردة الله الطلحي. "دلالة السياق". مكة المكرمة: (جامعة أم القرى، ٢٠٠٣م): ٢٧٩.

(٢) ماريو باي. "أسس علم اللغة". ترجمة: أحمد مختار عمر. ط ٨. (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م): ١١٢.

(٣) بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني، ابن عقيل. "شرح ابن عقيل لألفيّة ابن مالك". (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٢م): ١: ٢٦.

(٤) ابن مالك، محمد بن عبد الله. "شرح التسهيل". تحقيق عبد الرحمن السيد. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م): ١:١.

ما يؤكده ستيفن أولمان بأنها أصغر وحدة ذات معنى للكلام واللغة، وأن قيمة المفردة الوظيفية تظهر في كونها داخل تركيب لغوي معين تؤدي بدورها معنى مستقلا بعيدا عن المعاني الكثيرة التي تحملها المفردة في المعجم اللغويّ أو في ذاكرة المجتمع(١).

ويؤكد بالمر أن المفردة وحدة من وحدات المعجم اللغوي، ولها مدخل معجمي خاص بها، وتتميز المفردة بكونها صالحة للإفراد، والحذف، والحشو، وتغيير موضعها، أو استبدالها داخل السياق(٢).

ويرى الباحث أن تعريف (تمام حسان) هو التعريف الذي يحدد المفردة بشكل دقيق يتماشى مع أهداف البحث فقد عرف حسان المفردة بأنها: صيغة ذات وظيفة معينة في تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد، أو تحذف، أو تحشى، أو يغير موضعها، أو يستبدل بها غيرها في السياق، وترجع مادتها – غالباً– إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد(٣).

أهداف تعليم المفردات اللغوية:

تنطلق أهداف تعليم المفردات اللغوية للناطقين بغير العربية من أهمية موقع المفردات في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ولتعليم المفردات في برامج تعليم اللغة العديد من الأهداف، وهي(٤):

(١) ستيفن أولمان. "دور الكلمة في اللغة". ترجمة: كمال بشر. (القاهرة: دار الغريب، ١٩٩٧م): ٥٥.

(٢) فرانك بالمر. "مدخل إلى علم الدلالة". ترجمة: خالد محمود جمعة. (الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م): ٨٢.

(٣) تمام. "مناهج البحث في اللغة".

(٤) ينظر: طعيمة. "المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى": ٦١٥؛ محمد علي الخولي. "معجم علم اللغة التطبيقي". (بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٠م): ١٠٣.

١- أن يتمكن الطالب من نطق وكتابة الأصوات المكونة للمفردات.
٢- أن يتعرف الطالب على معاني المفردات ومعاني الكلمات التي تشترك معها في جذورها
والتمييز بين دلالاتها.
٣- أن يتمكن الطالب من استخدامها في تراكيب صحيحة.
٤- أن يتمكن الطالب من استخدام المفردة المناسبة في الوقت المناسب.
٥- تنمية الثروة المغوية للطالب؛ ليتمكن من التواصل اللغوي في المواقع المختلفة.
٦- أن يتمكن الطالب من اختيار المفردات التي تعينه على أقرب الطرق للوصول للمعنى المراد.
٧- أن يتعرف الطالب على طريقة الاشتقاق من المفردة.

أنواع المفردات:

متعلمو اللغة يحتاجون إلى معرفة نطق الكلمة وصيغتها كتابيا؛ ولكنهم كذلك بحاجة إلى معرفة ما هو أكثر من ذلك من الأنواع المختلفة من المعاني المحتملة أو غير المحتملة لكلمة ما، وما علاقتها بكلمة أخرى وأثر السياقات المختلفة على استخدام الكلمة وتأثيرها، وكذلك مجال استخدامها على المستوى الدولي، أو الوطني، أو الإقليمي، أو المحلي، أو الفردي[١]؛ لذا تفرعت المفردات إلى عدة تقسيمات منها:

١. تقسيمها حسب المهارات اللغوية، وهي:

أ) مفردات للفهم Understanding Vocabulary، وهذه تنقسم إلى نوعين:

(١) فيفان كوك، وديفيد سنغلتون. "مواضيع رئيسية في اكتساب اللغة الثانية". ترجمة: عواد العنزي. (الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٩م): ٥٢.

(١) الاستماع ويقصد بذلك مجموع الكلمات التي يستطيع الفرد التعرف عليها وفهمها عندما يتلقاها من أحد المتحدثين.

(٢) القراءة ويقصد بذلك مجموع الكلمات التي يستطيع الفرد التعرف عليها وفهمها عندما يتصل بها على صفحة مطبوعة.

ب) مفردات للكلام Speaking Vocabulary، وهذه أيضا تنقسم إلى نوعين:

(١) عادية Informal، ويقصد بها مجموع الكلمات التي يستخدمها الفرد في حياته اليومية.

(٢) موقفيه Formal، ويقصد بها مجموع الكلمات التي يحتفظ بها الفرد ولا يستخدمها إلا في موقف معين أو عندما تكن له مناسبة.

ت) مفردات للكتابة Writing Vocabulary، وهذه أيضا تنقسم إلى نوعين:

(١) عادية ويقصد بها مجموع الكلمات التي يستخدمها الفرد في مواقف الاتصال الكتابي الشخصي مثل أخذ مذكرات، كتابة يوميات... الخ.

(٢) موقفيه ويقصد بها مجموع الكلمات التي يستخدمها الفرد في مواقف الاتصال الكتابي الرسمي مثل تقديم طلب للعمل أو استقالة أو كتابة تقرير.

٢. تقسيمها حسب المعنى، وهي:

أ) كلمات المحتوىContent Vocabulary، ويقصد بها مجموع المفردات الأساسية التي تشكل صلب الرسالة مثل الأسماء والأفعال....الخ.

ب) كلمات وظيفيةFunction Words، ويقصد بها مجموع المفردات التي تربط المفردات والجمل التي يستعان بها على إتمام الرسالة مثل حروف الجر والعطف وأدوات الاستفهام وأدوات الربط بشكل عام.

ت) كلمات عنقودية Cluster Words، ويقصد بها مجموع المفردات التي لا تنقل معنى معينا وهي مستقلة بذاتها وإنما تحتاج إلى كلمات أخرى مساعدة

تنقل من خلالها إلى المستقبل معنى خاصا مثل (رغب) فهذه الكلمة تكون بمعنى أحب في قولنا: رغب في وتكون بمعنى انصرف في قولنا: رغب عن.

٣. تقسيمها حسب التخصص، وتنقسم أيضا إلى نوعين:

أ) كلمات خادمةService Words، ويقصد بها مجموع الكلمات العامة التي يستخدمها الفرد في مواقف الحياة العادية أو استخداماته الرسمية غير التخصصية.

ب) كلمات تخصصيةSpecial Content Words، ويقصد بها مجموع الكلمات التي تنقل معاني خاصة أو تستخدم بكثرة في مجال معين. وتسمى أيضا بالكلمات المحلية Local Words والكلمات الاستخداميةUtility Words.

٤. تقسيمها حسب الاستخدام، وهي نوعان:

أ) كلمات نشيطةActive Words، ويقصد بها مجموع المفردات التي يكثر الفرد من استعمالها في الكلام أو الكتابة أو حتى يسمعها أو يقرؤها بكثرة.

ب) كلمات خاملةPassive Words، ويقصد بها مجموع الكلمات التي يحتفظ الفرد بها في رصيده اللغوي وإن لم يستعملها. وهذا النوع من المفردات التي يفهم الفرد دلالاته واستخداماته عندما يظهر له على الصفحة المطبوعة أو يصل إلى سمعه(١).

معايير اختيار المفردات لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى:

تعددت معايير وأسس اختيار المفردات اللغوية نظرا لكونها مكونا أساسيا في

(١) وليد العناتي. "مفردات العربية: دراسة لسانية تطبيقية للناطقين بغيرها". في المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. (الرياض: جامعة الملك سعود، ٢٠٠٩م): ٦٧.

تعلم اللغة الثانية، ويمكن حصرها في المعايير الآتية: الشيوع أو التواتر، الشمولية، قابلية الورود، ارتباطها بحاجات المتعلمين، القابلية للتدريس، الألفة، المدى أو التوزع، العروبة والفصاحة[١]، ووفقا لنظرية النموذج المبدئي لإلينور روش فإن الأطفال يتعلمون أولا الكلمات الأساسية ؛ لأنها تعكس جوانب من العالم تتميز عن غيرها مما يرون تلقائيا فيتعلمون كلمة (تفاح) في لغتهم الأولى قبل أن يتعلموا المستوى الأعلى (فاكهة) أو مصطلح المستوى الأدنى (التفاحة الذهبية) فهم يبدؤون بالمستوى الأساسي لأنه أسهل إدراكا في العقل، ولا يتجاوزون ذلك إلى الكلمات الأعم أو الأخص إلا بعد أن يتعلموا ذلك، ولقد أظهرت أبحاث كوك (Cook) أن متعلمي اللغة الثانية يكتسبون المصطلحات الأساسية أولا مثل (الطاولة)، ثم المصطلحات الأعم ثانيا مثل (أثاث)، والمصلحات الأخص أخيرا مثل (طاولة القهوة) ومن أجل ذلك فإن مستويات (روش) مهمة في تعلم اللغة الثانية[٢].

(١) الفوزان، عبد الرحمن. "إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها". ط ١. (الرياض: العربية للجميع، ٢٠١٠م): ١٨٢؛ طعيمة، رشدي أحمد. "المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى": ٦١٩.

(٢) كوك، فيفان. "تعلم اللغة الثانية وتعلم اللغات". ترجمة: هشام القاضي. (الرياض: دار جامعة الملك سعود، ٢٠٢٢م): ٦٨.

مستويات (روش Rosch، ١٩٧٧م) للمفردات

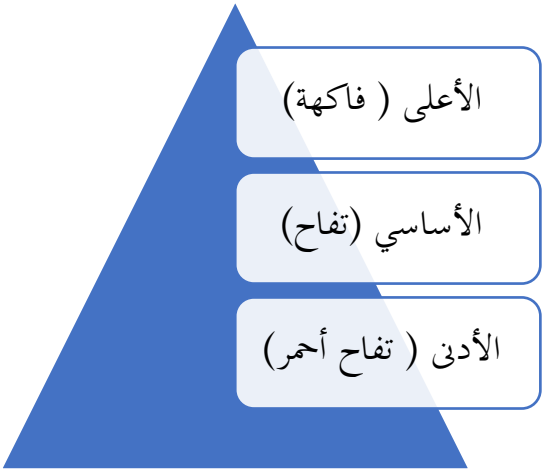

لكن هذا التسلسل في المستويات مختلف عن الترتيب المعتاد عرضه في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، حيث يقدم المعلم مجموعة من الكلمات في وقت واحد مثلا نجد كلمة (الطعام) يتبعها دجاج، وخبز، وشوربة، فبناء على نظرية النماذج المبدئية ينبغي أن يكتسب المتعلم المستوى الأساسي كلمة دجاج، وخبز، وشوربة، ثم ينتقل للمستوى الأعلى طعام، إذ يبدأ العقل تلقائيا من هذا المستوى المادي بدلا من المستوى التجريدي، ولذلك تتوافق هذه النظرية مع الطريقة السمعية البصرية لتعليم اللغات التي تقدم المفردات الجديدة مع صور لما تمثلها، في بيئة ثقافية مناسبة، واعتمد الباحث في بحثه على نظرية روش النماذج المبدئية؛ لمناسبتها للمستوى المبتدئ في برامج تعليم اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

طرق تدريس المفردات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية:

لقد اهتم الباحثون بتعليم المفردات لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وقدموا طرقا تساهم في تنمية المفردات، وإثراء الحصيلة اللغوية، ويكون ذلك إما بطريقة قصدية مباشرة بتخصيص حصص دراسية لتعليمها أو بطريقة عرضية غير

مباشرة بشكل ضمني في فروع اللغة العربية، ومهاراتها ولكلا الطريقتين فوائد، وفقا للهدف من التعلم ومستوى المتعلمين وطبيعتهم[١]، ويرى الباحث أن تعليمها بشكل عرضي أنجع للمتعلم اختصارا للوقت والجهد وتحقيق مبدأ التكامل والتعاضد بين مهارات وعناصر اللغة العربية؛ حيث يتطلب تعليمها بشكل مباشر وقتا وجهدا كبيرا، ويراعى عند تقديم المفردات العربية للناطقين بلغات أخرى الآتي:

- التدرج في تقديم عدد المفردات
- البدء بالكلمات الشائعة.
- البدء بالمفردات القصيرة.
- البدء بالمفردات المحسوسة.
- البدد بالمفردات المكونة من حروف يسهل نطقها.
- البدء بالمفردات التي يتماثل نطقها مع كتابتها.
- البدد بالمفردات التي يسهل تدريسها على غيرها.
- توضيح معنى المفردة من خلال التضاد والترادف.
- الاستعانة بأساليب توضيح المعنى، من تقديم النماذج ولعب الأدوار، والمعاجم.
- مراعاة ضبط المفردات بالشكل، وبخاصة في المستوى المبتدئ.
- الاهتمام ببيان معنى المفردات من خلال السياق.
- تعليم الصيغة الصوتية والكتابية للمفردة.
- الاهتمام بالسياق اللغوي المناسب لمستوى المتعلمين.

(١) ماهر شعبان عبد الباري. ٢٠١١م، "استراتيجيات تعليم المفردات". (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع): ٢٧٧.

- التنويع في التدريبات والأنشطة اللغوية[١].

إستراتيجية خريطة الكلمة:

بين إستراتيجية التدريس وطريقة التدريس وأسلوب التدريس مفاهيم مرتبطة ومتداخلة ومتقاربة إلا أنه يمكن تلخيص الفرق بينها في كون إستراتيجية التدريس أشمل من الطريقة، والطريقة أوسع من الأسلوب. فعلى ضوء إستراتيجية التدريس يختار المعلم الطريقة المناسبة، التي بدورها تحدد أسلوب التدريس الأمثل الذي يتبعه المتعلم. ويتضح ذلك من خلال الشكل الآتي:

(١) الحديبي، علي عبد المحسن. "دليل معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها". (الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٥م): ٣١؛ الفوزان "إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها": ١٨٣.

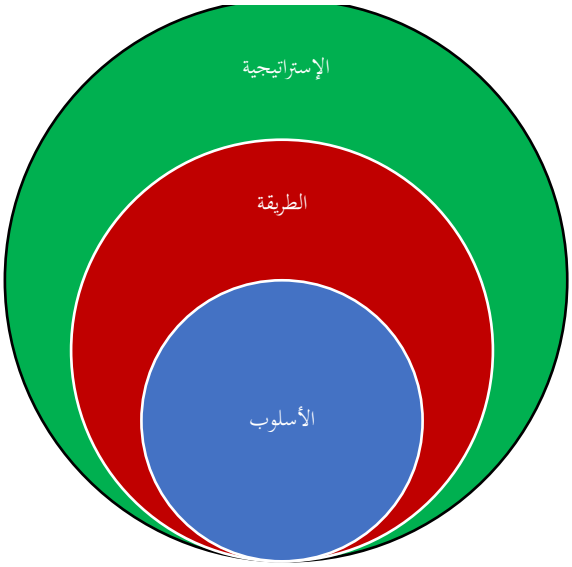

ويمكن أن تقوم إستراتيجية التدريس على طريقة واحدة أو على عدة طرق، وذلك حسب الأهداف المنشودة، في حين أننا نختار الطريقة لتحقيق هدف متكامل واحد خلال موقف تعليمي معين، بينما الأسلوب هو الكيفية التي يتناول بها المعلم طريقة التدريس، وتعرف إستراتيجيات التدريس على أنها مزيج بين طرق التدريس الخاصة والعامة المتداخلة والمناسبة لأهداف الموقف التعليمي، وينبغي أن نشير إلى أن فاعلية الإستراتيجيات لا بد أن تقوم على مجموعة من العمليات والخطوات التي تسهل للمتعلّم التعرف على المعلومات، وتخزينها، واستخدامها(١)، وتنقسم إستراتيجيات التدريس إلى أنواع؛ منها ما يختص بالمهارات اللغوية على وجه العموم، أو ما يختص

(١) إبراهيم، ميكائيل. "إستراتيجيات تعلم المفردات وأثرها في اكتساب مهارتي الكتابة والمحادثة لدى طلاب جامعة العلوم الإسلامية الماليزية". *مجلة إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاريّ للأمة الإسلامية*، الجزء الثاني. (٢٠٠٧م): ٤٢٧.

بمهارة معينة على وجه الخصوص، ومنها ما يختص بالعناصر اللغوية، مثل إستراتيجية خريطة الكلمة في تعليم المفردات.

أهمية إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات:

وتكمن أهمية الإستراتيجية من الفوائد المرجو تحقيقها في حال تطبيقها عند تعليم مفردات اللغة وفيما يلي تلخيصًا لأبرز فوائد استراتيجية خريطة الكلمة:[١]

١) تعميق الفهم:

تساعد المتعلم على ربط الكلمة الجديدة بمعناها واستخدامها وسياقها، فلا يقتصر التعلم على الحفظ بل يشمل الفهم العميق.

٢) تنمية الذاكرة طويلة المدى:

يساعد التمثيل البصري والتقسيم المنظم للكلمة في الخريطة على تخزينها بشكل أفضل في الذاكرة واسترجاعها بسهولة لاحقًا.

٣) إثراء الحصيلة اللغوية:

تقدم الخريطة كلمات مرتبطة ومرادفات ومضادات، مما يزيد من عدد المفردات التي يتعلمها المتعلم بشكل غير مباشر.

٤) تطوير مهارات التفكير:

تشجع المتعلم على تحليل الكلمة وبناء علاقات بين المعاني، مما ينمي قدراته في التفكير الناقد وحل المشكلات اللغوية.

٥) تحفيز التعلم النشط:

تجعل المتعلم مشاركًا فاعلًا في بناء معرفته بدلاً من تلقيها سلبيًا، خاصة عند

(١) العسيري، علي بن سعيد.(٢٠١٠م) .مشكلات دارسي اللغة العربية لغير الناطقين بها. مرجع سابق.

ملء الخريطة بنفسه.

٦) مناسبة لجميع أنماط التعلم:

تخدم المتعلمين البصريين من خلال الصور والخرائط، والسمعيين عند مناقشة الكلمة، والحركيين عند إعداد الخريطة.

مكونات إستراتيجية خريطة الكلمة لتنمية المفردات اللغوية:

تُعدّ إستراتيجية **خريطة الكلمة** (*Word Map Strategy*)أداة بصرية تنظيمية تهدف إلى تعميق فهم المتعلم للمفردات الجديدة وربطها بشبكة من العلاقات الدلالية والوظيفية. وتستند هذه الإستراتيجية إلى الأسس النظرية لـ **نظرية النماذج المبدئية لإلينور روش** (*Rosch's Prototype Theory*)، التي تؤكد على أهمية البدء بالمستوى الأساسي من المفردات الملموسة والشائعة قبل الانتقال إلى المستويات الأكثر تجريدًا أو تخصصًا.

أولًا: العناصر الأساسية لخريطة الكلمة

تتكون خريطة الكلمة من مجموعة عناصر مترابطة تُبنى حول الكلمة المستهدفة، وهي[١]:

١. **الكلمة المستهدفة:(Target Word)**

توضع في مركز الخريطة، لتكون محور التركيز والانطلاق نحو بقية المكونات.

٢. **المعنى:(Definition)**

(١) تم الرجوع في ذلك كلا من:

أبو حيمد، إبراهيم .تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها: مشكلاته وطرق علاجه .الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (١٩٨٦م).

العسيري، علي بن سعيد .مشكلات دارسي اللغة العربية لغير الناطقين بها .مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ١٤٣ (٢٠١٠م). (١)، ٢٣-٥٩.

كتابة تعريف واضح ومبسط للكلمة، يتناسب مع مستوى المتعلمين وسياق استخدامها.

٣. **المرادفات:(Synonyms)**

إدراج كلمات مترادفة تدعم إثراء الحصيلة اللغوية وتعزز الفهم الدلالي.

٤. **المتضادات:(Antonyms)**

ذكر كلمات مضادة للمعنى الأساسي، بما يسهم في توضيح الدلالة من خلال المقابلة.

٥. **الاستخدام في جملة سياقية:(Contextual Sentence)**

توظيف الكلمة في جملة وظيفية تعكس معناها الحقيقي، مما يعزز الفهم ويسهل الاستدعاء.

ثانيًا: خطوات تطبيق الإستراتيجية داخل الصف

١. **التقديم:** يعرض المعلم الكلمة الجديدة من خلال نموذج مكتمِل لخريطة الكلمة.

٢. **المشاركة:** يُكلف المتعلمون (فرادى أو في مجموعات) بإنشاء خرائط مماثلة للكلمة.

٣. **المناقشة:** تُعرض الخرائط أمام الصف وتُناقش للتأكد من صحة المعاني واستخداماتها.

٤. **التكامل** :تُحفظ الخرائط كمرجع شخصي للمتعلمين، يمكن الرجوع إليها في المراجعات أو التوسع اللغوي[١].

(١) السلمي، ناصر بن محمد. "أثر استخدام إستراتيجيات نشطة في تنمية المفردات اللغوية لدارسي العربية لغة ثانية". *مجلة تعليم العربية للناطقين بغيرها*، (٢٠٢٢م). (٢) ١٤، =

ثالثًا: الأساس النظري والتربوي للتطبيق

تستند هذه الإستراتيجية إلى مبدأ **التنظيم البصري للمعرفة** (*Graphic Organizers*)، الذي يحول التعلم من عملية آلية قائمة على الحفظ والتكرار إلى عملية نشطة تعتمد على التحليل والربط وبناء المعنى. كما يتماشى هذا مع **نظرية النماذج المبدئية**، التي توضح أن العقل البشري يبدأ بتنظيم المفاهيم من خلال المستويات الأساسية الملموسة قبل الانتقال إلى المفاهيم المجردة[١].

رابعًا: القيمة العلمية والتربوية

- **زيادة الحصيلة اللغوية** عبر إدخال كلمات مترادفة ومضادة.
- **تعميق الفهم الدلالي** من خلال ربط الكلمة بسياقات مختلفة.
- **تعزيز الذاكرة طويلة المدى** باستخدام التمثيل البصري والتنظيم المنهجي.
- **تنمية الكفاءة الوظيفية** للمتعلمين في توظيف المفردات في مواقف حقيقية.
- **تطوير مهارات التفكير الناقد** والتحليل الدلالي من خلال بناء شبكة معرفية حول المفردة[٢].

نموذج تطبيقي للإستراتيجية:

قام الباحث ببناء نموذجا تطبيقيا لإستراتيجية (خريطة الكلمة) داخل فصول

=

١٥٥-١٨٠.

(١) التنقاري، أحمد بن عبدالله. "إستراتيجيات تعليم المفردات للدارسين غير الناطقين بالعربية". الرياض: *جامعة الملك سعود* (٢٠١١م).

(٢) الحمد، بدر بن عبدالله. "دور المعلم في تنمية المفردات لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها". *مجلة جامعة الملك سعود (العلوم التربوية)*، (٢٠١٢م). ٢٤(٢)، ٨٩-١١٦

تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى

- عنوان النشاط: "اصنع خريطتك للكلمة الجديدة".
- الهدف: أن يتمكن المتعلم من فهم كلمة جديدة بعمق، وتوظيفها في سياق، والتوسع في شبكة مفرداته.
- الفئة المستهدفة: متعلمو اللغة العربية لغة ثانية – المستوى الأول.
- الزمن: ٢٠ – ٣٠ دقيقة.
- خطوات التنفيذ:

١. اختر كلمة جديدة مناسبة لمستوى المتعلمين (مثال: "مطار").

٢. وزّع عليهم نموذج خريطة الكلمة الفارغ.

٣. اطلب منهم العمل في أزواج أو مجموعات صغيرة لإكمال الخريطة:

- كتابة الكلمة في المركز.
- شرح معناها.
- البحث عن كلمة مرادفة وكلمة مضادة (إن وجدت).
- وضع الكلمة في جملة مفيدة.

٤. اجعل كل مجموعة تعرض خريطتها لباقي الصف شفهيًا مع شرح العناصر.

٥. علّق بإيجاز على العروض وصحح الأخطاء إن وُجدت.

- تقييم النشاط:

١- هل أكمل المتعلم جميع عناصر الخريطة؟

٢- هل فهم المعنى واستخدم الكلمة بشكل صحيح في جملة؟

٣- هل ساهم في نشاط المجموعة وشرح الكلمة؟

نصائح للمعلم:

مما سبق يمكن للباحث تقديم الإرشادات التالية:

- يمكن طباعة بطاقات بكلمات مختلفة وتوزيعها على المجموعات لزيادة التنويع.
- استخدم هذا النشاط دوريًا لبناء عادة تعلم المفردات بهذه الطريقة.
- شجع المتعلمين على الاحتفاظ بخرائط كلماتهم في ملفات خاصة لمراجعتها لاحقًا
- اختيار مجموعة كلمات مناسبة للمستوى الأول لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، مع مراعاة أن تكون كلمات وظيفية وشائعة في الحياة اليومية، وتصلح للتدريب باستخدام خريطة الكلمة.

مثال تطبيقي لخريطة كلمة (يكتب) لتنمية مفردات اللغة.

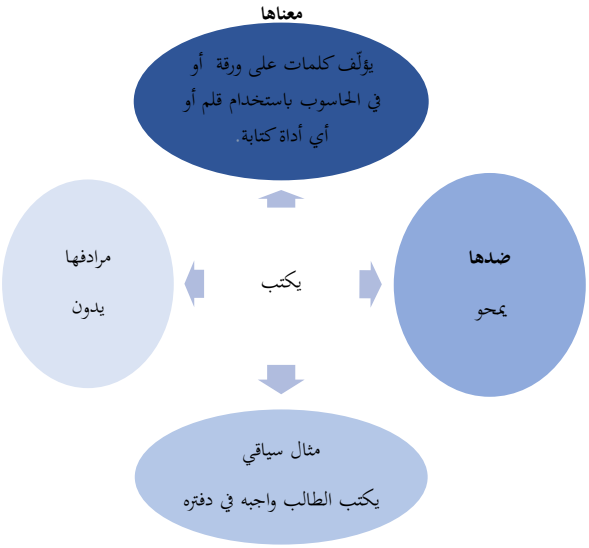

الأساس الذي بنى عليه الباحث هذا النموذج:

١.الأساس النظري

- اعتمد الباحث على **نظرية النماذج المبدئية لإلينور روش** Prototype) (Theory، التي تنص على أن تعلم المفردات يبدأ بالمستوى الأساسي (الكلمات الملموسة والشائعة مثل "مطار") قبل الانتقال إلى مستويات أكثر تجريدًا أو تخصصًا.
- اعتمد أيضًا على فكرة **المنظِّمات البصرية**(Graphic Organizers) ، حيث يساعد تمثيل الكلمة بصريًا وربطها بشبكة من العلاقات (معنى – مرادف – ضد – جملة سياقية) على تعزيز التعلم العميق وترسيخ المفردات في الذاكرة طويلة المدى.

٢.الأساس التربوي – الصفات العملية للنشاط

- **المتعلم محور العملية التعليمية** :النشاط قائم على جعل الطالب يشارك بفعالية في بناء خريطة الكلمة، وليس مجرد متلقٍ سلبي.
- **العمل التعاوني** :يقترح الباحث تنفيذ النشاط في أزواج أو مجموعات صغيرة، مما يعزز مهارات النقاش وتبادل المعرفة بين المتعلمين.
- **التعلم الوظيفي** :يركز النشاط على توظيف الكلمة في جملة سياقية، أي أن الطالب لا يكتفي بحفظ معناها، بل يستخدمها في موقف لغوي واقعي.
- **الأنماط التعليمية المتعددة** :الدمج بين البصري (الخريطة/الصورة)، السمعي (المناقشة)، والحركي (المشاركة في ملء الخريطة).

٣.الأساس الإجرائي – خطوات منظمة

- اختيار كلمة مناسبة للمستوى (التدرج من السهل إلى الأصعب).
- توفير نموذج فارغ من خريطة الكلمة (منظم بصري).

- إلزام المتعلمين بملء عناصر محددة :**المعنى – مرادف – ضد – جملة.**
- تقديم عروض شفهية ومناقشتها أمام الصف.
- تقويم النشاط وفق معايير واضحة (هل فهم المعنى؟ هل استخدم الكلمة في جملة صحيحة؟ هل شارك في المجموعة؟).

٤.الأساس التطبيقي – مثال عملي

- قدّم الباحث مثالًا تطبيقيًا على كلمة "يكتب"، موضحًا كيف يمكن تحويل المفردة إلى خريطة تحتوي على معنى، مرادف، ضد، واستخدام في جملة.
- هذا التطبيق العملي يعكس الجانب الإجرائي الملموس، مما يجعل الاستراتيجية قابلة للتنفيذ الفوري في الصف.

منهج البحث وإجراءاته:

في ضوء أهداف البحث وتساؤلاته، اعتمد الباحث المنهج شبه التجريبي ذو التصميم (قبلي–بعدي) لمجموعتين: تجريبية وضابطة. ويُعزى اختيار هذا المنهج إلى ملاءمته للبيئات التعليمية التي يصعب فيها التحكم الكامل بجميع المتغيرات، ولأنه يسمح بقياس أثر المتغير المستقل (إستراتيجية خريطة الكلمة) على المتغير التابع (تنمية المفردات اللغوية).

١.مجتمع البحث

يتكون مجتمع البحث من طلاب **المستوى الأول** في وحدة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، وعددهم (٨٦) طالبًا وفق إحصاءات عمادة شؤون الطلاب للفصل الدراسي الأول ١٤٤٦هـ.

٢.عينة البحث

- تم اختيار عينة عشوائية بسيطة تمثل (٥٠٪) من مجتمع البحث، بلغ عدد أفرادها (٤٣) طالبًا.

- وُزِّعت العينة إلى:
  - المجموعة التجريبية :(٢٢) طالبًا درست باستخدام إستراتيجية خريطة الكلمة.
  - المجموعة الضابطة :(٢١) طالبًا درست بالأسلوب التقليدي.
- كما اختيرت **عينة استطلاعية** مكونة من (٢٠) طالبًا من خارج العينة الأساسية؛ وذلك بغرض ضبط أدوات البحث (التحقق من الصدق والثبات، وحساب معاملات السهولة والصعوبة، وتحديد الزمن المناسب للاختبار).

٣.أداة البحث

أُعدَّ اختبار تحصيلي في المفردات اللغوية (٢٥ فقرة من نوع: مطابقة – اختيار من متعدد – إكمال فراغات) لقياس حصيلة المفردات لدى المتعلمين.

- عُرضت الأداة على (٥) محكّمين متخصصين للتحقق من صدقها.
- طُبقت على العينة الاستطلاعية للتأكد من ثباتها (معامل كرونباخ ألفا = ٠,٨٥٦).

٤.خطوات تطبيق الإستراتيجية

- **مدة التطبيق** :استغرقت التجربة (٣ أسابيع) بواقع (١٢ ساعة تدريسية)، توزعت على أربع حصص أسبوعيًا.
- **طريقة التطبيق على المجموعة التجريبية:**
  - قُدمت مفردات مختارة من الكتاب المقرر (العربية بين يديك – المستوى الأول).
  - اختيرت كلمات وظيفية شائعة (مثل: مطار، كتاب، يكتب، سوق، طعام).
  - عُرضت كل كلمة باستخدام نموذج خريطة الكلمة يتضمن: (المعنى – المرادف – الضد – الاستخدام في جملة).

- طُلب من الطلاب العمل في أزواج أو مجموعات صغيرة لإعداد خرائطهم الخاصة.
- عرض الطلاب خرائطهم شفهياً أمام الصف مع مناقشة وتصحيح الأخطاء.
- احتُفظ بالخرائط في ملفات شخصية للرجوع إليها في المراجعة.

- **الطريقة المطبقة على المجموعة الضابطة:**

- دُرست المفردات نفسها من الكتاب المقرر لكن باستخدام الطريقة التقليدية (الشرح المباشر، التدريبات الكتابية، والتكرار).
- لم تُستخدم الخرائط البصرية أو الأنشطة التفاعلية، بل اقتصر التدريس على الحفظ والتدريب التقليدي.

٥.الإجراءات الإحصائية

- طُبق الاختبار قبليًا على المجموعتين لقياس المستوى قبل التدريس.
- دُرست المجموعة التجريبية بالمتغير المستقل (إستراتيجية خريطة الكلمة)، بينما درست المجموعة الضابطة بالأسلوب التقليدي.
- طُبق الاختبار البعدي على المجموعتين بعد انتهاء التجربة.
- حُللت النتائج باستخدام اختبار (T-test) للعينتين المرتبطتين والمستقلتين؛ للكشف عن دلالة الفروق بين متوسطي الدرجات قبليًا وبعديًا.

٦– أدوات البحث وإجراءات بناءه وضبطه:

في هذا الجزء يتم عرض الإجراءات التي اتبعت في إعداد أدوات البحث وموارده وضبطها، وفيما يلي توضيح ذلك:

في ضوء الأهداف العامة والإجرائية، تم تصميم وبناء اختبار تحصيلي موضوعي، لقياس المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وذلك وفق الإجراءات الآتية:

١- تحديد الهدف من الاختبار:

أعد الباحث الاختبار بهدف قياس مستوى تحصيل المتعلم للجوانب المعرفية للمفردات اللغوية، وذلك بتطبيقه قبليًا وبعديا.

٢- تقدير الدرجة وطريقة التصحيح:

اشتمل الاختبار على (٢٥) سؤالًا، وتم توزيع درجات أسئلة الاختبار بحيث تكون درجة واحدة لكل إجابة صحيحة على كل سؤال لذلك كانت النهاية العظمى للاختبار هي (٢٥) درجة.

٣- التحقق من صدق الاختبار:

يقصد بصدق الاختبار: قياس ما وضع لقياسه، ولتحديد صدق الاختبار قام الباحث بالإجراءات الآتية:

٤-صدق المحكمين:

بعد إعداد الاختبار في صورته الأولية، ووضع التعليمات الخاصة به، وإعداد جدول المواصفات قام الباحث بعرض الصورة الأولية للاختبار التحصيلي، وإجراءات البحث، وجدول مواصفات الاختبار على (٥) من المحكمين المختصين في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، وذلك لإبداء الرأي حول الآتي:

- مدى ملاءمة الأسئلة للأهداف المرفقة بالاختبار.
- مدى ملاءمة الأسئلة لمستويات الأهداف المحددة بجدول المواصفات.
- مدى ارتباط البدائل أو العبارات برأس السؤال.
- السلامة العلمية والصحة اللغوية لمفردات الاختبار.
- مدى سلامة ووضوح تعليمات الاختبار.
- إضافة ما ترونه مناسباً ولم يرد في هذا الاختبار.
- حذف ما ترونه غير مناسب من مفردات هذا الاختبار.

وقد أسفرت نتائج التحكيم ما يلي:

- إعادة صياغة بعض الأسئلة.
- حذف بعض الأسئلة.

وبناء على الإجراءات السابقة، قام الباحث بالتعديلات المناسبة، حتى أصبح الاختبار صالحا للتطبيق ملحق (أ).

وقد تمثلت أبرز التعديلات التي أُجريت بناءً على ملاحظات المحكّمين في:

- إعادة صياغة بعض العبارات لتصبح أكثر وضوحًا وتجنب الغموض.
- حذف عدد من البنود المتشابهة أو غير المناسبة لمستوى المتعلمين.
- تعديل بعض البدائل في أسئلة الاختيار من متعدد لتكون أكثر دقة وتمييزًا.
- إضافة تعليمات إجرائية توضح للطالب كيفية الإجابة عن بعض الأسئلة.

٥– تجريب الاختبار وضبطه:

بعد التأكد من صلاحية الاختبار، وبعد إجراء التعديلات المطلوبة، قام الباحث بإجراء التجربة الاستطلاعية للاختبار، وكان الهدف من التجربة الاستطلاعية ما يأتي:

أ– حساب قيمة معامل الثبات.

ب– حساب صدق الاختبار.

ج– حساب معامل السهولة والصعوبة لأسئلة الاختبار.

د– معامل التمييز لمفردات الاختبار.

هـ – تحديد الزمن اللازم للإجابة على الاختبار.

وتم تطبيق الاختبار في صورته المبدئية على **عينة استطلاعية** مكونة من (٢٠) طالبًا من خارج عينة البحث، وذلك على النحو الآتي:

أ– حساب قيمة معامل ثبات الاختبار:

يقصد بثبات الاختبار أن يعطى الاختبار النتائج نفسها إذا ما أعيد تطبيقه أكثر من مرة على الأفراد أنفسهم تحت الظروف نفسها، وقد تم حساب معامل ثبات الاختبار في البحث الحالي بطريقة ألفا كرونباخ كالآتي:

قام الباحث بالتأكد من الثبات الداخلي للاختبار التحصيلي بحساب معامل الثبات (a–ألفا) كرونباخ، وذلك باستخدام مجموعة البرامج الإحصائية الـ(SPSS) وذلك على درجات العينة الاستطلاعية، ويوضح الجدول (٣) نتائج قياس الثبات الإحصائي.

يتضح من الجدول السابق أن معامل الثبات للاختبار ككل = 0.856، وهو معامل ثبات مقبول لألفا، مما يدل على ملائمة الاختبار لأغراض البحث.

جدول (١)

نتائج حساب معامل الثبات (ألفا كرونباخ)لاختبار المفردات اللغوية

م	موضوعات الاختبار	عدد الأسئلة	قيمة معامل ألفا
1	مطابقة الكلمة بمعناها الصحيح	8	0.869
2	الاختيار من متعدد	4	0.874
3	استخدام الكلمة المناسبة لإكمال الفراغ	13	0.863
	إجمالي الاختبار	25	0.856

يتضح من الجدول السابق أن معامل الثبات للاختبار ككل = 0.856، وهو معامل ثبات مقبول لألفا، مما يدل على ملائمة الاختبار لأغراض البحث.

ب– حساب صدق الاختبار:

قام الباحث بحساب صدق الاختبار من خلال بيان قوة الارتباط بين درجات جميع المهارات مع الدرجة الكلية للاختبار، والجدول رقم (٢) يوضح نتائج صدق الاختبار.

جدول (٢) صدق الاتساق الداخلي للاختبار التحصيلي.

م	موضوعات الاختبار	عدد الأسئلة	قيمة معامل الارتباط
1	مطابقة الكلمة بمعناها الصحيح	8	0.631**
2	الاختيار من متعدد	4	0.758**
3	استخدام الكلمة المناسبة لإكمال الفراغ	13	0.734**

**الارتباط دال إحصائيًا عند مستوى (0.01).

يشير الجدول السابق إلى أنّ قيم معامل الارتباط بيرسون Pearson Correlation بين فقرات الاختبار وأبعاده الرئيسة الذي وردت فيه تراوحت بين (٠,٧٥٨) كأعلى قيمة ارتباط، و(٠,٦٣١) كأدنى قيمة ارتباط، وهي قيم دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (٠,٠١).

ج – حساب معامل السهولة والصعوبة لأسئلة الاختبار:

الهدف من حساب معامل السهولة والصعوبة لمفردات الاختبار التحصيلي هو حذف المفردات المتناهية في السهولة، والتي تزيد معامل سهولتها عن (٠,٨)، والمفردات المتناهية في الصعوبة، والتي يقل معامل سهولتها عن (٠,٢)، وذلك في ضوء النتائج التي أسفرت عنها التجربة الاستطلاعية للاختبار التحصيلي.

ومن خلال حساب معامل السهولة والصعوبة، وجد أن معامل السهولة لمفردات الاختبار يتراوح من (٠/٢، ٠/٨)، وهذا يدل على مناسبة أسئلة الاختبار لمستوى أفراد عينة البحث.

د– حساب معامل التمييز لمفردات الاختبار:

وتم حساب معامل التمييز لكل مفردة من مفردات **الاختبار من خلال المعادلة الآتية:**

معامل السهولة× معامل الصعوبة = معامل التمييز، وبحساب معامل التمييز لمفردات الاختبار وجد أنها تتراوح بين (٠,٤٦ – ٠,٥٨)، وهو يعد مؤشراً

على أن مفردات الاختبار ذات قدرة تمييزية مناسبة.

هـ – تحديد الزمن المناسب للاختبار(١):

وتم حساب الزمن المناسب للإجابة على مفردات الاختبار وذلك بإيجاد متوسط الأزمنة

متوسط الأزمنة (الزمن اللازم لتطبيق الاختبار) = مجموع زمن الاختبار لأفراد العينة / عدد أفراد العينة = ٣٦ دقيقة

وللإجابة عن السؤال الثاني: ما تأثير إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم إجراء اختبار t-test لعينتين مرتبطتين لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطي درجات المجموعتين الضابطة، والتجريبية قبلياً، ثم قام الباحث بتدريس المفردات من الكتاب المقرر على المستوى الأول في وحدة تعليم اللغة العربية (العربية بين يديك) بواقع (١٢) ساعة تدريسية لمدة ثلاثة أسابيع لكلا المجموعتين، ثم قام الباحث بتطبيق الاختبار البعدي لكلا المجموعتين، وتوضيح الفروق بين اختبار المجموعة الضابطة والتجريبية قبلياً وبعدياً، وذلك باستخدام حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS 25)، نظرًا لتطبيق نفس الأداة على نفس العينة في مرحلتين مختلفتين (قبل وبعد)، مما يسمح بتحديد ما إذا كانت الفروق الملاحظة بين المتوسطات تُعزى إلى التدريس أم إلى عوامل عشوائية، وتكمن أهمية هذا التحليل في أنه يُشكّل الأساس المقارن الذي تُقاس عليه فعالية إستراتيجية خريطة الكلمة المطبقة على المجموعة التجريبية.

(١) فؤاد البهي السيد. "الجداول الإحصائية لعلم النفس والعلوم الإنسانية الأخرى". (القاهرة: دار الفكر العربي. (١٩٨٧م): ٤٤٧.

جدول (٣) اختبار "t-test" لعينتين مرتبطتين ودلالتها الإحصائية للفرق بين متوسطي درجات التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للاختبار التحصيلي للمجموعة الضابطة

نوعية الأسئلة	الدرجة الكلية	التطبيق القبلي		التطبيق البعدي		قيمة (ت) ودلالتها	Sig
		المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري		
مطابقة الكلمة بمعناها الصحيح	8	2.27	1.486	3.09	1.269	-2.144	0.044
الاختيار من متعدد	4	0.95	1.046	1.86	1.082	-3.36	0.003
استخدام الكلمة المناسبة لإكمال الفراغ	13	3.86	1.424	5.41	2.423	-2.717	0.013
الدرجة الكلية	25	7.09	2.408	10.36	3.274	-3.98	0.001

يوضح الجدول السابق أن هناك فروقًا ذات دلالة إحصائية بين متوسطي الدرجات في التطبيق القبلي والتطبيق البعدي لجميع المهارات الثلاث، بالإضافة إلى الدرجة الكلية، مما يدل على أن المجموعة الضابطة قد سجّلت تحسنًا ملحوظًا في أدائها بعد فترة التدريس، وهذا يدل على أن التدريس التقليدي، من خلال التمارين الكتابية والتكرار، قد ساهم في تحسين قدرة المتعلمين على اختيار الكلمة المناسبة في السياق، لكن الفرق المطلق (١,٥٥ وحدة) لا يزال محدودًا مقارنة بعدد الأسئلة (١٣)، مما يوحي بأن التحسن كان تدريجيًا وليس جوهريًا.

ومن أبرز النتائج في الجدول هو الأداء الكلي للمجموعة الضابطة، حيث ارتفع المتوسط من (٧,٠٩) إلى (١٠,٣٦) من أصل (٢٥)، مع قيمة (t = -3.98) و (sig = 0.001)، وهي قيمة شديدة الدلالة إحصائيًا، وهذا يعني أن التدريس بالطريقة التقليدية قد أحدث أثرًا إيجابيًا ملحوظًا في مجمل مهارات المفردات، وهو ما يُعدّ أمرًا إيجابيًا من حيث المبدأ، لكنه في الوقت نفسه يُظهر حدود هذه الطريقة، فالفرق الكلي (٣,٢٧ وحدة) يُعدّ تحسنًا متوسطًا، ولا يرقى إلى المستوى الذي يمكن أن

يُحدثه التدريس النشط والتفاعلي، كما هو الحال في استراتيجيات مثل خريطة الكلمة، وعليه فإن هذه النتائج تُعدّ دليلًا على أن التدريس التقليدي له أثر، لكنه أثر محدود، ويعتمد على التكرار والحفظ أكثر من الربط المعرفي والتفكير الناقد، فالدلالة الإحصائية للفروق في المجموعة الضابطة تؤكد صلاحية الأداة وفعالية فترة التدريس، لكنها في الوقت نفسه تُبرز الحاجة إلى إستراتيجيات أكثر فاعلية لتنمية المفردات، خصوصًا في سياق تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، حيث تكمن الصعوبات في التمييز الدلالي، واستخدام الكلمة في سياقات مختلفة، وربطها بشبكة معرفية واسعة، ومن هنا تأتي أهمية إستراتيجية خريطة الكلمة التي تستهدف تعميق الفهم وليس فقط التعرف السطحي، وهو ما سيتضح عند مقارنة هذه النتائج بنتائج المجموعة التجريبية في الجداول اللاحقة.

جدول (٤)

اختبار "t-test" لعينتين مرتبطتين ودلالتها الإحصائية للفرق بين متوسطي درجات التطبيق القبلي والتطبيق البعدي للاختبار التحصيلي للمجموعة التجريبية

نوعية الأسئلة	الدرجة الكلية	التطبيق القبلي		التطبيق البعدي		قيمة (ت) ودلالتها	Sig
		المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري		
مطابقة الكلمة بمعناها الصحيح	8	3.18	1.622	4.95	1.43	-5.192	0.000
الاختيار من متعدد	4	1.59	1.098	2.45	1.057	-3.906	0.001
استخدام الكلمة المناسبة لإكمال الفراغ	13	4.68	1.756	8.59	2.261	-9.525	0.000
الدرجة الكلية	25	9.45	3.113	16	3.478	-8.837	0.000

يُوضح الجدول السابق قياس دلالة الفروق داخل المجموعة نفسها قبل وبعد التجربة، وهو ما يسمح بتحديد مدى تأثير الإستراتيجية في تحسين أداء المتعلمين، وتكمن أهمية هذا الجدول في أنه يُظهر بوضوح أثر التدخل التعليمي الفعّال القائم على التمثيل البصري والربط المعرفي، ويدعم الفرضية الرئيسية للبحث القائلة بوجود أثر

ذي دلالة إحصائية لإستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

ومن خلال تحليل البيانات الواردة في الجدول، يتضح أن هناك فروقًا كبيرة جدًا وذات دلالة إحصائية بين المتوسطات الحسابية للدرجات في التطبيق القبلي والتطبيق البعدي.

ومن أبرز النتائج في الجدول هو الأداء الكلي للمجموعة التجريبية، حيث ارتفع المتوسط من (٩,٤٥) إلى (١٦,٠٠) من أصل (٢٥)، مع قيمة (t = -8.837) و (sig = 0.000)، وهي قيمة شديدة الدلالة إحصائيًا، وهذا يعني أن تطبيق إستراتيجية خريطة الكلمة قد أحدث أثرًا تراكميًا وشاملًا في جميع مهارات المفردات، حيث لم يقتصر التحسن على مهارة واحدة، بل امتد إلى جميع جوانب الاختبار، والفرق الكلي البالغ (٦,٥٥ وحدة) يُعدّ تحسنًا كبيرًا جدًا، خاصة إذا ما قورن بتحسن المجموعة الضابطة (التي تم تدريسها بالطريقة التقليدية)، مما يعزز مزية الإستراتيجية الحديثة على الطرق التقليدية.

وبالتالي، فإن تحليل جدول (٤) لا يُظهر فقط تحسنًا ملحوظًا في أداء المجموعة التجريبية، بل يُعدّ دليلًا قاطعًا على نجاح إستراتيجية خريطة الكلمة في تحقيق هدفها التعليمي المتمثل في تنمية المفردات اللغوية بشكل معرفي ووظيفي، كما أن النتائج تتماشى مع الإطار النظري للبحث وخاصة نظرية النماذج المبدئية لروش(Rosch) ، التي تؤكد على أهمية البدء بالمستوى الأساسي في اكتساب المفردات، وهو ما تقوم به خريطة الكلمة من خلال تنظيم الكلمة في شبكة معرفية تبدأ من المعنى المركزي ثم التفرع إلى المرادفات، المتضادات، والأمثلة السياقية، ومن هذا المنطلق تأتي أهمية هذه النتائج في دعم الدعوة إلى تبني إستراتيجيات تدريسية نشطة وحديثة في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، تُحوّل التعلم من عملية سلبية إلى تفاعلية تُشجع على

التفكير، والتحليل، والبناء المعرفي.

وللإجابة عن السؤال الثالث: ما أثر إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية القدرة على الاستخدام الوظيفي للمفردات في سياقات لغوية متنوعة؟

جدول (٥)

اختبار "t-test" لعينتين مرتبطتين ودلالتها الإحصائية للفرق بين متوسطي درجات المجموعة الضابطة والتجريبية للاختبار التحصيلي البعدي

نوعية الأسئلة	الدرجة الكلية	التطبيق القبلي		التطبيق البعدي		قيمة (ت) ودلالتها		حجم الأثر (d)
		المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري			
مطابقة الكلمة بمعناها الصحيح	8	3.09	1.269	4.95	1.43	6.622	0.000	0.3
الاختيار من متعدد	4	1.86	1.082	2.45	1.057	3.48	0.002	0.2
استخدام الكلمة المناسبة لإكمال الفراغ	13	5.41	2.423	8.59	2.261	6.21	0.000	0.5
الدرجة الكلية	25	10.36	3.274	16	3.478	8.261	0.000	0.7

يُعدّ جدول (٥) من الجداول المحورية في هذه الدراسة، حيث يُقدّم مقارنة إحصائية مباشرة بين المجموعة التجريبية (التي درّست باستخدام إستراتيجية خريطة الكلمة) والمجموعة الضابطة (التي درّست بالطريقة التقليدية) في الاختبار البعدي، وذلك لقياس تأثير المتغير المستقل (إستراتيجية خريطة الكلمة) على أداء المتعلمين في اختبار المفردات اللغوية، أظهرت نتائج اختبار (t-test) للعينتين المستقلتين وجود فروق ذات دلالة إحصائية شديدة الأهمية (Sig. = 0.000)لصالح المجموعة التجريبية في جميع بنود الاختبار، بما في ذلك "مطابقة الكلمة بمعناها الصحيح"، و"الاختيار من متعدد"، و"استخدام الكلمة المناسبة لإكمال الفراغ"، إضافة إلى الدرجة الكلية،

ويدل هذا التفوق الواضح على أن إستراتيجية خريطة الكلمة لم تُسهم فقط في تحسين التحصيل، بل في تحويل طبيعة تعلّم المفردات من الحفظ السطحي إلى الفهم العميق والربط المعرفي.

كما يشير تفوق المجموعة التجريبية في مطابقة الكلمة بمعناها الصحيح (بمتوسط ٤,٩٥ مقابل ٣,٠٩) إلى أن التمثيل البصري الذي توفره خريطة الكلمة يُعزّز من التمييز الدلالي السريع والدقيق، حيث يُبنى لدى المتعلم تمثيل ذهني شامل يربط الكلمة بمعناها، مرادفها، مضادها، واستخدامها في سياق، وهذا التفسير يتوافق تمامًا مع ما أشارت إليه دراسة نيلفوروشان (٢٠١٢م)، التي وجدت أن استخدام الخرائط الدلالية في تدريس المفردات الإنجليزية كلغة أجنبية أدى إلى زيادة الوعي بالبعد المعرفي للكلمات وتعزيز الفهم الدلالي، مما يدعم فاعلية الأدوات البصرية في تنمية المفردات، كما تتوافق هذه النتيجة مع دراسة ماست (٢٠١١م)، التي أكدت أن خرائط المفاهيم ومصفوفات الكلمات تُسهم بشكل فعّال في تنمية قدرة الطلاب على التعرف على الكلمات وفهم علاقاتها الدلالية، خاصة في المراحل الأولى من تعلم اللغة الأجنبية.

أما في بند الاختيار من متعدد، فقد سجّلت المجموعة التجريبية تفوقًا دالًا إحصائيًا (٢,٤٥ مقابل ١,٨٦)، وهو ما يُظهر قدرة المتعلمين على التمييز بين الخيارات المتقاربة دلاليًا، وهو تحدٍّ كبير لمتعلمي اللغة الثانية، ويعزى هذا التحسن إلى طبيعة خريطة الكلمة التي تُعرّف المتعلم بشبكة دلالية حول الكلمة، مما يُسهّل عليه فهم الفروق الدقيقة بين الكلمات الشبيهة في السياق أو الدلالة، وتُعزز هذه النتيجة ما خلصت إليه دراسة الشهري (٢٠٢٠)، التي أثبتت أن استراتيجيات التعلم النشط، مثل التعلم التعاوني، تُنمّي الوعي الدلالي العميق وقدرة المتعلم على التمييز بين المفردات، وهو ما ينطبق على خريطة الكلمة كاستراتيجية تفاعلية تشجع على التفكير والتحليل بدلًا من الحفظ والتلقين.

ومن أبرز النتائج في الجدول هو تفوق المجموعة التجريبية في بند استخدام الكلمة المناسبة لإكمال الفراغ، حيث بلغ متوسطها ٨,٥٩ مقابل ٥,٤١ للمجموعة الضابطة، مع قيمة (t = 6.21) و(sig = 0.000)، وهو فرق كبير جدًا حيث يُعدّ هذا البند من أصعب أنواع أسئلة المفردات، لأنه يتطلب فهمًا تركيبيًا ودلاليًا وسياقيًا متزامنًا، وبالتالي فإن التفوق فيه يُعدّ دليلًا قويًا على أن خريطة الكلمة ساهمت في تنمية الكفاءة الوظيفية، أي قدرة المتعلم على استخدام الكلمة في سياقات تعبيرية حقيقية. ويُعزز هذا الاستنتاج ما توصلت إليه دراسة إسماعيل(2018) ، التي أكدت أن دمج استراتيجيات مثل "شبكة المفردات" يُسهم في إثراء الحصيلة اللغوية وتنمية مهارات بناء المتلازمات اللفظية، وهو ما يُقارب أثر خريطة الكلمة في ربط الكلمة بسياقات استخدامها.

وأخيرًا، فإن التفوق الشامل في الدرجة الكلية (١٦,٠٠ مقابل ١٠,٣٦) مع حجم أثر – (d = 0.7) وهو أثر قريب من الكبير حسب معايير كوهين — يُعدّ دليلًا قاطعًا على الفعالية الشاملة والمتراكمة للاستراتيجية، هذا التحسن الكبير لا يُعزى فقط إلى التمثيل البصري، بل إلى الدمج بين العمليات المعرفية والحسية، حيث يُشارك المتعلم في بناء معرفته بنفسه، وتتوافق هذه النتيجة مع الإطار النظري للدراسة وخاصة نظرية النماذج المبدئية لإلينور روش، التي تؤكد على أهمية البدء بالمستوى الأساسي في اكتساب المفردات (مثل: "تفاح" قبل "فاكهة")، وهو ما تقوم به خريطة الكلمة من خلال تنظيم الكلمة في شبكة معرفية تبدأ من المعنى المركزي ثم التفرع إلى المرادفات، المتضادات، والأمثلة السياقية.

وبالتالي، فإن نتائج جدول (٥) لا تُظهر فقط تفوقًا كميًا، بل تُقدّم دليلاً نوعيًا على أن خريطة الكلمة تغيّر كيف يتعلم المتعلم، وتحول تعلّم المفردات من عملية سلبية إلى تفاعلية تُشجع على التفكير الناقد والتحليل المعرفي. كما تُعزز هذه النتائج ما أشارت إليه الدراسات السابقة من أن الاستراتيجيات البصرية والتفاعلية فعّالة في تنمية المفردات،

وتدعم الدعوة إلى تبنيها في مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

كما يُعدّ جدول (٥) من الجداول الحاسمة في هذه الدراسة، حيث يُقدّم تحليلًا إحصائيًا مقارنًا بين متوسطي الأداء في التطبيق البعدي للاختبار التحصيلي لكل من المجموعة الضابطة (التي تلقت التدريس بالطريقة التقليدية) والمجموعة التجريبية (التي تعلّمت باستخدام إستراتيجية خريطة الكلمة)، وذلك بهدف تحديد ما إذا كانت الفروق في الأداء بين المجموعتين تُعزى إلى أثر المتغير المستقل (الاستراتيجية)، أم إلى عوامل صدفة أو خلفية تعليمية سابقة وقد تمّ استخدام اختبار (t-test) للعينتين المستقلتين(Independent Samples t-test) ، وهو الأداة الإحصائية الأنسب لمقارنة متوسطين لعينتين مختلفتين خضع كل منهما لتجربة تعليمية مختلفة، مع قياس نفس المتغير التابع (أداء المتعلمين في اختبار المفردات)، وتكمن أهمية هذا الجدول في أنه لا يُظهر فقط تفوّق إحدى المجموعتين، بل يُقدّم دليلاً قاطعًا على التفوق النسبي لإستراتيجية خريطة الكلمة مقارنة بالطريقة التقليدية، مما يدعم فرضية البحث الرئيسة، فعند تحليل البيانات الواردة في الجدول يتضح أن هناك فروقًا كبيرة جدًا وذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين في جميع "نوعيات الأسئلة" المُختبرة، بدءًا من "مطابقة الكلمة بمعناها الصحيح" وصولاً إلى "الدرجة الكلية".

مناقشة النتائج وربطها بالدراسات السابقة

أظهرت نتائج البحث تفوق المجموعة التجريبية التي درست باستخدام إستراتيجية خريطة الكلمة بصورة دالة إحصائيًا في جميع أبعاد الاختبار مقارنة بالمجموعة الضابطة، وهو ما يعكس فاعلية التمثيل البصري المنظم في بناء شبكة معرفية مترابطة حول المفردة الجديدة، فقد أسهمت الخريطة في تكوين صورة ذهنية متكاملة تربط الكلمة بمعناها، ومرادفها، وضدها، واستخدامها في جملة سياقية، الأمر الذي ساعد المتعلمين على إدراك الفروق الدقيقة بين الكلمات والتمييز بين المعاني المتقاربة بدقة وسرعة، وهي مهارات

يصعب تحقيقها بالطرق التقليدية التي تعتمد على الحفظ والتلقين.

كما أوضحت النتائج أن الإستراتيجية ساعدت في تنمية الكفاءة الوظيفية للمتعلمين، إذ لم يقتصر أثرها على مجرد التعرف على الكلمات، بل امتد ليشمل القدرة على استخدامها في سياقات حقيقية وتعبيرات صحيحة. وتُعد هذه المهارة من أكثر المهارات اللغوية تعقيدًا، لأنها تتطلب دمجًا بين الفهم التركيبي والدلالي والسياقي، مما يجعل التفوق فيها مؤشرًا قويًا على فعالية الإستراتيجية في ترسيخ المفردات في الذاكرة وتعزيز القدرة على استدعائها وتوظيفها في المواقف التواصلية.

إضافة إلى ذلك، أظهرت النتائج أن أثر إستراتيجية خريطة الكلمة كان شاملاً وتراكميًا، إذ لم يقتصر التحسن على نوع واحد من الأسئلة، بل شمل جميع أبعاد الاختبار (المطابقة، الاختيار من متعدد، الاستخدام في جملة). وهو ما يؤكد أن هذه الإستراتيجية لا تغيّر فقط كمية ما يتعلمه المتعلم من مفردات، بل تغير أيضًا كيفية تعلمه، من خلال نقله من التعلم السلبي إلى التعلم النشط القائم على التفكير الناقد، والتحليل، والربط الدلالي، والتمثيل البصري.

وتتفق هذه النتائج مع ما أشارت إليه الدراسات العربية مثل دراسة السلمي (٢٠٢٢م) التي أكدت أثر الإستراتيجيات النشطة في تنمية المفردات اللغوية لدارسي العربية لغة ثانية، ودراسة الشهري (٢٠٢٠م) التي أظهرت فعالية التعلم التعاوني في زيادة الحصيلة اللغوية وتفعيل دور المتعلم، وكذلك دراسة القرني (٢٠٢٣م) التي بيّنت أثر إستراتيجيات الذاكرة في تنمية المفردات وتعزيز القدرة على استدعائها. جميع هذه الدراسات دعمت فكرة أن التعلم القائم على الأنشطة التفاعلية يحقق نتائج أفضل من الطرق التقليدية.

كما تتسق النتائج مع الدراسات الأجنبية مثل دراسة ماست (٢٠١١م) التي أكدت فاعلية خرائط المفاهيم ومصفوفات الكلمات في تنمية المفردات لدى المتعلمين المبتدئين، ودراسة نيلفوروشان (٢٠١٢م) التي أبرزت أثر الخرائط الدلالية في تعميق

الوعي المعرفي بالكلمات والتمييز بين معانيها. كما تتوافق مع ما توصّل إليه إسماعيل (٢٠١٨م) من أن دمج إستراتيجيات المفردات يسهم في تنمية المتلازمات اللفظية وزيادة ثراء الثروة اللغوية.

وبذلك، يمكن القول إن هذه الدراسة تمثل إضافة نوعية إلى الأدبيات التربوية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، إذ تؤكد أن إستراتيجية خريطة الكلمة لا تقتصر على تحسين الحصيلة اللفظية، بل تمتد لتشمل تنمية الفهم الدلالي، والقدرة الوظيفية على الاستخدام، وبناء عادات تعلم نشطة قائمة على التحليل والربط. كما تفتح هذه النتائج المجال أمام مزيد من الدراسات المستقبلية التي تستكشف أثر هذه الإستراتيجية في مجالات لغوية أخرى مثل مهارات الاستماع والتحدث، أو في مستويات تعليمية أعلى، أو في بيئات رقمية تفاعلية.

توصيات البحث:

انطلاقًا من النتائج الإيجابية التي أسفرت عنها هذه الدراسة حول فعالية إستراتيجية خريطة الكلمة في تنمية المفردات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، يُقدم الباحث مجموعة من التوصيات والمقترحات التي تهدف إلى الاستفادة من هذه النتائج على المستويين العملي والبحثي، وذلك لتعزيز جودة تعليم اللغة العربية وتطوير كفاءة المتعلمين اللغوية والتواصلية.

التوصيات:

أولًا: التوصيات وفقًا للجانب التربوي:

١. **تعميم إستراتيجية خريطة الكلمة** كأحد الممارسات الأساسية في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، مع التركيز على المستويات المبتدئة والمتوسطة.

٢. **إعادة تصميم الأنشطة الصفية** بحيث تعتمد على التفاعل، وبناء الشبكات الدلالية للكلمات بدلًا من الاعتماد على الحفظ والتلقين.

٣. **تضمين النظرية المعرفية** (النموذج المبدئي لإلينور روش) في بناء المناهج، بحيث يُراعى البدء بالكلمات الأساسية المألوفة قبل الانتقال إلى المفاهيم الأكثر تجريدًا.

٤. **توظيف إستراتيجية خريطة الكلمة في المهارات الأخرى** كالاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة، وعدم الاقتصار على تعليم المفردات فقط.

ثانيًا: التوصيات وفقًا للجانب التطبيقي:

١. **تطوير مواد تعليمية تفاعلية** (مطبوعة ورقمية) تتضمن خرائط كلمات جاهزة وقابلة للتخصيص، يمكن استخدامها في الفصل أو للتعلم الذاتي.

٢. **إطلاق تطبيقات رقمية** تمكّن المتعلم من إنشاء خريطة كلمته الخاصة بإضافة الصور والأصوات والأمثلة السياقية.

٣. **إعداد "ملف المفردات الشخصية"** للمتعلمين، بحيث يُنشئ كل متعلم أرشيفًا من خرائط الكلمات الخاصة به يُراجعها بشكل دوري.

ثالثًا: التوصيات وفقًا للجانب التدريبي (للمعلمين):

١. **تنظيم برامج تدريبية متخصصة** للمعلمين حول كيفية توظيف الإستراتيجية بكفاءة في مواقف تعليمية متنوعة.

٢. **إعداد أدلة إرشادية للمعلمين** تتضمن خطوات تطبيق الإستراتيجية، ونماذج لأنشطة صفية عملية قابلة للتنفيذ.

٣. **تدريب المعلمين على دمج خرائط الكلمات مع استراتيجيات أخرى** مثل التعلم التعاوني والتعلم القائم على المشروعات، لتعزيز الفاعلية التعليمية.

ثانيًا: المقترحات البحثية المستقبلية

١. إجراء دراسات مقارنة بين إستراتيجية خريطة الكلمة وبعض الإستراتيجيات الحديثة، وذلك لتحديد أكثرها فاعلية في سياقات تعليمية مختلفة.

٢. دراسة أثر خريطة الكلمة في تنمية المهارات اللغوية الأخرى.

٣. إجراء دراسات تستخدم "الاختبار البعدي المؤجل" بعد أسابيع أو شهور من انتهاء التجربة، لقياس مدى بقاء المفردات في ذاكرة المتعلمين، وهل تُسهم خريطة الكلمة في تثبيت المفردات بشكل أعمق من الطرق التقليدية؟

٤. فعالية استخدام خريطة الكلمة في البيئات التعليمية الإلكترونية، مثل منصات Moodle، Google Classroom، واستخدام أدوات مثل

MindMeister، Coggle لرسم الخرائط التفاعلية، وقياس تأثير ذلك على تحصيل المتعلمين.

٥. إجراء دراسات مقارنة تبحث في فعالية الإستراتيجية لدى متعلمين من لغات أم مختلفة (مثل: الإنجليزية، الصينية، الفرنسية)، للوقوف على ما إذا كانت هناك فروق في الأثر تعود إلى التداخل اللغوي أو الثقافي.

خاتمة:

إن نتائج هذه الدراسة لا تُعدّ مجرد تأكيد على فعالية إستراتيجية خريطة الكلمة، بل تُشكل دعوة جادة لإعادة النظر في طرق تدريس المفردات، والانتقال من النموذج التلقيني إلى النموذج التفاعلي المعرفي. ومن هنا، فإن التوصيات والمقترحات المقدمة تسعى إلى ترجمة: هذه النتائج إلى واقع تعليمي ملموس، يُسهم في بناء متعلم عربيًا قادرًا على استخدام اللغة بثقة وفهم عميق، لا مجرد حفظ وترديد.

يشكر الباحث جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز ممثلة بعمادة البحث العلمي والدراسات العليا على دعمها لهذا البحث برقم ٢٠٢٥/02/32527.

المراجع

المراجع العربية:

إبراهيم، ميكائيل. "إستراتيجيات تعلم المفردات وأثرها في اكتساب مهارتي الكتابة والمحادثة لدى طلاب جامعة العلوم الإسلامية الماليزية". *مجلة إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاريّ للأمة الإسلامية*، الجزء الثاني: (٢٠٠٧م).

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني ."شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك". الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (١٩٨٢م).

ابن مالك، محمد بن عبد الله ."شرح التسهيل". تحقيق عبد الرحمن السيد. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. (١٩٧٤م).

أبو حيمد، إبراهيم بن عبد العزيز ."المفردات وتعليمها لغير الناطقين باللغة العربية". بحث تكميلي متمم لمتطلبات الماجستير—غير منشور، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد تعليم اللغة العربية، الرياض. (١٩٨٦م).

أبو حيمد، إبراهيم. "تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها: مشكلاته وطرق علاجه". الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (١٩٨٦م).

إسماعيل، عبد الرحيم فتحي.. "فاعلية الدمج بين إستراتيجيتي شبكة المفردات والصفة المضافة في بناء المتلازمات اللفظية وإثراء المحصول اللغوي لدى دارسي اللغة العربية الناطقين بغيرها" .*مجلة كلية التربية، (١١٦) ٢٩* (٢٠١٨م) :٤٩١-٥٢٧

إكسفورد، ربيكا. "استراتيجيات تعلم اللغة". ترجمة: السيد محمد دعدور. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. (١٩٩٦م).

أولمان، ستيفن. "دور الكلمة في اللغة". ترجمة: كمال بشر. القاهرة: دار الغريب. (١٩٩٧م).

بالمر، فرانك. "مدخل إلى علم الدلالة". ترجمة: خالد محمود جمعة. الكويت: مكتبة

دار العروبة للنشر والتوزيع. (١٩٩٧م).

باي، ماريو. "أسس علم اللغة" ترجمة: أحمد مختار عمر (ط ٨). القاهرة: عالم الكتب. (١٩٩٨م).

بكير، سعيد. "تعليم مفردات العربية للناطقين بغيرها: قراءة في معايير الانتقاء لدى محمود الشافعي". في أبحاث المؤتمر السنوي العاشر: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعات والمعاهد العالمية الرياض: معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية (المجلد ٢)، (٢٠١٦م): ١٢٥–١٥٥).

التنقاري، أحمد بن عبد الله. "إستراتيجيات تعليم المفردات للدارسين غير الناطقين بالعربية" .الرياض: جامعة الملك سعود. (٢٠١١م).

التنقاري، صالح محجوب، وعمر زكريا. "استراتيجيات تعلم المفردات اللغوية لدى دارسي العربية بوصفها لغة ثانية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا". *مجلة معهد اللغة العربية بجامعة إفريقيا العالمية*،١٢(٢٠١١م).

جابر، عبد الحميد، وكاظم، أحمد. "مناهج البحث في التربية وعلم النفس" .القاهرة: دار النهضة العربية. (١٩٦٦م).

الحديبي، علي عبد المحسن. "دليل معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها". الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. (٢٠١٥م).

حسان، تمام. "مناهج البحث في اللغة" .الدار البيضاء: دار الثقافة. (١٩٨٠م).

الحمد، بدر بن عبد الله. "دور المعلم في تنمية المفردات لدى متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها". *مجلة جامعة الملك سعود (العلوم التربوية)*، ٢٤(٢) (٢٠١٢م):٨٩-١١٦.

الحمد، هالة فايز. "دور المعلم في تفعيل إستراتيجيات تعليم مفردات العربية لدى الناطقين بغيرها" .سلسلة دراسات عربية وإسلامية، القاهرة: مركز اللغات

الأجنبية والترجمة، جامعة القاهرة، ٣٩، (٢٠١٢م): ١٣٥-١٧١

الخولي، محمد علي." معجم علم اللغة التطبيقي" .بيروت: مكتبة لبنان. (٢٠٠٠م).

الزلمي، ناصر بن محمد. "أثر استخدام إستراتيجيات نشطة في تنمية المفردات اللغوية لدارسي العربية لغة ثانية". *مجلة تعليم العربية للناطقين بغيرها*، ١٤(٢)، (٢٠٢٢م): ١٥٥- ١٨٠.

زين الدين، نور، وشهرير، محمد صبري. "بناء برنامج تعليمي قائم على الوسائط المتعددة في تعلم مفردات اللغة العربية وتعليمها عبر برنامج (موودل) في ضوء احتياجات الطلبة في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا" .*مجلة جامعة القدس المفتوحة*، ٤١. (٢٠١٧م).

سكر، شادي. "تنمية المفردات في المناهج التعليمية للغة العربية لغير الناطقين بها". مكتبة شبكة الألوكة الإلكترونيةhttp://cutt.us/jbsUC .(٢٠١٦م).

السلمي، ميمون أحمد. "أثر برنامج تدريبي مقترح في تنمية تصورات معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها عن تعليم المفردات" .مجلة كلية التربية، ٣٨(٦) (٢٠٢٢م): ١٢٩-١٥٨.

السيد، فؤاد البهي. "الجداول الإحصائية لعلم النفس والعلوم الإنسانية الأخرى" . القاهرة: دار الفكر العربي. (١٩٧٨م).

الشهري، صالحة علي. "اكتساب المفردات اللغوية في ضوء التعلم التعاوني في تعليم اللغة الثانية: دراسة تطبيقية" .*مجلة كلية التربية*،١٩ (٤) (٢٠١٩م): ٢٩٩-٣٤٦

الشهري، صالحة علي." اكتساب المفردات اللغوية في ضوء التعلم التعاوني في تعليم اللغة الثانية: دراسة تطبيقية". في المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها. مكة المكرمة: السعودية (٢٠٢٠م): ٣٥٨—٣٧٤

صيني، محمود إسماعيل، وإسحاق الأمين. "التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء" .الرياض: جامعة الملك سعود. (١٩٨٢م).

طعيمة، رشدي أحمد. "المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى". مكة المكرمة: معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى. (١٩٨٦م).

طعيمة، رشدي أحمد، ومحمد علاء الدين الشعيبي. "تعليم القراءة والأدب: إستراتيجيات مختلفة لجمهور متنوع" .القاهرة: دار الفكر العربي، (٢٠٠٦م).

الطلحي، ردة الله. "دلالة السياق" .مكة المكرمة: جامعة أم القرى. (٢٠٠٣م).

عبد الباري، ماهر شعبان. "استراتيجيات تعليم المفردات" .عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع. (٢٠١١م).

العسيري، جابر. "إستراتيجيات تعلم المفردات وعلاقتها بالتحصيل اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، معهد تعليم اللغة العربية، الرياض. (٢٠١٠م).

العسيري، علي بن سعيد. "مشكلات دارسي اللغة العربية لغير الناطقين بها" .*مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر*،١٤٣ (١) (٢٠١٠م): ٢٣-٥٩.

العصيلي، عبد العزيز. "طرائق تدريس اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى" .الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (٢٠٠٢م).

العناتي، وليد." مفردات العربية: دراسة لسانية تطبيقية للناطقين بغيرها". في المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها .الرياض: جامعة الملك سعود. (٢٠٠٩م).

فان دالين، ديوبولد. "مناهج البحث في التربية وعلم النفس" .(ط ٣). ترجمة: محمد نبيل، سلمان الشيخ، طلعت منصور. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية . (١٩٨٥م).

الفوزان، عبد الرحمن. "إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها" .(ط ١).

الرياض: العربية للجميع. (٢٠١٠م).

القرني، مريم حباس. "أثر استعمال إستراتيجيات الذاكرة في تعلم المفردات لمتعلمات اللغة العربية لغة ثانية". *مجلة المستقبل للدراسات الإنسانية*، ٤(٢٠٢٣م): ١٤٣-١٦٩.

كوك، فيفان. "تعلم اللغة الثانية وتعلم اللغات". ترجمة: هشام القاضي. الرياض: دار جامعة الملك سعود. (٢٠٢٢م).

كوك، فيفان، وديفيد سنغلتون. "مواضيع رئيسية في اكتساب اللغة الثانية". ترجمة: عواد العنزي. الرياض: دار جامعة الملك سعود للنشر. (٢٠١٩م).

ناهد، سالم. "فاعلية إستراتيجية تدريسية مقترحة قائمة على استخدام الصور في تنمية المفردات لدى متعلمي العربية الناطقين بغيرها". رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة. (٢٠٢٣م).

Bibliography

Abdel Bari, Maher Shaban. *Strategies for Teaching Vocabulary*. (In Arabic). (Amman: Dar Al-Maseera for Publishing and Distribution, 2011).

Abu Humaid, Ibrahim bin Abdulaziz. "Vocabulary and Its Teaching to Non-Native Speakers of Arabic." Supplementary Research for the Requirements of the Master's Degree – Unpublished. Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, Institute of Teaching Arabic, Riyadh, 1986.

Al-'Anati, Walid. "Arabic Vocabulary: An Applied Linguistic Study for Non-Native Speakers", (in Arabic). In Proceedings of the World Conference on Teaching Arabic to Non-Native Speakers. (Riyadh: King Saud University, 2009).

Al-'Asiri, Jabir. "Vocabulary Learning Strategies and Their Relation to Language Achievement among Learners of Arabic as a Foreign Language" (in Arabic). Unpublished Master's Thesis, Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, Institute of Teaching Arabic, Riyadh, 2010.

Al-'Usaili, Abdulaziz. "Methods of Teaching Arabic to Non-Native Speakers" (in Arabic). (Riyadh: Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, 2002).

Al-Fawzan, ʿAbdulrahman. "Guidelines for Teachers of Arabic to Non-Native Speakers". (1st ed. Riyadh: Arabic for All, 2010/1431 AH).

Al-Hamad, Hala Fayiz. "The Role of the Teacher in Activating Strategies for Teaching Arabic Vocabulary to Non-Native Speakers" (in Arabic). Arab and Islamic Studies Series 39 (2012): 135–170. Cairo: Center for Foreign Languages and Translation, Cairo University.

Al-Hudhaibi, ʿAli Abdulmohsen. "Teacher's Guide for Teaching Arabic to Non-Native Speakers" (in Arabic). (Riyadh: King Abdullah International Center for Arabic Service, 2015/1436 AH).

Al-Khuli, Muhammad Ali. "Dictionary of Applied Linguistics"(in Arabic). Beirut: Lebanon Library, 2000.

Al-Qahtani, Muhammad. "The Importance of Vocabulary in Language Learning and How to Be Taught" (in Arabic). *International Journal of Teaching and Education* 3, iss. 3 (2015): 21–34.

Al-Qarni, Maryam Habbas. "The Effect of Using Memory Strategies

on Vocabulary Learning among Female Learners of Arabic as a Second Language." Journal of the Future of Humanities Studies 4 (2023): 143–169.

Al-Shahri, Salihah Ali. "Vocabulary Acquisition in Light of Cooperative Learning in Second Language Teaching: An Applied Study." Journal of the Faculty of Education 19, iss. 4 (2019): 299–346.

Al-Sulami, Maymun Ahmad. "The Effect of a Proposed Training Program on the Development of Arabic Teachers' Perceptions of Vocabulary Teaching." Journal of the Faculty of Education 38, iss. 6 (2022): 129–158.

Al-Talhi, Raddah Allah. "The Semantics of Context" (in Arabic). (Makkah: Umm al-Qura University, 2003).

Al-Tanqari, Saleh Mahjoub, and Omar Zakaria. "Vocabulary Learning Strategies among Learners of Arabic as a Second Language at the International Islamic University Malaysia"(in Arabic). *Journal of the Institute of Arabic Language at the International University of Africa* 12 (2011).

Bai, Mario. "Foundations of Linguistics. In Arabic". Translated by Ahmed Mukhtar Omar. (8th ed. Cairo: 'Alam al-Kutub, 1998).

Bakkir, Saeed. "Teaching Arabic Vocabulary to Non-Native Speakers: A Reading in Mahmoud al-Shafi'i's Selection Criteria" (in Arabic). In Proceedings of the 10th Annual Conference on Teaching Arabic to Non-Native Speakers in International Universities and Institutes, vol. 2 (2016): 125–155. Riyadh: Ibn Sina Institute of Humanities, King Abdullah International Center for Arabic Service.

Cook, Vivian, and David Singleton. "Key Topics in Second Language Acquisition". Translated by 'Awwad al-'Anzi. Riyadh: King Saud University Publishing, 2019.

Cook, Vivian. "Second Language Learning and Language Learning. In Arabic". Translated by Hisham al-Qadi. (Riyadh: King Saud University Press, 2022).

El-Sayed, Fouad El-Bahy. "Statistical Tables for Psychology and Other Humanities". (in Arabic). (Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi. (1978).

Jabir, Abdel Hamid, & Kazem, Ahmed. "Research Methods in Education and Psychology". (in Arabic). (Cairo: Dar Al-Nahda Al-Arabiya, 1966).

Hassan, Tammam. "Research Methods in Language". (Casablanca: Dar al-Thaqafa, 1980).

Ibn Aqil, Baha' al-Din Abdullah ibn Aqil al-Hamdani. "Sharh Ibn Aqil on Alfiya Ibn Malik". (Riyadh: Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, 1982).

Ibn Malik, Muhammad ibn Abdullah. "Sharh al-Tashil". Investigated by Abd al-Rahman al-Sayyid. (Cairo: Anglo Egyptian Library, 1974).

Ibrahim, Mikael. "Vocabulary Learning Strategies and Their Effect on Acquiring Writing and Speaking Skills among Students of the International Islamic University Malaysia" (in Arabic). *Journal of Language and Literature Contributions to the Civilization of the Islamic Nation*, Part 2 (2007).

Ismail, Abdel-Rahim Fathi. "The Effectiveness of Combining the Vocabulary Network Strategy and the Added Attribute in Building Collocations and Enriching Vocabulary among Learners of Arabic as a Foreign Language" (in Arabic). Journal of the Faculty of Education 29, iss. 116 (2018): 491–527.

Jones, Mark, and Michael Carr. "Visual Learning Strategies in Second Language Acquisition: A Case Study of Word Mapping" (in Arabic). *Journal of Educational Psychology* 106, iss. 2 (2014): 389–402.

Mast, David W. "Using Semantic Maps and Word Families in the Beginning-Level Middle School Foreign Language Classroom"(in Arabic). *The NECTFL Review* 68, iss. 3 (2011): 63–78.

Nahid, Salem. "The Effectiveness of a Proposed Teaching Strategy Based on the Use of Pictures in Developing Vocabulary among Learners of Arabic as a Foreign Language" (in Arabic). Unpublished Master's Thesis, Institute of Educational Studies and Research, Cairo University, 2013.

Nation, Paul. *Learning Vocabulary in Another Language*. Cambridge: Cambridge University Press, 2001.

Nilforoushan, Somayeh. "The Effect of Teaching Vocabulary through Semantic Mapping on EFL Learners' Awareness of the Effective Dimensions of Deep Vocabulary Knowledge". *English Language Teaching* 5, iss. 10 (2012): 164–172.

Nur Zain al-Din, and Muhammad Sabri Shahrir. "Developing an Educational Program Based on Multimedia in Learning and

Teaching Arabic Vocabulary through Moodle in Light of Students' Needs at the International Islamic University Malaysia" (in Arabic). Journal of Al-Quds Open University 41 (2017).

Oxford, Rebecca. "Language Learning Strategies". Translated by El-Sayyid Muhammad Daddour. (Cairo: Anglo Egyptian Library, 1996).

Palmer, Frank. "An Introduction to Semantics." Translated by Khalid Mahmoud Jum'a. (Kuwait: Dar al-'Urubah Library for Publishing and Distribution, 1997).

Shaw, Robert R. "Using Word Maps to Enhance Vocabulary Learning". *Journal of Educational Strategies* 12, no. 3 (1997): 45–52.

Sini, Mahmoud Ismail, and Ishaq al-Amin. "Contrastive Linguistics and Error Analysis" (in Arabic). (Riyadh: King Saud University, 1982).

Sukkar, Shadi. "Vocabulary Development in Curricula for Teaching Arabic to Non-Native Speakers" (in Arabic). Alukah Electronic Library, 2016. http://cutt.us/jbsUC

Ta'imah, Rushdi Ahmad, and Muhammad Alaa al-Din al-Shaibi. "Teaching Reading and Literature: Different Strategies for a Diverse Audience" (in Arabic). (Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi, 2006).

Ta'imah, Rushdi Ahmad. "Reference in Teaching Arabic to Non-Native Speakers" (in Arabic). (Makkah: Institute of Arabic Language, Umm al-Qura University, 1986).

Olman, Stephen. "The Role of the Word in Language". Translated by Kamal Bishr. (Cairo: Dar al-Gharib, 1997).

Van Dalen, Deobold B. "Research Methods in Education and Psychology". Translated by Muhammad Nabil, Salman Al-Sheikh, Talat Mansour. (3rd ed., Cairo: Anglo Egyptian Bookshop, 1985).

"Vocabulary Acquisition in Light of Cooperative Learning in Second Language Teaching: An Applied Study" (in Arabic). In Proceedings of the International Conference on Arabic Language and Literature (2020): 358–374. Makkah, Saudi Arabia.

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨
١٩٦

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Issue : 18

Oct - Dec 2025